

مخطوطات البحر الميت

محمود العايدى



مخطوطات بجر المبت

من منشورات دائرة الثقافة والفنون

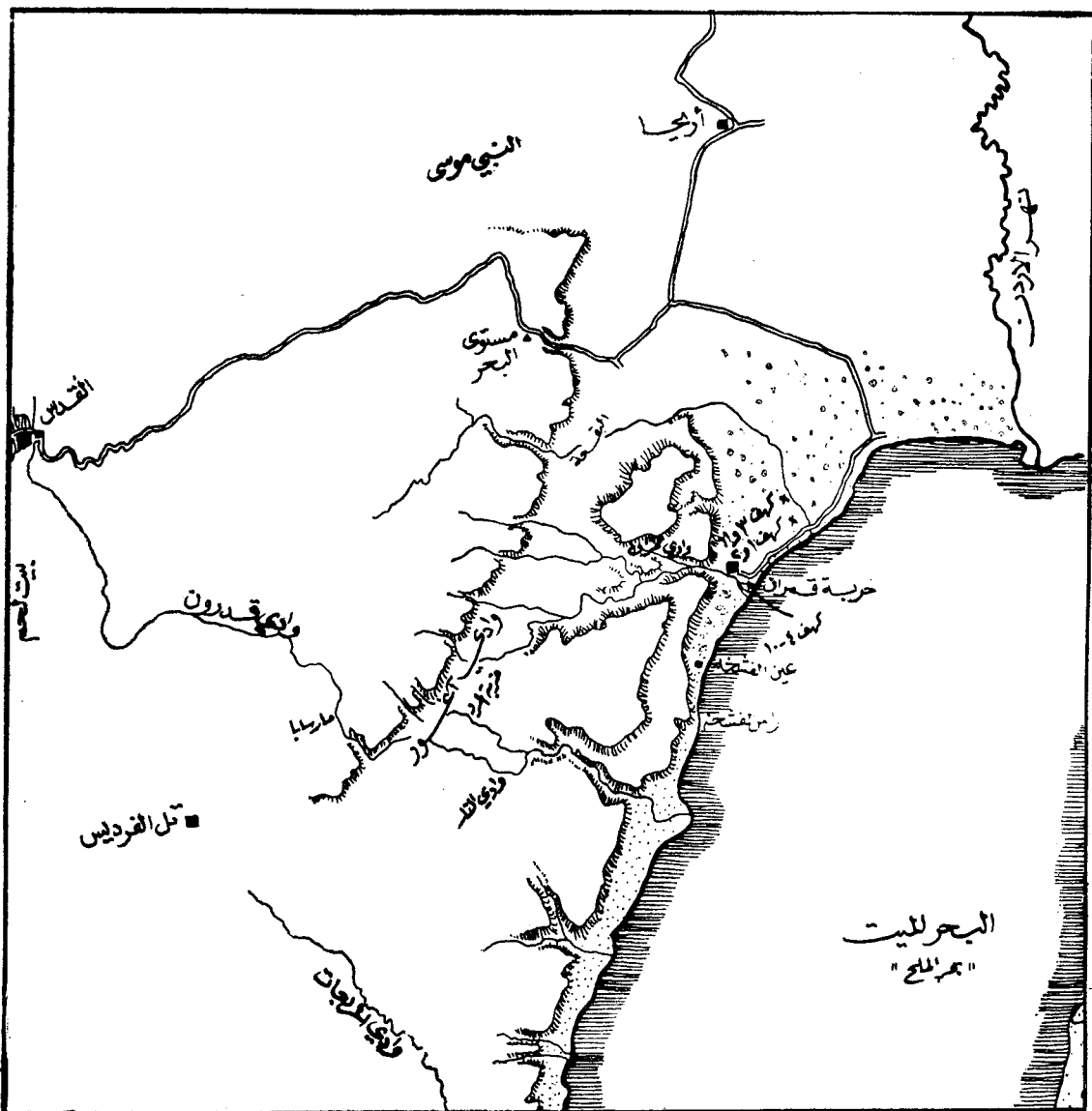
١٩٦٧

راجعه الأساتذة

أمين أبو الشعر

عبد الرحمن بشناق

هنري مطر



BM
487
A811m

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

منذ سنة ١٩٥٣ أخذت أقرأ ما يكتب عن مخطوطات البحر الميت وفي طليعة ما قرأت كتاب «مخطوطات البحر الميت للاستاذ ميللر بروز» المطبوع سنة ١٩٥٦^(١) قدم فيه مجموعة وافية من المعلومات عن المكتشفات الخطيرة التي وصفها الاستاذ آدموند ويلسون بقوله «ومما لا ريب فيه انها أهم ما اكتشف من نوعها منذ ان وصلت معارف اليونان والرومان الى أوروبا» ، حق كانت سبباً في النهضة الأوروبية وقامت عليها علوم العالم الحديث - هذا الموضوع الخطير الذي انكب على دراسته جهابذة العلم يحاولون حل مشكلاته وتبسيط معقداته - فاذا توصلوا الى ذلك حدثت ثورة في فهمنا تاريخ الديانات .

وقد جاء كتاب الاستاذ بروز في نحو أربع مئة صفحة حاول فيها فهم محتويات الملفات التي كتبت عليها هذه المخطوطات ، ولا شك في انها محاولة ناجحة ولا سيما عندما أبرزت القصة المدهشة - قصة العثور على قرية بنيت من الحجر قد تكون مساكن طائفة الاسينيين التي ذكرها المؤرخ الجغرافي الروماني

(1) Millar Burrows : The dead Sea Scrolls, 1956.

بليني^(١) Pliny - في القرن الاول بعد الميلاد . وتقع بين الكهوف وبين شواطئ البحر الميت .

لقد شارك الدكتور بروز في دراسة المخطوطات - بل كان رائداً من رواد هذه الدراسة ووقف على كثير من الآراء التي تخالفه فدونها بكل أمانة وإخلاص ثم ناقشها كالفاضي العادل ، ووقف بين فريقين المتطرفين بشأنها من الباحثين . وهو عمل شاق اعترضته صعوبات في املاء اللغة العبرية وقواعدها وخطوطها ولكنه استعان على تذليل ذلك بما له من المعارف الواسعة التي جعلته يلم بها إماماً واسعاً حتى جاء عمله وكأنه دائرة معارف عن هذا البحث الخطير وأصبح القارئ يجد فيه جواباً لكل سؤال قد يخطر بباله .

وهذه نبذة عن حياة المؤلف وأعماله :

ولد ميللر بروز في يومئذ سنة ١٨٨٩ وتخصص في اللاهوت وأشغل منصب مدرس علوم التوراة في جامعة ييل - Yale - أكثر من عشرين سنة . كما تولى ادارة المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية بالقدس مرتين . كانت الثانية منها معاصرة لاكتشاف مخطوطات البحر الميت فكأنها ولدت بين يديه . ولهذا قال الاستاذ أولبرايت أستاذ اللغات السامية في جامعة جون هوبكنز الاميركية « ربما كان الاستاذ بروز أفضل من يتولى وضع كتاب في المخطوطات

(١) بليني : كاتب روماني عاش في القرن الاول الميلادي واشتهر بكتابه التاريخ الطبيعي ، وقد وردت فيه معلومات قيمة عن الاسينيين ومساكنهم . وقد عين والياً على مقاطعتين في آسيا الصغرى سنة ١١٠ م . ولما وصلته شكاية تقول بأن المسيحيين يجتمعون سراً لممارسة عبادة فاسدة واستعمال طلوس قبيحة كذبح الاطفال وما أشبه ذلك - عمد الى البعث المدقق عن هذا الامر قبل اصدار الحكم بشأنهم فوجد ان اجتماعهم كان صحيحاً ولكن دعوى استعمال القبايح ليست إلا محض افتراء . فكتب رسالة الى الامبراطور بهذا الشأن لا تزال باقية الى الآن مع جواب الامبراطور . أما فحوى الرسالة فهو ان قوماً من المسيحيين اعتادوا أن يجتمعوا سراً قبل الفجر ويرغوا ترنيمة للمسيح ثم يتجالفون ويتعاهدون على الامتناع عن السرقة والزنى وفعل المنكر ونكث العهد وبعد أن يأكلوا طعاماً بسيطاً ينصرفون » عن هارفي بورتري في كتابه النهج القويم ص ٥٤٢ المطبوع ببيروت سنة ١٨٨٤ .

بين جميع متكلمي اللغة الانجليزية ، ولقد عمل استاذاً زائراً في جامعة بيروت الاميركية سنة كاملة وشارك في عدة لجان تعنى بالابحاث الشرقية ونال عضوية الدراسات الاميركية للعلوم والآداب ، ويتقن اللغات الاغريقية والعبرية والآرامية . ويعيش الآن وهو في الثامنة والسبعين من عمره في كنكسكت مع امرأته وولده . وقد وضع هذه الكتب :

- ١ - فلسطين هي شغلنا .
- ٢ - الموجز في علم التوراة .
- ٣ - دين التوراة .
- ٤ - أسس الزواج لدى الاسرائيليين .
- ٥ - مؤسسو الديانات العظمى .
- ٦ - ماذا تعني هذه الصخور .
- ٧ - مخطوطات البحر الميت التي وصلت الى دير السريان بالقدس .
- ٨ - مخطوطات البحر الميت .
- ٩ - أضواء أخرى على مخطوطات البحر الميت .
- ١٠ - اسرائيل جريمتنا .

لقد قرأت هذا الكتاب أكثر من مرة . وأشهد أنني في كل مرة كنت أكتشف فيه مادة جديدة ، وعقدت العزم على تعريبه . وعلى الاصح نقل معانيه على طريقة حنين بن اسحاق عندما ترجم مصنفات جالينوس وكما فعل ابنه اسحاق في ترجمة كتب أرسطو . ومع كل ذلك فقد خامرني الشك في مواطن عديدة ببعض العبارات لذلك اضطررت أن أسأل أصحاب المعرفة من الزملاء والاجانب الذين يقيمون بيننا .

اننا في عصر يوجب علينا معرفة التوراة كما يعرفها الثقات من العلماء المختصين لتوصلنا هذه المعرفة الى الفهم الصحيح لكثير مما في الديانة المسيحية

حق وفي الفرق الاسلامية المختلفة . ولا نكران في أن الكتاب فصولاً مملّة لا يستمرّها القارئ العادي . ولكن ما حيلتي في ذلك وأنا أشعر بحاجة الماسة الى موسوعة حديثة في المعارف اليهودية والنصرانية استمراراً على الشوط الذي جرى فيه صاحب الملل والنحل ثم صاحب الملل والاهواء والنحل ثم صاحب الفصل في الملل والاهواء والنحل ، تلك الكتب لا تظهر قيمتها إلا لمن يريد التوسع في البحث وعندئذ سيجدها خير منجد له .

ولما وضعت نفسي موضع القارئ عندما يقرأ بعض الفصول الدقيقة جداً في اللغة العبرية وفي الديانة اليهودية تبين لي عدم جدواها . لذلك اضطررت لتلخيصها بما يقرؤها من ذهن القارئ وقد عوضت عنها بملخص عما تم اكتشافه بعد ظهور هذا الكتاب وأتبع ذلك بفصل خاص عن وجهة نظرنا في هذه المخطوطات وما دار بشأن ملكيتها والتصرف بها . وأرجو أن يجد القارئ فيها خير تعويض عما حذفته أو لحصته من الاصل الانجليزي .

وعندما تم لي ذلك استأذنت المؤلف بهذه الترجمة فسمح بذلك مشكوراً ولكنه نصحني أن أقرأ كتابه الجديد « أضواء أخرى على مخطوطات البحر الميت » الذي ظهر سنة ١٩٥٨ ، فقرأته وأخذت منه ما زاد على الكتاب الاول . وقد شجعني ذلك على أن أقرأ كتباً أخرى في الموضوع هي :

- | | |
|---|------|
| (1) M. Burrows : More Light on the Dead Sea Scrolls | 1958 |
| (2) T. Gaster : Scriptures of the Dead Sea Sect | 1957 |
| (3) S. Fritsch : The Qumran Community | 1956 |
| (4) J. Allegro : The Dead Sea Scrolls | 1958 |
| (5) J. Allegro : The People of the Dead Sea Scrolls | 1959 |
| (6) Martin Noth : The History of Israel | 1960 |

وقد لحصت كلاً منها وحاولت ادخال ما زاد منها على المواد المترجمة من الكتابين السابقين ، ثم ظهر لي فيما بعد انني بحاجة الى متابعة الاطلاع على الابحاث التي جرت على هذا الموضوع حتى سنة ١٩٦٥ . واطافة خلاصة ذلك

الى هذا المشروع . ولما عرضت الكتاب بصورته النهائية على ذوي الاطلاع والاختصاص قالوا بأن الكتاب لم يعد ترجمة لكتاب معين يسأل صاحبه عما جاء فيه . وبذلك أصبحت مضطراً لإعادة النظر ودمج هذه المعلومات والتنسيق فيما بينها حتى خرج الكتاب بصورته الحاضرة التي لا يصح أن تعتبر في باب الترجمة . وحتى أضيفي على عملي هذا صفة خاصة طعمته بالتقارير التي كانت بين يدي بحكم عملي في دائرة الآثار طوال ثماني سنوات .

وفي أواخر سنة ١٩٦٥ كتب الاستاذ أنيس منصور في جريدة أخبار اليوم القاهرية مقالاً عن أوراق البحر الميت التي يتفرج عليها الانجليز جاء فيه قوله « ومن الغريب أن أكثر من ثلاثة آلاف كتاب قد ظهرت في أوروبا وأميركا لدراسة و ترجمة ومناقشة هذه المخطوطات التي تملكها الاردن والتي عرضتها في كندا وأميركا . ولكن كتاباً واحداً لم يظهر في اللغة العربية يتعرض لها أو يناقشها أو يدلي فيها برأي » .

وفي الحال كتبت اليه ذاكرآله ان كتابين صدرآ في بيروت وهما :

١ - مخطوطات البحر الميت وجامعة قمران للقس جيمس ولي و ابراهيم مطر سنة ١٩٥٧ في ٨٦ صفحة صغيرة .

٢ - مخطوطات البحر الميت وجامعة قمران لأسد رستم سنة ١٩٥٩ في ٧٨ صفحة متوسطة . كما ذكرت له شروعي في طبع كتابي هذا .

وقبل الاقدام على الطبع عرضته على لجنة رسمية مكونة من ثلاثة أساتذة قرأها كل منهم وراجعها ودققها وكتب رأيه فيها ، وفي ما يلي هذه التقارير :

تقرير الاستاذ أمين أبو الشعر

كان من المؤسف أن لا يصدر كتاب عن مخطوطات البحر الميت باللغة العربية حتى الآن ، رغم انها اكتشفت في أرض أردنية . وفي اعتقادي أن الكتاب الذي طلبتم الي ابداء رأيي فيه - بعد تلاوته - لا يفيد غير المختصين بالتاريخ القديم عامة وتاريخ فلسطين خاصة . أما النفع الادبي من الكتاب ،

وكونه أول كتاب يصدر بالعربية في موضوعه ، فأمران مهان . وأرى أن توزيعه على الجامعات والمكتبات والاديرة والمختصين في العالم ذو نفع دعائي كبير للاردن . وقد بذل المترجم جهداً كبيراً في التعريب يشكر عليه .

أمين أبو الشعر
المدير العام للمطبوعات

تقرير الاستاذ عبد الرحمن بشناق

مقدمة

يجب أن يكون في متناول القارئ العربي كتاب موثوق في موضوع هذه المخطوطات لأهميتها البالغة . وقد قام المترجم بواجب عظيم بنقله هذا الكتاب الضخم الى العربية .

لكن يجب استشارة أهل الاختصاص في موضوع المخطوطات كالدكتور عوني الدجاني والاستاذ محمود العابدي^(١) قبل طبع هذا الكتاب ، للتأكد من انه افضل من سائر الكتب الأجنبية التي ظهرت حتى الآن ، وكان موضوعها مخطوطات البحر الميت . واذا ثبت ان هذا الكتاب ناقص بسبب ظهوره في وقت مبكر وقبل أن تجمع الحقائق الأساسية عن المخطوطات فالأفضل ترجمة كتاب آخر أحدث منه .

نقد الكتاب

لا شك ان الجزء الأول والجزء الأخير من الكتاب في غاية المتعة . أما باقي الكتاب فيبحث في مشاكل لاهوتية ويهودية لا تهم الا فئة قليلة من دارسي هذه البحوث . ويمكن اختصار هذه الأقسام اذا قررت الوزارة^(٢) طبع الكتاب ليقرأه الجمهور .

(١) قدمت المخطوطة باسم مترجمها الرمزي (حنين بن اسحاق) حتى لا يتأثر المراجع بصاحبها الحقيقي .

(٢) وزارة الاعلام .

يخيل لقارئ أخبار هذه المخطوطات أن اليهود هم أهل هذه البلاد وانهم أقاموا فيها دهوراً طويلة متلاحقة ، وهذا يخالف الواقع التاريخي . ولذلك يجب تصدير الكتاب بمقدمة واضحة مختصرة تبين أن اليهود لم يقيموا في فلسطين الا لفترة قصيرة جداً من تاريخها . على الرغم مما جاء في الكتاب^(١) والكتاب بحاجة الى خريطة أو خرائط مفصلة ، والى صور لقمران ولبعض المخطوطات والآنية التي وجدت المخطوطات بداخلها .

ويجب أن تطبع الحواشي في نهاية كل صفحة لا في نهاية كل فصل . ولغة الكتاب اجمالاً مقبولة ، لكن فيها كلمات وعبارات عامية ومصطلحات أجنبية تؤذي ذوق القارئ العربي . واذا قررت الوزارة نشر الكتاب فمن الضروري تسليمه الى أحد مدرسي اللغة العربية الأكفاء ليصحح ما برز من أخطائه اللغوية قبل طبعه^(٢) .

عبد الرحمن بشناق بتاريخ ١٩٦٦/٩/٢

تقرير الاستاذ هنري مطر

لقد قمت بقراءة النص الانكليزي كاملاً ، ثم أجريت دراسة مفصلة للترجمة العربية مقارنة اياها بالنص الأصلي الانكليزي . فتوصلت الى النتائج التالية : الكتاب من حيث المضمون كتاب قيم جداً لا بد وأن يكون في المكتبة العربية سيما وأنه يتحدث عن اكتشافات أثرية تم العثور عليها في الأردن . كان حرياً أن يعتمد مؤلف عربي الى الكتابة عن الموضوع باللغة العربية . ولكن والحالة هذه ، فلا أقل من أن يترجم كتاب عن الموضوع الى اللغة العربية .

ان مخطوطات البحر الميت تلقي ضوءاً على تاريخ وتنظيم جماعة متفسكة من اليهود عاشت في خرائب قمران ومغائرهما في القرن الأول قبل الميلاد .

(١) لقد وضع الفصل الأول والثاني لهذه الغاية .

(٢) لقد صقلت العبارات التي أشار اليها المراجع .

والمخطوطات تبحث في معتقدات هذه الطائفة المعزولة من اليهود وفي تنظيمهم الاجتماعي . وهذه المخطوطات قيمة من وجهة نظر العربي الذي يريد أن يعرف شيئاً عن عدوه . وإذا كان من معترض على فحوى الكتاب من حيث أنه تختص في تاريخ اليهودية في فترة من الزمن ، فهذا الاعتراض مردود إذ أن المخطوطات تشير إلى تاريخ نفر من اليهود في عصر انحلالهم وانعزالهم في البلاد المقدسة .

ومن الطريف أن يتعرف القارئ العربي على كيفية انطواء اليهود في أيام محنتهم على معتقدات دينية غيبية ، وعلى كيفية تنظيم أنفسهم تنظيماً دينياً . ومن الطريف أيضاً أن يتعرف القارئ العربي إلى طوائف اليهود الدينية من فريسيين وصدوقيين وغيرهم قبيل مجيء المسيح ، مما يساعد على دراسة العقلية اليهودية الدينية والاجتماعية والسياسية كما يستطيع الفرد العربي أن يوجههم عن علم ايجابي لا عن احجام وتجاهل سلبي . ويبرز في هذا المجال (الفصل الحادي عشر والفصل الثاني عشر والفصل الثالث عشر) من الكتاب المترجم .

وهذا الباب يبحث في جماعة قمران - نشأتهم ، تاريخهم ، تنظيمهم ، معتقداتهم وأشخاص الكتاب الذين خطوا المخطوطات .

قد تعترض القارئ العربي العادي عقبات في قراءة الكتاب ، سيما تلك التي تبحث في نقد النصوص وتحليلها من ناحية لغوية ومن ناحية الخط والتهجئة والاملاء وفنية النسخ ، كما في (الفصل الرابع عشر) الذي يبحث في فضل المخطوطات على النصوص وتاريخ اللغة والخط ، وهذه موضوعات تدخل ضمن اختصاص علماء اللغة العبرية أو علماء الآثار . فاما أن يحذف مثل هذا الباب أو أن يبقى على أساس فائدته لداراة الآثار . وأفضل الحل الثاني إذ أن القارئ العربي يستطيع عندئذ أن يقفز عن هذه الفصول الفنية وأن يواصل قراءة ما يحلو له من الكتاب .

الكتاب من حيث الترجمة وجهود المترجم

بذل المترجم جهوداً مشكورة في النواحي التالية :

(أ) الترجمة على وجه العموم مقبولة اذ انها تجمع بين الترجمة الحرفية والتصرف المحمود ضمن الاطار العربي اللغوي . واني أشعر ان ترجمة مثل هذا الكتاب من أصعب الأمور لما يتضمنه من مصطلحات فنية ولغوية واشارات دينية . واني أقرر أن الترجمة كانت موفقة الى حد كبير مع بعض التحفظات التي سأوردها أدناه .

(ب) لم يأل المترجم جهداً في أن يزود الترجمة بالحواشي والشروح اللازمة لشرح بعض الاشارات التاريخية ولتوضيح بعض الأمور من وجهة نظر المؤرخ العربي الذي يريد أن يدحض بعض افتراءات اليهود على تاريخ بلاده .

(ج) أضاف المترجم ملخصاً خاصاً تحت عنوان « ملحق بأخبار المخطوطات » يقع في الثلاثين صفحة الأخيرة .

وهذا الملحق له قيمته الكبرى اذ هو يبرز جهود الحكومة الاردنية وخاصة دائرة الآثار في حقل اخراج المخطوطات الى حيز الوجود .

التحفظات على الترجمة

فات المترجم التوفيق في ترجمة عبارات وفقرات لا بأس في عددها . وقد أجريت تصليحاً لكثير منها في نص الترجمة في صفحات الكتاب نفسه . أما العبارات والفقرات التي تحتاج الى اعادة الصياغة كلياً فأورد أمثلة عليها وهي أهم الأمثلة البارزة . واني أوصي أن يراجع المترجم ترجمته مرة أخرى وأن يجري التعديلات المبينة في محلها في الترجمة بالاضافة الى التعديلات قبل أن يدفع كتابه الى المطبعة^(١) .

الحكم النهائي

الكتاب له قيمته ولكن يجب أن تجري بعض التعديلات على الترجمة وأن تراجع هذه الترجمة قبل دفعه الى المطبعة . واني أوصي بهذا الكتاب .

هنري مطر بتاريخ ١٩٦٦/٨/٨

(١) لقد تمت بتنفيذ هذا التوجيه المفيد .

واعتماداً على هذه التواصي الثلاث قرر سيادة وزير الاعلام تبني الكتاب
ونشره باسم دائرة الثقافة والفنون . وبهذا الفضل تيسر لهذا الكتاب أن يخرج
الى قراء العربية ، وأرجو أن أكون قد قدمت بشيء من الواجب في موضوع
أحبيته وأخلصت له . والله الموفق .

عمان في ١ شباط سنة ١٩٦٧

محمود العابدي

الفصل الأول

موجز في تاريخ اليهود

النشأة

(١) خرجت من بلاد العرب موجات عاربة اخذت تنتقل بين العراق شرقاً والشام غرباً وكان من زعمائهم فيما بعد ابراهيم الخليل الذي كان من عشيرة تتزوج داخلياً، أي لا تختلط دماؤها بدماء غيرها، فتزوج ابراهيم سارة وهي اخته من امه. كما تزوج ابنه اسحق بنت عمه واقترن حفيده يعقوب ببنت خاله. ولما كانت فلسطين عرضة للقحط فقد هاجر ابراهيم الى مصر ثم عاد منها وفيما بعد نرى يعقوب « اسرائيل » يهاجر الى مصر عندما كان يحكمها الهكسوس وصار ليوسف بن يعقوب شأن كبير في مصر كما هو معروف . ولقد عاش الاسرائيليون ١٥٠ سنة في مصر معززين مكرمين اثناء حكم أبناء عمهم الهكسوس فلما استيقظت القومية المصرية في مدينة طيبة وتمكن الفرعون أحسن من طرد الهكسوس تعرض بنو اسرائيل لاضطهاد المصريين واصبح كثير من هؤلاء المضطهدين يفادرون مصر الى صحراء سيناء وشمالى بلاد العرب والبادية السورية باسم خبيرو او عبيري .

(٢) لقد رأى فرعون مصر أن البقية الباقية منهم خطر على بلاده فعشي على بلاده منهم كما جاء في الاصحاح الاول من سفر الخروج : « أن ملك مصر

قال لشعبه : هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون اذا حدثت حرب انهم ينضمون الى اعدائنا فيحاربون ويصعدون من الارض . فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يتولهم بانقاذهم فبنى الفرعون مدينة مخازن ورعمسيس . واستعبد المصريون بني اسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين والابن وفي كل عمل في الحقل .

(٣) وهنا تولى قيادتهم نبي الله موسى وتقول التوراة ان الله ضرب المصريين عشر ضربات كانت العاشرة منها هلاك أبكار مصر من الناس والبهائم ولكنه نجى منها بني اسرائيل فقد أمرهم أن يذبحوا خرفسان الفصح وأن يدهنوا بيوتهم بدمائها ليعرفها الرب يهوه فلا يصيبها بالشر والبلاء . وفي الاصحاح الثالث من سفر الخروج : « فقلت اصعدكم من مذلة مصر الى ارض الكنعانيين والحثيين والاموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين - الى ارض تفيض لبناً وعسلاً » . وفي هذا السفر نص عن كيفية سلب المصريين « بأن تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها امثلة فضة وامثلة ذهب وثياباً ويضعونها على بنيتهم وبناتهم فيسلبون المصريين » حتى سرقوا كل تلك الامثلة وفي تلك الليلة أخذوها معهم وخرجوا من مصر . وكان « يهوه » يقودهم في عمود من السحاب الذي يتحول الى نار في الليل تكشف لهم الطريق . وقد تاهوا في الصحراء أربعين سنة .

الخروج

(٤) وقد لخص عالم الآثار الشهير السير فلنדרز بيتري قصة الخروج بقوله لو كتب أحد الادباء المصريين الاولين تاريخ بني اسرائيل لقال هكذا : « ارتحلت قبيلة من قبائل العرب الرحل من العراق الى جنوب فلسطين واتصلت هناك بقبائل أخرى من المؤابيين والعمونيين ثم حدثت مجاعة شديدة في بلاد الشام فارتحل بعض هذه القبائل الى مصر ونزلوا عند الحد الشرقي من الوجه البحري فاستخدمهم رعمسيس الثاني في بناء بعض المباني . ثم بلغهم أن

مرنبتاح غزا فلسطين وأوقع باخوانهم الذين فيها، فقلقوا لذلك وزاد قلقهم بأن أتاها واحد من أبنائهم كان قد ربي عندنا ودرس في مدارسنا . ثم هرب وقام في برة سيناء - فهذا جاءهم وحشهم على الخروج من بلادنا حاسباً انه رأى في سيناء أرضاً تكفيهم . وحاول أولاً أن يستأذن لهم في الذهاب لأجل الزيارة . فرفض طلبه . وساءت الاحوال بالجدب والوباء واضطربت الافكار فهرب بضعة ألوف منهم وقطعوا البحر الاحمر في مكان رقيق الماء ولجأوا الى القفر وارسلنا وراءهم شرذمة من جنودنا فلم تستطع ردهم . وظلوا في القفر سنين كثيرة ونحن لا نستطيع أن نصل اليهم بمكروه ... الى أن دوح ملكنا رعمسيس الثالث بلاد فلسطين وأثخن في الاموريين وغيرهم من شعوبها وأضعفهم فارتحل بنو اسرائيل من القفر ودخلوا بلاد فلسطين واستولوا على كثير من مدنها وكثر عددهم كثيراً وانضم اليهم كثيرون من أهالي البلاد وامتزجوا بهم فصار عددهم بعد مئتي سنة - نصف عدد السكان في الوجه البحري . ولما زال الانشقاق من بيننا وعدنا الى الاتفاق غزونا فلسطين وغنمنا منها كثيراً من الذهب . ثم جاء الآشوريون وقاموا في وجهنا وأزالوا سلطتنا من تلك البلاد .^(١)

(٥) ولما وصل بنو اسرائيل الى جنوب شرقي الاردن منعهم الأدوميون من دخول بلادهم، مع أن موسى صرح بأن لا مطمع لهم في شرقي الاردن وانما قصدهم الوصول الى غربي الاردن - الى الارض التي وعد الله بها ابراهيم ونسله - وتعهده موسى للادوميين أن لا يرعى زرعهم ولا عشبهم ولا أن يشرب ماءهم الا بالثمن . ولكنهم أصروا على موقفهم، فاضطر الى التشريق نحو البادية ثم انثنى الى الغرب . ولما حاول المؤابيون منعه اراد أن يتركهم ويعود الى البادية لكن يشوع مساعده حرضه على قتالهم . وكذلك فعل بالعمونيين سكان البلقاء .

(٦) ولما كان موسى يطلب من قومه أن يتجهوا الى الغرب ويعبروا نهر

(١) مقتطف يوليو سنة ١٩٠٦ .

الاردن لدخول كنعان فانهم كانوا يخافون سكانها ويقولون « يا موسى ان فيها قوماً جبارين واننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها . فان يخرجوا فانا داخلون . قالوا يا موسى اننا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ... »

وصعد موسى الى جبل نبو قبالة اريحا وخاطب الرب قائلاً : أمن أجل هذه البلاد التي لا تساوي شيئاً نحمل المشاق ونقاسي الآلام ... فأجابه الله قد اريتك اياها بعينيك ولكنك الى هناك لا تعبر ... فمات موسى على جبل نبو « أو جبل شيجان » في الغرب من مأدبا .

يشوع

(٧) خلف موسى في قيادة الاسرائيليين نائبه يشوع فعبر بهم نهر الاردن وحاصر اريحا حتى دك اسوارها زلزال عنيف ودخل المدينة فحرق كل ما فيها من رجل وامرأة ، من طفل ومن شيخ حتى البقر والغنم والحمير ، بحمد السيف واحرقوا المدينة بالنار . وقد نقب الاثري غارستنك وبحث في تل السلطان عن المدينة التي أحرقها يشوع وهو يقدر أن بني اسرائيل لما دخلوا فلسطين لم يكونوا أكثر من ستة آلاف وأن يشوع الذي تسلم قيادتهم من موسى لم يكن يقود أكثر من الف محارب .

(٨) كاتب التوراة مؤرخ ترك عدة نقاط مهمة بلا تفسير لا سيما رحلة بني اسرائيل الى مصر وخروجهم منها ولكنه يذكر انهم كانوا آخر حلقة من سلسلة الشعوب التي امتدت شمالاً - الى غربي الاردن حتى حدود سورية - فالمدانيون والعماليقة والآدوميون والموابيون والعمونيون يمثلون حلقة في تلك السلسلة لكنهم يتكلمون لغات مختلفة مشتقة من لسان واحد - الا والراجح أن الاسرائيليين دخلوا مصر لا كأعضاء اسرة واحدة بل كقوم متحدرين من اسرات عديدة .

(٩) واستمرت الحرب في كنعان ست سنين قتل خلالها واحد وثلاثون

ملكاً وتقاسم أسباط اسرائيل هذه البلاد فيما بينهم ونشروا فيها الرعب والحراب والتدمير مدة اربع مئة سنة كان يحكمهم فيها شيوخ الاسباط الذين تسميهم التوراة « قضاة » وقد قضوا تلك المدة في القتال مع الكنعانيين سكان البلاد الاصليين ومع الفلسطينيين^(١) الذين دخلوا كنعان في الوقت الذي دخلها فيه الاسرائيليون . وقد جاءوا من البحر وانتزعوا الساحل من غزة الى جبل الكرمل .

(١٠) واحتل سبط يهوذا جبال القدس التي تبلغ ربع مساحة فلسطين ومنهم ظهر ملوك اسرائيل وانبياءها وكهنتها الذين كانوا عنيدون ومتعصبين غليظي الرقاب . وعلى ايديهم تطور نظام العشيرة الى حكومة عندما رأوا أنفسهم ضعافاً أمام أعدائهم الفلسطينيين لا تجمعهم رابطة في حروبهم فاتفقوا على أن يجمعوا لهم ملكاً . واختار القاضي صموئيل أقوى الاسرائيليين جسماً وأكثرهم مالاً وهو شاول وقد انتصر في بعض الحروب على الفلسطينيين ثم توالى عليه المهوم وكثر أعداؤه لاسيما الكهنة الذين حسدوه على مركزه واصبحوا يشجعون خصومه ويثيرون الشعب عليه . وتوسعت شقة الخلاف عندما قدم القاضي صموئيل ملك العماليق المأسور ضحية ليهوه - جريباً على عادة المصريين الذين اعتادوا ان يقدموا امراء الاسرى ضحايا للإله آمون . ولما أراد هذا القاضي أن يضحى بأمراء الفلسطينيين المغلوبين منعه شاول واشتد الخلاف بين الملك والكاهن . ولم ير شاول بداً من أن يذبح جميع الكهنة وأن يعين غيرهم . ولقد نتج عن ذلك كره الاسرائيليين له فوقفوا بجانب داود ، فأضمر له شاول العدااء ودبر مكيدة لاغتياله فهرب داود واختبأ عند أعدائهم الفلسطينيين مدة ستة عشر شهراً تعلم منهم خلاصاً لصناعة الحديد التي كان الاسرائيليون يعدونها من العجائب . ولما قتل شاول بالقرب من بيسان

(١) تسميهم التوراة الفلسطينيين . وللتمييز بينهم وبين عرب فلسطين الحاليين فإني أوثّر أن استعمل كلمة الفلسطينيين واعني بها الشعب الذي جاء الى بلاد كنعان من البحر في القرن الثاني عشر قبل الميلاد .

مسح الكاهن داود بالزيت ملكاً على اسرائيل فاتخذ حبروت (الخليل) عاصمة له . ثم ما لبث أن قاد جيوشه على اليوسيين وانتزع منهم مدينتهم يوراسليم وجعلها كرسي عرشه ونصب خيمة خاصة لتابوت العهد (وهو صندوق فيه لوحان من الحجر كتب عليها الوصايا العشر) على جبل صهيون ثم تحرك قلب داود لكي يبني بيتاً وقصراً يليقان بالملك وهيكلًا يليق بتابوت العهد . ولما كان داود محارباً لم يمكنه الرب من ذلك بل جعل هذا الشرف لابنه سليمان الذي أخذ اسمه من معنى السلام .

(١١) لقد تزوج داود عدة نساء اشتهرت منهن امرأة حثية هي ارملة اوريا الذي قتل في عمون ، حتى يرثه عندما يموت . وفي شيخوخته نادى بولده سليمان ملكاً . لذلك ثار عليه ولداه أبشالوم وادونيا .

وصاهر سليمان جميع الملوك والامراء المجاورين وسمح لزوجاته الغريبات بممارسة عباداتهن الوثنية المختلفة وأباح دخول آلهة وثنية من فنيقيا ومصر وعمون الى الهيكل وانتصر لها . لذلك كان الكهنة يكرهونه . هذا ما ورد في التوراة .

(١٣) بسبب هذه المظاهرات عاش سليمان في سلام مع جيرانه وانصرف الى الاعمال التجارية التي عادت عليه بالارباح الطائلة . وهذه الاموال الكثيرة شجعته على أن يبني بنايات متعددة من أشهرها الهيكل في القدس واضطر الى الاستدانة وفرض الضرائب الكثيرة على شعبه الفقير ، ذلك الشعب الذي اخذ يعمل للتخلص من هذا الملك المبذر .

أخذ سليمان عن الفنيقيين طراز البناء - وهم الذين بنوا الهيكل - كما أخذ عنهم اعمال الملاحاة واقتبس اصول الحضارتين الكنعانية والمصرية وشجع شعبه على أن يعيش معيشة النعيم ويبتعد عن التقشف والحشونة . ففقدوا صفاتهم الحربية . ولما شعر جيرانه الأدوميون في الشرق والسوريون في الشمال بضعفه وسعوا حذرهم في أطراف مملكته ثم اضطرر للتنازل عن قسم من بلاده في شمال فلسطين للملك صور الفنيقي مقابل الذهب وخشب الارز اللذين

لزمنا لبناء الهيكل . فضاعت فتوحات داود ورجعت المملكة الى ما كانت عليه في أيام شاول .

(١٤) وهكذا فقد تسرب الفقر والضعف الى مملكة سليمان واصبحت مثخنة بجراح التفرقة والانقسام وما كاد يموت حتى انشق الاسباط العشرة وكونوا دولة اسرائيل التي كانت عاصمتها مدينة السامرة وبعد قرنين دخلها الجيش الآشوري وساق أهلها أسرى الى بلاده . وقد رافق هذه الهزيمة أن فقد اليهود ثقتهم بأنفسهم وكفروا برهم الذي مكن اعداءهم من الانتصار عليهم .

(١٥) في هذا الوقت ظهر بين اليهود النبي اشعيا ويعتبر أعظم أنبياء العهد القديم - بعد موسى - كنب سفره بأسلوب شعري ممتاز ، أخذ ينادي في اسواق القدس ويصيح في آذان اليهود بأن يثقوا برهم يهوه وأن يتوكلوا عليه ، فهو المسيطر على كل الناس وأن كل الناس منفذون لإرادته وأن الآشوريين لم يغلبوا الاسرائيليين إلا لأن يهوه سلطهم عليهم بسبب خروجهم عن عبادته وانه سوف ينصرهم اذا هم نصره . وقد فعل هذا الوعظ في قلوب الاسرائيليين فعله وعادوا الى رهم ، لا سيما عندما هلك معظم جيش سنحاريب الآشوري في أول حدود مصر وانسحب الباقي منه متقهقراً عن أسوار القدس سنة ٦٩٠ ق.م . وكان في ذلك مصداق لكلام اشعيا .

السبي البابلي

(١٦) ولما شعر النبي أرميا^(١) بميل قومه الى المصريين نصحهم بأن لا يقفوا موقف المعادي لقوة السككدان النامية بعد آشور . ولكن قومه لم يسمعوا له فاستخدم يهوه نبوخذ نصر ملك بابل في تدمير مملكة يهوذا بعد خراب جارتها الشمالية بقرن ونصف القرن ، فجاء وحاصر القدس وخرق البابليون أسوار القدس وهدموا أبنيتها وحرقوا هيكلها الذي بناه سليمان وهدمت

(١) أرميا من عنان في الشمال الشرقي من القدس .

المدينة الى الارض وأفقرت أرض يهوذا وتجنبها كل المارين بها . وأخذ نبوخذ نصر عشرة آلاف من رؤساء البلاد الى بابل والذين بقوا فيها هاجروا الى مصر ورافقهم النبي أرميا الذي بنى هيكلًا لهذه الجالية اليهودية في جزيرة فيلة «الفنتين» .

(١٧) وكان بين المسيبين الى بابل النبي دانيال الذي اشتهر بحكمته ولا سيما عندما فسر لنبوخذ نصر رؤياه بأنه ستمر على الملك سبع سنين يفقد فيها وعيه بحيث لا يستطيع أن يقوم بأعباء حكومته بل يصبح كحيوان يعيش في البرية . وبعد مضي السنوات السبع يعود اليه عقله ويسترد ملكه . وحدث بعد سبعة اشهر أن اصيب نبوخذ نصر بألم في الدماغ وسار في الحقول والبراري يأكل الحيوان والاعشاب . وبعد سبع سنين شفي واستعاد عرشه .

(١٨) في هذه الحقبة ظهر واعظ بين المسيبين نسميه المؤرخ المجهول فقد وعظهم قائلاً إن الملوك آلات بيد الله يسخرهم كيف يشاء ولا بد وأن يسخر دولة تقضي على الكلدان وتعيدهم الى بلدهم وأن يهوه ما قصد إلا أن يمتحن قلوب المؤمنين ويبلو صبرهم ، وما عليهم إلا أن يثبتوا على ايمانهم .

لقد كان السبي درساً قاسياً للمسيبين فأخذوا يعودون الى ايمانهم وهم يعملون سقوط بابل على عهد بلشاصر حفيد نبوخذ نصر سنة ٥٣٩ ق م بأنه نتيجة لثقتهم وايمانهم بهوه . وقد أمر قورش المنتصر الفارسي بارجاع جميع الأنية الذهبية والفضية التي سلبها نبوخذ نصر من هيكل القدس . وعاد بهم زعيمهم زربابل .

كان نحميا الاسرائيلي ساقى شراب الملك الفارسي احشويرش قد اغتم فرصة سكره الشديد وسأله بكل ذلة وخضوع : اذا كانت لعبدك نحميا حظوة امامك فإنه يتوسل اليك أن ترسله الى فلسطين لكي يبني القدس . فأجابه الى طلبه . ولما أتم البناء وزرع واجبات الهيكل على الكهنة ونظم الاوقاف وحافظ على حرمة السبت وجعل الولاء للشريعة والفرائض - بعد

ان كان الولاء قديماً للممالك والحكومات - وحرّم الزواج بالاجنبيات فهو يقول « رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أسدوديات^(١) وعمونيات ومؤآبيات وأصبح نصف كلامهم بينهم اللسان الاسدودي . ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودي - بل بلسان شعب أجنبي وخاصتهم ولعنتهم وضربت معهم أناساً » .

الطمع اليهودي

(١٩) ظل اليهود يحددون أرض الميعاد بدان^(٢) شمالاً وبيير السبع جنوباً الى أن دمر الهيكل ونفي الشعب وهنا احتاروا في أين يكون ربهم يهوه أبقى مع العجزة الضعاف في القدس أم يذهب مع المنفيين الى بابل . وهنا خطا احبار اليهود خطوة جريئة فجعلوه رباً كبيراً تشمل سلطته قطرين هما فلسطين وبابل . وفيما بعد وسعوا سلطته الى ضفاف النيل ليحمي الجالية في جزيرة فيلة . ومن هنا نشأ الادعاء الجديد بتوسيع ارض الميعاد فقالوا « من النيل الى الفرات » .

الهيكل

(٢٠) قال داود : يارب لقد امرتني ان ابني لك بيتاً فلما ارتفع هدمته . فأجاب الله : يا داود لم اخذته من صاحبه بغير ثمن ؟ ... انه يبينه رجل من ولدك .

وأوحى الى داود : انك لم تتم بناء بيت المقدس .

قال داود : ولم يارب ؟ قال : لأنك غمرت يدك بالدم .

فأجاب داود : الم يكن ذلك في طاعتك . . . قال بلى . . وان كان .

فلما ملك سليمان ساوم صاحب الارض واشتراها بسبعة قناطر فبناه سليمان

(١) أسدود احدى مدن فلسطين على الساحل بين الرملة والمجدل .

(٢) دان احد منابع نهر الاردن .

حق فرغ منه . وبالغ بنو اسرائيل بعظمة الهيكل مع ان طوله لم يتجاوز مئة قدم وعرضه خمسة وثلاثين قدماً^(١) .

(٢١) في السنة الرابعة من ملك سليمان شرع في بناء الهيكل ولقد بناه في المكان الذي شرع ابراهيم يضحى فيه ولده على البيدر التي اشتراها سليمان من اليبوسى على جبل الموريا في القدس . بناه له الفنيقيون واستمر البناء سبع سنين ثم نقل اليه تابوت العهد من جبل صهيون المقابل لجبل الموريا ووضع في أقدس مكان من الهيكل المعروف فيما بعد بقدس الاقداس ورتب الكهنة واللاويين « الشيوخ من سبط لاوى » لخدمته . وكان تابوت العهد يوضع في خيمة الاجتماع في اعلى مكان ينزل فيه الاسرائيليون وينقلونه معهم من مكان الى آخر . وحول هذا التابوت وعلى المرتفعات كان الاسرائيليون يقربون قربانهم للرب . اما وقد بني البيت المقدس فقد ادخل تابوت العهد ليوضع بين الروائع الذهبية في حجرة داخلية كسيت جدرانها بخشب الارز وقد وضع بين تماثيل عظيمين مصنوعين من خشب الزيتون المذهب ولها أجنحة . وتحتم من ذلك الوقت الا تقدم القرايين على غير المذبح الذي بين يدي التابوت .



تابوت العهد

(٢٢) كانت اعمال اليهود المنكرة مثاراً لغضب الله فظهر الاشوريين على مملكة السامرة وسبوا شعبها كما اظهر نبوخذ نصر ملك بابل على مملكة يهوذا فأبادها وقتل محاربيها بالسيف في بيت مقدسه ولم يشفق على فتى أو عذراء أو أشيب واحرق بيت الله وهدم اسوار القدس واحرق قصورها بالنار وسبى سكانها الى بابل فكانوا له ولبنيه عبيداً . وفي ذلك جاءت الآية من سورة البقرة « وضرب عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله . ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير الحق ذلك بأنهم عصوا وكانوا يعتدون » .

(1) H. G. Wells.

(٢٣) ففي التاسع من تموز سنة ٦٠٧ ق.م فتح البابليون ثغوراً في اسوار القدس فخاف الملك صدقيا وجيشه على أنفسهم فتركوا المدينة وولوا الادبار . ولكنهم ما لبثوا ان وقعوا أسرى بأيدي المطاردين . وقبل ان تغرب شمس ٣ - ٤ آب دخل البابليون البلد وهدموا الاسوار الى الحضيض واحرقوا الهيكل وعريت ارض يهوذا من سكانها ، لأن اولئك اليهود تركوا يهوه اله جداهم ابراهيم . وبعد ٧٠ سنة من سنة ٦٠٧ الى سنة ٥٣٧ ق.م قضتها القدس قفراء تاب المسييون وندموا وغفرت خطاياهم فعادوا عندما قضى قورش ملك فارس على شامناسر حفيد نبوخذ نصر فسمح لليهود بالعودة الى فلسطين والحقيقة ان اصحاب الطمع منهم تأخروا في بابل بسبب الارباح التي كانوا يجنونها هناك . لقد عاد بعضهم مع الكاهن عزرا وجددوا بناء الهيكل الثاني . عاد اليهود الى فلسطين بسبب وعد ملك الفرس ورغم ارادة سكان البلاد لان يبنا الهيكل والاسوار فكانوا باليد الواحدة يعملون وبالاخرى يمسكون السلاح لكثرة زعماء البلاد الذين حاولوا منعهم - منهم سنبلط الحوروني وطوبيا العبد العموني - من عراق الامير غربي عمان وجشم العربي الذين احتجوا الى ملك فارس قائلين : « فتنس في سفر اخبار آبائك لتعلم ان هذه المدينة عاصمة ومضرة للملوك والبلاد . وقد عملوا عصياناً منذ الايام القديمة لذلك خربها الله ونحن نعلم الملك انها اذا بنيت وكملت اسوارها سوف تخرج من يده وتثور عليه في مدة شهر »^(١) . ويظهر أن تهديداتهم واحتجاجاتهم لم تفقد واستمر البناء اربع سنين ٥٢٠ - ٥١٦ ق.م .

اليونان والرومان

(٢٤) وعندما ضعف حكام الفرس حول اليهود ولاءهم واخلصهم الى القوة الجديدة التي نشأت في بلاد اليونان . ولما اقترب اسكندر المكدوني من

(١) كان سنبلط من حورون - بيت عور على ١٢ كم شمالي القدس - وأصبح حاكماً على السامرة . وقد هيج العرب في جيشها ليمنعوا نجماً من تجديد الهيكل وتحصين الاسوار واستعان بزعم عربي آخر هو جشم ملك عرب قيدار . واستعان الزعيان بطوبيا العموني الذي كان قد استطاع أن يؤلب بعض زعماء اليهود المقاومين لنحميا . وتمكن من احتلال بعض غرفات الهيكل والاقامة فيها .

القدس خرج احبار اليهود يستقبلونه بالبستهم البيضاء على جبل المشارف « اسكوبس » وقدموا له الخضوع وسما كل مولود لهم في تلك السنة باسم اسكندر ، فكافأهم على ذلك باعفائهم من الضرائب عن كل سنة تبدأ بيوم السبت . ولكن خلفاء الاسكندر اضطروا للتدخل فيما بين الاحزاب والطوائف اليهودية المتناحرة . وأخيراً جاء انتيوخس ملك سوريا السلوقي الى القدس وأباحها ونهب هيكلها وأمر بنصب تمثال زفس فيه كما امر بذبح الخنازير فيه ايضاً ومنع الاختتان واجبرهم على الشغل يوم السبت ووجب القتل على كل من يخالف أوامره . وبذلك كاد يقضي على الدين اليهودي . لولا ان ثار اليهود بقيادة الكاهن المكابي فخلعوا سلطان اليونان وحكموا البلاد من سنة ١٠٦ ق.م الى ان دخل بومبي القائد الروماني مدينة القدس سنة ٦٣ ق.م وقضى على مملكة اليهود المكابيين وجعلها ولاية رومانية .

(٢٥) في سنة ٣٧ ق.م نصب الامبراطور اغسطوس قيصر ملكاً على فلسطين اسمه هيرودس ، من أب أدومي وام عربية وقد اشتهر بميله الى الحضارة الرومانية ، ولذلك كان اليهود ينفرون منه . فتقرب منهم ببناء الهيكل الثالث الذي كان مدينة قائمة بذاتها بلغت مساحتها ٢٠ فداناً وبذلك اصبح اضعاف ما كان عليه الهيكل الثاني والهيكل الاول - بما الحق به من اروقة وساحات متصلة . وكانت الساحة الاولى قد اعدت لتكون سوقاً لبيع القرايين ويسمح لغير اليهود بدخولها . ثم تأتي ساحة رفعت على اعمدة لا يسمح للغريب بتخطيها . تلي تلك ساحة لا تتعدها النساء فساحة رابعة لا يتعدها الرجال فساحة خامسة للكهنة . فذبج التضحية العظيم . وفي الداخل قدس الاقداس الذي لا يدخله غير كعب الاحبار مرة في كل عام .

وكان بناء الهيكل الرئيسي محاطاً بصفيين من الاعمدة الرخامية . وعندما تم العمل دعا على افتتاحه الشخصيات الممتازة من الامم المجاورة . واقام لهم الالعب الرومانية المشهورة في ذلك الزمان ولكن اليهود نظروا اليها نظرم الى نجاسات مغلظة وقد قاوموه بعنف ولا سيما عندما أراد أن ينصب النسر الروماني فوق الهيكل .

ثورة اليهود الاولى

(٢٦) بعد وفاة هيرودس الكبير عادت فلسطين ولاية رومانية — بعد ان عجز ابنائوه عن ادارتها ، فحنق اليهود وبيتوا الغدر للوالي الروماني الذي عينه الامبراطور نيرون ، لاسيا عندما طمع في اموال الهيكل وهم بنقلها . ولما منعه امر جنوده بالبطش بهم فاشتعلت الثورة وهرب القائد الروماني الى قيسارية على الساحل بين يافا وحيفا . واضطر نيرون ان يرسل القائد فسبسيان الى سوريا والياً وقائداً . وفي طريقه الى القدس بلغه نبأ وفاة نيرون ، فعاد مسرعاً الى روما حيث نادى به اتباعه امبراطوراً وترك مهمة اخماد ثورة اليهود الى ولده تيطس فأسرع هذا وطوق المدينة التي كانت تغص باللاجئين اليها من جميع انحاء فلسطين لاعتقادهم ان الله لا يسمح باعطاء مدينته وهيكله الى غير شعبه . وحتى في هذه الساعة الحرجة استمر اليهود على شقاقهم وتزاعهم وظل كل زعيم من زعمائهم يحارب وحده ، بينما اخذت الجنود الرومانية تفتح ثغرات في السور . وهنا اشعل النار جندي روماني والقهاها الى داخل الهيكل ، فشببت النار وامتدت السنة اللهب الى انحاء المدينة . وبعد شهر دخل تيطس المدينة الحربية سنة ٧٠م ولم يبق منها سوى الجدار الغربي المعروف بجدار المبكى . وبذلك تم قول المسيح الذي كانت حياته قد انتهت على الارض قبل ٣٧ سنة « يا اورشليم ... يا اورشليم ... يا قاتلة الانبياء وراجة المرسلين اليها ... وكم أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة افراسها تحت جناحيها . ولم تريدني ... هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً » .

الثورة الثانية

(٢٧) بتراخي الايام اخذ اليهود يعودون الى خرائب القدس وبينون فيها ما يشبه اوكر الارانب واعشاش الطيور ، حتى اذا مرت ستون سنة من خرابها ظهر من ابنائها باركوكبا « سمعان بن الكوكب » الذي ادعى انه المسيح الذي يخلص امته من استعباد الرومان ، فقبه عدد كبير ازعج بهم — حكومة روما واقلقها ثلاث سنين . الى ان ارسل الامبراطور هدران قائده ففضى على الثورة سنة ١٣٥م ومحاسم اورشليم من الوجود وبني على انقاضها

مدينة رومانية خالصة أسماها « ايليا كابتولينا » وحرم على اليهود الاقتراب منها وبني في موضع الهيكل معبداً لجوبتر وزينها بالابنية الوثنية والملاهي والحمامات . الى أن انتشرت المسيحية واصبحت الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية وبُنيت فيها كنيسة القيامة .

ولما دخل الفرس مدينة القدس سنة ٦١٤م قتلوا الرجال والنساء والاطفال واشترى اليهود عدداً كبيراً منهم وذبحوهم انتقاماً من اهلها النصارى . ولما استرجع هرقل مدينة القدس طرد بقايا اليهود منها وامرهم الا يقيموا فيها اكثر من ثلاثة اميال . ولذلك لم يكن من المستغرب ان يطلب البطريرك صفرونيوس من الخليفة عمر بن الخطاب ان يمنع اليهود من سكنى القدس عندما تسلمها صلحاً بموجب العهدة العمرية المعروفة .

التسوية

(٢٨) هي الكتاب المقدس عند اليهود وتنسب الى نبي الله وكليمه موسى وتتألف من خمسة أسفار ، هي : سفر التكوين الذي يروي كيف خلق الله السموات والارض في سبعة أيام وكيف أوجد آدم واسكنه فيها كما يروي قصة الطوفان . ولقد اظهرت الحفريات في جنوب العراق اصولاً لقصتي الخليفة والطوفان مكتوبة بالحرف المسهاري وباللغة البابلية في الالف الثالث قبل الميلاد . ويتطرق سفر التكوين الى سير آباء اليهود واجدادهم يعقوب واسحاق وابراهيم ليكون في سيرة كل منهم قدوة حسنة للابناء والاحفاد .

أما قصة موسى نفسه فتكاد تكون طبق الأصل لما كتب سرجون الاكادي عن نفسه حوالي سنة ٢٧٠٠ ق.م . على آجرة جاء فيها « ها أنا سرجون الملك القوي ، ملك أكاديا كانت امي فقيرة وما عرفت ابني قط وقد ولدني سرّاً ووضعتني في سلة من القصب واغلقت بابها بالقيار ثم القتني في النهر فلم تبتلعني لجهه ، بل حملتني مياهاه حتى اوصلتني الى آكي الساقى . وقد تلقاني آكي بقلبه الطيب ورباني حتى اصبحت غلاماً يافعاً وجعلني بستانياً . وقد ادخلت خدماتي في البستان السرور على قلب عشتار واصبحت ملكاً » .

ولما شب موسى في قصر فرعون رأى مصرياً يضرب اسرائيلياً ضرباً ميمتاً فتحركت الغيرة القومية وقتل المصري وهرب الى ارض مدين في شمالي الحجاز ورعى غنم شعيب، وبعد أن مكث عند شعيب عشر سنين تعلم خلالها التوحيد ناداه ربه في سيناء وسلمه الوصايا العشر التي كتبها موسى على لوحين من الحجر وعاد الى مصر ليخلص بني اسرائيل من ظلم المصريين . وقد كتب سفر التكوين على ورق من الجلد عرضه قدم وطوله ثلاثون قدماً .

أما سفر الخروج فيروي حكاية خروج بني اسرائيل من فلسطين الى مصر ومعبشتهم هناك وخروجهم من مصر الى سيناء والى كنعان .

وأما السفر الخامس وهو سفر العدد فيروي كيف خرج بنو اسرائيل من مصر عائدین الى فلسطين .

وأما سفر التثنية واللاويين ففيهما جميع الشرائع اليهودية وواجبات الكهنة . لا يؤمن السامريون الا بهذه الاسفار الخمسة ولا بنبي بعد موسى وهارون . (٢٩) أما القسم الثاني من التوراة فهو أسفار كتبها الانبياء . وأولها السفر الذي كتبه يشوع خليفة موسى وقائد الاسرائيليين وفيه ذكر المعارك التي خاضها والدما التي سفكها والخراب الذي ألحقه بالبلاد .

وأما سفر القضاة ففيه سرد محزن للفشل الذي تعرض له بنو اسرائيل بعد يشوع في محاربتهم الكنعانيين والفلسطينيين .

وأما سفر صموئيل فيروي قصة كارتهم في هزيمتهم مع الفلسطينيين التي خسروا فيها ثلاثين الف رجل كما خسروا فيها تابوت العهد . ولما سمع الكاهن عالي أخبار الكارثة وبموت ولديه فيها مات في شيلون^(١) .

وقد طلب الشعب من خليفته القاضي صموئيل أن ينصب عليهم ملكاً كسائر الشعوب فرفض، فأبى الشعب الا أن يكونوا مثل سائر الشعوب، لهم ملك يخرج أمامهم ويحارب معهم وقد أمر الله القاضي صموئيل بأن يستجيب لشعبه .

(١) شيلون خربة في اراضي ترمسعيا للشرق من سنجل بين نابلس ورام الله .

(٣٠) ولم يكن ملكهم الأول شاول أوفر حظاً من القضاة السابقين ، وفي معركة مع الفلسطينيين وجد أبناءه الثلاثة قتلى على جبل جلبوع^(١) فخر على سيفه وانتحر فحز الفلسطينيون رأسه وسمروا جسده على سور بيت شان^(٢) وعلقوا سلاحه في هيكل عشتاروت ، وخلفه الملك داود .

(٣١) وقد كتب لداود التغلب على اليبوسيين والاستيلاء على مدينتهم « يوراسليم » وبذلك زال الحاجز بين يهوذا في الجنوب وافرأيم في الشمال واصبحت مملكته قطعة واحدة ، وقد ساعده على الاحتفاظ بملكه انه وضع نفسه تحت حماية حيرام ملك صور الفينيقي .

(٣٢) ويبدأ سفر الملوك بحكم سليمان سنة ٩٦٠ ق م . ويصف انشقاق أخوته عليه حتى قتل أحدهم عندما حاول أن يغتصب العرش . وعندما شك في اخلاص قائده يؤاب قتله أيضاً .

يصور هذا السفر سليمان ملكاً متقلباً غير متمسك بدينه ويصف ابنيته بأسهاب ويذكر علاقاته الحسنة مع ملك صور الذي ساعده على بناء الهيكل وإيجاد اسطول تجاري في البحر الأحمر . وباتتهاء أيام سليمان ينتهي مجد العبران القصير ليقضوا ثلاثة قرون في انقسام بين إسرائيل ويهوذا كما سلف .

(٣٣) الى أن يظهر الانبياء المتأخرون الذين كتبوا أسفارهم وهم اشعيا وارميا وحزقيال . والانبياء الصغار وأهم ما فيها سقوط السامرة بيد آشور وسقوط يهوذا بيد بابل وكيف ان المسيبيين الى بابل ذهبوا وليس لهم علم أو أدب مشترك يظهرهم كأمة واحدة ولكنهم في الأسر دونوا ولا سيما السكاهن عزرا كل ما كانوا يسمعون من الآباء والأجداد ، فعادوا عند قيام دولة فارس ومعهم التوراة كأدب موروث يربطهم ويوحدهم كأمة .

(٣٤) أما القسم الثالث من أسفار التوراة فيتألف من أحد عشر سفرأ هي المزامير والأمثال وأيوب والنشيد والجامعة وراعوث والمراثي واستير ودانيال

(١) جبل جلبوع في أراضي فقوعة بطرف مرج ابن عامر شرقاً .

(٢) بيت شان هي بيسان .

وعزرا وميخا . وكان آخرها سفر ملاخي الذي يقول لأول مرة وبصريح العبارة أن القسم الأول من الكتاب المقدس موحى به « اذكروا شريعة موسى عبدي الذي أمرته بها في حوريب بسيناء لكل اسرائيل والفرائض والاحكام » .

المشنة

(٣٥) بعد أن محا الامبراطور هدریان مدينة القدس من الوجود وشتت اليهود في أنحاء الأرض أخذوا يجمعون شتاتهم حول دينهم وشرحوا التوراة بلغة يفهمها عامة الشعب في كتاب سموه المشنة . والمشنة تعني الكتاب الثاني بعد التوراة وهو يشمل التعاليم التي تلقاها موسى من ربه في جبل سيناء ، ثم تداولها الابناء والاحفاد فيما بينهم حتى كتبها يهوذا حناني الذي كان الزعيم الديني في أطراف فلسطين الشمالية سنة ١٦٥ م . وهكذا جاء المشنة أكبر مجموعة بعد اسفار العهد القديم دونت فيها شريعة موسى ثم أضيفت اليها أقوال الحكماء التي نقلها تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم .

وتختلف لغة المشنة عن لغة التوراة بالأمور التالية :

- ١ - وجود كلمات آرامية كثيرة مع استعمال صيغة الجمع الآرامية .
- ٢ - كثرة استعمال أفعال المضارعة واسم الفاعل .
- ٣ - تسربت اليها نحو ثلاث مئة كلمة من اليونانية واللاتينية .
- ٤ - استعمال الاسماء الموصوفة بالاضافة .
- ٥ - زيادة عدد الحروف والظروف .
- ٦ - استعمال كلمات من التوراة لغير معناها الأصلي واشتقاق أفعال منها .

الجمارة

(٣٦) وفي القرنين الرابع والخامس صعب على عامة الشعب فهم المشنة فقام بينهم من شرحها في كتاب أبسط يسمى الجمارة . فالجمارة أو التفسير هي مجموعة من التفاسير والتعاليم والمناظرات التي جرت في المدارس العالية بعد

انتهاء تدوين المشنة ، وقد كتبت باللغة الآرامية التي كان يتكلمها اليهود الذين باتوا أقليات مبعثرة في المنطقة التي سادتها اللغة الآرامية من الهند شرقاً الى البحر المتوسط غرباً .

التلمود

(٣٧) والتلمود لفظة عبرية معناها التعليم . وقد جمع فيه أحبار اليهود جميع التعاليم التي وردت في المشنة والحكمة وضم الادب الديني حتى القرن الرابع الميلادي ويوجد فيه القارئ القوانين والاحكام الفقهية التي تعنى بمختلف نواحي الحياة الاجتماعية ولا سيما ما يتعلق بالمرأة والحياة العائلية كما يشرح الاعمال الدينية ولا سيما الطهارة والاعياد والقوانين .

التلمود نوعان :

١ - التلمود الفلسطيني وقد كتب في القرن الرابع الميلادي بلهجة آرامية غربية .

٢ - التلمود البابلي : وكتب في القرن الخامس الميلادي بلهجة آرامية شرقية .

وبعد كتابة التلمود بقليل شرع علماء اسرائيليون في وضع الحركات على متن الاسفار المقدسة لزيادة الضبط والاحكام .

التراجم

(٣٨) عندما تشتت اليهود في انحاء الارض تركوا لغتهم العبرية وتعلموا اللغات المحلية ففي الاسكندرية مثلاً ظهرت الترجمة السبعينية في اللغة اليونانية حوالي سنة ٢٨٠ قبل الميلاد ومنها انتشرت في بلاد اليونان . ثم تبعتها الترجمة الى السريانية في القرن الميلادي الاول وتعرف بالترجوم ثم لحقتها الترجمة المصرية الى اللغة القبطية في القرنين الثاني والثالث وقد ترجمها ايرونيوس من اليونانية الى اللاتينية . أما القديس جيروم فقد قام بتنقيح ترجمات التوراة الى اللاتينية عن اللغة العبرية في بيت لحم حوالي سنة ٣٥٢ م .

المسيح

(٣٩) كان يسوع يشتغل بالنجارة في الناصرة حتى بلغ الثلاثين من عمره فعمده نسيبه يوحنا بن زكريا في مياه الاردن وعندئذ كرس حياته لاعادة شعب اسرائيل الى ناموس موسى وكان يقرأ الاسفار السابقة الذكر وعددها تسعة وثلاثون سفرأً وكان يحفظها عن ظهر القلب ويستشهد بها في تأييد رسالته وبرهان حقيقته، تبدأ بسفر التكوين وتنتهي بسفر ملاخي. وقد كتب تلاميذه باللغة اليونانية سبعة وعشرين سفرأً تعرف اليوم بالاناجيل أو العهد الجديد . واذا قلنا اليوم الكتاب المقدس فاننا نعني العهد القديم « التوراة » والعهد الجديد « الاناجيل » وفيهما ٦٦ سفرأً .

لغة اليهود

(٤٠) في السبي البابلي نسي اليهود لغتهم العبرية وانحصر استعمالها في كتابات الكهنة والعلماء ويظهر تأثير اللغة السكندانية في الاسفار التي كتبت بها في المنفى كسفر عزرا ونحميا واخبار الايام واستير والانبياء الصغار - يونان وحاجي وملاخي ودانيال وبعض المزامير الاخيرة . وبزوال سلطان العبران السياسي زالت أهمية لغتهم واصبحت الآرامية لغة اليهود العامة .

ولقد وجد في جزيرة فيلة جنوبي مصر وثائق مكتوبة باللغة الآرامية وعلى ورق بردى حتى القرن الرابع قبل الميلاد حيث كانت هناك جالية يهودية بقيت الى زمن البطالسة .

(٤١) وبعد أن فتح الاسكندر المكدوني فلسطين ودخل اليهود تحت حكم اليونان ضموها الى لغتهم كلمات كثيرة من اللغة اليونانية واكثرها اسماء - لا افعال . وغيروا بعض كلمات يونانية ووضعوها بصيغ عبرانية .

وعندما ملك هيرودس في فلسطين بنى عدة قصور وهياكل على طراز اليونان والرومان وشيد مراسح للتسليمية ، فتقاطر اليها اليونان والرومان من كل البلاد وامتزجوا باليهود فكثرت الاخذ من اللغة اليونانية ، حتى سمي اليهود

اولادهم باسماء يونانية اكراماً للملوك والامراء والوزراء . وهكذا اختلطت
العبرية باليونانية كما اختلطت سابقاً بالسريانية التي سمح اليهود بترجمة كتابهم
المقدس اليها .

(٤٢) في أيام المسيح كانت الآرامية لغة عامة الناس بعد أن انزوت العبرية في
المعابد والمدارس ، فكان الكاهن يقرأ الأسفار في الكنيس باللغة العبرية الفصحى
ثم يترجمها الى الآرامية التي يعرفها عامة الناس . وهذه الترجمات والتفسير
والتعليقات الآرامية تسمى في مجموعها « الترجوم » .

(٤٣) وترجم السامريون توراتهم « اسفار موسى الخمسة » الى لهجة آرامية
عندما اصبحت الآرامية اللغة الرسمية في جميع انحاء الشرق الادنى .

(٤٤) اللغة الآرامية التي استعملت بعد المسيح عرفت بالسريانية . وقد
ارتفع شأن السريانية عندما ترجمت اليها التوراة . وهكذا تكون السريانية
لهجة آرامية ارتفعت الى مصاف اللغات الادبية بفضل ترجمة التوراة اليها في
آواخر القرن الميلادي الاول .

الانباط والتدمريون عرب استعملوا الكتابة الآرامية .

الفصل الثاني

فرق اليهود ومؤرخوهم

السامريون

(٤٥) الطائفة السامرية خليط من اليهود والآشوريين . كانوا يقيمون في مملكة اسرائيل القديمة . يقال انهم قبائل آشورية أرسلها ملوك آشور الى فلسطين ليسكنوها في أماكن القبائل اليهودية التي نفيت الى ما بين النهرين . ويقال إنهم اختلطوا باليهود الذين بقوا في بلادهم ولم تحملهم الدولة الآشورية الى بلادها مع القبائل المسبية ، فوقع من هذا الاختلاط في السكن والنسب اختلاط في العادات والعبادات . وعاد اليهود الذين رجعوا من السبي بعد سقوط بابل فأنكروا من السامريين شعائرهم المخالفة لتقاليدهم واتهموهم بعبادة الاوثان ، ورفضوا مشاركتهم في بناء الهيكل الجديد ، فعمد السامريون الى بناء هيكل خاص لهم في جبل جرزيم وجعلوا يعتمدون أن يدنسوا هيكل بيت المقدس وحصروا القبلة في هيكلهم ومثابة حجهم وعبادتهم . وقد بقي منافساً هيكل بيت المقدس زهاء مائتي سنة حتى هدمه رئيس كهان بيت المقدس يوحنا هركانوس قبل الميلاد بأكثر من مئة سنة ، ولكنهم أعادوا بناءه وظل قائماً حتى هدمه الرومان بعد ثورة السامريين في القرن الخامس للميلاد ، وقد هدم فسبسيان مدينتهم شكيم وأقام في الغرب منها مدينة سماها المدينة الجديدة . نيبوليس « أونابلس المعروفة اليوم . ولا تزال بقايا السامريين

تحتفظ بتقاليدها وتعتمد على نسخة التوراة المكتوبة بلغتها ، ولا تعترف بكتاب بعد الكتب الخمسة التي تعرف بالكتب الموسوية ، كتبت باللغة السامرية التي هي عبرية ممزوجة بالآرامية . ولا تدين بعاصمة مقدسة غير موطن هيكلمها المهدوم على جرزيم . وقد استحكم العداء بين اصحاب الهيكلين في عصر الميلاذ حتى بطل الامان في السفر بين السامرة والبلاد الاخرى ، وتعرض للاهانة والنكال كل من خاطر بالسفر الى السامرة من يهود الجنوب أو الشمال .

اعتقد اصحاب مملكة يهوذا في الجنوب ان عاصمتهم - بيت المقدس - هي مقر الملك المنتظر وان هذا الملك المنتظر سيكون من سلالة داود ، فهذا الاعتقاد يرضيهم ويرد المجد الى دولتهم ويجعل الخلاص على أيديهم ، ولكن السامريين أبناء الشمال كانوا يلجأون في عدائهم لداود وذريته ويشيرون النزاع القديم بين الاسباط ، وينكرون على الاقل عقيدة الخلاص على يدي ملك من اسرة الملك داود في يهوذا ويفتحون بذلك السبيل الى الايمان بالخلاص الروحاني والهداية الشعبية ويزعزعون الثقة في احبار الهيكل الجنوبي وفيمن عسى أن يبايعوه بالملك ، اذا حان الموعد المقرر .

ويضعهم اليهود في صف واحد مع الوثنيين . مع أنهم يحتفظون بعادات اليهود القديمة واعيادهم القومية ، ونعرف من ذلك عيد الفصح - ذكرى اليوم الذي نجوا فيه من مذلة المصريين - وكلمة فصح كما نعرفها اليوم مأخوذة من العبرية « بيصح » وهي تعني المرور أو العبور Passover وهم يقصدون بها الخروج من مصر ويقدمون في هذا العيد الضحايا والقربان .

(٤٦) ذكرت جريدة لندن المصورة (London Illustrated News) في عدد نيسان سنة ١٩٤٥ هذه المعلومات ، بهذا العنوان : « السامريون يحتفظون عيد الفصح ويحتفلون به » . قال الكاتب :

في اليوم الرابع عشر بعد ظهور القمر الجديد في الشهر الاول (وهو يوافق آذار أو نيسان) بالتقويم الاوروبي . تقوم البقية الباقية من السامريين بتأدية أقدم شعار ديني عرفه الانسان . وهم يحتفلون بهذا الشعار فوق قمة

جبل جريزم الذي يبلغ ارتفاعه اكثر من ٢٨٠٠ قدم عن سطح البحر وهؤلاء السامريون هم كل من بقي من الاسباط العشرة من بني اسرائيل . ولم يبق منهم اليوم الا اقل من مائتي شخص يعيشون جميعاً في مدينة نابلس بجوار معبدهم القديم^(١) وهم لا يشعرون بمجدهم الزائل الا مرة واحدة كل عام عندما يصعدون الى قمة الجبل المذكور ليحتفلوا بعيد الفصح في نفس المكان الذي احتفل به آباؤهم منذ اجيال لا يحصرها التاريخ . . وليس لهم اليوم معبد ولكنهم يحتفلون بعيدهم على قمة الجبل المهدة .

وقبل الاحتفال يخرجون جميعاً من منازلهم - رجالاً ونساءً وأطفالاً وينصبون خيامهم على قمة الجبل ويقومون بطقوسهم القديمة كما وصفها سفر الخروج ١٢ : ٢٤ . وهم يحفرون خندقاً ليستعملوه مذبحاً بأبعاد متساوية ومسافات خاصة . وفي الرابع عشر من الشهر عندما تنحدر الشمس الى المغرب يشعلون ناراً في الخندق ويجهزون ماء يغلي . ثم يقف كاهنهم الاكبر على افريز ويقف الآخرون خلفه متراسين في صفوف بترتيب أعمارهم ويرتل الترانيم التي يقرأها من سفر الخروج - مشيرة الى احتفال أجدادهم الأول عند خلاصهم من نير العبودية في مصر وخروجهم منها . أما الضحايا التي تقدم فيجهزونها قبل أيام من تاريخ العيد . وهي سبعة خراف - ترمز كل ضحية منها الى اسيرة من الاسر الباقية في هؤلاء السامريين ، وقبل غروب الشمس تماماً يحيط الجمع الحافل بالمذبح حتى اذا بلغ الكاهن ترنيمة « وتكون عندكم تحت الحفظ الى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر ثم يذبحه كل جمهور جماعة اسرائيل في العشية » ويأتي بالخراف شبان يرتدون ملابس بيضاء ونعماً لا يحمل كل ثلاثة منهم خروفاً فيكشف الكاهن عليها ليتأكد من خلوها من العلامات ثم يذبحها ثم يأخذون دماءها ويعلمون بها خيامهم راسمين شارة ملاك الموت . ويصفى الدم من الذبائح ثم تطبخ . ويستريح البعض بينما يذهب المتفرجون الى خيام اخرى ومعهم بعض السامريين الذين يديعون

(١) في سنة ١٩٦٥ بلغ عددهم ٣٦٠ في نابلس ونحو ٢٤٠ في الجزء المقتصب من فلسطين .

لهم القهوة . . . وعند انتصاف الليل يؤخذ اللحم ويكونون متراسين كما وصفت التوراة . . . ويؤكل اللحم بالأيدي ولا يتركون منه شرحة صغيرة . أما الفضلات والعظام فتحرق جميعها إحراقاً دينياً وفي الصباح يحتفلون بعيد الفطير - غير الخامر ويستمر ذلك سبعة أيام . وغالباً يقضون اسبوعين فوق قمة الجبل . وقد يولد لهم أطفال وهم يحتفلون بأعيادهم تلك . وهكذا يحتفل السامريون بطقوسهم القديمة احتفالاً بخروج بني اسرائيل من مصر منذ اثنين وثلاثين قرناً . . . يأكلون لحم القرابين مشوياً على النار مع الخبز الفطير ولا يبقون شيئاً منها الى الصباح ولا يسمح للنزير والأجير أن يأكل منها . كما لا يخرج لحم من البيوت الى الخارج ولا تكسر عظمة ولا يذوقه أغلف^(١) وللقرابين علامات وأوصاف يجب أن تتوفر . . . وركوعهم وسجودهم وإبتهاهم أشبه ما يكون بأعمال المسامين . . . إنها تقاليد وتحفظات لا يتقيد بها الصهاينة » .

الصدوقيون

(٤٧) الصدوقيون وبالعبرية صدوقيم - من الفرق الكبيرة التي بادت وكانت من سراة الأمة الاسرائيلية ومن الكهنة العظام . وسموا كذلك على اسم كبيرهم صادق . . . وكان أول الخلاف بينهم وبين الفريسيين إنكارهم البعث والنشور والثواب والعقاب ، فقد أرادوا ان يكون نعيمهم في الحياة الدنيا لانهم كانوا في أول نشأتهم من أهل اليسار والسعة فأحبوا الحياة حباً شديداً وحرصوا على التمتع بها . وقالوا : « ما نحن بميتين إلا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين إن هذا هو الفوز العظيم » وذهبوا الى أن العبد مسير لا خيار له وان كل شيء بقضاء وقدر كالجبرية في الاسلام فقد رفضوا القدر وافترضوا أن جميع أفعالنا نقوم بها بمجرد إرادتنا وأننا نسبب الخير ونقبل الشر بأنفسنا خلافاً للربانيين والقرائين وأهل السنة . وتقيدوا بالقول « النفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن » - أي أنهم لم يؤلوا المعنى الى المجاز - خلافاً لما

(١) اغلف : غير مختون .

اجمع عليه الرابانيون . وقد أفضى الأمر بتلك الفرقة الى القلة ثم الى الاضمحلال والتلاشي من زمن يربو على ألف سنة .

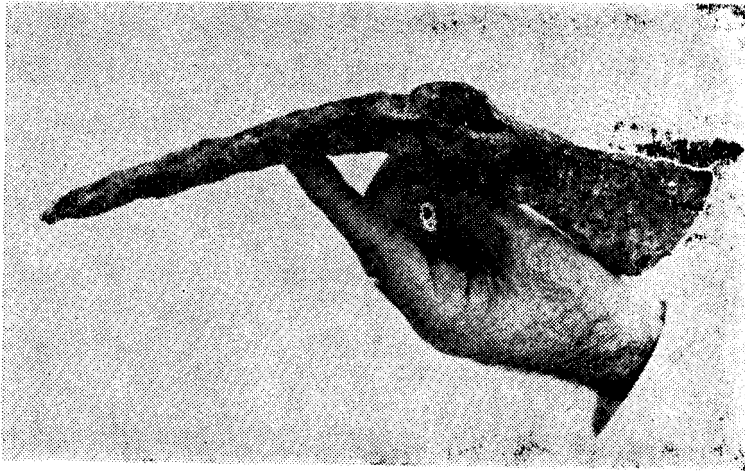
حاول بعض علماء الرابانيين أن ينسبوا القرائين الى الصدوقيين وانهم هم هم وعلى الأقل من سلالتهم ، ووقع في خطأهم بعض المؤرخين . ولكن المحققين من الرابانيين انصفوا الحقيقة وكذبوا هذه النسبة واثبتوا أن الصدوقيين فرقة اخرى وأن لا صلة بينها مطلقاً وأن الصدوقيين أقدم بنحو مئة وعشرين سنة على الأقل .

الأسينيون

(٤٨) الاسين او الاسينيم فرقة بلغت أعلى درجة في الفضيلة والصلاح أحب بعضها بعضاً حباً صادقاً أكثر من سائر اليهود . وهي تستبجح الشهورات وتعدّها جريمة . كل مها كبح جماح النفس وقمع ثورة الهوى - لا يتأهلون حباً في التعفف من النساء ويتبنون أولاد غيرهم وهم في سن الصغر وقابلية التعليم . فيربونهم كفلة أكبادهم ويعودونهم عاداتهم ويلقنونهم آدابهم . يزددون الغنى ولهم جميعاً جيب واحد ومرتق واحد . اذا التحق بهم احد وقف عليهم كل ما يملك . ولذا فلا موسر بينهم ولا فقير . لا يتدهنون واذا اصابهم شيء من الطيب عرضاً فما أعجلهم الى التطهر منه بالاغتسال . لا يعنيتهم كثيراً نظافة ثيابهم . وهم مع ذلك لا يلبسون غير البضاء منها . يختارون من بينهم من يتولى شؤونهم العامة . وعلى كل فرد مساعدة اخيه وخدمته بلا تفاضل . لا يختص بهم مكان معلوم فكثيراً ما تتعدّد مساكنهم واذا انتقل أحد منهم من مكانه الى مكان آخر لقي أهلاً ونزلاً سهلاً ، كأنما هو بين عشيرته وذويه ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، ولولم يعرفوه أو يروه من قبل . ولهم في كل بلد عامل لاكرام الضيوف من طعام وكسوة . لا يتبايعون وانما يتقارضون كلما لزم وبقدر ما ينبغي . ويتباهون ويتفانون في تقوى الله سبحانه وتعالى . لا يسمع لهم صوت قبل بزوغ الشمس حتى يؤدوا فريضة

الصلاة باتجاه الشمس ، وكأنما هم يتضرعون لنشرق ، حتى اذا فرغوا من الصلاة صرفهم كبارهم ، كلا الى عمله بلا انقطاع حتى الساعة الخامسة فيجتمعون في مكان يغيرون فيه ثياب العمل ويغتسلون ثم يتحولون الى حجرة الطعام فيأخذون مقاعدهم وكأنما هم في المسجد هيبة ووقاراً . ولكل منهم رغيف غير الآدام ويبارك الكاهن على الخبز ثم يأكلون . وحاشا لاحدهم أن يد يده الى فمه قبل البركة . حتى اذا أكلوا عادوا الى الصلاة خالعين ثياب الطعام وينبشون الى أعمالهم حتى الغروب . وكما تغدوا فانهم يتعشون ومعهم الضيوف بكل هدوء وسكون واذا تكلم أحدهم انصت الكل اليهم . لا يعرفون الحر ولا يزيدون عن كفاية الشبع . ولا يتسرب اليهم الغضب واذا غضبوا ملكوا انفسهم . وهم يقدرون الامانة قدرها . يسعون دائماً وراء السلام . يصدقون في كل ما يقولون ولا يخلفون ولو صدقوا بل انها عندهم أشد من الحلف كذباً - الا قسم الجماعة مرة واحدة بيمين الامانة والمحافظة على سر الجماعة . يوجبون على كل من يلتحق بهم أن يحرص على جميع سننهم وعوائدهم ليعمل بها ولا يقبلونه قبل سنة ، يخبرونه فيها . واذا ذاك يرفعون اليه وتدا يضعه في حزامه وثوباً أبيض ، فاذا ملك جراح نفسه طول السنة رقي لاول درجة وغمسوه بالماء الطاهر . ولكنه مع ذلك لا يجالسهم في الطعام الا بعد اختبار آخر مدته سنتان . واذا ذاك يقبلونه تماماً . وقبل أن يجالسهم في الطعام يخلف يميناً مغلظة أن يعبد الله خالصاً له الدين وأن يسير بالعدل والحق مع كل انسان والا يسيء الى أحد - لا من نفسه ولا بمشورة غيره - وأن يعرض عن الجاهلين ويعاون الابرار وأن يكون أمين الروح مع الناس لا سيما أولي الامر ، فان الامر بيد الله وهو الذي يولي . وان يتعلق بالحق ويمقت الكذب ويقاقله وأن يكون نقي اليدين من كل سرقة أو ظلم منزهاً عن إضرار السوء والا يكتم اخوانه شيئاً ولا يفشي لهم سراً ولو توقفت عليه حياته . ثم يخلف أيضاً أن لا يطعن على فئته في شيء . واذا أخطأ أحدهم خطأ كبيراً نذوه وحرموه الطعام ، فيضطر الى أكل الاعشاب حتى تضمحل قواه فيموت . واذا ضار بحيث يستحق الرحمة وقد ندم وتاب فكثيراً ما يعطفون عليه ويصفحون عنه .

احكامهم صارمة عادلة لا يبتون أمراً ذا بال الا على أيدي مئة رجل منهم
ولا راد لقضائهم . وما أشد تعظيمهم لموسى عليه السلام فالمتكلم فيه كمن
يتكلم في الله عز وعلا . كذلك لشييوخهم وعلماهم الحظ الاوفر من الاكرام .
واذا كانوا عشرة فلا ينبس احدهم بكلمة قبل استئذان التسعة . يتحاشون
البصق بحضرة بعضهم . يحافظون على السبت أكثر من غيرهم فيحضرون
طعامهم من مساء الجمعة ثم لا يوقدون النار ولا ينقلون شيئاً من موضعه ولا
يعملون فيه عملاً . واذا خرجوا الى الغائط حفروا بالوتد ليواروه بعد أن
يستتروا استتاراً تاماً ثم يستنجون بالماء .



الفأس التي كان الاسيني يحملها يحفر بها حفرة في الارض يدفن فيها فضلاته

وهم على أربعة اقسام بحسب زمن الالتحاق ، الاقدم فالاقدم ، وليس لاحد
من القسم الأكبر أن يمس أحداً من دونه والا اغتسل . طالت آجالهم وجاوز
الاكثرون منهم المئة من السنين ببساطة معيشتهم . تعودوا أن يستخفوا
بالاسقام . وما أشد تحملهم الالوجاع والآلام وكانوا يداوون المرض بالصلاة
والاوراد والادعية . وما اعذب الموت الشريف في نظرهم حتى يؤثره على

الحياة، وكانوا في حرب الروم مثال الشدة وعنوان البسالة والجلد فكم جرعوهم
كؤوس القسوة والعذاب وصلبهم على الاعمدة واحرقوهم بالنار ومثلوا بهم
تمثيلاً ، لرسوخ العقيدة في خلود الروح وان ليس الى التراب الا البدن . وان
النفس الطيبة تحيا وتخلد حيث لا المطر غزيراً ولا الثلج كثيراً ولا الجفاف
شديداً وانما هو النسيم عليلاً تنتعش به النفوس . أما نفوس الاشرار ففي
أعماق الهاوية غارقة بين الظلمة والنور . عليهم زبانية أبد الدهر قساة القلوب
غلاظ الاكباد . (١)

ذكر الفيلسوف الاسكندري فيلو ان زمرة المتنطعين (Therapetus)
بمصر كانوا يجتمعون يوم السبت ويتفرقون بعد ذلك الى الصوامع للتأمل
والدراسة ورياضة الروح . وربما كانوا أساتذة الاسينيين المتشددين في رعايتهم
الاحكام الدينية وانتظارهم لظهور مسيا (المسيح) المنتظر . ويؤمنون بالبعث
ولولا ايمانهم بالقرآن وبالهيكل لما حسبوا من اليهود .

الفريسيون

(٤٩) الفريسيون - وبالعبرية فروشم . وللتسمية على لسان أصحابها
معنيان : الأول الاعتزال ، أي انهم كالمعتزلة في الفرق الاسلامية ، وهو
ما جرى عليه المقرئزي عندما قال انهم اعتزلوا من الاسيم والصدوقيم ، ومن
سائر الأمم بحفاظتهم المحافظة الكبرى على التوراة والتلمود ، وتشديدهم بأمر
الطهارة والأطعمة والحلال بنوع خاص . وان اعتزالهم هذا بدا من وقت ختام
النبوة وأيام تعقب الروم لهم . أسلموا أنفسهم رهينة في يد الايمان - فبعضهم
تفانى وتغالى وهم الاسينيون . والبعض - وهم الجمهور - ظلوا على ما هم عليه
فلم يستهينوا بأمر الحياة . والمعنى الآخر انهم المفسرون ، لأنهم يعملون بالتفسير
أي التفسير الوارد في المشنة والتوفيق بينه وبين التوراة .

(١) ملخصة عن بليني في كتابه - التاريخ الطبيعي .

(1) Pliny : Natural History.

وهكذا أخذ اسمهم من كلمة عبرانية تقابل كلمة فرز العربية في لفظها ومعناها. وهم المفروزون أو المميزون أو المعتزلة . وقد أطلقه عليهم خصومهم تهكماً وتحقيراً عندما اعتزلوا طريق الجماعة الأولى . أما هم فانهم يردون اسمهم الى خطاب الله لبني اسرائيل جميعاً كما يرويه سفر اللاويين . . « وقد ميزتكم بين الشعب لتكونوا لي » فهم أنفسهم المميزون المفضلون .

وقد أنكروا استئثار الكهنة بالشعائر واحتكارهم المرامم . لذلك أقاموا الشعائر في بيوت خاصة بعيدة عن الهيكل وكمهانه . وقد اعترفوا بجميع الكتب المقدسة ، كما اعتقدوا بالملائكة واليوم الآخر . وقد تمسكوا بالشرعة والناموس تمسكاً شديداً . وحكموا العقل في تفسير النصوص الدينية ، وتساحوا بقبول الدية والغرامة بدل القصاص والعقوبة . وهم يعتقدون أن بعض الأفعال - لا كلها - مقدرة وان بعضها يقع تحت سلطان الفرد نفسه ، ويقوم به بارادته . وهم يمثلون الديمقراطية بين طوائف اليهود ومع ذلك فقد اتهم المسيح بعض قادتهم بلاذع الكلام وشدد النكير على كبريائهم .

الربانون

(٥٠) الربانون أو الربانيون أو الربيون هم جمهور اليهود المعروفون أكثر من غيرهم . وبالعبرية ربانيم ، أي جمع ربان بمعنى الامام أو الحبر أو الفقيه . وفي العربية « الرباني العالم » ووردت في القرآن في سورة المائدة « انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » فسكنا قيل لليهود القرائين - قراءون لاقتصارهم على قراءة التوراة دون المشنة وعدم التقيد به - قيل للربانيين ربانون اشارة الى اتباعهم ما للعلماء في المشنة والتلمود من التفاسير وتقيدهم به حتى صار هذا الاسم سمة عامة لهم ، تميزهم عن نظرائهم القرائين . وكما يقال لهم ربانون - جمع ربان باللفظ العبري يقال لهم أيضاً ربانون جمع رباني باللفظ العربي - كذلك يقال لهم ربيون نسبة الى الرب بمعنى السيد الكبير والاستاذ العالم .

(٥١) عندما طرد هديران اليهود الطرد الأخير من القدس سنة ١٣٥ م ، التجأوا الى طبريا وهناك أخذوا يكتبون تفاليدهم وشروح كتبهم الدينية في كتاب سموه التلمود الفلسطيني في عشرين مجلداً انتهى العمل فيه في القرن الرابع ، ثم هاجر فريق منهم الى العراق ، حيث كتبوا التلمود البابلي في القرن الخامس ، وكان زعيمهم هناك يدعى رأس الجالوت - أي رئيس الجالية - بما يشبه الغيتو في أوروبا خلال القرون الوسطى . وبقيت هذه الجالية مضطهدة حتى انتعشت عند الفتح الاسلامي . ولما أنشأ أبو جعفر المنصور مدينة بغداد انتقل اليها رأس الجالوت ومعه جموع اليهود ، حيث وجدوا فيها مجالاً للعلم والعمل فتحسنت أحوالهم .

(٥٢) كان صموئيل بن حسداي رأس الجالوت في بغداد . ولما مات دون خلف اجتمع أحبار اليهود ورشحوا عنان بن داود خلفاً له - لولا ان بعض العلماء طعنوا في كفايته ، فاحتدم غيظاً وثار على جماعة الربانيين ووصف تماثيلهم بأنها خارجة عن التوراة ورفض تلمودهم واشتد في مقاومتهم . وكان عنان متشعباً بأراء المعتزلة القائلين بأن العبد مسؤول عن عمله . وقد ناصره ثلاثة من علماء اليهود ونصبوه رئيساً مقدماً عليهم ، وتنادوا علماً بنبذ التلمود وأطلقوا على أنفسهم اسم القرائين - أي قارئو التوراة دون التلمود . واستمالوا اليه فريقاً بعد فريق من يهود العراق . فقامت قيامة الربانيين وذعروا من حركة عنان التي ستقضي على نفوذهم وشكوه الى الخليفة المنصور بتهمة الزندقة ونقد شريعة موسى . وكان أبو جعفر يتوجس خيفة من أرباب البدع كالمعتزلة والقدرية ، فمال الى العطف على الربانيين وأمر بسجن عنان .

(٥٣) ومن غرائب الصدف أن يلتقي عنان في السجن بالامام أبي حنيفة النعمان الذي كان المنصور قد سجنه لاعتذاره عن تولي القضاء في دولته . وقص عنان قصته على الامام والتمس مشورته . فنصحه الامام بأن يقول انما أراد تطهير اليهودية من شوائب التلمود الذي كان من وضع الاحبار وانه لم يقل

بنقض شريعة موسى . ولذلك أطلقه المنصور على أن لا يبقى في بغداد . فغادرها عنان الى القدس ، حيث بنى كنيساً لجماعته القرائين بقي قائماً حتى الحروب الصليبية وفيها الف كتابين دعا فيها الى تحرير التوراة من قيود التلمود . ومما يؤثر عنه قوله : لو كنت أحمل أرباب التلمود في بطني لقتلت نفسي وقتلتهم معي .

(٥٤) وانتشرت حركة العناية أو القرائين حتى تصدى لهم في مصر العالم اليهودي سعديا بن يوسف الفيومي سنة ٨٩٢ - ٩٤٤ م صاحب كتاب الامانات والاعتقادات الذي كتبه بالعربية ، ثم ترجم التوراة الى العربية أيضاً ، وكان من زعماء الربانيين وحاول أن يرد على القرائين الذين يتشددون في حفظ حرمة السبت حتى بلغ ذلك منهم أنهم يمتنعون عن أي عمل في ذلك اليوم حتى الخروج من البلد . ولا غرابة اذا رأينا بقاياهم يقفون اليوم في بوابة مندلبوم^(١) يوم السبت ليمنعوا حتى غير اليهود من ركوب السيارات . وترجم معظم العهد القديم من العبرية الى العربية لمنفعة الاسرائيليين الذين كانوا يتكلمون العربية ، وقد طبعت ترجمته للاسفار الخمسة في القسطنطينية سنة ١٥٤٦ م ، بالحروف العبرانية ، كما طبعت في باريس سنة ١٦٤٥ . وفي لندن طبعت بالحروف العربية سنة ١٦٥٧ م . وهو أول من بحث قواعد اللغة العبرية واستفاد من قواعد اللغة العربية ، وله في هذا الموضوع كتاب عربي اسمه كتاب اللغة ومقدمة في كتب الآجرومية وتفسير عليها .

وتوجد كتب عربية من تأليف أبي يهوذا حنبوح المعروف ببجي بن زكريا سنة ٨٩٠ - ٩٣٢ م . نعرف منها كتاب التنقيب . ونسخة من كتاب الاصول بالعربي ، نسخت لأبي الوليد مروان بن جناح سنة ١١٥٠ م وهو في مكتبة اكسفورد .

وحدث بعد موت سعديا بقليل أن ازدهرت الفلسفة العربية في الاندلس واتصلت شعلتها بيهود تلك البلاد فخرجوا عن السلطة الدينية التي كانت

(١) مندلبوم البوابة التي يدخل منها بين جزئي القدس العربية والمحتلة .

متمركزة في مدينة سورا وأرادوا أن يستبدلوها بمدينة جديدة يشيدونها في قرطبة ويعهدون بإدارتها الى خيرة رجال العلم منهم يلقنون فيها ما أهمله يهود المشرق من الآداب والعلوم والفلسفة . وبالفعل فقد أم هذه المدرسة القرطبية طلاب العلم من كل بلد . ولم يرض عليها الزمن الطويل حتى ذاعت شهرتها ، فعرف رجالها بالتفوق بالعلم والادب ، ونبع منها جماعة انصرفوا الى درس الفلسفة المشائية^(١) ووضعوا فيها الكتب النفيسة التي لم تزل منها بقية في مكاتب أوروبا شاهدة على ما حوته من العلم والحكمة .

وأشهر فلاسفتها موسى بن ميمون الذي ولد في قرطبة سنة ١١٣٥ م . ولما شب أخذ في درس اللاهوت وسائر العلوم المعروفة يومئذ عند اليهود . كما أخذ يحضر على أساتذة العرب ويدأب على الدرس والتحصيل ، حتى بلغ من الحكمة شأواً بعيداً ، وصيتاً ذائعاً . فلقبوه بموسى الثاني وبأفلاطون اليهود . وكان اجتهاده منصباً على التوفيق بين الفلسفة المشائية والاسفار المقدسة وأن يحمل الطلبة على جعل أبحاثهم خاضعة لأحكام العقل .

وفي أيامه تدهورت الدولة الاموية في الاندلس ، وتعرض اليهود للاضطهاد ففر ابن ميمون مع قليل من أبناء قومه إلى مصر ، واتصل بصلاح الدين الايوبي حتى أصبح طبيبه .

وفي أواخر القرن الخامس عشر طرد اليهود من اسبانيا ، فاضمحلت الفلسفة اليهودية التي كانت تشغل المحل الثاني بعد الفلسفة العربية في عصر كانت أوروبا فيه غارقة في ظلمات الجهل . ومن أشهر مؤرخيهم :

(٥٦) يوسيفوس أو يوسف بن كريون (Josef Ben Gorion) :

مؤرخ يهودي مشهور ولد في بيت المقدس سنة ٣٧ أو ٣٨ م . وكانت أسرته من كبار الكهنة ، فعنيت بتعليمه . وكان ذكياً سريع الدرس

(١) المشائية هي فلسفة أفلاطون التي كان يعلمها طلابه وهو يمشي في بستانه المعروف بالاكاديمي .

والتحصيل حق قيل انه كان حجة في علوم الدين اليهودي منذ كان في الرابعة عشرة من عمره . وقد اتبع يوسفوس في التاسعة عشرة من عمره مذهب الفريسيين ، وسافر الى روما حين كان في السادسة والعشرين من عمره ليعمى في الافراج عن بعض الكهنة الذين قبض عليهم والي الشام وأرسلهم الى روما لحاكتهم في تهم ليست خطيرة الشأن . ولقي يوسفوس حظوة لدى صديقة للامبراطور نيرون . فشفعت له عند العاهل الجبار حتى أطلق سراح الكهنة وأغدت الهدايا على يوسفوس ، ثم عاد الى الشام فوجد ان اليهود قد عقدوا العزم على التخلص من حكم روما . ولم يقبل في البداية أن يشجع هذه الحركة لعله بسطوة روما وصعوبة التغلب عليها . ولكن لم يلبث أن جرفه التيار



المؤرخ يوسفوس

فانضم الى الثوار . وولاه مجمع اليهود في بيت المقدس على مقاطعة الجليل ، وحارب الرومان ، فحصره في مدينة يوتاباط^(١) . ولما سقطت المدينة في أيديهم ووقع يوسفوس أسيراً بين يدي القائد فسبسيانس ، قال انه رسول أوقعته العناية الربانية أسيراً ليتنبأ للقائد بأنه سيرتقي عرش روما بعدنيرون . وأبقاه القائد حتى تحققت نبوءته ، فأكرمه واستصعبه الى روما حيث عاش وعكف على التأليف حتى توفي في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد .

(٥٧) ولقد كتب يوسفوس تاريخ اليهود بالعبرية ، ثم ترجم الى العربية واسمه « تاريخ يوسفوس اليهودي » نشرته المكتبة العمومية لسليم ابراهيم صادر في بيروت ، كما ان له ترجمة حبشية . على أن النسختين العبرية والعربية ليستا متفقتين تمام الاتفاق . وأكبر الظن أن النسخة الحبشية مترجمة عن النسخة العربية ، لأنها تكاد تكون ترجمة حرفية لها . وان مخطوطات هذا الكتاب بالحبشية ترجع الى القرن السادس عشر . وأكبر الظن أنها نقلت عن العربية في نهاية القرن الثالث عشر أو بداية الرابع عشر ، وهو العصر الذهبي لترجمة المؤلفات العربية الى الحبشية بين سنتي ١٢٧٠ - ١٤٣٠م تقريباً^(٢) .

وهذا مثال حي من دقة هذا المؤرخ في وصف الاحوال السائدة في القدس . ومنها نرى الاسباب الموجبة لخروج طوائف اليهود هاربين من ظلم الكهنة . ولا يبعد أن يكون خروج الاسينيين وسكناهم في قمران راجعاً الى هذه الاسباب :

(٥٨) « وفي زمن أغريباس^(٣) هذا ، كثرت العداوات بين اليهود ، وأبغض بعضهم بعضاً بغير سبب ، وكان كل من مقت صاحبة قتله . وكثر فيهم القتل وهان عليهم سفك الدماء وكثر الاشرار في اورشليم ، وكان منهم قوم يحملون سكاكين صغاراً ذات حدين يخفونها في ثيابهم ، ومن أراد منهم أن يقتل رجلاً كان يعطي بعض أولئك الاشرار شيئاً ويسأله أن يقتله فيمضي ذلك الشرير

(١) يوتاباط قرب صفورية بجوار الناصرة .

(٢) مقتطف مارس سنة ١٩٣٨ .

(٣) اغريباس هو الذي حكم القدس بعد زوال أسرة هيودس .

فيلاصق ذلك الرجل ويمشي الى جانبه بين الناس ثم يضربه بالسكين في بعض مقاتله فيسقط ميتاً ويختاط القتائل بالناس فلا يعرف . وكان هؤلاء الاشرار جماعة كثيرة وكانت لهم خفة وجسارة وإقدام . وكانت المدينة عظيمة كثيرة الناس جداً ولم يكن موضع منها يخلو من الزحام ، وكان أصحاب السكاكين يمشون بين الناس دائماً في القدس وفي الاسواق وفي الشوارع فيقتلون من أرادوا بتلك السكاكين ولا يعرفون لكثرة الخلق والزحام في المدينة فسمي هذا القتل « الموت الاعمى » ، لأنه كان خفياً لا يظهر فيحترز منه ، فهلك من الناس خلق كثير وقتل رجل من جملة الكهنة يقال له يوناتان وكان رجلاً فاضلاً صالحاً ولم يعرف قتله . وقتل جماعة كثيرة من ذوي القدرة وأهل الخير وأرباب التدين ومن سائر الناس على طبقاتهم . فلما كثر هذا القتل ودام صار جميع الناس يلبسون الدروع من تحت ثيابهم خوفاً من أصحاب السكاكين . ولما كثر الشر والأذى في مدينة القدس اجتمع قوم كثير من أهلها ليخرجوا بمالهم وأولادهم خوفاً على أنفسهم ، ففضى الاشرار الى فيليكس صاحب الروم فقالوا له ان جماعة من اليهود قد خرجوا من اورشليم وانما خرجوا لأنهم يريدون أن يعصوا الروم فوجه فيليكس أصحابه فتبعوهم فقتلوا أكثرهم وأسروا من تبقى منهم .

كان حناني السكاهن كاهناً كبيراً وله ابن يقال له العازر كان جباراً شجاعاً فاتكاً داعراً حرامياً ، وكان قد انضاف اليه جماعة كثيرة من الحرامية وأهل الشر وكانوا يمضون كل وقت الى بلد الشام فيقتلون وينهبون ويعودون الى بلادهم ، ففعلوا ذلك دفعات كثيرة مدى سنين حتى انهم أنكروا أهل بلد سورية وأضروا بهم ، فكانوا يفعلون ذلك دفعات كثيرة وفي بلدان اليهودية أيضاً . فلما كثرت أذية العازر وأصحابه للسريان استغاثوا فيهم الى فيليكس صاحب الروم ، فاحتال فيليكس على العازر حتى قبض عليه وقيده وحمله الى رومية وقتل أصحابه .

فيلون الاسكندري :

(٥٩) بنى اليونان تمدنهم وعلومهم على الوثنية ، فأراد بعض علماء اليهود أن يضمومهم

إليهم ويدخلوهم في دينهم وهم يعرفون تمسكهم بوثنيتهم . فاستنبطوا حيلة تسهل اختلاطهم بهم بتفسير التوراة تفسيراً يوفق بين تعاليمها وتعاليم اليونان . وأشهر من قام بذلك فيلون الاسكندراني ، وكان معاصراً للمؤرخ يوسيفوس ولد بالاسكندرية من نسل الكهنة سنة ٣٠ ق.م . وتعمق في فلسفة اليونان على مذهب أفلاطون .

وقد فسر التوراة تفسيراً يحمل العقائد المدنية اليونانية مستخرجة من التوراة ، وزعم أن في الاسفار الخمسة كل العلوم والرموز الفلسفية والمثولوجية وغيرها . فقال مثلاً : ان حكاية هرقل عند اليونان ، انما هي نفس حكاية ابراهيم الخليل ، وان موسى هو نفس موسيس معلم اورفيوس الذي كان يعبداه المصريون باسم توت ، وهو مؤسس ديانة المصريين ومدنيتهم وأبو الفلسفة ومخترع الكتابة وبناء السفن وغير ذلك . ثم سماه اليونان ميركيوري أو عطارد .

واضطر فيلون للتوفيق بين التوراة وتعاليم اليونان الوثنية أن يتكلف التأويل البعيد بالرموز والالغاز والكتابات ، فقال مثلاً ان الانهر الاربعة الجارية من عدن ، انما هي الفضائل الاربعة الرئيسية . . . وقس عليه سائر التأويل . على أن تأويلاته هذه لم تأت بشرة ولم تبق إلا ريثما انقضى القرن الاول الميلادي ، فذهبت وانقلب سعي اليهود عليهم وساءت الظنون بهم ، وأصبح اليونان ينظرون اليهم بحذر وتحولت أفكار رجال العلم الى الطعن في توراتهم . فقالوا ان موسى كاهن مصري ساق زعائف اليهود ومرضاهم وأهل العاهات منهم الى البرية ، فألف منهم تلك الأمة واتهموهم بأكل لحم الادميين وانهم يعبدون رأس الحمار - اذ لم يروهم يعبدون إلهاً منظوراً - وقد فعل اليونان ذلك نكابة باليهود لأنهم كانوا يحرقون آلهتهم . وقد ساء اليونان أيضاً اعتزال اليهود منهم وتجنب الاختلاط بهم ، وزعمهم شرف أصولهم وانهم من طينة خاصة ، عندما ادعوا انهم شعب الله الخاص - وأصبح كل من الجانبين يطعن في مناقسه ويختلق الاقاريل عليه ، فيستنبط الآخر مزاعم يدافع بها عن نفسه . وقد زاد التباعد بينهما أمر الحتان .

وقد أرسله يهود اسكندرية الى غالوس الملك السلوقي لتلطيف حدة غضبه على اليهود ، عندما امتنعوا عن وضع تمثاله في الهيكل . فكتب فيلون تاريخ وفادته . وله عدة مؤلفات في اللاهوت والتاريخ والفلسفة ، جعلته أكبر فلاسفة الاسرائيليين في العهد القديم . وقد مزج في فلسفته عقائد عصره بمذاهب الفلسفة التي أخذ من أصولها الاغريقية الاسكندرانية . وكان فيلسوفاً رواقياً^(١) ، وتوفي في الاسكندرية سنة ٥٠ م .

واستمر عداؤ اليونان لليهود . وفي سفر المكابيين الاول : ورجع انتيوخس بعد أن أوقع بمصر سنة ١٤٢ ق.م . ونهض نحو اسرائيل فصعد الى اورشليم يحبس كثيف ودخل القدس بتجبر ، وأخذ مذبح الرب ومنارة النور مع جميع أدواتها ومائدة التنضيد والمساكن والجامات ومجامر الذهب والحجب والاكاليل والحلية الذهبية التي كانت على وجه الهيكل وحطمها جميعاً وأخذ الفضة والذهب والآنية النفيسة وأخذ ما وجد من الكنوز المكنونة - أخذ الجميع وانصرف الى أرضه .

(١) علم زينون في رواق بالاسكندرية نحو سنة ٢٠٠ ق.م فلسفة مادية عقلية بعيدة عن العواطف والقياسات .

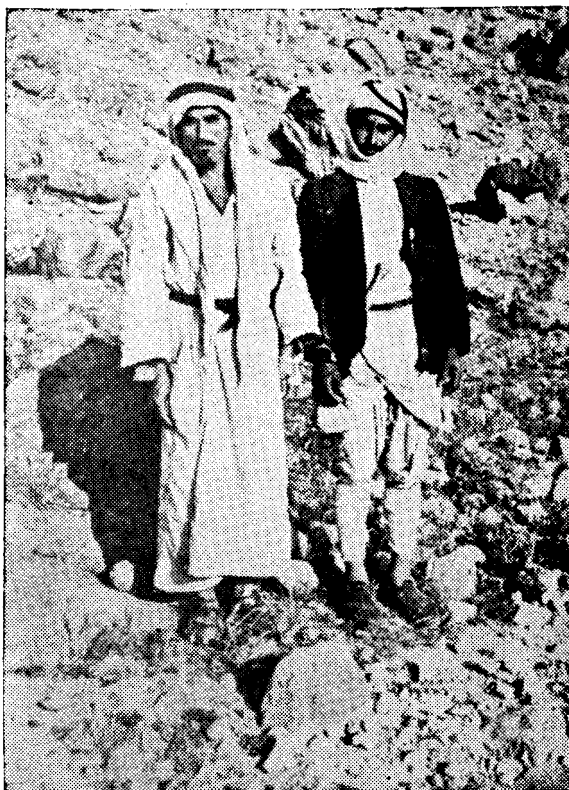
الفصل الثالث

الاكتشافات الأولى

(٦٠) لقد كان من مهمامي^(١) - كمدير للمدرسة الاميركية للابحاث الشرقية في القدس عام ١٩٤٧ - تنظيم الرحلات لدراسة آثار فلسطين وجغرافيتها التاريخية . وقد اتسمت رحلتنا الى شاطئ البحر الميت في ١٩٤٧/١٠/٢٥ بطابع الترويج والحج مجتمعين اكثر من اتسامها بطابع البحث العلمي . فأخذ بعض الرفاق يسبحون في المياه الكثيفة المالحة قرب « كالية » عند الزاوية الشمالية الغربية من البحر الميت . ولو كنا نعلم اننا قريبون من المغارة التي وجدت فيها مخطوطات البحر الميت قبل هذه الزيارة بسبعة أو ثمانية أشهر لاسرعنا الخطى نحوها . وبدلاً من ذلك يمنا شطر المغطس حيث تعتمد السيد المسيح ومن هناك قفلنا راجعين الى القدس عن طريق أريحا .

(٦١) كان يرافقنا في هذه الرحلة باحثان ناشئان قدر لهما أن يلعبا دوراً بارزاً في بحث المخطوطات وهما الدكتور جون تريفر (J. Trever) والدكتور وليم براونلي (W. Brownlee) وكانا قد التحقا بمدرستنا في بعثة دراسية في ذلك العام . في هذا الحين ذاعت اخبار المخطوطات التي كانت في حيازة دير مار مرقس للسريان ولم نعلم نحن شيئاً عنها الا بعد مضي أربعة أشهر من اكتشافها . وقد سميت « مخطوطات البحر الميت » نظراً لاكتشافها في مغارة

(1) Millar Burrows : Dead Sea Scrolls P. P, 3 - 28 .



محمد الذيب ورفيقه

قرب البحر الميت . ويعترض الأب ديفو (De Vaux) وهو من أشهر علماء هذه المخطوطات - على هذه التسمية بداعي ان المخطوطات لم تخرج من البحر الميت ٠٠٠ أما نحن فنعتبر هذه التسمية مناسبة وسنستعملها في هذا البحث ، وكان الانسب ان يطلق عليها اسم « مخطوطات قران » وهنالـك من لا يوافق على هذه التسمية الثانية ايضاً لانها تشمل المخطوطات التي وجدت في امكنة اخرى في تلك الجهات .

ونحن لا نستطيع تأكيد متى وكيف تم العثور على الكهف الاول وماذا كانت محتوياته بالضبط، ولكننا نعلم أن الذي اكتشفها شاب في الخامسة عشرة من عمره من عشيرة عرب التعامرة واسمه « محمد الذيب » وقد اشتهر اسمه

بعد مرور عامين من عثوره على المخطوطات عندما تم استجوابه وسجلت معلوماته . وبناء على كلامه انه وجد المخطوطات في شهر شباط سنة ١٩٤٧ ويقول مطران السريان الارثوذكس انه سمع بهذه المخطوطات في شهر نيسان من تلك السنة . أما الأب فان در بلويغ (Van Derploeg) الهولاندي فقد شاهدها في أواخر تموز من تلك السنة في ذلك الدير .

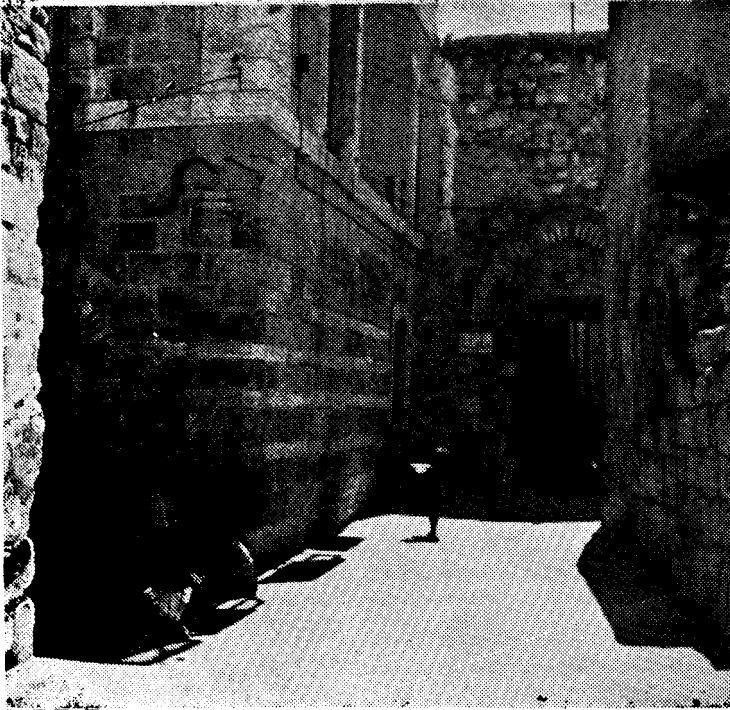
(٦٢) يروي محمد الذيب انه كان يرعى قطيعاً من الاغنام في السفوح الواقعة في البرية التي تشرف على البحر الميت من الغرب . ولما افتقد احدي معزاته اخذ يبحث عنها في تلك الكهوف حتى ظن انها قفزت داخل كهف . فرماها بجرجير ليدها . ولكنه سمع تكسير اواني فخارية . فأثار هذا الصوت فضوله ونادى رفيقاً له فهبطاً الى الكهف حيث وجد المخطوطات . وهناك رواية اخرى مفادها ان محمد الذيب كان يتعاطى تهريب البضائع من الغور الى بيت لحم مع رفاقه الذين اضطرتهم الرعود والعواصف الى اللجوء الى تلك الكهوف فوجدوا في احدها المخطوطات .

ويقع الكهف الاول على بعد خمسة اميال في شمالي غربي البحر الميت حيث كان يسبح رفاقنا وعلى مسافة ميل من خربة قمران التي يلفظها البدو المجاورون « جمران » لفظة قريبة من لفظة « غمورة » مما جعل بعض الرحالة الاوروبيين الاوائل الذين زاروا فلسطين على أن يفترضوا أن خربة قمران ما هي الا تلك المدينة المحسوفة المغمورة في الماء « غمورة » وهذا أمر بعيد جداً لأن « غمورة » التي غمرتها المياه لم تكن في هذه الجهة .

ولقد سلك هذا الطريق من بيت لحم الى مؤاب الياالك (Elimelich) ، كما سلكتها عندما رجعت زوجته نعمى وكنيتها راعوث الى بيت لحم^(١) .

(١) حدث جوع في فلسطين وذهب الياالك من بيت لحم الى مؤاب مع زوجته نعمى واستوطن بها . وبعد وفاته بقيت ارملة نعمى مع ولديها اللذين تزوجا بفتاتين من مؤاب . ولما مات الابنان وسمعت نعمى ان الجماعة في بلادها قد انتهت عزم على العودة اليها وبقيت احدي الكنتين في مؤاب . اما الثانية واسمها راعوث فلم ترد ان تفارق حماتها الفقيرة المعجوز بل عادت معها الى بيت لحم ، واصبحت راعوث تخرج الى الحقول لتجمع ما يبقى وراء الحصادين حتى تطعم حماتها الفقيرة .

(٦٤) وأما عن كيفية الاكتشاف فنقول ان الكهف عندما دخله محمد الذيب أول مرة كان يحتوي على جرار كثيرة معظمها محطم . وكان في هذه الجرار المكسرة مخطوطات جلدية ملفوفة بنحرق كتانية . وكانت الرقوق المخطوطة مهلهلة سريعة العطب خاصة عند اطرافها ، ومع ذلك كان من السهل مشاهدة الكتابة الغربية التي عليها . وتقول القصة ان محمد الذيب ورفاقه نقلوا هذه الملفات المخطوطة الى شيخ مسلم في سوق بيت لحم ، وعندما تبين أن الكتابة التي يراها غير عربية وظن انها سريانية أشار عليهم بمراجعة تاجر يدعى خليل اسكندر شامين من الطائفة السريانية في بيت لحم . وهذا التاجر أصبحت له شهرة عالمية من هذه المخطوطات باسم «كندر» وكندر هذا بدوره اتصل بتاجر آخر يقيم في القدس اسمه جورج شعيا من ابناء الطائفة ذاتها .



مدخل دير السريان

فبادر شعيا باعلام المطران أثناسيوس يشوعا صموئيل في دير مار مرقس السرياني في القدس بأمرها .

(٦٥) يقع دير مار مرقس للسريان الارثوذكس في قلب القدس القديمة في الجنوب من الشارع المعروف لدى الانجليز والاميركان بشارع داود والذي نستطيع أن نصل اليه من سوق الحصر في نهاية سويقة علون . وفيه مكتبة للمخطوطات السريانية القديمة . والى هذا الدير أحضر كندو وشعيا أحـد الملفات المكتشفة وعرضاه على المطران الذي أدرك أن الكتابة لم تكن سريانية بل كانت عبرية . ولدى فصل قطعة من الملف واحرقها ظهر من راثحتها انها مصنوعة من جلد حيوان . وعندئذ قال للتاجرين انه سيشتري المخطوطات . وانقضت عدة أسابيع قبل أن يتمكن من الاتصال بالبدو الذين كانوا يأتون الى بيت لحم يوم السبت من كل اسبوع لحضور السوق . وفي أول يوم سبت من شهر تموز سنة ١٩٤٧ اتصل كندو تلفونيا بالمطران واعلمه أن البدو الثلاثة مع المخطوطات موجودون عنده . وعلى الغالب ان كندو أرسل البدو مع المخطوطات الى شعيا ولم يرافقهم الى القدس . ولكن الكاهن الذي كان عند باب الدير منعهم من الوصول الى المطران بحجة ان المخطوطات التي معهم قدرة ومهلهة ، وليست ذات قيمة تذكر فمادوا أدراجهم .

ولما علم المطران بما حدث اتصل بكندو تلفونيا ، فأعلمه كندو ان اثنين من البدو تركا ملفاتهم عنده (أما الثالث فقد أخذ نصيبه منها وسلمه الى الشيخ المسلم ، ويظهر ان هذا النصيب هو القسم الذي حصل عليه الدكتور سكينيك بالجامعة العبرية من هذه المخطوطات في تشرين الثاني سنة ١٩٤٧) . وزاد كندو قوله للمطران بأنه عند رجوع شعيا والبدو من الدير ، توجهوا جميعاً الى باب العمود ، حيث فاضهم تاجر يهودي لشراء المخطوطات بسعر مفر ، ولكن شعيا تمكن من اقناعهم برفض هذا العرض .

وبعد اسبوعين جاء البدويان الى حانوت كندو للاستفسار منه عن مصير ملفاتها التي تركاها عنده ، وكان جوابه ان رافقهما الى الدير ، حيث قابلوا

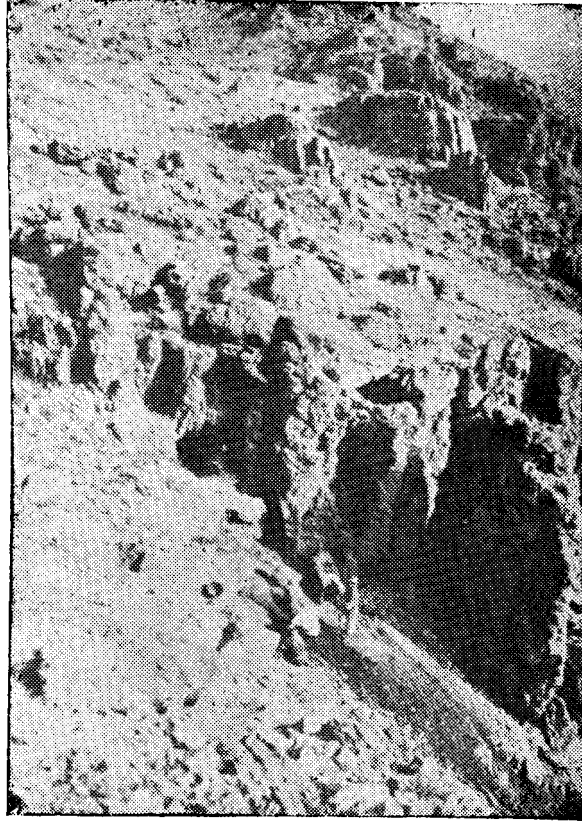
المطران الذي ابتاع منهم الملفات الخمسة ودفع لهم ثمنها . وظهر فيما بعد أن اثنين من هذه الملفات كانا يؤلفان جزأين للملف واحد اطلق عليه اسم كتاب النظام (Manual of Discipline) .

(٦٦) أما الملفات الثلاثة الأخرى فكانت تؤلف بمجموعها سفر أشعيا العظيم مع تعليق وتفسير لسفر حبقوق^(١) ومخطوطاً مهلهلاً كتب بالآرامية ، وقد أسميناه . وقتاً للملف الرابع على اعتبار ان كتاب النظام يجزأه هو كتاب واحد . وبعد عودتنا الى أميركا سلخ الدكتور تريفر عموداً واحداً من المخطوط الرابع ، وعلى ضوء نتيجة تحليله ودراسه انضح مبدأياً انه سفر لملك^(٢) المفقود واطلقنا عليه من ذلك الوقت اسم « مخطوط لملك » .

(٦٧) ونزولاً على رغبة المطران اقنع شعيا البدوين بأن يدلّاه على المغارة . فأخذاه اليها ، حيث شاهد جرة واحدة وقطعاً كثيرة من جرات أخرى مكسرة مع قطعة من الخشب مركوزة على حجر ومع قطع كثيرة من المخطوطات والقماش الذي كانت تلف به الملفات . وفي شهر آب أوفد المطران الاب يوسف من اتباعه ليقوم بتفتيش الكهف مرة أخرى ، ولما انتهى من مهمته راودته نفسه أن ينقل الجرة بكاملها من الكهف ، لكنه لم يستطع لثقلها وكبر حجمها مع شدة حر الصيف في تلك الجهات الواقعة على انخفاض ألف قدم تحت سطح البحر .

(١) حبقوق احد انبياء اليهود ، وكان منشداً في الهيكل عند الاحتلال البابلي وله سفر مملوء بالنبوءات الصغيرة . وقد وضع الكاتب تفسيراً أو شرحاً لهذا السفر أو تعليقاً عليه في وقت متأخر قصد به أن يظهر أن الحالة القاسية في أيامه كانت تشبه أيام حبقوق عندما كانت البلاد تقامي من ظلم البابليين ، واراد هذا المفسر أن يثبت أن نبوءات حبقوق قد تحققت . كما تحدث أيضاً عن معلم الحق واتباعه ، وكيف اضطهده الكاهن الشرير .

(٢) لملك هو حفيد أخنوخ ووالد النبي نوح ، وقد شهد احوال الحياة القاسية وتأثر بها كثيراً . ويعتبر أول من نظم شعراً في التوراة ، وصار أباً لكل ضارب بالعود والمزامير بانغام تحذر الناس من الاشرار الآثمين الذين سيهدم الله قواهم ويهلك نسلهم ، ثم يأتي بعالم جديد . وبعد وفاته حمل رسالته ولده نوح الذي قضى حياته الطويلة وهو يندثر قومه .



الكهف الاول

(٦٨) قام المطران خلال صيف ذلك العام باستشارة عدد من الخبراء ، كما اطلع على ملفاته عدداً من الزوار الذين وفدوا الى ديره أملأ أن يظفر بمعلومات صحيحة عن محتوياتها وعمرها وقيمتها . وكان أول من استشاره هو المرحوم اسطفان حنا اسطفان من أبناء طائفته ، والذي كان يعمل مع دائرة الآثار الفلسطينية ، فأخبره أن ليس لهذه المخطوطات أية قيمة . وبما انه كان مختصاً ببحث التاريخ العربي أكثر منه بالآثار العبرية ، فقد جاء حكمه هذا مبنيّاً على التخمين .

(٦٩) وقد ذكر المطران امر هذه المخطوطات الى الاب مرمرجي من مدرسة الدومينكان^(١) ولقد صادف وجود اختصاصي بالكتاب المقدس هولندي الاصل هو الاب « فان در بلويغ » (ف ٦١) الذي استدعاه الاب مرمرجي لمشاهد المخطوطات والكتابات الاخرى في دير السريان فكشف الاب دربلويغ النقاب عن هذه المخطوطات وجزم بأن أكبرها هو سفر أشعيا . وبذلك لا نغالي اذا قلنا انه حاز قصب السبق في هذا الكشف .

(٧٠) في شهر ايلول اخذ المطران هذه المخطوطات الى سورية واطلع عليها بطربرك طائفته في حمص كما انه حاول ان يستشير استاذ اللغة العربية في الجامعة الاميركية ببيروت^(٢) ولكنه وجد ذلك الاستاذ في اجازته

(١) هو عربي الاصل وله عدة كتب في ابحاث لغوية وتاريخية نشرت باللغتين الفرنسية والعربية كان من أهمها كتاب بلدانية فلسطين العربية وقد توفي في القدس سنة ١٩٦٣ .
(٢) انه الدكتور أنيس فريجة استاذ اللغات السامية في جامعة بيروت الاميركية وهو يروي الحكاية في مقدمة كتاب مخطوطات البحر الميت وجامعة قران الذي ترجمه صديقنا الاستاذ ابراهيم مطر في ٨٦ صفحة ونشر في بيروت سنة ١٩٥٧ :

« كان ذلك في أوائل صيف عام ١٩٤٨ . اذ كنت في مصيفي في فالوغا عندما رن التلفون في يوم سبت قانظ وكان المتكلم فتاة من سكوتيرات الجامعة الاميركية تقول ان كاهناً يلح في طلب الاجتماع بك ليطلمعك على مخطوط سرياني أو عبراني . قلت اذا كان يصر على مقابلتي فوراً فليس عندي احلى من ان يشرفني بزيارة .

« ودخل صباح الاثنين مكتبي في الجامعة كاهن يحمل حقيبة اخرج منها درجاً أو طوماراً ملفوفاً بقماش ابيض وقال بلهجة المستعجل : يا استاذ انا مسافر بعد ساعة من الزمن . اطلب اليك امراً واحداً وهو ان تقول لي اذا كان هذا المخطوط عبري اللغة واذا كان الخط قديماً . وآكون ممتناً لك اذا نظرت فيه واخبرني ولو بصورة سطحية عن محتويات هذه المخطوطة . فالتفت اليه التفاتة استغراب وقلت : جميع هذه الامور تريدها مني في ساعة من الزمن ؟ فهل لك ان تتركها برهة عندي واعاهدك أن تكون في مأمن - وهل لك أن تسمح لنا بتصويرها ، وهل لك أن تقيها ثم تعود فتأخذها بعد أن اكون قد نظرت فيها ؟ قال هذا مستحيل لاني مسافر بعد ساعة .

« نظرت فيها واذا بي امام كتابة عبرية وقد تبينت كلمات متقطعة هنا وهناك ولكني لم استطع ان أقرأ فقرات طويلة . قلت : اللغة عبرية وقد تكون مخطوطة سفر من اسفار العهد القديم ويحتاج الامر الى وقت للمقابلة ولكنه انصرف دون ان يوضح لي شيئاً عن مصدر المخطوطة . . . ولاحظت حرص الرجل على ابقاء امر المخطوطة سراً . وعرفت بعدئذ انها كانت مخطوطة من مخطوطات البحر الميت . فقد ذكر بعض المراسلين شخصاً حمل بعض هذه المخطوطات واتجه بها الى لبنان ليطلع عليها نفراً من ذوي الاختصاص » .

الصيفية خارج البلاد . وحاول المطران مرة أخرى ان يحصل على معلومات أوفى من اسطفان فاكنفى بأن أحضر له بعض الكتب التي تبحث الحروف العبرية وتطورها . غير أن هذه الكتب لم تساعد المطران مساعدة تذكر . وكان اسطفان لا يزال مشككاً في قيمة هذه المخطوطات وعرض على المطران ان يحضر له اختصاصياً يهودياً من معارفه كان ملماً بهذا الموضوع واسمه طوبيا واكسلار وهو الذي لعب فيما بعد دوراً بارزاً في المجادلات العامة حول هذه المخطوطات . واتفق رأي واكسلار مع رأي اسطفان بأن المخطوطات لم تكن قديمة العهد . ويذكر المطران ما كان يقوله له واكسلار انه لو كان عمر هذه المخطوطات الفي سنة - كما كان المطران يظن - لساوت قيمتها عدداً من الدنانير يلاً صندوقاً في حجم الطاولة التي كانت أمامهم . وقد اعترف واكسلار فيما بعد أن التصليجات والحواشي على احدى المخطوطات (وقد كتبت بجبر فاحم السواد) قد خدعته فظن ان المخطوطات ليست قديمة .

(٧١) وفي مطلع تشرين الاول عرض المطران مخطوطاته على الدكتور موريس براون (Maurice Brown) وهو طبيب يهودي جاء الى الدير لامر يتعلق ببناء يملكه الدير وقد اعلم الدكتور براون رئيس الجامعة العبرية يهوذا مجنس^(١) (Judah Magnes) بما رأى من المخطوطات ، فأرسل شخصين من مكتبة الجامعة العبرية الى الدير المذكور . وبعد أن شاهدوا المخطوطات اقترحا ايفاد اشخاص آخرين اكثر كفاءة ووسع علماً منها لفحص هذه المخطوطات . وفي الوقت ذاته تباحت الدكتور براون مع تاجر يهودي في موضوع هذه المخطوطات واسمه ساسون . وبعد أن شاهد ساسون المخطوطات اقترح ارسال قطعة صغيرة منها الى أوروبا أو انكثرا لتقرير أهميتها . وقد اظهر المطران عدم رغبته في ارسال نماذج منها الى أوروبا .

(١) يهوذا مجنس كان عميد الجامعة العبرية على جبل الزيتون في القدس وكان رئيساً لجمعية (برت شالوم) اي جمعية السلام التي كانت تهدف الى التعايش السلمي بين العرب واليهود في فلسطين ولكنها لم تجد انصاراً يعتمد بهم لا بين العرب ولا بين اليهود .

(٧٢) وكان البروفسور سكونيك (Sukenik) أستاذ الآثار في الجامعة العبرية في ذلك الحين موجوداً في أمريكا ولم يكن يعلم بكل ما جرى حول هذه المخطوطات الا بعد عودته من إجازته الى فلسطين . وفي الخامس والعشرين من تشرين الثاني عرض عليه تاجر الآثار قطعة من هذه المخطوطات وسأله فيما اذا كان يرغب في شرائها فأجاب بالموافقة رغم ما خامره من شك في حقيقتها وقيمتها . وبعد أربعة أيام قابله التاجر مرة ثانية ، اشترى بعض قطع من الجلد مع الجرتين اللتين زعم البدو انهم وجدوا المخطوطات فيها .

وفي نفس التاريخ الذي جرى فيه البيع قامت الجمعية العامة بهيئة الامم المتحدة باتخاذ قرارها المحموم بتقسيم فلسطين - ذلك التقسيم الذي رحب به اليهود واستنكره العرب . مما أدى الى تدهور العلاقات بسرعة بين العرب واليهود حتى أصبح الاتصال بينهما مستحيلاً . وقبل تردي الحالة وسوء الاوضاع تمكن سكونيك من احضار الجرتين من بيت لحم الى القسم اليهودي بالقدس وان يبتاع قطعاً اكثر من المخطوطات بمساعدة رئيس الجامعة العبرية مجنس الذي أمدّه بالمال اللازم لهذه الغاية .

والى ذلك الحين لم يكن سكونيك يعلم شيئاً عن المخطوطات التي بحوزة المطران حتى مطلع شهر كانون الاول عندما سمع عنها من أحد الرجلين اللذين في مكتبة الجامعة العبرية واللذين كانا قد زارا الدير في الصيف . وعندئذ حاول سكونيك زيارة الدير ليرى المخطوطات التي فيه والتي كان على صواب عندما ظن انها كانت جزءاً من المخطوطات التي ابتاعها . لكنه لم يوفق لزيارة الدير بسبب الاوضاع المتدهورة اذ ذاك . ومن ذلك الحين ران على هذا الموضوع صمت طويل حتى النصف الاخير من كانون الثاني عندما تسلم سكونيك رسالة من أحد أبناء طائفة السريان بالقدس يدعى انطون كيراز يخبره فيها أنه قد اكتشف الى الجنوب من القدس قبراً قديماً وان بحوزته مخطوطات قديمة يرغب في عرضها عليه . ولما كان الانتقال بين الاحياء العربية واليهودية متعزراً فقد تم الاجتماع بينهما في جمعية الشبان المسيحية التي كانت تقع وقتئذ في المنطقة

العسكرية « ب » وكان الوصول الى بناية الجمعية ميسوراً بتصاريح خاصة . وعندما شاهد سكنيك المخطوطات ادرك حالاً بأنها مكلمة للمخطوطات التي في حوزته وقد اعترف له كيراز بأنه وجدها في المغارة التي بقرب البحر الميت والتي زارها المطران بنفسه وأنه يعرضها على الجامعة العبرية بعد اجتماع يعقد مع المطران لبحث الشروط . ولكن المطران اعلن فيما بعد ان هذا جرى دون علمه وبغير موافقته . وقد سمح كيراز لسكنيك أن يستعير ثلاث مخطوطات مدة يومين وقد استغل سكنيك هذه الفرصة فنسخ عدة اعمدة منها ثم أعلن فيما بعد أنها من سفر أشعيا . وفي السادس من شباط اعاد المخطوطات الى كيراز وأخذ مخطوطتين غيرهما ويعود احدهما أو كلاهما الى مخطوط « النظام » ، وافق أن يعقد اجتماع آخر يحضره عميد الجامعة العبرية مجنس والمطران للتفاوض على شراء هذه المخطوطات . ولكن هذا الاجتماع لم يتم مطلقاً .

(٧٣) وفي نفس الوقت كان المطران قد دبر أمراً آخر - فعندما كان الراهب بطرس سومي قد اقترح أخذ رأي خبير نزيه بشأنها اتصل هاتفياً بالمطران ستيوارت المقيم في كاتدرائية القديس جورج (كنيسة المطران) مستفسراً عما اذا كان هنالك شخص أو اشخاص في المدرسة الاميركية يمكن استشارتهم في هذا الامر . وقد كنت وقتئذ غائباً عن القدس التي غادرتها يوم الاحد الى العراق لزيارة خاصة وصادف ان أحد تلاميذي وهو الدكتور وليم براونلي الذي كان يتلقى دروساً في العربية في مدرسة « نيومان » الارسالية والذي كان مضطراً للحصول على شهادة من أحد رجال الدين المقيمين في فلسطين تشهد له بأنه مسيحي ليسمح له الحراس العرب بالمرور من الطرق المغلقة ، ما بين مدرستنا ومدرسة نيومان الارسالية . وقد حصل الدكتور براونلي على هذه الشهادة من المطران الانجليزي ستيوارت الذي تذكر اسمه واعطاه الى الراهب بطرس سومي وقد اخبره أيضاً انني قد غادرت القدس الى بغداد .

(٧٤) نتيجة لما تقدم اتصل الراهب سومي تلفونيا بالمدرسة الاميركية في الثامن عشر من شباط عام ١٩٤٨ وطلب براونلي الذي كان قبل ذلك بقليل قد خرج الى السوق ليشترى ورق الصر ليلف بها امتمته الشخصية ليشحنها الى اميركا . وكان الاذن قد أجاب الراهب سومي بأن الدكتور براونلي ليس في الدار في ذلك الوقت وانني (أنا الدكتور بوروز) في خارج القدس ولا يوجد سوى الدكتور جون تريفر وهو وكيل مدير المدرسة مدة غيابه . فأخذ تريفر سماعة التليفون وطلب الى الراهب سومي احضار المخطوطات الى المدرسة في اليوم التالي . وفي الساعة الثانية والنصف بعد الظهر يوم الخميس كان الراهب سومي وشقيقه ابراهيم يحملان المخطوطات الى المدرسة حسب الاتفاق . وقد ضاعت في هذه المرة ايضاً الفرصة على الدكتور براونلي ، اذ كان في مكتب البريد وتأخر في العودة بسبب المرور من الطرق المغلقة ، فلم يلتق بالسريانيين عندما احضرا المخطوطات التي كان تريفر قد تسلمها منهما . واطلع عليها واستأذن بنسخ سطرين من اكبر مخطوط منها . وقد أدهشه شكل الحروف العبرية التي استعملت في هذا المخطوط وقارنها بعدة مخطوطات عبرية قديمة مجموعة لديه ومطبوعة على زجاجات ملونة (سلايدات) وقد ظهر له أنها تشابه مخطوط بردية ناش^(١) (Nash Papyrus) التي يعود تاريخها الى ما بين القرنين الثاني قبل المسيح والثالث بعده . وعندما عاد براونلي اطلعه تريفر على المقطوعة التي نسخها من المخطوط : فتبين حالاً بأنها العدد الاول من الاصحاح الخامس والستين من سفر اشعيا وقد ذكرنا سابقاً أن بعض العلماء قد اشاروا الى ان هذا المخطوط هو سفر اشعيا وأيد ذلك ان أحد السريان قال بأن هذه المخطوطات هي من سفر اشعيا . ولكن تريفر لم يقيم وزناً لهذا القول لان السريان لا يقرأون العبرية . ولم يكن يعلم بأن

(١) بردية ناش أقدم الآثار الخطية العبرية التي يعود تاريخها الى القرنين الأخيرين ، قبل الميلاد . وقد حصل تريفر على صور فوتوغرافية ليقس عليها هذه المخطوطات المكتشفة حديثاً فظهر له تشابه شديد بينها . ويعتقد البروفسور اولبرايت ان دروج قران أقدم من بردية ناش .

علماء آخرين كانوا قد شاهدوا هذه المخطوطات وأبدوا رأيهم فيها . واستطاع
تريفر في صباح اليوم التالي ان يزور الدير حيث قدمه الراهب سومي الى
المطران الذي سمح له بتصوير المخطوطات ثم سمح له ايضاً بنقلها الى المدرسة
الاميركية لهذا الغرض ، ولدى فتح المخطوط الملفوف بشكل اسطواني بصعوبة
نسخوا ما جاء في بداية العمود الاول الذي اتضح فيما بعد أنه العدد الاول
من الاصحاح الاول لسفر اشعيا .



المطران يفرد ملفاً « درجاً » للدكتور تريفر

(٧٥) لقد جيء بالمخطوطات الى المدرسة الاميركية يوم السبت في ٢١
شباط ١٩٤٨ وأخذ الباحثان الشابان بالقيام بمهمتها الشاقة في التصوير . وبعد
ظهر يوم الثلاثاء التالي كانا قد أنجزا المرحلة الاولى من عملها فأعادا المخطوطات
الى الدير . وفي خلال بقية الاسبوع أتم الباحثان تبويض الافلام وطبعها عنها
صوراً أرسل بعضها الى البروفسور وليم البرايت (W: Albright) في جامعة
جون هوبكنز (John Hopkins) في الولايات المتحدة للحصول على رأيه في
حقيقة هذه المخطوطات وعمرها . وقد أخذوا أولاً صوراً عن مخطوط أشعيا
وعن المخطوطين الآخرين اللذين عرفا فيما بعد بكتاب « النظام » وقد فرغا
من طبع صور المخطوط الاخير يوم الجمعة ٢٧ شباط . فظهر للدكتور براونلي انه

تعليق على الاصحاحين الاولين من سفر حبقوق . ولم يعرف محتويات المخطوطتين الآخرين الا بعد عودتي من بغداد وقدمت نسخاً كاملة من الصور الى المطران الذي يزعم أن كيراز لم يطلب منه السماح بعرض المخطوطات على سكنيك في دار جمعية الشبان المسيحية الا بعد أن تسلم هذه الصور . وقد اقترح أن يأخذ كيراز هذه الصور ليعرضها على سكنيك لكن كيراز مانع بحجة أنها غير كبيرة الحجم . وهذا يتنافى مع قول سكنيك بأنه اعاد المخطوطات الى كيراز بعد أن نقل قليلاً من مخطوطاتها اشعياً في ١٩٤٨/٢/٦ أي قبل أن يقوم تريفر بعملية التصوير بثلاثة اسابيع . ولا أستطيع التوفيق بين هذا التناقض وكل ما في الامر أن المطران قرر ان يحتفظ بملكية هذه المخطوطات وان يكلف المدرسة الاميركية بمهمة نشرها في حين أن كيراز قد أكد لسكنيك بأن الجامعة العبرية ستعطى الافضلية في حالة عرض هذه المخطوطات للبيع .

(٧٦) وبعد ظهر السبت ١٩٤٨/٢/٢٨ عدت ورفاقي الى القدس وقد سرتني أن أعلم بأنه لم تحصل اية مشكلة في المدرسة مدة غيابي بالرغم عن حدوث انفجار قنابل في المدينة أسفرت عن مقتل اكثر من خمسين شخصاً . وجاء في مذكراتي (ان كل شيء على غاية ما يرام في المدرسة وان تريفر وبراونلي اهما بالغ الاهتمام بأمر المخطوطات التي في دير السريان وكان تريفر يظن انها اقدم من بردية ناش وتشتمل على سفر اشعيا بكامله وعلى جزء من حبقوق وعلى كتابة غير معروفة تشبه أدب الحكمة الذي ظهر فيما بعد بأنه كتاب النظام) .

(٧٧) في صباح الاثنين ١٩٤٨/٣/١ ذهبت مع تريفر الى الدير بعد ان حصلنا على تصريح من الهيئة العربية العليا . . وكنا نراقب بكل اهتمام عند كل مدخل . وفي الدير قابلت المطران صموئيل وشاهدت المخطوطات . وقد وقع نظري على قطعة صغيرة من المخطوط الرابع الذي كان مشوهاً بالياء . وفيها شاهدت الاحرف (آرا) وحالاً صحت بلا شعور (هذا آرامي) وبعد ظهر ذلك اليوم عقدنا اجتماعنا الاول لدراسة التعليق على حبقوق سيما وان دراسة المخطوط وتحليلها كان من بين الموضوعات التي كنت أدرسها . واتفقنا على تخصيص بقية الوقت في تلك الدورة التدريبية لدراسة هذا المخطوط .

(٧٨) إن الصور الاولى لخطوط اشعيا ظهرت غير مرضية وغير واضحة لان قلة الافلام وعدم توفر الكميات اللازمة منها اضطرت ترifer أن يصور عمودين على كل لوحة . فجاءت الصور صغيرة جداً وغير قابلة للتكبير الكافي . وكان من الضروري تصوير الخطوط مرة ثانية . ولكن عدم وجود الفلم المناسب بالحجم الكبير جعل ذلك متعذراً . وكان خير ما وجدنا فلماً قديماً ملوناً . فكانت الصور على كل حال موفقة وجيدة بالنسبة للصعوبات والظروف السائدة وقتئذ . وكانت الصور في نشراتها التي تلت ذلك عن هذه المخطوطات منقولة عن لوحات تلك الصور . ولو ان بعض النقاد لهذه النشرات اعتبروا أن تصويرها لم يكن موفقاً لكونهم لم يشاهدوا تلك المخطوطات نفسها قبل تصويرها ولو شاهدوها لعذرونا . وقال بعضهم انه يجب تصوير المخطوطات مجدداً بعد احضارها الى الولايات المتحدة . لكنها لم تكن وقتئذ في حيازتنا كما أن المطران لم يوافق على تصويرها مرة ثانية .

ولا يزال الخطوط الآرامي دون فتح حتى يوم الاربعاء ١٩٤٨/٣/٣ عندما سمح المطران لترifer أن يفتحه ولو أن الراهب أبدى بعض الممانعة لمثل هذه الموافقة مما أدى الى التأجيل حتى فتح في اوروبا أو اميركا حيث توجد تسهيلات فنية أوفى وأفضل .

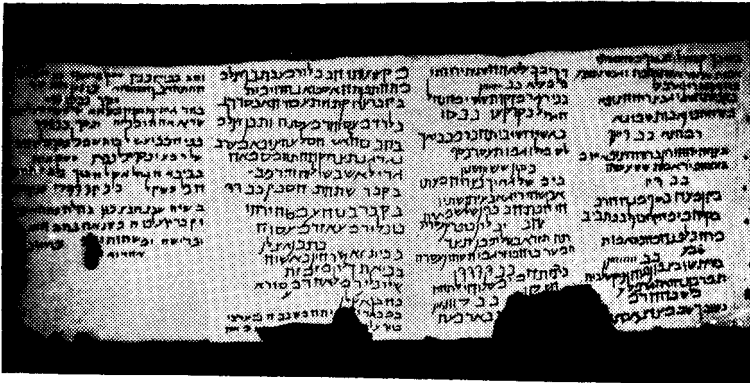
(٧٩) وفي صباح الخميس ١٩٤٨/٣/٤ . جاء المستر هملتون (Hamilton) مدير دائرة الآثار الفلسطينية ليقابلني في المدرسة . وفي حديثي معه لم نتطرق الى موضوع المخطوطات لاني كنت والمستر هملتون مشغولين بموضوعات اخرى كانت تهمني . وكان الغرض من زيارته بحث الخطط التي تدور حول ادارة المتحف الفلسطيني بعد انتهاء الانتداب البريطاني ولم تكن دائرة الآثار على علم بالمخطوطات ما عدا اسطفان الذي اعتبرها عديمة الفائدة ولا تستحق أن تذكر في تقرير يقدمه لدائرة الآثار . وبعد عامين كتب الي هملتون يقول ان اسطفان لم يذكر له شيئاً عن هذه المخطوطات وان الذي اعلمه عنها هو ترifer . وفي ذلك الوقت لم يكن ترifer يعلم أن اكتشافها قد

جرى في السنة الماضية ولقد ادعى المطران وراهبه سومي انها كانت في الدير منذ زمن لا يقل عن أربعين عاماً وظل تريفير يحمل هذه الفكرة حتى الخامس من آذار سنة ١٩٤٨ عندما علم بأنها اكتشفت منذ عام واحد فقط وقام تريفير باعلام هملتون في ٢٠/٣/٤٨ عن ذلك دون أن يوضح له تاريخ الاكتشاف وكذلك كتب تريفير الى زوجته قائلاً : لقد تحدثت سابقاً مع هملتون عن الطريق الصحيح الذي يجب اتباعه لادارة المتحف وقد سمح لي أن أزور ذلك المتحف لاجمع بعض المواد التي كانت متروكة ومبعثرة هناك .

(٨٠) وفي ١٧ شباط قبل عودتي من بغداد بيومين تكلم تريفير مع المطران عن قانون العاديات والآثار ثم قام المطران باعداد خطة لزيارة الكهف مؤكداً لتريفير بأنه سيتعاون مع المدرسة الاميركية ومع دائرة الآثار في اجراء الحفريات اللازمة في الكهف .

وجاء في مذكراتي عن زيارة المطران وراهبه سومي الى المدرسة يوم الاثنين ٨/٣/١٩٤٨ ثم قمت بعدها بنقلها بسيارة المدرسة حتى أوصلتها الى ميدان النبي من باب الخليل ... وفي مذكراتي أيضاً أن ثلاث أو أربع سيارات قد سرقت في رابعة النهار ولذلك لم تكن لنا رغبة في اخراج سياراتنا الا في الاحوال الاضطرارية والمجاملات والمناسبات .

(٨١) وبعد ثلاثة أيام نسفت عمارة الوكالة اليهودية بانفجار قيل انه تفجر من سيارة القنصلية الاميركية التي سخرها عربي لنسف تلك العمارة . وقد ورد الكثير في مذكراتي عن اطلاق النار في القدس وفي جهات اخرى من



نموذج من المخطوطات

البلاد في تلك الاسابيع . مع ما رافق ذلك من اشاعات كانت احداها تقول انه في يوم ١٥/٣/١٩٤٨ وضعت مواد سامة في مصدر المياه وسببت تسمماً لمتعهد مدرستنا . وفي نفس الوقت تلقى تريفير جواباً من البروفسور اولبرايت مبدياً رأيه في عمر هذه المخطوطات ومعلناً أن اكتشافها يعتبر من أعظم الاكتشافات في عصورنا الحديثة .

(٨٢) في ٨/٣/١٩٤٨ زارني المطران في المدرسة وحضر الاجتماع تريفير وبجئنا أموراً كثيرة تتعلق بالمخطوطات واعربت له عن اعتقادي بأن مخطوط اشعيا كان أقدم مخطوط من بين أسفار التوراة . فأعجبه هذا الرأي وقدمت له نبذة كنت قد حضرتها للصحافة لآخذ موافقته على نشرها .

علمت في ذلك الوقت ان المخطوطات كانت قد اكتشفت في كهف قرب البحر الميت وشعرت بأن زيارة الكهف وامكانية العثور على أية بقايا في الجرار التي وضعت فيها المخطوطات ستساعدني على تحديد عمر المخطوطات . لذلك تناول بجئنا امكانية زيارة الكهف كما تناول ايضاً وسائل نشر المخطوطات عن طريق المدرسة الاميركية . وورد في مذكراتي يوم ١٩/٣/١٩٤٨ ان تريفير قابل المطران مرة ثانية وعلم بأن الدكتور مجنس كان شديد الاهتمام بالمخطوطات وقد علمت سابقاً ان هنالك مخطوطات أخرى قد اكتشفت غير تلك التي ابتاعها المطران .

(٨٣) في صباح العشرين من آذار ذهبنا مع حارس أحضره صديقي مخلص الى الحرم حيث سنلتقي برجل يسكن بجوار النبي موسى وعد أن يقودنا الى الكهف . ولسوء الحظ فان هذا الرجل لم يحضر في اليوم المعين عندما علم ان فرق اليهود تقوم بتمريناتها العسكرية شمالي غربي البحر الميت . وعبثاً حاولنا أن نجد غيره . وحتى ولو استطعنا الوصول الى المنطقة وحدنا فن يهديننا الى الكهف ذاته .

(٨٤) في ٢٥ آذار أخبر المطران الدكتور تريفير ان سومي خرج من فلسطين بالمخطوطات . وكنت قد أبدت مخاوفي من بقائها في الدير في المدينة القديمة . وكان تريفير قد ألمح الى وجوب ارسالها الى دير سرياني في وادي

الاردن لتكون في مأمن . وقد تحققت مخاوفنا عندما اصابته قنبلة دير مار مرقص أدت الى قتل بطرس صومي نفسه بعد اسابيع قليلة . وكان اخراج المخطوطات من البلاد الى سوريا دون تصريح من دائرة الآثار الاردنية عملاً غير شرعي وقد قام به المطران بالرغم من أننا لفتنا نظره اليه .

(٨٥) منذ آذار سنة ١٩٤٨ لم يبق في البلاد حكومة قائمة . ومع ذلك استمرت دائرة الآثار تقوم بواجباتها بقدر المستطاع وكانت مهمتها المحافظة على كنوزها من الاخطار المحدقة بها . ولم يكن أحد يعرف ماذا يجري القدر في طياته لمدينة القدس وهذه المخطوطات . ومع ذلك استمررتنا نضع الخطط لعودتنا الى الوطن بعد ان تأكد لدينا ان الاحوال اخذت تسير من سيء الى أسوأ وفقدت كل وسائل النقل والاتصال والبنوك والخدمات الاخرى . وفي ٢٧ آذار عقدنا آخر حلقة أكملنا فيها دراسة شرح حقوق . وكان اليوم التالي - احد الفصح - أظلم يوم يمكن ان انصوره بعد ان باء بالفشل كل المحاولات لايحاد هدنة .

(٨٦) سافر براونلي الى اميركا في ٣٠ آذار وغادرت انا وزوجتي مدينة القدس في الثاني من نيسان ولكننا لم نستطع السفر من حيفا الا بعد اسبوعين . وبعد مداوات قام بها تريفير مع المطران صموئيل أخذ الطائرة من اللد الى بيروت في الثالث من نيسان . وفي الحادي عشر من نيسان وبينما كنت وزوجتي لا نزال في حيفا ننتظر بفارغ الصبر وصول باخترتنا نشرت صحف اميركا مقالاً لي كنت قد ارسلته من القدس . ولسوء الحظ ظهرت فيه غلطة غير مقصودة - فبدلاً من قولي كانت المخطوطات في حيازة دير مار مرقص للسريان - وضعت عبارة « كانت المخطوطات محفوظة منذ عدة قرون في مكتبة دير مار مرقص للسريان في القدس » . ولا ادري من الذي حرفها . وعندما قرأ سكنيك هذه النشرة بادر بالتصحيح ذاكر أن المخطوطات وجدت في كهف قرب البحر الميت في العام الماضي . وعندما وقفت سفينتنا في ٢٨ نيسان سنة ١٩٤٨ ، في ميناء جنوى قرأت لأول مرة في مجلة روما

ديلي اميركان خبراً مفاده ان الاكتشافات كانت تضم مخطوطات أخرى غير التي اشتراها المطران .

(٨٧) وفي رحلتي المريحة عائداً الى بلادي في باخرة نرويجية توفر لي الوقت الكافي لمقارنة سفر اشعيا برمته مع النص العبري المسور^(١) (Masoretic) وقد احضرت معي ايضاً مجموعة من الصور التي اخذها تريفر ونسخة من العهد القديم في العبرية . وكانت هذه المقارنة اساساً للمقالات والموضوعات التي نشرت في السنوات التي تلت الاكتشاف . وكان نشر نبذات بسيطة عن هذه المخطوطات ذا اثر بالغ فقد قام الاصدقاء الاميركان في الجامعة العبرية باصدار نشرة اخبارية خاصة بتاريخ ١٩ تموز كما ان معلومات اخرى ظهرت في نشرة تشرين الثاني . وكذلك حمل عدد ايلول من مجلة آثار الكتاب المقدس مقالاً كتبه تريفر عن اكتشاف هذه المخطوطات ومقالاً آخر كتبه انا عن محتوياتها واهميتها . وفي نفس الشهر شاهدنا نشرة سكتيك عن المجلد الاول من المخطوطات بعنوان « المخطوطات المخفية » اورد فيها قصة حصوله على المخطوطات التي اصبحت في حيازته مع خلاصة عن محتوياتها ، يضاف الى ذلك نبذة مختارة مع بعض المطالعات حولها وبعض الصور الممتازة . كما نشر نص الاصحاحين ٤٢ و ٤٣ من سفر اشعيا اللذين كانا قد نقلهما عندما اطلع على المخطوطات التي كانت في حيازة المطران وقد ادخلت في هذا المجلد الى جانب النص العبري المسور .

(٨٨) وكانت نشرة تشرين الاول الاخبارية التي اصدرتها المدرسة الاميركية تحتوي على مقال كتبه تريفر بعنوان « مطالعات أولية على مخطوطات القدس » كما ضمت الجزء الاول من مقال كتبه انا عن القراءات

(١) دعا بعض الثوار المتطرفين الى الثورة الاولى على حكم الرومان واخذوا يقرؤون على الجمهور أسفاراً تحضهم على الثورة . ولما سمعها أحبار اليهود المحافظون على دينهم وجدوها مدسوسة وانكروها وهبوا يحاربونها . كما أحاطوا الاسفار الصحيحة بالاسوار المغنوية . ومن هنا جاءت تسميتها بالسورة ، أي النص الرسمي المعتمد لدى اليهود المحافظين ، واستمرت عملية تسوير اسفار العهد القديم حتى القرن التاسع بعد الميلاد ، وكان آخرها في مدينة طبرية .

المختلفة لسفر اشعيا . وكان في عددي كانون اول وشباط ترجمه للتعليق على سفر حبقوق كتبه الدكتور براونلي . ومقال آخر كتبه جنس بيرغ (Gensburg) عن مخطوطات سكينيك . والجزء الباقي عن قراءات اشعيا المختلفة ومقال عن المخطوط القديمة بهذه المخطوطات كتبه تريفير ومقال عن تاريخ مخطوطة اشعيا كتبه سلمون بيرنبوم (Solomon Birnbaum) وكان الباحثون المعنيون قد جمعوا بعض المعلومات الكافية عن طبيعة المخطوطات ومحتوياتها بعد عام من وجودها .

(٨٩) وفي الاجتماعات التي عقدتها جمعية الكتاب المقدس والمدارس الاميركية للابحاث الشرقية في نيويورك عام ١٩٤٨ قدم براونلي بحثين عن شروحات وتعليقات على سفر حبقوق وكان يتوقع ظهور بعض الآراء والمطالعات التي نشرها علماء آخرون فيما بعد .

(٩٠) ويحذر بنا قبل ان نتطرق الى بحث هذه القصة الطريفة ان نستعرض محتويات هذه المخطوطات وحقائقها :

- ١ - كتاب العهد القديم للنبي اشعيا وهو يشتمل على اكبر واقدم مخطوط - بما في ذلك ايضاً الجزء الموجود لدى الجامعة العبرية .
- ٢ - تفسير سفر حبقوق والتعليق عليه .
- ٣ - كتاب النظام في ملفين .
- ٤ - المخطوط الآرامي الذي عرف مبدئياً بمخطوط «لامك» والذي لا يزال مغلقاً^(١) .
- ٥ - حرب أبناء النور مع أبناء الظلام .
- ٦ - مزامير التسابيح والشكران الموجودة في القطع الاربع المتفرقة التي اشتراها سكينيك . وهناك قطع اخرى غيرها من اسفار اخرى

(١) فتح في آخر سنة ١٩٥٥ .

وجدت فيما بعد لدى اجراء تحريات مجسدة في الكهف الاول وفي الكهوف الاخرى المجاورة ، مع مخطوطات اخرى اشترت من البدو الذين وجدوها . ولم يكتشف اي نص منذ سنة ١٩٤٧ يعادل في اهميته المخطوطات الاولى التي اكتشفها البدو في الكهف الاول في المرة الاولى .

الأول مخطوط أشعيا

(٩١) ان مخطوط أشعيا الذي كان في دير السريان مكتوب على جلد خيوط قطعه بسبور من الجلد أيضاً وعند فتحه كان طوله قدماً واحداً في العرض واربعاً وعشرين قدماً في الطول وكان محفوظاً بشكل تام رغم اهترائه من جراء كثرة الاستعمال . وكثيراً ما كانت تصلح الاقسام المعزقة في امكنة كثيرة اما بتخييطها بعناية فائقة واما بالصاق سيور جلدية على ظهر المخطوط . ويبدو النص العبري - الذي كتب في اربعة وخمسين عموداً - واضحاً في معظم اجزائه ولكنه يخلو من التبويب المألوف لدينا اي لم تذكر فيه الاصحاحات والاعداد ، ولكنه مقسم الى اجزاء وفقرات ، يدل على ذلك الابتداء بسطر جديد بالهامش عندما يكون السطر السابق غير مكتمل ، او بفراغ يترك عند الهامش عندما يكون السطر السابق مكتملاً . واحياناً يترك فراغ واسع بين السطور واحياناً تكون الاجزاء الكبيرة دلالة على اصحاحاتها واحياناً لا تدل عليها . ففي بعض الاحيان تتوفر الفراغات بين الجمل لتدل على اجزاء يمكن ان تكون بمثابة لتقسيم الاصحاح الى اعداد . وهناك اسلوب غريب عجيب عن العلامات في الهامش فتكون احياناً خطاً افقياً قصيراً ينتهي احياناً بمقفلة تشبه الصنارة ، ليدل على بداية او نهاية النص . واحياناً تظهر ارقام منظمة لا يزال معناها غامضاً . والفرض من جميع هذه العلامات لا يزال موضع حدس وتخمين ويمكن ان تكون لها علاقة بمختارات معينة وتلاوات خاصة للتدريس في الاجتماعات او الوعظ او القراءات في تقديم العبادات .

وان الاجزاء الواقعة بين علامتين متتاليتين - على قصرها - تدل على اهميتها في نظر الذين كانوا يستعملون هذا المخطوط .

(٩٢) كتب النص العبري بالخط المربع او الحروف الآرامية وهي نفس الحروف التي لا تزال تستعمل في الطباعة العبرية التي تقدمت في الآونة الاخيرة . وان اشكال الاحرف التي استعملت في مخطوط اشعيا وغيره من مخطوطات البحر الميت لتشبه احرف المخطوطات الفلسطينية التي تعود الى القرن الاخير قبل ولادة المسيح كما ان الاحرف المختلفة واضحة في شكلها تماماً لدرجة انه لا يمكن ان يحصل اي التباس بين حرف وآخر كما يحدث عادة في المخطوطات القديمة الاخرى .

وعلى خلاف المخطوطات القصيرة فان هذا المخطوط كامل حتى انه يعطي امثلة كثيرة وعظيمة عن كل حرف من حروف الاليجدية بحيث تتاح المقارنة التي تظهر التعبيرات الكثيرة في الاحرف واحياناً تمكننا ، من ان ندرك كيف كان الكتبة يكتبون الحروف وسنبحث هذه التفصيلات واهميتها عندما نأتي الى موضوع هذه المخطوط .

ان النص بمحد ذاته يشبه سفر اشعيا المؤلف لدينا مع بعض الاختلافات الهامة وسأاتي الى بحث الخلافات والمشابهات مع النص الشائع فيما بعد عندما نحاول تقدير اهمية هذا المخطوط من حيث النصوص .

يبدو بوضوح ان النص كان قد فحص وصحح بدليل وجود كلمات كثيرة كانت قد كتبت خطأ ثم حذفت وادخلت التصحيحات عليها كما أن التصحيحة بالحرف او الكلمة واحدة اجريت بوضوح بخط الكاتب نفسه وبعضها اصلحته ايد اخرى . وكذلك الاحرف والكلمات المحرومة التي كتبها الناقل كانت تدخل فوق السطر غالباً . ولما كان لا يوجد متسع بين السطور لجميع المحرومات كانت تجرى الادخالات في الهامش من الجهة

اليسرى بشكل عمودي . وهناك ادلة واضحة في نقاط كثيرة تشير الى ان الكاتب الناقل قد ترك فراغاً لشيء كان ناقصاً او غير واضح في المخطوط الذي كان يكتبه . وان الاجزاء المحرومة من النص كانت تنقل عادة من مخطوط الى آخر فيما بعد .

ليس مخطوط اشعيا الذي وضعه البروفسور سكينيك في الجامعة العبرية ، نسخة كاملة عن المخطوط الاول . وقد مضى بعض الوقت قبل ان تعرف محتوياته حتى تم اكتشاف المخطوطات الاخرى وشراؤها لان هذا المخطوط كان مضبوطاً بشدة ، مما دعا الى تأجيل فتحه حتى تم فتح المخطوطات الاخرى وحتى عرفت طرق احسن وادق للقيام بعملية الفتح . وعندما تم ذلك ظهر ان هذا المخطوط هو قطعة كبيرة وقطع اخرى صغيرة . وقد كانت مواد مهترئة لدرجة جعلت القراءة في امكنة كثيرة متمذرة الا بواسطة التصوير والاشعة الحمراء . ولقد اتضح اخيراً ان القطعة الكبيرة هي الثلث الاخير من سفر اشعيا من الاصحاح ٢٨ الى نهايته مع وجود بعض الثغرات . اما القطع الصغيرة فكانت تحتوي على اقسام من الاصحاحات ١٣ و ١٩ - ٣٠ ومن ٣٥ - ٤٠ ويبدو ان المخطوط كان بحالة اهتراء عندما وضع في الكهف وان نص هذا المخطوط (خلافاً لنص مخطوط اشعيا الموجود في دير السريان) يتفق كثيراً مع نص مسور لمخطوطة حديثة العهد . وهذه حقيقة هامة من حيث تقدير قيمة كلا المخطوطين واهميتها ومن حيث الناحية التاريخية لنص كتاب العهد القديم .

(٩٣) والخلاصة ان بين ايدينا نسخة كاملة من سفر اشعيا كتبت قبل المسيح بمئة سنة ميلادية تعد اقدم نسخة لسفر من اسفار التوراة بين ايدينا الآن . وقد اثبت صحة هذا التاريخ التجربة العملية لكربون ١٤ التي اثبتت ان الكتان الذي لفت فيه هذه الرقوق اخذ من نبات نما في عهد المسيح وان الاواني الخزفية التي وضعت فيها يعود صنعها الى سنة ١٠٠ ق.م - ٧٠ م. يضاف الى ذلك النقود التي وجدت بجانبها ايضاً .

ويظهر أن هذه الرقوق الجلدية كانت محفوظة عند اصحابها قبل أن تؤخذ وتلف بالكتان وتحفظ في الجرار حتى يوم اكتشافها . يدل على ذلك أماكن ممزقة فيها قام اصحابها بلصقها . وكانت الجذاذات كلها خيطة من جانب تهتك من جانب آخر .

يرى سكينيك ان سفر اشعيا الذي اكتشف في الكهف الاول يخالف السفر المألوف . كما يرى انه وضع في هذه الجنيزة لستره ودفنه وابطال العمل به .

ويتطرق الدكتور الميدكو عندما يعتبر لغائف الكتان أكفأاً لهذه المخطوطات .

الثاني شرح حبقوق

(٩٤) ان الملف الذي كتب عليه سفر حبقوق صغير نسبياً ، أوله مفقود ولكن يظهر ان القسم المفقود ليس اكثر من عمود واحد . والباقي كامل تقريباً ما عدا نهاية الاعمدة التي تأكلت واهترأت . وهناك ثقب في بعض الاعمدة . وقد بلغ طول المخطوط بعد فتحه خمسة أقدام وكان يجب ان يكون اطول من ذلك بست او سبع بوصات وفي الوقت الحاضر يبلغ عرض نقطة فيه خمس بوصات ونصف فقط - على حين ان عرضه الاصلي مقدر بسبع بوصات . كما ان النص اكثر وضوحاً واجمل كتابة واشد حفظاً من مخطوط اشعيا الاول ، وان صنع المخطوط يدل على انه كتب في عهد احدث وان الايدي لم تتناقله بكثرة كما تناقلت المخطوط الاول قبل ان وضع في الكهف . وان هذا النص الصغير العجيب يعتبر من بعض النواحي اكثر اهمية واشمل فائدة من كافة المخطوطات التي اكتشفت - من حيث التعرف على الجماعة التي اوجدتها وعلى تاريخها - وهي تشير الى اشخاص معينين وحوادث

معينة بشكل رائع ومدهش . وسنعود الى هذه الاشارات لبحثها فيما بعد من ناحية صحتها وزمن كتابتها وتاريخ الاقوام الذين امتلكوها وتداولوها . وهنا يكفي وصف شامل لاعطاء فكرة عن طبيعتها ومحتوياتها .

يبتدىء العمود الاول التام الحفظ بكلمات من العدد الثاني من الاصحاح الاول من حبقوق ولم تبقى الا كلمات قليلة في نهايات الاسطر من هذا العمود . واما تلك التي في اسفل العمود فهي من العدد الرابع من نفس الاصحاح . اما العمود الثاني فمحفوظ بصورة افضل مع فراغ او فسحة عريضة من اعلاه الى اسفله في منتصف السطور وان كلماته الاولى مأخوذة من العدد الخامس من حبقوق الاول .

الطريقة التي اتبعت في هذا المخطوط هي ايراد لنص حبقوق بعبارات قصيرة وتلي كل عبارة تفسيرات وشروح عن تاريخ القوم الذين ظهرت فيهم النبوة . مثال ذلك ما جاء في الاصحاح الاول العدد السادس من حبقوق (فهانذا اقيم الكلدانيين - الامة القاسية القاسمة) وقد فسر هذا القول بما يلي : ان هذا يعني الكتيمة الذين هم شجعان وسريعون في الحروب ولكن من هم الكتيمة يا ترى ؟ ان هذا السؤال هام من حيث تعيين الزمن الذي كتب فيه هذا التفسير . ويجب ان ننظر الى هذا الموضوع من هذه الزاوية فقد قيل وكتب الكثير عن الكتيمة في التعليقات والتفاسير على الاعداد التي تلت ذلك . ولكن ليس هنالك اي دليل قاطع لمعرفةهم واظهار حقيقتهم لان الذين كتب لهم أولاً كانوا يعرفون حقيقة ما فيه - اي أنه لم يكن غامضاً عليهم حتى يخطئوا في تفسيره .

وهناك اشارات وتلميحات اخرى اكثر غرابة ولا تعود الى امم او جماعات معينة وانما تعود لاشخاص وافراد - فان القسم الثاني من العدد الثالث عشر من حبقوق الاصحاح الاول يذكر ما يلي (فلماذا ننظر الى قلبي الايمان ونصمت حين يبلغ الشرير من هو أبر منه) ويكون التعليق كما

يلي (وهذا يعني ان بيت ابشالوم ورجال حزبه الذين سكتوا على الجور الذي اصاب معلم الحق Teacher of Righteousness ولم يساعدوه ضد الرجل الشرير الكاذب الذي خرج على القانون في وسط مجتمعههم . فاذا كنا نستطيع ان نعرف من هو بيت ابشالوم ومن هو معلم الحق ومن كان رجل الكيد والشر وما هي الحادثة التي اشير اليها - فاذا عرفنا ذلك فاننا نستطيع ان نعرف بعض الشيء عن تاريخ تلك الطائفة الدينية التي كذب عنها هذا التفسير . وهناك نظريات طريفة ولكننا لا نستطيع ان ننسب واحدة منها قبل ان نمتحن كل واحدة ونفحصها ونقارنها مع الاخرى بعناية ودقة .

(٩٥) وعلى كل حال فان معلم الحق عبارة تدل على رئيس الجماعة او مؤسسها - الذي كان على حد زعم اتباعه يملك القدرة على تفسير النبوات وكان في الواقع يفسر ما كان غامضاً حتى على الانبياء انفسهم . وقد كان يقارمه ويضطهده بعنف رجل عرف في التفسير بلقب « الكاهن الشرير » وقد بلغ الاضطهاد غايته في حادث جرى يوم عيد الغفران . وليس هنالك بين جميع مخطوطات البحر الميت مقطوعة واحدة اثارت ابحاث الناس وجدلهم اكثر منها . وهي مع اشارات اخرى مبهمه وغامضة لاشخاص وحوادث معينة تعلمنا الكثير عن اصل القوم وتاريخهم الغابر . وسيماد النظر فيما بعد بكل هذه الامور . ولكن ما قيل حتى الآن يمكن أن يعتبر كافياً لاعطاء فكرة عامة واولية عن طبيعة هذا المخطوط باعتباره وثيقة تاريخية .

ملأ النبي حبقوق سفره بالفواجع التي ستحل بالجيل الاخير الذي يشهد نهاية العالم . وجاء بعده من فسر هذا السفر وشرحه وعلق عليه . ولقد وجدت في الكهف الاول نسخة سليمة مقروءة من هذا الشرح حاول فيها الشارح ان يطبق نبوات حبقوق على الحوادث التي ظهرت في عصره (عصر الشارح) مثال ذلك : ان الله سوف يسوق محاربين اجانب يغزون البلاد ويدمرونها وهم شعب الكتييم .

ولا يدري احد من هم الكتيم - أهم المكدونيون ام الرومان ؟ لا يعلم ذلك احد سوى معلم الحق الذي اطلعه الله على الخفايا والمغيبات التي وردت في اسفار عبيده الانبياء .

الثالث كتاب النظام

(٩٦) أما كتاب النظام فقد جاء في قطعتين مستقلتين لفت كل منهما على حدة عند احضاره الى المدرسة الاميركية وان الشقوق الكثيرة والتمزيقات المتعددة في الجلد السريع العطب والسهل الانكسار تدل على ان هذا الكتاب كان قد فتح كثيراً في الماضي بحيث لا نستطيع ان نعرف متى حصل انفصال القطعتين . هل تمت قديماً او قام بها البدو الذين احضروها . ومهما يكن من امر فانها جزءان متكاملان كانا في الاصل مخطوطاً واحداً صنع من خمس شرائح جلدية خيط بعضها ببعض حتى بلغ طولها اكثر من ستة أقدام . ولقد فقدت بدايته بحيث يجب ان يكون الطول الكامل سبعة أقدام على الاقل والعرض حوالي ٩٥ بوصة تقريباً .

إن الجلد الذي صنع منه هذان المخطوطان خشن الالياف وأكثر بياضاً من المخطوطات الاخرى التي اشتراها المطران وبدل شكله على أنه لم يتأكل ولم يتعرض لاستعمال كثير كباقي المخطوطات الاخرى التي تعرضت لعبث قاس مع مرور الزمن وقد أكل النمل الابيض (الارضه) الحافات العليا والسفلى . ومن حسن الحظ أنه لم يتعمق كثيراً في القسم العلوي بحيث لم يصل الى الكتابة ، باستثناء العمود الأول الذي فقد شيئاً من السطرين الاولين كما اكلت بعض الاجزاء من السطور الثلاثة السفلى وما عدا العمود الاخير الذي نقص ثلثاه لإكمال الوثيقة .

إن تسمية كتاب «النظام» لم ترد في النص نفسه إنما تبادرت الى خاطري عندما قرأت النص في القدس في شهر آذار عام ١٩٤٨ وعندما اطلعت على مجموعة التوجيهات والطقوس الدينية والانظمة والقوانين المتبعة في اجتماعات

الجمعية والسلوك الشخصي للاعضاء . عندئذ تذكرت نظام العمل الخاص في كنيسة الانجيليين ولو أنني لست من تلك الكنيسة ولا أذكر انني اطلمت على كتاب نظام العمل فيها . وبما أن المخطوط لم يمثل معتقدات اليهود الربانية فقد جاء خاصاً بطائفة منهم ، فكان بمحنتنا عنهم كوثيقة خاصة بجماعة معينة . لكن هذه التسمية لم تكن مرضية تماماً . وفي نشرتنا الاخبارية التي اصدرناها بتاريخ ١١/٤/١٩٤٨ سميتها كتاب « النظام » لطائفة غامضة قد تكون طائفة الاسينيين . وفي نشرة « علم اثار الكتاب المقدس » التي صدرت في ايلول ١٩٤٨ قلت عنه انه مخطوط عجيب سادعوه مؤقناً الوثيقة الطائفية وأضفت الى ذلك قولي بأن النص الذي اسميته الوثيقة الطائفية يمكن وصفه بأنه كتاب « نظام العمل » لطائفة معينة من اليهود . وقد ختمت مقالي بعد أن تلخصت محتويات النص بقولي (ويبدو أن هذا يؤيد من جديد الزعم بأن هذا النص هو كتاب « النظام » لطائفة منظمة على غرار أنظمة الرهبان الناسكين الذين ظهروا في المسيحية) .

وقد اقترح سكينيك بناءاً على رغبة هنوخ يلين Henoch Yalen اطلاق الاسم العبري عليها وهو « مريك هايا عاد » - أي نظام الجماعة - وهذا العنوان وصف واقعي ، عدا انه استعمل المادتين البارزتين في هذه الوثيقة وسيكون هذا العنوان لاجاث المختصين في اللغات المختلفة افضل من الاسم الذي أطلقته عليها ولكن استعمالي اصبح شائعاً لدى جميع من كتب عن المخطوطات .

العنوان الأصلي - اذا كان هناك عنوان - مفقود لان مطلع المخطوط قد تضرر ونزع مثلاً حدث لمطلع تفسير حقوق قبل أن يصل الى حيازة المطران وليس هنالك لسوء الحظ أي دليل على عدد الاعمدة المفقودة . وقد كان بين القطع التي اشتراها المتحف الفلسطيني من بعض تجار العاديات عمودان كاملان من هذا المخطوط . كما أن هناك بعض القطع الصغيرة التي كانت مكتوبة بحرف اكبر مما يدل على أنها كانت جزءاً من العنوان ولكنها كانت غير كافية للثبوت من ذلك العنوان .

إن مطلع العمودين اللذين اشتراهما المنحف الفلسطيني يبدأ بمعبارة تشير الى عدة أجزاء من الكتاب ولكنها لا تشير بوضوح الى بداية الكتاب الكاملة . وقد لحق ضرر بالغ بنهاية العمود الثاني لا يسهل علينا أن نجزم فيما اذا كانت محتوياته تسبق أو تلحق مباشرة محتويات ما يعرف الآن بالعمود الأول من المخطوط . كما ان الاب بارثلمي Barthelemy يعتقد ان هذين العمودين لا يمتان بأية صلة الى كتاب النظام . لكنها يحتويان على وثيقة خاصة نسخت على بداية المخطوط . ويجب أن يكون هنالك عمود آخر أو اعمدة اكثر تسبق بداية المخطوط الحالي . وتنتهي الوثيقة بزمور فيه كل معاني التضحية وحب المساعدة .

الرابع سفر لامك

(٩٨) أما مخطوط لامك فانه مضغوط ومتناسك وهش اوشك على التكسر وقد تصلب الجلد في بعض الامكنة حتى اصبح يشبه نوعاً من الغراء الطبيعي . وهنالك قطع صغيرة وعمود كامل قد سلخت عن المخطوط منذ اكتشافه ، ولكن العناية القصوى والخبرة الدقيقة في فتح المخطوطات هي وحدها تستطيع أن تنقذ أي جزء من النص مهما كان كبيراً اذا توفرت هذه الاساليب . وقد بذلت المدرسة الاميركية جهوداً غير موفقة في هذا السبيل سنأتي على ذكرها في فصل آخر .

سمع لامك أباه اخنوخ ينذر ابناء زمانه باقتراب يوم الدين ونهاية العالم . فتأثر لامك بذلك وایقن ان الله سيهلك العالم الفاجر ویأتي بخلق جديد ، وقد سجل كل هذه النذر والتحذير في سفره الذي فتح في الجزء المغتصب من فلسطين ١٩٥٥ .

وفي ثاني سنة نشر اثنان من علماء اليهود دراسته ، فقالا : ان هذا النص يضم آيات من سفر التكوين أعيدت كتابتها باللغة الآرامية التي كانت اليهود يتكلمونها عند ظهور المسيح .

ولذلك فانها تقدم مساعدة قيمة في فهم كلمات غامضة في الاناجيل منسوبة الى السيد المسيح .

الخامس حرب ابناء النور على ابناء الظلام

(٩٩) أما مخطوط «حرب ابناء النور على ابناء الظلام» فيظهر انه لا مثيل له من حيث المحافظة عليه ما عدا اطرافه السفلى التي تكلفت بشكل سيء . وعندما فتح الملف كان طوله اكثر من تسعة اقدام وعرضه اكثر من ست بوصات ويتألف من شرائح جلدية ، وكان عندما اشتراه سكينيك لا يزال ملفوفاً بقطعة من الجلد ، وكانت اغطية بعض المخطوطات الاصلية مخرطة على وجه الاعمدة الخارجي ، ويظهر ذلك بخط من ثقوب الابر في نهايتها الخارجية عندما طوي والقي . ويمتاز هذا المخطوط بأنه لا يزال يحتفظ بسجله الخارجي .

في النص تسعة عشر عموداً جاء فيها تعليمات لادارة الحرب بين اسباط لاوي ويهوذا وبنيامين ، المدعويين بأبناء النور ، وبين الادوميين والمؤابيين والعمونيين والفلسطينيين والاغريق المدعويين بأبناء الظلام ولا يستطيع المرء أن يعطي جواباً واضحاً عما اذا كانت هذه الحروب المنوه عنها وشبكة الوقوع في اصطدام فعلي أو انها شنت عندما كتبت هذه الوثيقة أو كانت حرباً دينية روحية في سبيل الآخرة كما تنبأ عنها سفر حزقيال وكما جاءت في رؤيا يوحنا اللاهوتي .

السادس المزامير

(١٠٠) أما مزامير الشكران والتسبيح والهداية (Hodayot) فكانت عندما اشتراها سكينيك مؤلفة من اربع قطع ، ثلاث منها في رزمة واحدة والرابعة كانت احد المخطوطين اللذين لم يقدر سكينيك على فتحهما مدة من الزمن . وتشمل القطع الاربع اثني عشر عموداً طول كل عمود منها ١٣ بوصة وفي العمود الواحد تسعة وثلاثون سطراً وهذه الاعمدة اطول بقليل من الاعمدة التي وجدت في مخطوط اشعيا واكثر سطوراً .

كانت المزامير التي بلغت عشرين مزموراً تشبه الى حد ما مزامير العهد القديم ، وكانت ترديداً لصدى لغة التوراة ، والانسان يجد فيها لذة لأنها تدل على ان ممارسة نظم الاناشيد وتآليف الترانيم والمدايح كانت لا تزال قائمة حية ولو انها لم تكن من ذات القوة الشعرية والابداع والاصالة التي هي في مزامير العهد القديم ، ومع ذلك فانها تعادل الترانيم التي ننشدها في كنائسنا . وعلى

كل تصح المقارنة بينها وبين مزامير سليمان أو الاناشيد الواردة في الاصحاحين الاولين من انجيل لوقا . كما نجد بعض اجزاء النص غامضة للآن نظراً لجهلنا الحوادث والظروف التي كانت تشير اليها تلك الترانيم بين الآونة والأخرى .

قطع أخرى

يضاف الى هذه المخطوطات الكاملة نسبياً مخطوطات أخرى كانت قد بيعت الى المطران والبروفسور سكينيك وقطع صغيرة أخرى ظهرت فيما بعد في الكهف وبين ابدي البدو وتجار العاديات لذلك يتحتم علينا ايضاح محتوياتها ومدى اختلافها بصورة موجزة .

(١٠١) وبين القطع الصغيرة التي حصل عليها المطران عن طريق الحفريات غير المشروعة ثلاث قطع صغيرة من سفر دانيال ، اثنتان منها تحتويان على النص الآرامي لسفر دانيال والاصحاح الثالث عدد ٢٣ - ٣٠ جاءت من مخطوط واحد وكتبت بخط يشابه مخطوط اشعيا الموجود في دير السريان . اما الثالثة فتحتوي على اجزاء من العمودين المتجاورين وهي من مخطوط حديث العهد يشبه خطه شرح حبقوق . وان الجزء القاسم من العمود من جهة اليمين يحتوي على اجزاء من دانيال من الاصحاح الأول عدد ١٠ - ١٧ كما ان الجزء الذي من الجهة اليسرى يحتوي على جزء من دانيال الاصحاح الثاني عدد ٢ - ٦ و يبلغ قياسها الأولى ٤×٥ر٥ والثانية ٥×٢ر٥ والثالثة ٥×٣ بالبوصات . وان طلاب لغة الكتاب المقدس ونصوصه مهتمون بالنقطة التي بها تتحول اللغة من العبرية الى الآرامية في سفر دانيال ٢ - ٤ الواردة في العمود الذي الى الجهة اليسرى من القطعة الثالثة ويظهر التحول في اللغة هنا كما يظهر في المخطوطات الأخرى التي تلت . ولهذه النقطة أهميتها من حيث ان هذه الكتابات يمكن أن تكون أقرب في تاريخها الى زمن تأليف سفر دانيال الأصلي أكثر مما هي الحال في أي مخطوط آخر من اسفار التوراة .

كندو

(١٠٢) قال كندو : في عام ١٩٤٧ جاءني بعض الاشخاص من البدو وعرضوا علي شراء بعض المخطوطات التي وجدوها صدفة أثناء بحثهم عن عذرة

مفقودة في احدى مغاير قران . فاشتريتها منهم بمبلغ ٢٤ ديناراً للمخطوطة الواحدة . واخذت تلك المخطوطات وعرضتها على عدة مراكز علمية كالمدرسة الاميركية للابحاث الشرقية بالقدس التي اكتفت بأخذ صورة ونشر خبر موجز في نشرتها المدرسية . أما بقية المخطوطات فقد حصلت عليها بنفسى من البدو وعرضتها فيما بعد على سيادة مطران طائفة السريان اثناسيوس صموئيل الذي اخذها مني ليتأكد فيما اذا كانت نسخاً اصلية ويعرف مدى اهميتها وما حقيقتها . ولقد حملها الى الولايات المتحدة ، حيث تبين بعد مدة لا تتجاوز الستة اشهر أن لهذه المخطوطات اهمية تاريخية كبرى وانها تساوي ملايين الدولارات عندما تبين انها المخطوطات الاصلية التي يرجع تاريخها الى ١٥٠ سنة ق.م .

بعد ان اخذ المطران ما كان عندي من المخطوطات ، بقي قسم بسيط بعته الى متحف الآثار الفلسطيني بمبلغ كبير . وكان البدو على اثر انتشار هذه الاخبار قد تشجعوا وراحوا ينقبون عن الآثار فوجدوا الوصايا العشر ومزامير داود بأكملها وبجالة جيدة . وقد اكتشف فيما بعد أن المزامير تزيد مزموراً واحداً عن المئة وخمسين المعروفة حتى الآن في جميع نسخ التوراة .



كندو ينتظر تقرير خبراء الآثار
لقيمة هذا المخطوط الذي يعرضه عليهم

الفصل الرابع

مناقشات

(١٠٣) إن السؤال الذي يتبادر الى الذهن عندما يسمع المرء لأول وهلة اكتشافاً غير عادي كإكتشاف مخطوطات البحر الميت هو: هل هي أصيلة وغير مزيفة ؟ ... ذلك لأن تزييف الاثریات مهنة ازدهرت في البلاد التي عمل فيها علماء الآثار على إكتشاف تماثيل وعملة ومخطوطات وأشياء أخرى تتلاقفها المتاحف وهوادة جمع الآثار . ولم تكن مهنة تزييف المخطوطات مجهولة في فلسطين ولو انها لم تكن على مقياس واسع بسبب أن الحفريات في فلسطين لا يخرج منها أشياء كثيرة وقيمة يمكن أن تستحق التقليد^(١) .

(١) وقد أورد المقتطف الصادر في يوليو سنة ١٩٠٣ خبراً عن تزييف نوع من المخطوطات كما يلي : اشترى تاجر الآثار اليهودي شابيرا في القدس سنة ١٨٧٨ م نسخة قديمة من سفر التثنية - وهو شاب اسرائيلي بولوني اعتنق الديانة المسيحية ورسم قسيساً وجاء سوريا وقد رأيناها فيها وعرفناه - .

وبيان خبره أنه زار السير ولتر برنت ، رئيس جمعية التنقيب عن الآثار القديمة في فلسطين منذ سنين ليطلعه على كتاب قال عنه أنه يدحض آراء علماء اللاهوت الحديشين كلهم . ولم يشأ في بادئ الامر أن يبيع له بسر إكتشافه ، ولكنه باع به أخيراً بعد الحاح شديد وعلى وجهه سياء الاستياء كأنه أكره على افشاء السر اكرهاً . فقال ان الكتاب المذكور نسخة من سفر تثنية الاشرع مكتوبة على رق ، ثم أراه قسماً منه وهو يقدم رجلاً ويؤخر أخرى مبالغ في التظاهر بالحذر والتحوط واذا به مكتوب ←

(١٠٤) عندما رأيت للمرة الاولى صور تريفر لمخطوطات المطران صموئيل كان من الطبيعي ان اسأل نفسي اليست هذه مواد مزيفة ؟ ولكن ارى لزماً علي ان اقر انني في الحقيقة لم اكن اقوى على ان احمل هذا السؤال على محمل الجد ، لا سيما بعد ان رأيت المخطوطات نفسها . ان حقيقة ظهور المخطوطات

بالاحرف الفنية التي وجدت على الحجر المؤابي ، بحبر اسود جميل ، وكانت الكتابة واضحة جلية - مع انه مر عليها ثلاثة آلاف سنة بحسب دعواه وقال ان السبب في وضوح الكتابة بعد مرور تلك القرون الطويلة هو أن الكتاب وجد محفوظاً في كهف جاف من بلاد مؤاب . فألح السير ولتر بزنت عليه أن يعلن اكتشافه للعالم ، فتردد أولاً ثم رضي أن يطلع رجلين عليه وهما الدكتور جنسبرغ من مشاهير عارفي اللغة العبرانية والكبتن كندور الذي مسح القسم الغربي من فلسطين . فدعاها السير ولتر بزنت الى منزله في اليوم التالي ، فظن الدكتور جنسبرغ أن الدعوة عمومية تشمل موظفي المتحف البريطاني كلهم ، وعليه حضر هو وجميع موظفي المتحف وعلماء اللغة العبرانية في لندن وحضر الكبتن كندور أيضاً ، واطلمهم شابيرو على كتابه ، فدهشوا لذلك كثيراً وقال احدهم أن الرق يشبه الرق الحديث في منظره وهو يدل على اتقان صناعته في أيام موسى .

ولما تفرقوا قال آخر من علماء العبرانية ان هذه من الاكتشافات القليلة التي لا يمكن ان تكون مزورة ، وقال الكبتن كندور ان هذا الاكتشاف الجديد يدحض جميع الاعتراضات التي اعترضها علماء الالمان فان ما هو مذكور فيه من الاسماء الجغرافية ينطبق على الواقع تماماً وهو لا يذكر انه رأى شيئاً من نوعه .

وكان في جملة المدعويين وليم سمبسون محرر جريدة لندن نيوز المصورة فلم يصدق دعوى شابيرو وكان يعرف كل ما في بلاد مؤاب من الكهوف وانها كلها ترابية رطبة . فقال للسير ولتر بزنت انه ليس في بلاد مؤاب كلها كهف جاف ليحفظ فيه هذا السفر . وبينما كان العلماء يتداولون السفر وينقبون فيه ويكتبون ما يبدو لهم من الآراء عنه جاء المسيو كليان جانو (كلير مونت غانو) من باريس لرؤيته ، فقال اني اعلم كيف عمل هذا الكتاب ، وانهم قطعوا الرق الذي كتب عليه من حواشي الدروج العبرانية القديمة . أما الكتابة فكتابة أمس .

واتضح لهم بعد طول البحث أن قول جانو صحيح . فرد السفر الى شابيرو فلم يطلب احد مشتراه منه ، فجزع جزعاً شديداً أفضى به الى أن يشتق نفسه ١٨٨٤ » .

. . .

ومنذ سنة ١٩٦٠ اخذ مدير الآثار الاسرائيلي في دراسة النسخة المحفوظة منها في مكتبة المتحف البريطاني .



اسم يوحنا حنثيلا على جرة فخار

بمظهر يدل على القدم لم يفد كثيراً فقد ظهرت الكتابة واضحة جلية. والشيء الذي ادهشني منذ البداية هو أن شكل الأحرف يعود إلى عهد ليس لدينا منه سوى عينات قليلة ولم يعرف أكثرها جيداً إلا في وقت متأخر. وكما سبق أن قلت لقد لاحظ الدكتور تريفر في الحال وجه الشبه بين هذه المخطوطات وبين ما كتب على بردية (ناش) كما لاحظ أن نوعي القطع لم يكونا من ذات العصر تماماً وقرر أن ورق البردي الذي كتب عليه مخطوط ناش يعود إلى زمن متأخر عن زمن هذه المخطوطات وقد وافقت على رأيه هذا وعزز رأينا هذا الكتاب الذي تسلمه تريفر بعد ذلك من البروفسور أولبرايت.

كان فن دراسة المخطوطات القديمة هو وسيلتنا الوحيدة لتحديد تاريخ

المخطوطات وبقي علينا ان نقوم باكثر الابحاث اهمية الا وهو التحليل العلمي للجلد والحبر والغلاف الكتاني الذي لفت فيه المخطوطات - ذلك التحليل الذي لا بد وان يلقي ضوءاً يساعد على حل المشكلة . ولكن أموراً فنية كهذه لم تكن متوفرة لدينا في القدس زمن الاضطرابات .

كل هذه الاختبارات تبين عصر المخطوطات نفسها والوقت الذي كتبت فيه . اما شواهد علم الآثار التي ساعدت فيما بعد على معرفة الوقت الذي وضعت فيه المخطوطات في الكهف ، فلم تكن في امكاننا خلال ربيع ١٩٤٨م بسبب عدم استطاعتنا زيارة الكهف . وعلى افتراض ان المخطوطات هي نسخ وليست اصولاً فلا يمكن معرفة الوقت الذي وضعت فيه تلك الكتب - لا بواسطة دراسة المخطوطات ولا بتحليل الجلد والحبر ولا بآية وسيلة في علم دراسة الآثار . وفي هذه الحالة يمكن تحقيق ذلك عن طريق شواهد تبرز من دراسة نصوص الكتب ليس الا .

(١٠٥) كانت هنالك بعض الغرائب في التهجئة والقواعد النحوية للنصوص الموجودة . ولقد كان من الممكن ان تنسب هذه الاخطاء الى جهل الناسخين . ولكن ورود هذه الاخطاء في مخطوطات عديدة يدلنا على انها لم ينسخها واحد ، وهنا يمكن ان نفترض وجود لهجة محلية آنذاك تعزى اليها هذه الاخطاء . كما انه من الممكن ايضاً ان نشير الى فترة معينة من تاريخ اللغة العبرية ، مما يستدعي اجراء دراسة عميقة للتوصل الى التأثير الجغرافي والتاريخي الذي ادى الى وجود هذه الاخطاء في المخطوطات . وعلاوة على ذلك فقد وجدت بعض الكلمات والافكار التي قد تشير الى فترة معينة ولكنها تحتاج الى دراسة مطولة وببحث مستفيض ، يقوم بها عدد كبير من العلماء . ويمكننا ان نكتفي بالقول ان هذه التحريات والآراء المتداصلة قد اكدت جميعها صحة تقرير الباحث تريفر بشأن الزمن الذي تعود اليه هذه المخطوطات .

(١٠٦) وفي الحبر الذي نشرناه في ١١ نيسان سنة ١٩٤٨ تحملنا مسؤولية التصريح بأن مخطوط اشعيا يعود الى القرن الاول قبل الميلاد . وفي الحبر الذي نشره سكينيك في الشهر ذاته اشارة الى ان بعض هذه المخطوطات يزيد

على الالفي عام . ومن الطبيعي ان هذا الرأي لم يدم طويلا دون مناقشة وفي
اوائل تشرين الاول عام ١٩٤٨ م نشر الاستاذ سلمون زتلن Solomon
Zeitlin من كلية دروبسي Dropsi مقالا يشير الى تشككه في صحة تفاسير
حقوق ، دون ان يكون هذا العالم قد رأى أياً من هذه المخطوطات . وفي
كانون الثاني عام ١٩٤٩ م نشر هذا العالم نبأ عن صورة اخذت للجزء العلوي
من العمودين ومقالاً يشير الى ان تاريخ هذه الاعمدة لم يكن قديماً وانما كان
متوسط العهد . كما ان مخطوط النظام اعتبر انه يعود الى نفس التاريخ ايضاً .
واقر بعض العلماء مبدئياً صحة هذه المخطوطات وقيمتها الاثرية - مع تحفظ
واحد وهو ان الحكم النهائي سيعلن لدى نشر المخطوطات . ولقد قام زتلن
بمعارضة شديدة للذين ايدوا صحة المخطوطات . وليس من المجدي هنا ان
نورد الجدل المستفيض الذي نشرته الصحف بعدئذ وانما المهم ان نعطي
النقاط الاساسية نصيبها من العناية عندما نبعث موضوع تاريخ المخطوطات .

دخل البحث مرحلة جديدة عندما اجريت التحريات التي قام بها
اشخاص غير اكفاء للبحث العلمي في اواخر نوفمبر واول ايلول ديسمبر سنة
١٩٤٨ قبل ان يستتب النظام في البلاد بعد اضطرابات تلك السنة وهم
اشخاص لم يكن لهم الا السطو والريخ . فنبشوا ارض الكهف ورموا
بعض النفايات والجذاذات خارجه حيث اصبح من المستحيل معرفة حالة
الكهف ومحتوياته معرفة دقيقة كما كان عندما اكتشفه البدو للمرة الاولى .

ان الرجل الذي ادت جهوده الى اكتشاف الكهف في المرة الثانية والى
اجراء الحفريات فيه هو السكاين فيليب ليبنز Philippe Lippens المراقب
البلجيكي في هيئة الامم الذي كان قد درس في جامعة لوفين Louvain وبعد
مدة قصيرة من تسلمه مهام عمله في فلسطين قرأ بحثاً عن الاكتشاف الاول
للمخطوطات اثار فيه اهتماماً بالغاً وفي اوائل ديسمبر ١٩٤٨ بينما كان يقيم
في فندق الملك داود بالقدس بحث الموضوع مع رئيس معهد التوراة البابوي
في القدس وفي ١٥ ديسمبر سنحت له الفرصة فاجتاز خط الهدنة وزار دير
السرمان وتناول البحث مع الرهبان في موضوع المخطوطات ثم ذهب الى

المدرسة الاميركية حيث علم ان الاستاذ سلر Sellere الذي خلفني مديراً للمدرسة كان يبدي اهتماماً ماثلاً للعثور على مكان الكهف .

في ١١ كانون الثاني ١٩٤١ عاد الكابتن ليبنز من اجازة قصيرة الى القدس وبحث الموضوع مع البروفيسور سلر ثم زار الاب ديفو de Vaux في المدرسة الفرنسية لعلم الآثار وأراه بعض مقالات عن مخطوطات البحر الميت ، منها مقالة لتريفر تضمنت اشارة الى خطتنا لزيارة الكهف التي لم يكتب لها النجاح . فاثارت تلك الاشارة اهتمام ليبنز لدرجة الحماس والتصميم . وفي ١٧ كانون الثاني زار الاب ديفو مرة ثانية ورجاه ديفو ان يزور الموقع ويتعرف على الكهف ويتابع جهوده بحكم منصبه العسكري ، لعله يساعد ديفو ويرشده في الحفريات التي كان يتطلع الى القيام بها .

وفي ٢٤ كانون الثاني استطاع الكابتن ليبنز بمساعدة ضابط بلجيكي آخر ملحق بقوة هيئة الامم المتحدة هو الميجر سيمون Simon أن يحادث الزعيم « لاش » الذي كان يقود الكتيبة الثالثة من الجيش العربي والتي كانت تعسكر في رام الله فاستدعى مستشاره في الامور الاثرية العقيد « اشتون » واتصل الزعيم لاش ايضاً بالمستر هاردنغ L. Harding مدير الآثار في الاردن الذي كان ايضاً مهتماً بمعرفة موضع الكهف . ونتيجة لهذه الاتصالات صمم الزعيم لاش على ارسال رجلين من البدو يعملان في الجيش العربي لاكتشاف الكهف تحت اشراف العقيد اشتون . وتم الاتفاق على ان يكون الكابتن ليبنز بمثابة مستشار فني وعلى ان يقوم بتنفيذ المهمة مع المستر هاردنغ . وبعد خمسة ايام نقل الكابتن ليبنز من القدس الى عمان واعلمه هاردنغ ان البدوين لم يتمكنوا من الوصول الى المعلومات المطلوبة ولكن العقيد اشتون قام بالاشتراك مع الكابتن عكاش الزبن (أمير اللواء الآن) من الجيش العربي بالبحث عن الكهف ونجحوا في معرفته في اليوم الثامن والعشرين من كانون الثاني اذ

استطاع عكاش الزبن بنظره الثاقب من ملاحظة وجود اترية حديثة وبقايا قطع فخارية مبعثرة في الخارج مما يدل على أن جماعة عبثوا به عندما كانوا يبحثون عن كنوز . ومن ثم دخل العقيد اشتون الكهف ووجد عدة قطع من ملفات كتانية وكمية كبيرة من القطع الفخارية .

وبدون اجراء حفريات لم يكن في المستطاع معرفة ما اذا كان هذا الكهف هو نفس الكهف الذي وجدت فيه المخطوطات الاولى عام ١٩٤٧ . لقد زار هاردنغ المكان في اوائل شباط وبعد ايام قلائل زاره مرة ثانية مع الاب ديفو بناء على اقتراح الكابتن لينز . وبعد ذلك قام هاردنغ وديفو بحفريات منظمة يساعدهما اثنان من المتحف الفلسطيني وواحد من عمان وحارس آخر من الجيش العربي . وقد اشتغلوا خمسة عشر يوماً انتهت في الخامس من آذار وقد زار لينز مكان الحفريات كما قام بزيارتين لاحقتين وزار الموقع ايضاً سار بصحبة السيد برامكي^(١) من المتحف الفلسطيني مع أن العمل كان يجري بصعوبة وفي مجال ضيق للغاية بحيث لم يكن في الامكان استخدام سوى معدات صغيرة وحق لم يكن في مستطاع اكثر من رجلين العمل معاً داخل الكهف في وقت واحد . فان الحفارين كانوا يجمعون بعناية حتى صغار القطع الفخارية والقطع الكتانية . ولم يتركوا قطعة اثرية مهما كانت صغيرة سواء ظهرت عليها كتابة او لم تظهر . فكانت هذه النتائج العامل الرئيسي الذي بدد شكوك علماء الآثار انفسهم حول كون هذا الكهف هو نفس الكهف الذي اكتشف فيه البدو المخطوطات الاولى التي اشتراها سكينيك والمطران .

وللوهلة الاولى اعتقدوا ان بعض القطع التي وجدوها من أصل المخطوطات غير أن هذا الاعتقاد لم تدعمه الدراسات والفحوص الدقيقة التي اجريت تباعاً على أنه بالزيد من التحريات والدراسات اتضح أن الاجزاء التي وجدت في

(١) الدكتور ديتري برامكي : عربي من القدس شارك في حفريات كثيرة ايام الانتداب ولا سيما في قصر هشام قرب اريحا . وقد كتب عدة ابحاث اثرية قيمة وهو الآن استاذ الآثار في جامعة بيروت الاميركية .

الحفريات تشابه تماماً المخطوطات التي باعها البدو من حيث المادة والكتابة وكيفية حفظها ومحتوياتها . فلا غرابة بعد ذلك اذا جزمنا بانها تعود الى نفس المجموعة من الوثائق .

(١٠٨) ولقد ظهرت في الآونة الاخيرة شواهد كثيرة تدل على العبث في مكان المخطوطات عندما وجدت بين القطع القديمة مخلفات تركها الاشخاص الذين تسلاوا سراً في الشتاء الماضي وجاءوا طمعاً في جمع ما تبقى من المواد الاثرية . فكانت هناك قطع قماش جديد وقطع جرار واعقاب سجاير وحقى علبه سجاير عليها اسم أحد هؤلاء المقبين غير المرخصين . وقد ارجعها المستر هاردنغ الى صاحبها فعلاً .

(١٠٩) اثبت الفخار الذي وجد في الكهف صحة ما رواه البدو حين قالوا انهم وجدوا المخطوطات في اواني فخارية . وأقام الدليل ايضاً على صحة قدم المخطوطات ولو ان التاريخ الذي حدد بجوالي مئة سنة قبل الميلاد على رأي ديفو وهاردنغ ثبت أخيراً أنه أقدم من هذا التاريخ . فقطعة من الجلد وكسرة من سراج وشقفة من آنية فخارية ظهرت انها تعود الى القرن الثاني أو الثالث بعد الميلاد . ولقد استنتج اصحاب الخبرة بالحفريات ان تلك الكمية الصغيرة من القطع الفخارية العائدة الى العهد الروماني الاخير والتي لا تؤلف اكثر من ٥٪ من مجموع الكمية كلها لا بد ان يكون قد خلفها متطفلون دخلوا الكهف في العهد الروماني وازالوا منه بعض المخطوطات .

ولقد اعاد بعضهم الى الازهان ان لاهوتي القرن الثالث وعالم التوراة اورجن^(١) كان قد كتب عن اكتشاف تم في زمانه لبعض مخطوطات

(١) اورجين الفقيه : كان فيلسوفاً ملحوظ المكانة في تاريخ الفلسفة والديانة المسيحية ويرى الكثيرون انه اكبر المفكرين الدينيين الذين نبغوا في القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد . ويذكر المرحوم الاستاذ العقاد في كتابه « حياة المسيح » ان اورجين قرأ في شبابه قول المسيح « ان اناساً يخصهم الله واناساً يخصهم الناس واناساً يخصون انفسهم في سبيل الله » فحمله على معناه الحرفي وجب نفسه « قطع احليله » ليقوم بعد ذلك على تعليم النساء وهو آمن . ولكنه ادرك خطاه بعد ذلك وعدل عن هذا فهم الحرفي بأقوال السيد المسيح .

التوراة في جرة بالقرب من اريحا . ومع أن الاستنتاجات المأخوذة من الحفريات الاولى تعرضت الى قليل من التصحيح والتعديل على ضوء اكتشافات لاحقة اوجدت الاجوبة والحلول لبعض المشاكل الناشئة عن اكتشاف المخطوطات .

لقد احتوت المخطوطات التي اكتشفت عام ١٩٤٩ على قطع من اسفار قانونية من العهد القديم وعلى اجزاء من أسفار غير شرعية . والى عام ١٩٥٢ توصل العلماء الى معرفة حوالي عشرين مخطوطة . وكانت القطع مكتوبة بخط يشابه المخطوطات المكتشفة سنة ١٩٤٩ وكذلك كتب بعضها بخط عبري قديم يطلق عليه أحياناً اسم الخط الفنيقي ويقرب في شكله من خط رسائل لاخيش^(١) التي تعود الى اوائل القرن السادس قبل الميلاد . ولقد ثار جدل عنيف حول ما اذا كانت المخطوطات التي جاءت منها هذه القطع الصغيرة هي من عمر مخطوط لاخيش او انها تمثل نزعة متأخرة للعودة في استعمال الخط القديم وكان منها عدد يحتوي على عبارات من الاصحاحين ١٩ و ٢٠ من سفر التكوين .

وكل من اعتقد أن الحفريات ستكفل بالاجابة عن الاسئلة التي أثارت وازالة الشكوك التي دارت حولها فقد خاب اعتقاده . ولقد استقبل عدد غير قليل من العلماء الذين تجاوز اختصاصهم علوم الآثار الدلائل بكثير من التشكك وتساءلوا عن مدى ما تدل عليه موجودات جرار من العصر الهليني . وما هي علاقة الجرار بالمخطوطات وهل صنعت الجرار خصيصاً للمخطوطات او هل استعملت جرار اقدم من المخطوطات لحفظها عندما اخفيت في الكهف واذا أخذنا بالاحتمال الاخير فلا يفسر هذا حقيقة وجود الفخاريات الرومانية

(١) لاخيش : وتسمى اليوم خان الدوير وتقع أمام قرية قبية في لواء الخليل كانت حصناً متيناً يحرس المنفذ الوحيد الى المرتفعات في الجنوب . ولقد جرت فيها حفريات اثرية بين سنتي ١٩٣٣ و ١٩٣٨ واعظم ما اكتشف فيها يعود الى ايام الفتح الاشوري في فلسطين .

التي اكتشفت في الكهف ؟ ولا يحتمل أن يكون البدو قد وضعوا هذه المخطوطات ولا يحتمل أنهم هربوا من مصر الى فلسطين .

(١١٠) وفي هذه الاثناء تظهر آراء علم الخطوط مع انها قوبلت بهجوم عنيف . ولقد ذكرت مقالين ظهرا في شباط ١٩٤٩ كتب احدهما تريفر والثاني كتبه سولمن بيرنبوم S. Birnboam من جامعة لندن عن مخطوطات اشعيا التي بجيازة دير السريان . والكاتب عالم بريطاني ثقة في الخط العبري . وقد استنتج أن شكل الحروف يعود الى النصف الاول من القرن الثاني قبل الميلاد وهو التاريخ الذي كتب فيه مخطوط اشعيا . وكان تريفر قد الحقه بعهد متأخر أي حوالي ١٢٥ - ١٠٠ قبل الميلاد أما مخطوط « النظام » فقد جعله عام ٧٥ قبل الميلاد وجعل مخطوط شرح حبقوق ومخطوط لاملك بين عامي ٢٥ قبل الميلاد و ٢٥ ميلادي . وفي حزيران ظهر مقال لبيرنبوم ارج فيه مخطوط حبقوق بـ ١٠٠-٥٠ قبل الميلاد وهو تاريخ سابق للعهد الذي عينه تريفر . وفي مقال لاحق ارجع بيرنبوم مخطوط النظام الى ١٥٠ - ١٠٠ قبل الميلاد وفي مقال تال حدد تاريخ مخطوط حبقوق بحوالي ٥٠ قبل الميلاد ومخطوط النظام بـ ١٢٥ - ١٠٠ قبل الميلاد .

ولقد شن البروفسور لخن Lachemen من كلية ولزلي Wellesley هجوماً في مقال نشر في ايلول ١٩٤٩ على الطرق التي اتبعها العلماء للوصول الى تاريخ المخطوطات وتعرض اولاً لبرديه ناش ، مهاجماً طريقة اولبرايت لتحديد تاريخها بما هو سابق للميلاد . وهي الطريقة التي اتبعها تريفر في تحديد تواريخ مخطوطات البحر الميت ، ولقد ذكرت حجج بيرنبوم على هامش المقال . وفي نفس الوقت نشرت رد البرايت وردي على مقالات زيتلن السابقة . وفي اكتوبر اصدر اولبرايت رده على مقال لخن .

(١١١) وفي هذه الاثناء ارتحل المطران صموئيل الى الولايات المتحدة - بعد أن عينه البطريك ممثلاً للمجمع السرياني الارثوذكسي في الولايات المتحدة

وكندا - آخذاً معه المخطوطات . وعلى الرغم من الشهرة التي حظيت بها المخطوطات فإن محاولات بيعها باءت بالفشل . وكانت التقارير الصحفية قد قدرت قيمتها بـ ١٠ مليون دولار ، وهو رقم خيالي جعل المشتريين يترددون في شرائها . يضاف الى ذلك ما نشر عن أن ملكية المطران لهذه المخطوطات لم تكن شرعية^(١) . وزاد الامر تعقيداً الصورة التي اخرجت فيها المخطوطات من فلسطين . وكانت حكومة الانتداب قد انتهت ولم تتسلم بعدها مباشرة حكومة اخرى تتولى الامور في القسم الذي بقي مع العرب وعندما انضم الجزء العربي من فلسطين والذي وجدت فيه المخطوطات - الى مملكة شرقي الاردن وطالبت المملكة الاردنية الهاشمية بصفتها وريثة حكومة الانتداب باسترداد المخطوطات التي هي ملك لها .

ولقد جرى عرض المخطوطات للجمهور في اماكن مختلفة وكان اول عرض لها في مكتبة مجلس الامة في واشنطن خلال اكتوبر ونوفمبر ١٩٤٩ . وفي الاعوام التالية عرضت في جامعة ديوك Duke وفي متحف وولتر Walter الفني في بلنيمور وفي كلية الابحاث الشرقية في جامعة شيكاغو وفي المتحف الفني في ورشستر - ماشوست .

ومع ذلك لم يتقدم أحد للشراء حتى اشتراها في أوائل ١٩٥٤ رئيس اركان حرب الجيش اليهودي سابقاً المدعو يدين Yadin وهو ابن سكينيك وقد أعلن عن الصفقة رسمياً في ١٣/١/١٩٥٥ م أي بعد مرور سنة من الشراء .

أما القطع التي وجدت اثناء الحفريات في شباط ١٩٤٩ فقد ارسلت الى لندن للدراسة ولقد عمل الدكتور بلندرليث H. Plenderleith (وهو المسؤول

(١) نشر سكينيك بياناً في صحف اميركا طالباً اعتبار المخطوطات التي يعرضها المطران مسروقة وانها حق لاسرائيل لانها اكتشفت في اراضيها .

وطالب الاردن بها لانها وجدت في اراضيه . ولقد رد عليها البعض بانها وجدت في ايام الانتداب . لكن صحافة اميركا ردت عليها بانها وجدت في اراضي القدس وبيت لحم وهي بموجب آخر ما وضعته هيئة الامم منطقة دولية .

عن مختبر الابحاث الكيماوية في المتحف البريطاني (مدة ثلاثة اشهر في عملية غاية في الدقة والعناية على فك الاجزاء المهترئة . ولقد عرض القطع لرتطوبة معينة حتى أصبحت طرية تساعد على فصلها . ومن ثم وضعها في ثلاجة حتى عادت اليها صلابتها . وهكذا تمكن من فصل ما يقرب من مئة قطعة ، ثم جمعها معا . وتأكد ايضا من ان الخط كتب بحبر الكربون . ونجم عن جهود الدكتور بلندرليث أن تبدد الزعم القديم بأن نوعاً من القار استعمل لشمع المخطوطات ، وهو في الحقيقة عبارة عن جلد متحلل .

(١١٢) نشر المستر هاردنغ مقالا في مجلة لندن تايمز عن المخطوطات بتاريخ ٩ آب . وبعد يومين عرضت القطع الجمعية في لندن . وعقد الدكتور بلندرليث مؤتمراً صحفياً . وهكذا أصبحت القطع والمخطوطات خبر الساعة في الصحف التي اخذت تردد اخبار اكتشاف المخطوطات بين آونة واخرى . وأثارت مقابلة صحفية قامت بها الدبلي ميل مع البروفسور دريفر Driver من جامعة اكسفورد تشوق الجمهور الى متابعة ما ينشر عن هذه المخطوطات . ولقد أدت المقابلة الى الاعتقاد بأن هذه المخطوطات كان يجب أن تسلم الى مختبر المتحف البريطاني وهو المكان الوحيد الذي بإمكانه - أو لديه الخبرة لتولي أمرها - لا أن يرسلها المطران صموئيل الى الولايات المتحدة بقصد جمع المال من وراءها .

(١١٣) ولم يكن البروفسور دريفر يعلم أنني منذ شهر نيسان كنت على اتصال مع السير ألن جاردنر Alan Gardiner فيما يتعلق بالمكان الافضل والشخص الاجدر بفتح المخطوطات الآرامية . وكان قد بعث برسالة سكيت Skeet من المتحف البريطاني وتحدث سكيت مع بلندرليث الذي اعرب عن رغبته في رؤية المخطوطات قبل ان يقدم أي اقتراح بخصوصها ... ولقد أقنعنا هذه الاتصالات بأنه لم يكن في بريطانيا احد يصلح لفتح المخطوطات .

وفي آخر رسالة كتبها الي السير ألن جاردنر بعد اسبوع من مقابلة دريفر الصحفية عن اسفه لعدم تمكنه من مساعدتنا وانهى الرسالة بقوله ، وبعد

ذهاب صديقه القديم ايسكر Ibscher لا أعرف الى اين اتوجه عندما تأتينا قطعة مخطوطات رقيقة وحساسة .

ولم ينتقد دريفر الطريقة التي عولجت بها الاكتشافات فحسب بل استنكر ارجاعها الى ما قبل الميلاد، كما رأيت أنا وسكنيك - وشرح آراءه في سلسلة من المقالات التي نشرها في لندن تايمز . وقد كتب محرر مجلة الاكتشافات الفلسطينية The Palestine Exploration Quarterly في عدد تموز - تشرين أول ١٩٤٩ عبارة « خلال الصيف الماضي اصبحت مجلة التايمز ميداناً لمرآك عنيف بين البروفسير دريفر والسيد ليفين Leveen من المتحف البريطاني في محاولة لنسف التاريخ الميلادي الذي عينه الاخير لها . ثم دخل المعركة الدكتور بيرنبوم فأيد التاريخ القديم .

(١١٤) ولم ينحصر الجدل في الصحف فقد كتب دريفر محاضرة قرأها نيابة عنه البروفسور هوك Hooke نظراً لمرضه في اجتماع عقد لمجمع الاموال لجمعية الاكتشافات الفلسطينية جاء فيها : أن البينات الاثرية الخارجية ليست مقنعة ولا يمكن الاستناد إلا على البينات الذاتية للكتابة - كالتهجئة والخط واللغة اذا أردنا تحديد تاريخ المخطوطات . وعلى هذا الاساس حكم بأنها تعود الى القرن السادس أو السابع بعد الميلاد ، وفي النقاش الذي عقب المحاضرة اصر بيرنبوم على أن المخطوطات تعود الى ما قبل الميلاد .

ونشر دريفر حججه بصورة اوفى في اكتوبر واتبعها بمقالات أخرى في مجلات مختلفة ، كما انه نشر مقالة في ذلك عام ١٩٥١ . ومع انه عدل احكامه نوعاً ما ، فقد اصر على موقفه الرئيسي وهو عدم اعتبار البينات الاثرية الخارجية بل اعتبار البينات الذاتية من الخط واللغة .

وفي هذه الاثناء كانت تجري محاولات لفتح المخطوط الآرامي الذي ارسله المطران الى متحف فوج Foog في جامعة هارفرد وهو المكان الذي كان بإمكانه أن يعالجها عن مقدرة واتخذت المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية كل خطوة للتأكد من النجاح ولكن قبل الشروع في تنفيذ تلك العملية غير المطران رأيه وسحب المخطوطات .

خلال فصل الربيع السابق قطع تريفر قطعة من احد عواميد النص واخذ لها عدة صور للدراسة مسترشداً بالبروفسور اولبرايت والبروفسور توري C. Torrey فاستنتج بأن المخطوط يحتوي على القسم المكتوب من رؤيا لامك الذي كان معروفاً بالاسم فقط من قائمة يونانية قديمة . واخبرني تريفر بأنني أنا الذي لفت انتباهه الى اسم لامك في النص ، وانني اقترحت عليه مراجعة قائمة رسائل رؤيا لامك المفقودة .

واعلن تريفر رأيه في اكتوبر ١٩٤٩ كما اعلن سكينيك خلال صيف ذلك العام - بعد أن درس مخطوطاً في القدس - انه تمكن من فتح مخطوطة أخرى وانه قد وجد انها تحتوي على مخطوطة ثانية لاشعيا وهي التي ذكرناها بإيجاز

ويجب أن لا نفترض أن العلماء البريطانيين والاميركيين هم وحدهم الذين كانوا مهتمين بالمخطوطات، ففي خلال العام الاول من اكتشافها ظهرت مقالات باللغات الدنماركية والهولندية والفرنسية والالمانية والعبرية واللاتينية والنرويجية والاسبانية والسويدية... هذا عدا عن المقالات التي لا علم لي بها . ومن المؤكد أن مقالات كبيرة أخرى ظهرت بمرور الزمن . وبالطبع لم يكن كل ما كتب ذا اهمية خاصة وأريد أن اعترف بأن الفضل في شرح تلك النصوص يعود الى علماء من جنسيات مختلفة . وسنشير الى العلماء ذوي الفضل عندما نبحث النقاط التي عالجوها .

وفي اوائل شباط ١٩٤٩ ظهرت في المانيا سلسلة مقالات على المخطوطات في مجلة الآداب الدينية . كتب احداها البروفسور بول كهيل Paul Khale بحث فيها اكتشاف مخطوط اشعيا الكبير من حيث نقد النصوص واستعراض الظروف التي وضعت فيها في ذلك الكهف .

مخطوط تيموثوس

لقد اثار البروفسور اوتواسفلدت O. Eissefeldt في بحثه المفيد نقطة جديدة في عدد اكتوبر ، فقد قارن الاكتشاف الحديث باكتشاف قديم مائل وجد في نفس المنطقة مكتوب بحرف سرياني كتب حوالي سنة ٨٠٠ بعد الميلاد،

كتبه تيموثس Temotheus البطريرك النسطوري في سلوقيا الى سرجيوس مطران عيلا . وقد جاء في الرسالة بأن الكاتب استقى معلومات موثوقة من يهود تحولوا الى نصارى - بأن صياداً عربياً كان قد عثر على كتب قبل عشر سنوات بالقرب من اريحا ، وكان كلبه قد لحق فريسة في كهف ولما لحقه وجد في ذلك الكهف بناية صغيرة تحتوي على عدة كتب ، فأعلم يهود القدس بذلك فجاءوا بأعداد كبيرة وعثروا على كتب العهد القديم (التوراة) . وعلى كتب أخرى مع كتابات عبرية كان منها ٢٠٠ مزمور من مزامير داود . ولقد لعبت هذه الرواية دوراً هاماً في النقاش الذي جرى فيما بعد .

(١١٥) واول محاولة جدية لتحديد الوضع التاريخي لمخطوطات البحر الميت قام بها عالم سويدي يدعى بوريك Boreicke . ففي مقال سابق تحدث عن الوثيقة الدمشقية وهي عبارة عن عمل يستحق الاهتمام الكبير بسبب علاقتها بكتاب النظام وبشروح سفر حبقوق . وفي عام ١٩٤٩ نشر دراسة عن المخطوطات وعن الوثيقة الدمشقية ، واوجد نظرية لا تزال حتى الآن معتبرة مع ان موجدتها قد تخلى عنها فيما بعد ، ان كلا من معلم الحق المذكور في وثيقة دمشق ، وفي شروح حبقوق وخصمه الكاهن الشرير اعتبرهما بوريك مثالين علويين يمثلان كاهن الخير وكاهن الشر ، كما اعتبرا أيضاً مثالين على رؤساء الكهنة في اوائل القرن الثاني قبل الميلاد . واعتبر معلم الحق رمزاً لأونياس الثالث الذي خلفه ملك سوريا انطيوخس ابيفانوس عام ١٧٥ - ١٧٤ قبل الميلاد ، كما اعتبر الكاهن الشرير رمزاً لياسن Jason اخي اونياس وخلفه كرتيس للكهنة ورمزاً أيضاً لمينلاوس Menelaus الذي خلف ياسن .

أما بيت ابشالوم الذي فشل في مساندة كاهن الخير - حسب ما جاء في شرح حبقوق - عندما اضطهده الكاهن الشرير ، فهو بيت عال ومعروف باسم بيت الطوبيين . وهذا البيت شجع على اعتناق الحضارة والعادات اليونانية بينما وقف حزب اونياس مخلصاً للتقاليد اليهودية ومحافظاً عليها . وعلى الرغم من وجود بعض الصعوبات فاني ارى هذه النظرية معقولة الى حد ما .

(١١٦) في كانون الاول سنة ١٩٤٩ ظهرت مقالة في مجلة اسرائيلية القت شيئاً من الغموض والريبة وخرجت عن احترام البحث الزيه . وادعت هذه

المجلة في مقالها الذي ظهر بعد عامين بغير ذكر اسم الكاتب ان وكسلر عندما رأى المخطوطات عام ١٩٤٩ ادرك انها مزيفة ، ثم اقتنع وكسلر بأصل المخطوطات وقدمها ، فكتب مقالاً نشر في ١٢/١/١٩٤٩ شرح فيه السبب الذي دعاه الى الشك في صحة مخطوط اشعيا وقدمه . ومن اهم الاسباب التي ذكرها انه عندما شاهد مخطوط اشعيا اطلع أيضاً على مخطوط آخر مشابه في المظهر ظهر له انه مخطوط حفترت Haftarot أي مختارات من كتب الانبياء التي تقرأ في الكنيس بعد قراءة اسفار موسى الخمسة ، وكان بين مختارات المخطوطات سطور بيضاء ونهاية عمود تركت بيضاء من غير كتابة . وهو يذكر في آخر المخطوطات التبريكات التي تصعب حفترت وكان الخط يشبه خط اشعيا ، وكان على الهوامش تصحيحات على النص كتبت بخط اكثر سواداً بدا كأنه حديث العهد . وهذا يشير الى ان المخطوط كان يستعمل فيما بعد . واستنتج وكسلر من هذا ان كلا المخطوطين اخذ من جنيزة كنيس^(١) أو من مخزن للمخطوطات المهمة ، وبما ان مخطوطات حفترت لم تذكر بعد ذلك ارتأى وكسلر بأن السريان اخفوها عمداً عندما سمعوا ببخس قيمتها حق يتمكنوا من بيع المخطوطات الأخرى . وعندما عرفت مخطوطات سكتيك قرر وكسلر بأن مخطوط اشعيا وجميع محتويات الكهف اجمالاً كانت اصلية وقديمة ، كما ان مخطوطات حفترت كانت جديدة من عهد لاحق .

وفي هذه الفترة حدثت أمور أخرى اكثر اهمية - ففي أوائل ١٩٥٠ نشرت المدرسة الاميركية الجزء الاول من المخطوطات الموجودة في دير

(١) يعتقد سكتيك ان كل نسخة من الكتب المقدسة وجدت فيها فوارق عما هو متعارف عليه كانت تقبر في جنيزة . ولا يخفى أي كنيس من جنيزة تدفن فيها الاسفار المهمة بكل وقار واحترام ، وفي كثير من الاحيان كانت المخطوطة توضع في الجنيزة بعد ان تصبح غير قابلة للاستعمال ، وقد ذكر الدكتور اسراييل ولفنسن في كتابه « موسى بن ميمون » المطبوع في مصر سنة ١٩٣٦ وجدت في كنيس الفسطاط اوراق مخطوطة كثيرة العدد أرسل اغلبها الى جامعات مختلفة في أوروبا وأمريكا ، وتشمل على كتابات يرجع بعضها الى ما قبل المسيح واغلبها من العصر الفاطمي ، وتعد بحق من انفس المصادر واقدمها في تاريخ اليهود من آداب الجنيزة . وجنيزة كلمه عبرية تقابلها كنز العربية للدلالة على الجمع والدفن في الارض .

السريان . وقد ساعدني تريفير وبراونلي في تحريرها . وقد احتوى هذا الجزء على صور فوتوغرافية لنص مخطوط اشعيا وشرح حبقوق بالاحرف العبرية من الشكل المستعمل في الطباعة . ولقد اعطيت الاصحاحات والترانيم ارقاماً تسهل الرجوع الى الصور . وبذلك اتبعت الفرص للعلماء بكافة الاقطار لدراسة هذه المخطوطات . وكان هدفنا من نشر النصوص بهذه الصور هو ان نفصح المجال للبحث العلمي قبل ان نحاول نشر جزء يحتوي على دراسة نقدية لها . ولم يتوقع أحد منا ان تكون مطالعات العلماء بهذا العدد الضخم . وطبعاً لم يكن لاحد أن يتنبأ بأن ثمة مخطوطات جديدة وكثيرة سوف تكتشف .

(١١٧) وفي أوائل آذار سنة ١٩٥٠ نشر سكنيك الجزء الثاني من مخطوطات الجامعة العبرية ضم مقتطفات اخرى من النصوص لم تنشر قبلاً في الجزء الاول . واعطى تفصيلاً اوفى عن قصة شراء المخطوطات وعن دراسته لها . ولم يهدأ النقاش عند نشر النصوص بل ازداد حدة وتوسع مجاله واصبحت فرنسا في ربيع هذا العام مركزاً لنقاش مثير وجدل مشوق رداً على المطالعات المثيرة التي كتبها البروفسور اندري دبون صومر Andre Dupont Sommer من جامعة السوربون . ففي ٢٦/٥/١٩٥٠ رفع هذا الاستاذ الى اكااديمية الفنون والآداب رسالة شرح فيها لأول مرة تفسيراً لشروح حبقوق . وخلق هذا التفسير كثيراً من المؤيدين وعدداً من المعارضين . وفي نفس الوقت نشر عدة مقالات بسط فيها آراءه ودافع عنها . ومما جاء في آراء صومر ان شرح حبقوق وضع في أوائل عام ٤٠ قبل الميلاد . وفي نفس اليوم الذي تقدم فيه صومر برسالته نشرت جريدة جروسالم بوست الجزء الاول من مقال للاستاذ سيجال من الجامعة العبرية اعتمد فيه رأياً مختلفاً فيما يتعلق بتاريخ المخطوطات . اما بقية المقال فقد نشر في اليوم الثاني من حزيران . وكان سيجال قد تقدم في عام ١٩١٢ بنظرية قال فيها ان الوثيقة الدمشقية التي عثر عليها في مصر العتيقة والتي نشرت يوم ذاك تعاكس وتتعارض مع الاحوال السائدة في عهد اسكندر جانوس عام ١٠٣ - ٧٦ ق م .

(١١٨) وفي تموز من عام ١٩٥٠ حاول زتلن ان يصرف الانظار عن مخطوطات البحر الميت في مقال عنوانه « المخطوطات العبرية مرة ثانية وأخيرة » ولم يكن هذا المقال خاتمة الخوض في الموضوع - ففي تشرين الاول ساندته الدكتور وايز Weis من جامعة مانشستر في مقاله « تاريخ مخطوط حبقوق » اظهر فيه ان شرح حبقوق متأثر بالحضارة العربية ، معتمداً على تحليل الافكار واللغة واستنتج في الختام بانه يعود الى عهد الصليبيين والسلجوقيين وان طائفة يهودية كتبته عام ١٠٩٦ .

اما مخطوط الجامعة العبرية « حرب أبناء النور مع أبناء الظلام » فما فيه الا تكهنات عن مسيا المنتظر ، لا تعود اصلاً الى حرب وقع فعلاً وانما تشير الى صراع مسيا الاخير مع ياجوج Gog . والمع وايز الى ان كتيم مصر وكتيم آشور في هذه الوثيقة رمز الى الفاطميين والسلجوقيين الذين حارب بعضهم بعضاً عام ١٠٧١ م للاستيلاء على فلسطين .

وفي تشرين الاول ١٩٥٠ نشر مقال آخر للدكتور درايفر صرف فيه النظر عن كافة البيانات الخارجية ليعتمد على التهجئة والخصائص اللغوية وليس على الخط . وعلى هذا الاساس اعاد المخطوطات الى الفترة ٢٠٠-٥٠٠م .

وجه الى المؤتمر الدولي لعلماء التوراة المنعقد في لندن في أول أيلول سنة ١٩٥٠ دعوة فالقيت في جلسة الافتتاح خطبة ابرزت فيها تزايد اهتمام العلماء بالمخطوطات . ونشرت كلمتي مع الكلمات الاخرى التي القيت في المؤتمر بالجلد الثامن من دراسات المؤتمر التي طبعت وجلدت قبل ارفضاض المؤتمر ثم سلمت الى الاعضاء في الجلسة الختامية .

(١١٩) وفي أيلول من سنة ١٩٥٠ اوضح الاستاذ كهيل الزمن الذي اخفيت فيه المخطوطات في الكهف في عصر لا يسبق القرن الثالث بعد الميلاد . كما القى نظرة على النص القديم لمخطوطات التوراة ذاكرًا ان مخطوطات دير السريان لا تعرض شكلاً واحداً وانما تقدم شكلين للنص العبري وان الشكل الثاني للمخطوط يختلف عن شكل النص الاول . وفي النصف الثاني كانت اجزاء من النصوص غير مذكورة وقد اضيفت فيما بعد . وفي حالة واحدة طابق النص المضاف فيما بعد النص المتوارث . وعلى هذا

الاساس لا يمكن ان تكون هذه الاضافة قد جرت قبل القرن الثالث بعد الميلاد . ولم تكتب الا مخطوطة سكينيك قبل القرن الثاني الميلادي . ولم يجد اي مانع من اعادة العهد القديم في شرح حقوق الى أوائل العهد المسيحي وتعرض مقال كهيل لنقاط هامة عبرت عن شعور كان يخالج غيره من العلماء وقد ادى ذلك الى نتائج هامة لم تكن متوقعة .

ولقد ابدى هاردنغ في مقال نشره في مجلة لندن المصورة ملاحظة بشأن كمية الفخاريات الرومانية التي وجدت في المغارة واستنتج انها قد تكون من مخلفات موقع قريب من الكهف يدعى خربة قمران . وعند أول زيارة قام بها هاردنغ وديفو للخربة لم يكتشفا اي علاقة لها بالكهف . ومع ذلك فقد دعا كهيل الى اجراء حفريات واسعة في الخربة على أمل اكتشاف مواد تثبت ان الخربة لم تكن قلعة رومانية صغيرة فحسب ، بل كانت شيئاً له علاقة مباشرة باستعمال الكهف .

ولقد شرح كهيل مرة ثانية آراءه المتعلقة بالمخطوطات في الاجتماع السنوي لجمعية دراسة كتاب العهد القديم الذي عقد في لندن في اول كانون الثاني سنة ١٩٥١ ونشرت كلمته هذه في العدد الاول من مجلة الجمعية الدولية لعلماء العهد القديم التي اسست في ليدن في الصيف المنصرم باسم Vetus Testamentum ثم نشر كهيل كتاباً ضم بعض المحاضرات التي القاها في الجامعات الالمانية خلال عام ١٩٥٠ . وفي هذه المنشورات انماز كهيل الى آراء صومر التي تقول بأن المخطوطات كانت من عمل الاسينيين ، كما أخذ برأي صومر في ان شرح حقوق وضع حوالي عام ٤٠ ق . م ورجح ان النسخة التي وجدت في الكهف كتبت قبل عام ٧٠ م ومع ذلك فقد اصر على ان المخطوطات لم تنحأ في الكهف قبل القرن الثالث الميلادي ودعا الى اجراء حفريات في خربة قمران طمعاً في المزيد من المخطوطات .

ولفت كهيل الانظار الى مخطوطات البحر الميت في دراسة طائفة القرائن اليهودية التي عاشت في القرون الوسطى - ليس لان المخطوطات كانت من اعمال هذه الطائفة كما يقول زتلن - بل لان هذه الطائفة تأثرت بأداب الاسينيين السابقة . وقال بأن الكهف الذي وجدت فيه المخطوطات هو نفسه

الذي جرى اكتشافه عام ٨٠٠ قبل الميلاد كما فهم من رسالة تيموثوس Temotheus واذاف بأن بعض النصوص التي وجدت في جنيزة القاهرة ما هي الا نسخة من القرون الوسطى عن المخطوطات التي اكتشفت في الكهف الاول .

(١٢٠) وفي سبيل تحري اوسع وبحث اوفى في خط المخطوطات وحروفها حصل تريفير على اجازة من وظيفته في المجمع الدولي للتعليم الديني كما حصل على منح مادية من المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية ومن الجمعية الاميركية للفلسفة ساعدته على قضاء شهرين من اوائل عام ١٩٥١ طاف خلالها المتاحف الرئيسية والمكتبات العامة في انكلترا وفرنسا . وتمكن خلال اجازته من أخذ صور فوتوغرافية للعديد من مخطوطاتها ثم درسها وتباحث فيها مع كبار العلماء الفرنسيين والانجليز المختصين الذين قدموا له كافة المساعدات الممكنة من أن يوجز دراسته في تقرير قدمه الى الجمعية الاميركية للفلسفة في نيسان سنة ١٩٥٢ ونشر في نشرة الجمعية ثم نشر معهد السميث سونين Smith Sonian موجزأ له .

وفي هذه الاثناء وفي احتدام الجدل العلمي اعيد الى الازهان لغز مخطوطة حفترت . . ففي كانون الثاني ١٩٥١ - أي بعد مرور عام على اولى مقالات زتلن في الموضوع - نشر مقال لوكسلر وآخر لزتلن في ذات الموضوع . ولقد شعر وكسلر بأنه اصيب في سمعته الادبية ، فادعى ان تريفير رأى بنفسه مخطوط حفترت ، وفحصه وعرفه هكذا . وأضاف وكسلر أن تريفير نسبه الى عصر متأخر ولكنه أعلن بأنه لم يكن من موجودات الكهف . وبني وكسلر اتهامه الجريء على رسالة من كارل كريلنغ Carl Kraeling^(١) الذي خلفني في رئاسة المدرسة الاميركية والذي صرح بوضوح بأن البروفسور كريلنغ علم أثناء حديث مع البروفسور بروز (المؤلف) Burrous بأن تريفير شاهد مخطوط حفترت . وبما انني قد اقحمت في نزاع لا صلة لي به اضطررت لبحث المشكلة . وفي اجتماع الجمعية الاميركية الشرقية في فيلادلفيا في ربيع ١٩٥١ بسطت ملخص بحثي فيه واوضحت ردي على بعض حجج

(١) مؤلف اوسع كتاب عن جرش باللغة الانكليزية .

زتلن الذي نشر كلمتي بروح رياضية في عدد تشرين اول من مجلته . وما جاء في كلمتي انني لم اخبر البرفسور كريلنغ بأن تريفر شاهد مخطوط حفثوت وانما اخبرته ان المطران صموئيل بعد وصوله الى اميركا اطلع تريفر على مخطوط توراني متأخر ، لا علاقة له قط بمخطوطات البحر الميت ، وكانت الجملة التي اوردها وكسلر ناتجة عن سوء فهم البروفسور كريلنغ وذكرت ايضاً رسالة من المطران اكد فيها بأن ليس لديه شخصياً ولا في دير القدس اي مخطوط او اجزاء من مخطوط وجد في الكهف - ما عدا تلك التي اخذ تريفر صوراً لها - واضاف أن مخطوطاً حديثاً من التوراة موجود في الدير علاوة على المخطوط الذي اطلع تريفر عليه بعد وصوله الى اميركا .

وفي نفس الوقت - وبناء على طلبي وعلى موافقة المطران - توجه البروفسور وينيت F. W. Winnet الذي كان يشغل منصب رئيس المدرسة الاميركية للدراسات الشرقية في القدس برفقة البروفسور سكوت R. B. Y. Scott ليشاهد المخطوطات العبرية في مكتبة دير السريان والتأكد بأن المخطوط العبري الوحيد الذي كان في الدير عام ١٩٤٧ هو مخطوط حديث للتوراة حصل عليه عام ١٩٢٩ ويحتمل أن يكون هذا المخطوط هو المشار اليه في رسالة المطران .

المسيح ومعلم الحق

واثناء هذه الفترة كان الجدل قد حول صومر عن رأيه في المخطوطات ولا سيما الجدل الذي دار في فرنسا خصوصاً ما بسطه صحفي في مجلة الفيغارو Le Figaro الادبية الصادرة في ٢٤ شباط سنة ١٩٥١ وما جاء فيه ان سماء العلماء مكهربة بالرموز التي تسقط على رجل الشارع وتثير ضجة ليست صغيرة بمؤسس الدين المسيحي من حيث الشبه بينه وبين شخصية معلم الحق . وكان معلم الحق يعتقد بأنه كائن الهي تجسد حتى نفذ فيه اعداؤه الموت . ولا يزال اتباعه يترقبون بعشه من القبر . وخشية مما خيل انه تعدى على وحدانية المسيح

قام علماء الكاثوليك بهجوم فوري على التفسير الذي قدمه صومر ، وصدرت مجلة الدراسات اليسوعية في شباط ١٩٥١ تتضمن مقالاً بقلم بونسيرفون J. Bonsirven وهو ثقة شهير في العقيدة اليهودية بعد ظهور المسيح ، اتهم فيه استاذ السوربون « صومر » بأنه نثر بذور الدين المسيحي في مخطوطات البحر الميت بيده ، واستغرب بعد ذلك انه وجدها فيها عند الحصاد . ودافع صومر لشجاعة عن آرائه في عدة مقالات وسنأتي على النقاط التي اثارها عندما نتعرض بتفسير النصوص .

(١٢١) وظهرت نظرية أخرى في انكلترا اوائل عام ١٩٥٢ بقلم تيخر J. L. Teicher نشر اولها في شباط جاء فيها ان الطائفة المعنية بالمخطوطات ليست يهودية وانما هي طائفة مسيحية مبكرة معروفة باسم الابيونيين^(١) Ebionites وسننظر في امر هذه النظرية كما ننظر في مثلها من النظريات الأخرى ، ولا يمكننا القول هنا الا بأن تعدد الآراء يؤدي الى تعقيد المشكلة . وخلال عام ١٩٥١ اخذت المنشورات التي تتعلق بالمخطوطات تتضخم وتزداد ولا سيما بعد ما قدر لنا ان ننشر في عدد شباط نسخة مصورة عن الجزء الثاني من مخطوطات البحر الميت التي كانت في دير السريان . وقد تضمنت صوراً ونسخاً من كتاب النظام ، وفي الوقت نفسه نشرت ترجمة بالانكليزية للوثيقة نفسها بقلم براونلي وكنا نأمل أن ننشر على هذا النص جزأنا الثاني المخطوط لأمك الآرامي والقطع التي اشتراها المطران صموئيل . ولكن بما ان الترتيبات لفتح مخطوط لأمك لم تكن تسير على ما يرام ولعدم رغبتنا في ترك العلماء ينتظرون وقتاً اطول ، قررنا ان ننشر كتاب النظام منفرداً . ولم تكتف منشوراتنا بتقديم مواد اساسية للبحث العلمي فقط بل القمت زيتاً على النار

(١) الابيونيون اي الفقراء او الدراويش وهم فرقة اعتنقت المسيحية على اعتبارها طائفة يهودية وهم يعتبرون بولس رسولاً زائفاً عندما جعل المسيحية رسالة عالمية ، لانهم كانوا يقولون انها يجب ان تكون الى اليهود فقط . ثم طويت صفحة هذه الطائفة في النسيان ولم يبق لها نصيب في تاريخ اليهودية ولا في تاريخ المسيحية .

المشتعلة . وكان من اثر ذلك ان صدرت ترجمات للمخطوطات في لغات مختلفة في الاشهر التي تلت .

وفي أوائل ١٩٥١ ظهرت ادلة جديدة تتعلق بتاريخ المخطوطات وقد ارسل هاردنغ قطعة كتان وجدت في الكهف اثناء الحفريات الثانية - ارسلها الى اميركا حيث اجرى عليها الاستاذ ليبي Libby من مؤسسة الدراسات الذرية في جامعة شيكاغو اختبار كربون ١٤ وارسلت نتيجة هذا الاختبار الى كريبلنج رئيس المدرسة الاميركية بالقدس بتاريخ ٩ نيسان ونشرها البروفسور سلر O. R. Seller في شباط . ثم اعيد الاختبار لقطعة الكتان التي كان يظن ان تاريخها هو ٣٣ بعد الميلاد فأظهرت نتيجة الاختبار انها تعود الى المدة الواقعة ١٦٧ قبل الميلاد و ٢٣٣ ميلادي ومع ان هذا التاريخ الذي عينه هذا الاختبار لم يحدد بدقة التاريخ الذي وضعت فيه المخطوطات في المغارة - كما كان يتوقع - فانه أشار الى العصر الذي تعود اليه بشكل عام . وهكذا أصبحت الآراء التي تنسب المخطوطات الى القرون الوسطى واهية متلاشية . ولو اجرى اختبار كربون ١٤ على المخطوطات نفسها لامكن تحديد التاريخ بصورة ادق ولكن هذا يعني حرق جزء كبير منها .

وفي اثناء انعقاد المؤتمر الدولي للمستشرقين في ايلول في مدينة اسطنبول خصصت جلسة صباحية من قسم العهد القديم الى كلمات تلقى عن مخطوطات البحر الميت وكان سكينيك أحد المشتركين فيها . فاطلع المؤتمر على صور فوتوغرافية اخذت للنصوص المعدة للطبع ولكنها لم تر النور الا بعد موت سكينيك عندما نشرت عام ١٩٥٤ .

الفصل الخامس

اكتشافات أخرى

(١٢٣) كانت الحملة الاولى سنة ١٩٤٩ قاصرة على جمع ما بعثه عربات التعامرة في الكهف الاول عندما اكتشفوه سنة ١٩٤٧ وفي هذه المدة عرف الرعاة اهمية اكتشافهم فجمعوا من التنقيب مهنة لهم تدر عليهم ارباحاً طائلة . وكان النجاح حليفهم عندما عثروا في اوائل سنة ١٩٥١ على كمية من الجلود واوراق البردى التي كتب عليها بحروف مختلفة في بعض الكهوف في موضع المربعات على مسافة ١٨ كم الى الجنوب من الكهف الاول وتبين أن هذه المخطوطات تعود الى حوالي سبعين سنة بعد تاريخ مخطوطات الكهف الاول ولها أهمية عظمى في معرفة تفاصيل ثورة اليهود الثانية على الرومان سنة ١٣٢ - ١٣٥م وسنعود الى التفصيل .

وفي سنة ١٩٥٢ اكتشفوا الكهف الثاني فوجدوا فيه ١٨٧ جذاذة اكثرها صغير وبعضها من أسفار التوراة .

وفي نفس السنة عثروا على الملف النحاسي في الكهف الثالث وسنخصه ببحث خاص^(١) . وعلى أثر ذلك كثر اللغظ حول وجود كميات أخرى من

(١) وقد وجدوا فيه رقوقاً جلدية اثرت فيها الرطوبة والفئران والديدان وساعدت على اتلافها وفي مرات كثيرة اضطر العلماء لخياطة ما تقطع منها وضم بعضها الى بعض ومع ذلك فقد بقيت فيها نواقص وفراغات .



احد الزوار يتسلق الكهف الثاني

المخطوطات في الكهوف فنفرغ التعامرة لهذا العمل وكرسوا معظم اوقاتهم للبحث عن هذه الكنوز من الكهوف . وكانوا في كل عشرة كهوف يحدون واحداً كان مسكوناً . وفي كل عشرين كهفاً يعثرون على بقايا بشرية في واحد منها . ومن حسن الحظ ان احضر التعامرة بعض القطع الثمينة من هذه المخطوطات وباعوها بأثمان غالية .

(١٢٤) وتحقق الاكتشاف الاكبر على ايدي التعامرة في خريف ١٩٥٢ عندما عثروا في الكهف الرابع على اكبر كمية من المخطوطات ولو انها كانت جذاذات متفرقة لان اصحابها لم يحفظوها في جرار وانما تركوها فوق الارض الرطبة - بسبب اقتراب الكتائب الرومانية منهم - فأثرت عليها الرطوبة والاملاح وهاجها النمل الابيض والجرذان وكان بينها أسفار غير معترف بها . وأدى التفتيش في الصخور المجاورة الى اكتشاف الكهف الخامس الذي وجد فيه ١٢ مخطوطة جديدة . كما وجدوا في الكهف السادس بعض الجذاذات واستمروا في عملهم حتى سنة ١٩٥٥ عندما أصبحوا يقدون العلماء في التنقيب فدخلوا الكهوف السابع والثامن والتاسع وكان اكثر موجوداتها على ورق البردي وليست من التوراة . والعاشر في الصخور المطلة على خربة قمران ولكنهم لم

يجدوا فيها سوى بعض الجذاذات التي تحمل بعض الحروف ومعها شقف من الفخار .

(١٢٥) وفي سنة ١٩٥٦ اكتشف التعامرة الكهف الحادي عشر في اقصى الشمال وعلى ربوة ترتفع خمسين قدماً وقد تهدم مدخله بحيث لم يبق الا نقب صغير لم يستلفت النظر في حملة سنة ١٩٥٢ فأهمل حتى اكتشف في هذا العام ووجد انه بوازي في اهميته الكهفين الاول والرابع . فقد اخرجوا منه جزءاً من سفر اللاويين وسفر المزامير والترجوم « الترجمة الآرامية لسفر ايوب » وكتاباً فيه وصف اورشليم الجديدة وقد اشتراها المتحف الاثري بالقدس بمبلغ تبرع به محسن اميركي . وتولت المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية دراسته ونشره . أما الوصايا العشر فهي اقدم واكمل وتعود الى القرن الاول قبل الميلاد . وأما كتاب المزامير فقد وجد كاملاً وفي حالة جيدة جداً وهو يزيد مزموراً واحداً عن المئة وخمسين مزموراً المعروفة . وينص هذا المزمور الزائد « أنا أصغر اخوتي ومن بينهم الرب يختارني لأنقذ شعبي » وجميع هذه الكتب مخطوطة بالحرف العبري المربع على جلود الماعز وبجبر مأخوذ من احتراق عظام الحيوانات .

طول الرق الذي كتبت عليه المزامير اربعة امتار وعرضه سبعة وعشرون سم كتب في القرن الاول بعد الميلاد ويحتوي على ٣٦ مزموراً من العهد القديم بما في ذلك المزمور ١٥١ الذي لا يوجد مثله الا في الترجمة السبعينية . كما يوجد في الملف سبع قطع غير معروفة وكلها تمثل كتاب المزامير الذي كان يستعمله القمرانيون .

(١٢٦) في هذه الاثناء احضر البدو الى القدس قطعتين من الجلد كتب عليهما بعض كلمات عبرية واخرى يونانية . ولقد زار امين المتحف الفلسطيني ومفتش^(١) الآثار الكهف الذي ظن بأنه مصدر هذه القطع ولكن تلك الزيارة لم توصلها الى النتيجة المطلوبة . وكان لابد من اجراء حفريات وابحاث شاملة في المنطقة . ودعا مفتش الآثار المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية لتشارك معه في

(١) هو الدكتور عوني الدجاني الذي اصبح المدير العام لدائرة الآثار الاردنية منذ سنة

البحث عن أحد الكهوف الذي وجده البدو . وفي اليوم الثالث من تشرين الثاني رافقه بعض أعضاء المدرسة وبعد سير شاق تمكنوا من تحديد الكهف وجمعوا بعض نماذج فخارية وقرروا انه من الصعب اكمال المهمة الا بعد اجراء حفريات اوسع .

وفي نهاية تشرين الثاني عرض على ديفو احد المتعاملين بالآثار في بيت لحم بعض قطع الجلد واجزاء من ورق البردي مدعياً بأنها من محتويات الكهف الاول الذي اكتشف سنة ١٩٤٧ . وبعد استجوابه اعترف بأنها من مكان آخر قريب من ذلك الكهف . ولما روى ديفو هذا الخبر الى هاردنغ اشترى القطع من البائع للمتحف الفلسطيني واستمر البدو في احضار القطع الاثرية الى دائرة الآثار والى المدرسة الفرنسية واخذ الاب ديفو يفاوض البدو بمنتهى سعة الصدر واللباقة لعله يتمكن من معرفة مصدر هذه الآثار التي يعرضونها . وعندما اقترح ان يشترك معهم في العمل اجابوه بأن ذلك مستحيل فان وجود غريب في البرية يثير انتباه الشرطة ويفسد الامر كله . وعندما كان ديفو يساوم في شراء قطعة اشتط البدو في ثمنها قائلين ان المكان بعيد جداً والعمل شاق وصعب . وعندئذ شعروا بأن ديفو يشك في اقوالهم فردوا بأنه سيتبين صدهم لو رافقهم في رحلة واحدة . ولما تمنى ذلك اكدوا له بأنه يمكن ترتيب مثل تلك الرحلة ، فقد كانت لهم عيون وارصاد على قمم التلال المجاورة تنذرهم بقدوم الشرطة فيسرعون الى الاختفاء بالكهوف . وزيادة في تأمينهم تعهد الاب بالحصول على اذن من دائرة الآثار ، وبذلك لا يتعرضون الى الاعتقال ولا سيما اذا رافقهم مدير الآثار نفسه مع حرس من الشرطة يحمونهم من حسد العشائر الاخرى . وهكذا بدأت الفكرة تروقه .

وعلى الرغم من الحماس الذي اثارته هذه المكتشفات الجديدة فانه لم تتح للعلماء مدة طويلة لدراستها اذ وجد من الضروري اجراء حفريات اخرى بعد ان اصبح التعامل منقبين متحمسين عن المخطوطات واصبحت الاخبار تتحدث عن مكتشفات جديدة في كهوف اخرى ، فلا بد من قطع الطريق على مثل هذه الحفريات غير العلمية .

(١٢٧) في آذار تشكلت حملة مشتركة من المدرسة الفرنسية والمتحف الفلسطيني والمدرسة الاميركية للتنقيب الشامل في المنطقة المحيطة بوادي قمران تحت ادارة الاب ديفو والبروفسور وليم ريد W. Reed مدير المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية في القدس وقد انضم للحملة الاب بارثلمي والاب ميلك وهنري دي كونتنسون H. de Contenson بالاضافة الى مراقبي عمال من المتحف الفلسطيني ومراقب من دائرة الآثار. وقامت الحملة بالكشف على المنطقة المحيطة بخربة قمران على امتداد خمسة اميال في جميع الجهات وقسمتها الى احواض عهد بكل حوض منها الى فريق صغير من العمال تحت اشراف عضو من اعضاء الحملة فتسلق اعضاء الحملة مع عمالهم العرب الصخور وهبطوا الوديان وقد استعملوا السلام من الجبال عند الحاجة حتى فتشوا اربعين كهفاً عثروا في بعضها على فخاريات ولا سيما في كهوف وادي قمران الذي كانت مياهه تروي السكان ووجدوا في كهفين قطعاً من مخطوطات سفر اللاويين مكتوبة بالخط الفنيقي المهجور وقطعاً من سفر الخروج وقطعاً من سفر راعوث الذي هو ثامن اسفار العهد القديم يقرأه اليهود في عيد الخميس او عيد الحصاد. كما وجدت قطع من اشعيا وارميا والمزامير ونصوص ليست من التوراة بالعبرية والآرامية .

كهوف المربعات

(١٢٨) في ٢١ كانون الثاني سنة ١٩٥٢ سافرت حملة استكشافية مؤلفة من مدير الآثار المستر هاردنغ والاب ديفو مدير المعهد الفرنسي ومراقب حفريات مدرب يرافقهم ضابط شرطة من بيت لحم وجنديان ودليلان من عرب التعمارة - وتوجهت الى المكان الذي اعتاد التعمارة ان يحضروا منه المخطوطات وهو يبعد ١٥ كم في الجنوب الغربي من خربة قمران ويدعى المربعات . ولما وصلوا الى المرتفع الذي يعلو ٢٥٠ متراً عن الوادي السحيق تحته شاهدوا عدة كهوف تستحق البحث والتنقيب عندما تتحسن احوال الطقس .

وفي شهر شباط من تلك السنة الف مدير الآثار حملة بمساعدة مدرسة التوراة الفرنسية والمتحف الاثري الفلسطيني بالقدس لتقوم بالبحث في المربعات . وبدأت عملها في الكهف الاول الذي وجدت في مدخله بئراً يدل

اتساعها على عدد سكان ومدة سكنهم هناك . وكان عمق هذا الكهف نحو ٥٠ متراً وقد وجدت الحملة ان الايدي عبثت به عدة مرات ومع ذلك جمعت كمية من الفخار من عصور مختلفة تبدأ من العصر النحاسي ٤٥٠٠ ق م الى العصر العربي في القرن الثامن بعد الميلاد . ومع الفخار وجدت شيئاً من قطع القماش والسلال والحبال مبعثرة .

اما الكهف الثاني فيظهر انه كان حصناً لثوار اليهود وفيه عدة ممرات تتفرع من الممر الرئيسي . وقد سدت كتل الصخر المتساقطة من السقوف بعض تلك الممرات الفرعية التي كان يملأها التراب الناعم الذي يشبه في نعومته ولونه البن المطحون . وبعد السير في داخله عشر دقائق انطفأت اضوية الكاز ولم يتغلب على الظلام الا مصباح كهربائي قدمه الجيش العربي . وظهرت بقايا السلال والقطع الخشبية والقماش مختلطة بجذاذات المخطوطات . وقد وجدت في الطبقة الوسطى ختماً وجعلا من عصر الرعاة « الهكسوس » مع جذاذات من الجلد وورق البردي كتبت عليها نصوص من اسفار عاموس وحزوزيه وميخا واشعيا في القرن الثامن قبل الميلاد . ويعتبر اقدم نص مكتوب باللغة السامية لانه يسبق كتابات لاختيش بمئتي سنة (ف ١٠٩) ولا يسبقه الا ما حفر على الحجر او على الآجر او على الفخار باللغات السامية وما كتب على اوراق البردي بالخط المصري . وكذلك وجدت نصوص من ايام السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد .

(١٢٩) ومن اهم الحقائق التي كشفتها هذه الحملة التي استمرت ستة اسابيع ان كهوف المربعات كانت آهلة بالسكان منذ خمسة آلاف سنة ولكن معظمها يعود الى القرن الثاني ولا سيما عندما اتخذتها عصابات الثورة اليهودية الثانية مركزاً لها ١٣٢ - ١٣٥ م بدلالة ما وجد من المخطوطات باللغات العبرية والآرامية والنبطية واليونانية . وهي نصوص تشكل مصدراً هاماً بالنسبة لتاريخ تلك الثورة . ففيها ذكر اسم قائد الثورة سمعان بن الكوكب او بار كوكبا - وكان اخصامه يلقبونه احياناً بابن الكذب . (بار كوزبا) اما انصاره فكانوا يلقبونه بأمير اسرائيل الذي ثار لخلاص بلاده ولكن الرومان اخمدوا ثورته بالعنف .



رسالة من ابن الكوكب وجدت في المربعات

(١٣٠) اخفيت هذه المخطوطات في كهوف المربعات التي كانت مركز الثورة الثانية وقد استعملها هؤلاء العصاة الثائرون حتى اذا اضطروا للهرب تركوها في تلك الكهوف التي عسكر فيها جيش هديران ليبحث بقايا العصاة بدليل بعض النصوص الصغيرة التي وجدت باللغة اللاتينية .
وفي ما يلي بعض هذه الكتابات :

- ١ - عقد زواج على ورق خشن كتب باليونانية سنة ١١٦ م .
- ٢ - مصالحة طلاق بين الياس وزوجته سالومي على نفس الورق وب نفس الحرف ولكنه من سنة ١٢٤ م .
- ٣ - حجاب كامل له اهمية في تاريخ الطقوس الدينية لدى اليهود .
- ٤ - مقتطفات صغيرة من اسفار التكوين والخروج والتثنية واسعيا مسورة

أي مضبوطة بالشكل العبري المعروف منذ سنة ١٣٢ م كان يستعملها عصاة الثورة في المربعات .

٥ - رسالة من سمعان بن كذبا الى قائده يشوع بن جلمجولة والرجال الذين معه جاء فيها « سلام... اقسم بالسماء اني سأقيد قدميك كما قيدت ابن اتلول اذا قام احد من الجليليين الذين معك بافساد أو ازعاج » .

٦ - رسالة منه الى قائده تذكر ان الرومان تحرکوا من معسكرهم .

٧ - حوالي ١٢ اتفاقية لتأجير مزارع وعقود وكفالات .

٨ - وثيقة نبطية خلاصتها « في العشرين من ايار في السنة الثالثة لتحرير اسرائيل في كفر ببايو قال خضر بن يهوذا الكفر بباوي الى اليعازر جاره القريب : اني قد بعثك بمحض ارادتي البيت الملاصق لبيتك حق تضيفه الى بيتك بدون الارض المجاورة . وقد بعثك بمبلغ ثمانية دنانير هي كامل الثمن في شراء البيت وارضه وحجارته وخشبه واثاثه وكل ما فيه . وحدود البيت شرقاً ملك يوناثان وشمالاً الدار وغرباً وجنوباً ملك البائع . وليس لك أي حق في داري وانا خضر بن يهوذا لا انكل بالبيع ولا ادخل هذه الارض التي بعثها منذ اليوم .

« وانا سالومي بنت سمعان وزوجة خضر لا اعترض على بيع البيت المذكور مرة واحدة ، فقد اصبح من اليوم ملكاً الى اليعازر ، وكتبه خضر بن يهوذا وكتبته سالومي بنت سمعان واليعازر بن ثانيا وشهد سمعان بن يوسف واليعازر بن يوسف ويهوذا بن يهوذا بما يوازي سنة ١٣٥ م .

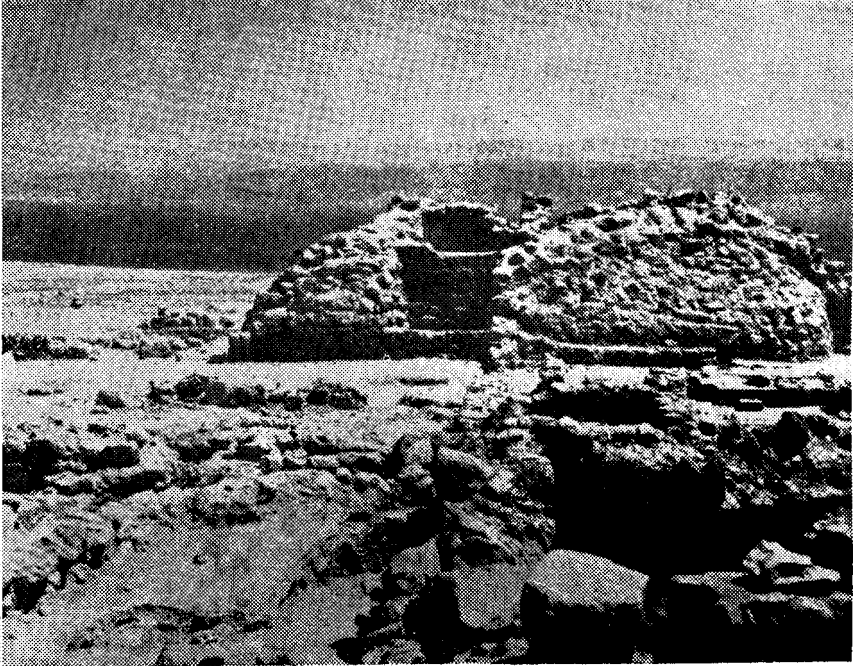
٩ - سند دين من عهد الامبراطور كومديوس سنة ١٨٠ - ١٩٢ م .

١٠ - كتابات عربية من القرن العاشر كتبت على القباطي المصنوع من ورق القطن .

وميزة مخطوطات المربعات بأن تاريخها واصحابها مذكورون عليها ومعروفون جيداً ، بعكس مخطوطات قران التي لم يذكر لها تاريخ ولم يرد فيها اسماء اصحابها .

خربة قمران

(١٣١) بينما كان هاردنغ وديفو يجريان عمليات الحفر في الكهف الاول سنة ١٩٤٩ امتدت اعمال التنقيب في الوقت نفسه الى خربة قمران المجاورة وهناك حفروا قبرين لم يجدا فيها ما يدل على أي علاقة بالكهف ومخطوطاته لذلك قالوا أن بناء قمران كانت قلعة رومانية صغيرة . وأصر كهيل على



برج قمران

توسيع الحفر في قمران على أمل اكتشاف ما يدل على حقيقة المخطوطات وعلاقتها بالخربة . وبناء على ذلك وبعد سنتين عمل هاردنغ وديفو مع خمسة عشر عاملاً في تلك الخربة وظهر البناء الرئيسي الذي طوله ١١٨ قدماً وعرضه ٩٤ قدماً واتضح زواياه الجنوبية الغربية والشمالية وظهرت في الناحية الجنوبية الغربية ثلاث غرف ترتفع جدرانها تسعة اقدام واكتشفت في

الناحية الشمالية الشرقية غرفتان وعثر على كمية من النقود البرنزية تعود الى زمن الثورة الاولى ٦٦ - ٧٠م كما وجدت قطع فخارية من عصر هيرودس وجرار تشبه ما وجد في الكهف الاول كانت تستعمل لحفظ الماء أو الخمر أو الزيت .

ومن هذا الاكتشاف علم هاردنغ وديفو ان البناء الرئيسي في الخربة لم يكن قلعة رومانية ، ونتيجة لذلك لم يثبت لها أن الخربة كانت مسكناً لكل الناس المدفونين في المقبرة المجاورة ، ومن المحتمل أن يكونوا من الذين عاشوا في الكهوف والخيام انما كانوا يجتمعون في هذه القاعة الواسعة اجتماعات عامة للطعام وللصلاة والدراسة .

وأهم ما يعنينا في هذا المجال ما وجد في مغارة صغيرة بالقرب من خربة قمران عثر فيها على قطعة تتضمن فقرة من الوثيقة الدمشقية التي لها علاقة كبيرة بمخطوطات البحر الميت . ان وجود قطعة من الوثيقة الدمشقية بين نصوص قمران - مهما كانت صغيرة - يعتبر دليلاً كافياً على ان الوثيقة الدمشقية لم تكن من مؤلفات القرون الوسطى حسب رأي البعض . وبهذه المناسبة نقول ان قطعاً أخرى منها وجدت فيما بعد .

واشرف هاردنغ وديفو على حفرة أخرى في قمران استمرت من ٩ شباط الى ٢٤ نيسان عام ١٩٥٣ وحصل منها على معلومات أخرى توضح تاريخ الموقع والسكان الذين عاشوا فيه وبذلك صححوا بعض استنتاجاتهم السابقة . وجرى كشف الجزء الاكبر من الخربة مما اظهر أنها تعرضت لثلاث فترات من الاحتلال والاسكان انتهت الاولى منها بسبب زلزال . ولقد اثبتت نقود يوحنا هركانس واسكندر جانس وثلاث قطع من نقود الملك السلوقي انتيوخس السابع ان احتلال الخربة ابتدأ في زمان اقدم بكثير مما اشارت اليه حفريات عام ١٩٥١ وكانت الفخاريات التي وجدت في هذه الطبقة في فاخورة تبعد ثلاثين متراً الى الشمال تشبه الفخار اليوناني الذي وجد في بيت صور^(١) وفي قلعة القدس .

(١) بيت صور : على اربعة أميال من شمال الخليل بناها رجبعام بعد وفاة سليمان .

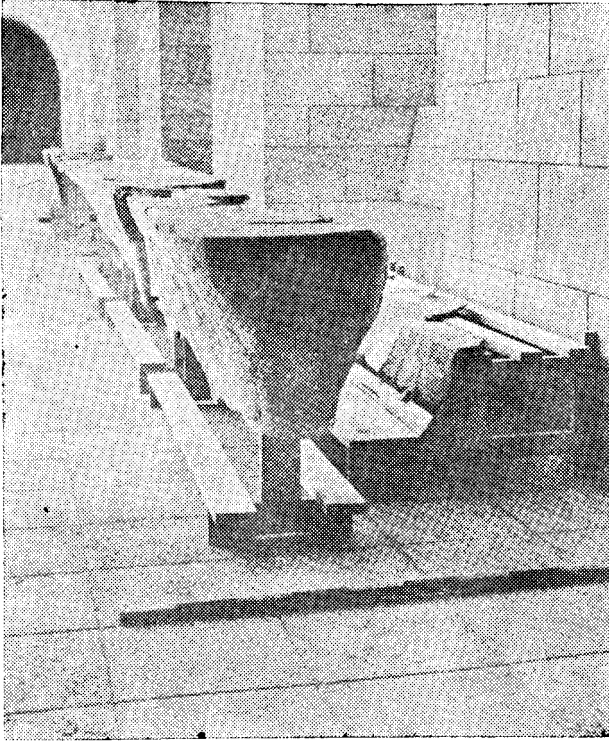


- (١) المدخل المائي ، حمامات (٢) ، قنطرة الماء ، (٣) غرفة المياه ، (٤) صناديق المياه ، (٥) غرفة المجلس ، (٦) قاعات ، (٧) المدخل ، (٨) المطبخ
- (٩) غرفة الاجتماعات ، (١٠) المدينة ، (١١) فرن الفخار ، (١٢) مشغل الفخار ، (١٣) مكان النسخ ، (١٤) أحواض الترسيب
- (١٥) منصة الخطابة ، (١٦) غرف الخزن ، (١٧) البرج .

ويذكر المؤرخ يوسفوس ان زلزالاً عنيفاً وقع في العام السابع لولاية هيرودس ٣١ ق.م وبذلك انتهت الفترة الاولى التي كانت فيها قمران عامرة .
أما البناية التي كانت مؤلفة من طابقين فانها تعود الى أيام يوحنا
هركانس ١٣٥-١٠٤ ق.م وفي زاوية البناء الشمالية الغربية كان برج سميك
الجدران يقوم بالدفاع . وفي الزاوية الجنوبية الغربية كانت قاعة الاجتماع
الواسعة . واستمر البناء الثالث حتى دمر في الثورة الاولى سنة ٧٠ م .



قناة الماء الواردة من الوادي الى خربة قمران



منضدة الكتابة التي وجدت في مجمع قران
وهي الآن في متحف عمان

(١٣١) وكما اسلفنا فان التصميم العام للبناء لم يطرأ عليه تغيير في الفترة الثانية . وقد كانت الغرفة الواقعة في الزاوية الجنوبية الغربية معدة للاجتماعات العامة وللاكل الجماعي . واما الغرفة الاوسع المتصلة بها من الشرق فانها كانت تستعمل للاجتماعات او للعبادة . ولم يلاحظ وجود اشياء تدل على الغرض الذي من اجله استعملت غرف الطابق الارضي . اما الطابق العلوي فقد عثر على اجزاء ثبت - بعد تجميعها في المتحف الفلسطيني - بانها مائدة^(١) من الطوب طولها يقرب من ١٦ قدماً وارتفاعها حوالي ٢٠ انشاً -

(١) مخلفات خربة قران كائنة الكتابة والمحابر ولفائف الكتان معروضة في متحف عمان الاثري .

مع أجزاء أخرى لمائتين أقل ارتفاعاً . وظهرت الغرفة منفصلة عن المطبخ كي تصلح غرفة للطعام . وبالإضافة الى هذا فقد عثر في نفس الغرفة على دواة للحبر من البرونز ودواة من الفخار لا يزال الحبر الناشف عالقاً بها ، كما وجدت دواة ثالثة في غرفة أخرى . وكل هذه قرائن تدل على ان هذه الغرف كانت تستعمل لسخن المخطوطات .

(١٣٢) جاءت جميع مخطوطات وادي قران من الفترة الأولى لعمران قرية قران - هذا باستثناء المخطوطات التي احضرها بعض الرواد الاولين . ولقد تبين ان قطعتين من مخطوطتين وجدت كل منهما في مغارتين متباعدتين نسخهما ناسخ واحد . . وتحمل قطع الجرار التي وجدت في البناء نفس اشكال الاحرف العبرية التي خطت بها المخطوطات . وهذه الاشكال تعود الى عهد اقدم من اشكال الاحرف التي كتبت بها مخطوطات وادي المربعات ووادي



محرقتان وجدتا على منضدة الكتابة في مجمع قران

النار . وعثر على قطعة فخار في الطبقة الاولى لخربة قران كتبت باحرف بدائية كتبها طالب تحت التعمرين كان يعد نفسه لان يصبح احد نساخ المخطوطات .

تدمير قران

(١٣٣) يشير الرماذ ورؤوس السهام الحديدية الى ان نهاية الفترة الثانية كانت عنيفة . ومرة ثانية يعيننا المؤرخ يوسيفوس على تحديد هذه النهاية، فيذكر ان فسبسيان حضر الى اريحا في حزيران عام ٦٩ ميلادية وخلف فيها حامية . ويستنتج ديفو بأن قسماً من الحامية التي تشكل فصيلاً من الفيلق العاشر الشهير شن هجوماً على خربة قران ودمر قلعتها ثم احتل الخرائب واتخذها نقطة مراقبة تشرف على شواطئ البحر الميت . ولقد عثر في الحفريات على قطعة من نقود فسبسيان لعام ٧٠ ميلادي وعلى قطعتي نقود من مدينة عسقلان عام ٧٢ - ٧٣ ميلادي وعلى ثلاث قطع من Judea Capta^(١) من ملك تيطس ٧٩ - ٨١ وعلى قطعة واحدة لاغربا الثاني حوالي عام ٨٦ ميلادية . وهي نقود يرجح انها من خلفات الحامية الرومانية .

اما فخاريات الفترة الثالثة فقليلة والذي عثر عليه منها يعود الى بداية هذه الفترة وهي قريبة من التاريخ الذي دمرت فيه القلعة . وفي هذه الفترة لم تستخدم البناية لاغراض طائفة منظمة وحاجاتها وانما استخدمت لاغراض حامية عسكرية صغيرة . وبعد خروج الحامية الرومانية لجأ بعض ثوار اليهود الى هذه الخربة وخلفوا فيها ١٣ قطعة نقود من الثورة الثانية (١٣٢ - ١٣٥ م) . اما قطع النقود الخمس من تاريخ متأخر وبعض الفخاريات العربية التي وجدت عام ١٩٥١ فانها تمثل فترة سكن متأخرة ربما تركها بعض الرعاة الذين خيموا في الخربة في احدى الليالي . وقامت بالحفر حملة ثالثة (١٥ شباط - ١٥ نيسان عام ١٩٥٢) واطهرت ان البناية الكبيرة كانت تمتد الى الجنوب

(١) قطعة نقود تظهر عليها امرأة يهودية أخذت في الاسر وهي تبكي مع صورة جندي روماني - بينها نخلة .

اكثر مما قدر لها في السابق ولقد كشفت قاعة متسعة يزيد طولها على سبعمين قدماً . ومما لا ريب فيه انها استخدمت للاجتماع والطعام المقدس . وفي غرفة صغيرة ملحقة بها وجدت مجموعة كبيرة من الفخاريات مرتبة بعناية حسب اصناف الفخار مثل خزانة حفظ الصحون التي صنعت من الخزف الصيني . اما الدليل على ان هذه الفخاريات من صنع محلي فنأخذه من الفاخورة التي يصفها ديفو بأنها اكمل فاخورة كشفت في فلسطين واكثرها حفظاً . وفي الجهة المقابلة من الحفريات كشفت طاحونة وكان حجر الطاحون قريباً منها . اما قرائن النقود فيما يتعلق بتواريخ الفترات الثلاث المتتابعة فلم تتغير مدلولاتها وانما امدتنا بقرائن اخرى عن الزلزال الذي قضى على الفترة الاولى وعلى احتلال الرومان للموقع في الفترة الثالثة ثم . كشف شيء جديد - فخاريات تعود الى القرن الثامن والسابع قبل الميلاد وهي تشير الى ان جماعة اسرائيلية سكنت الموقع قبل الخروج من الهيكل . وثمة كسرة فخارية مكتوب عليها بعض الاحرف الفينيقية . ولم تظهر آثار لمساكن هذه الفترة القديمة . ولا علاقة بين احتلال العهدين للموقع نفسه فلقد مرت فترة امتدت عدة قرون بين الاقامتين .

في ١ شباط ١٩٥٥ كتب لي الأب ديفو « غداً سنتوجه الى الخربة في حملة جديدة وسوف نزيل ما يحيط بالبناء الرئيسي من الجهة الغربية والبناء الصغير المجاور ، بعد أن أزال السيل نصفه . وأنا لا أتوقع اكتشافاً ذا أهمية في هذه المنطقة الثانوية. وستتوقف الحملة حوالي أوائل نيسان ، ولست أدري اذا كانت هذه المدة كافية لاتمام المهمة أو انه سيتحتم علينا أن نعود في العام القادم » . وفي ٢٩ آذار كتب لي « ستمتعي حفرياتنا في خربة قرارات في الاثني عشر يوماً القادمة لأن الحملة كانت موفقة وستوفر لنا معلومات أوسع عن تاريخ الجماعة وحياتها ومعيشتها »



الدرج الهابط الى صهريج الماء الكبير ، وقد صدعه الزلزال

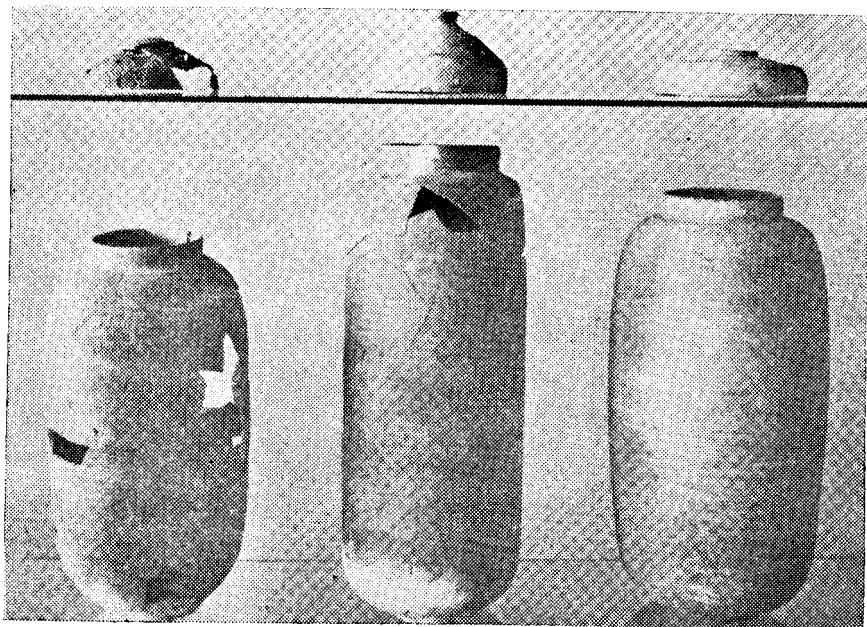
دراسة المكتشفات

(١٣٤) وفي هذه الاثناء يجري الفحص الدقيق في المتحف الفلسطيني على القطع التي جمعت . وكتب فرانك كروس^(١) Frank Cross مؤلفاً شائعاً يصف فيه هذا العمل فيقول أما القطع فيجب أن تطرى وتلين ومن ثم توضع

(١) فرنك كروس من جامعة مكورمك اللاهوتية والتحق بالدرسة الاميركية للابحاث الشرقية في القدس وتيسر له أن يساعد على حفظ هذه المخطوطات وبعثها ونشرها وقد كتب مقالات في مجلة كرسنتين سانشوري Christian Centurey وله كتاب عن الطائفة اليهودية في خربة قران . وقد خالف صومر الفرنسي الذي بالغ في تأثير الاسينيين على العقيدة المسيحية .

بين صفائح زجاجية لبطها ثم تنظف بعناية، خوفاً من أن يحمى الحبر مع الطين . وبعض القطع هشة لدرجة انها تنفتت عندما تلمسها فرشاة من الوبر الناعم . وفي بعض الاحيان تساعد إضافة قليل من زيت الخروع على اظهار الكتابة . ولكن هذا يتطلب عناية فائقة حتى لا يتغير لون المادة نفسها . والتصوير الملون يساعد أحياناً في اظهار الكتابات غير المقروءة بالوسائل الاخرى . وبعد بسطها وتنظيفها يتحتم تصنيف القطع وجمعها اذا أمكن . واذا كانت الكتابة من التوراة أو المؤلفات المعروفة فالنجميع سهل . وفي هذا العمل تظهر نتائج مفاجئة تعوض التعب والملل اللذين يرافقان هذه الاعمال المضنية .

في ٢٢ ايار ١٩٥٤ اذيع أن جامعة ماكجل في مونترال في كندا ابتاعت قسماً من مخطوطات الكهف الرابع بمبلغ ١٥٠٠٠ دولار . ومن شروط البيع أن تبقى هذه المادة في المتحف الفلسطيني للدراسة وأن تنشر مع القطع الاخرى في العدد المتسلسل من النشرة . ويتوقع أن يستغرق هذا العمل نحو عامين . وقد اذيع أن جامعة مانشستر اشترت قطعاً اخرى بنفس الشروط .



نماذج من الجرار التي وجدت في كهوف قمران

(١٣٥) يقول هاردنغ : في سنة ١٩٥٠ اخترنا ثلاث غرف من الزاوية الجنوبية في دير قمران . وتبين فيما بعد أن اختيارنا كان موفقاً جداً لأننا عثرنا عند مستوى أرضية إحدى الغرف على جرة تماثل الجرار التي وجدت في الكهف الأول وإلى جانبها قطعة نقود يعود تاريخها الى سنة ١٠ بعد الميلاد . وفي الوقت نفسه عثرنا على كمية من الأسرجة والأواني الأخرى ذات الطراز الروماني وكان من الواضح أن هنالك علاقة مباشرة بين هذه المكتشفات والكهوف وعلى هذا ثبت لنا أن هناك كهوفاً أخرى وانها تحوي مخطوطات كتلك التي وجدت في الكهف الأول .

يقول التاريخ الذي بينته المخطوطات : بدأت الحياة في تلك المنطقة على شكل قلعة في العصر الحديدي . ومن المحتمل أن يكون ذلك في القرن السابع قبل الميلاد . ويبدو أن المسكان ظل مهجوراً منذ ذلك الحين حتى القرن الثاني قبل الميلاد عندما جاءت جماعة من اليهود عرفوا بالأسينيين . وكان قصدهم اعتزال العالم ليتسنى لهم ممارسة شعائهم الدينية وطقوسهم التي لم تكن مطابقة لشعائر اليهود في القدس . فبنوا في قمران قرية لهم فوق أساسات قلعة العصر الحديدي وتوسعت في امتدادها جنوباً وغرباً . والواقع أن اختيار المسكان كان موفقاً لأنه يقع على ارتفاع ٢٥٠ قدماً عن سطح البحر . وقد أغلق سكان قمران أبواب بلدهم على أنفسهم والتزموا الصمت والعبادة .

وفي عام ٦٦ بعد الميلاد ثار اليهود على الرومان مما أدى إلى دخول الجيوش الرومانية لإخماد الثورة ولا يمكن التأكد فيما إذا كان الأسينيون قد اشتركوا مادياً ومعنوياً في تلك الثورة . غير أن الثابت أن قمران تهدمت وأحرقت سنة ٦٨ أو ٦٩ بعد الميلاد . ومن المحتمل أن يكون السكان قد ذبحوا - مع أنهم عرفوا مسبقاً بقدوم الجيش الروماني - ذلك أن يوسيفوس يخبرنا أن الفيلق العاشر كان في أريحا القريبة جداً من قمران . فخبأوا على عجل أثنى ما لديهم - أي مخطوطاتهم التي كانت تضم نحواً من أربع مئة مخطوطة مختلفة في الكهوف القريبة منهم وهي مكتبة كبيرة بالنسبة لتلك الأيام - وتدل تحفة الأسينيين تلك المخطوطات أنهم كانوا يأملون العودة لاسترجاعها . ولكنهم لم يعودوا

لأن الرومان أقاموا مخفراً فوق خرائب البناء الرئيسي في القرية . ويبدو من النقوش التي وجدت في ذلك المخفر أن إقامة الرومان فيه دامت حتى نهاية القرن الأول الميلاد . وقد أخلي المخفر بعد ذلك وعثر فيه على مجموعة من النقود تعود الى عهد الثورة اليهودية الثانية ١٣٢ - ١٣٥ م . أما بعد هذا التاريخ فإن الآثار تصمت ولا تتحدث وقد ظلت صامتة عبر العصور حتى أيقظتها عنزة ذلك الراعي عام ١٩٤٧ .

(١٣٦) اكتشف في دير قمران بقايا مكاتب ومحابر من النحاس والفخار وأواني للاغتسال . ففي حجرة الطعام والمطبخ المجاور لها وجد ١٧ آنية للطبخ . وبالقرب من القلعة اكتشفت أعظم فاخورة وجدت في فلسطين ويجوارها حفرة كان يؤخذ منها الطين لعمل الفخار كما وجدت بقايا جرار كثيرة اللازم تستخدم للوضوء والاغتسال . ولقد أثبتت نقود قمران تاريخ هذا المكان بصفة قاطعة خلال ثلاث فترات :

(١) ١١٠ - ٣١ ق م

(٢) ٢ ق - ٦٨ م

(٣) ٦٨ - ١٠٠ م

وقد وجدت مغطاة بطبقة كثيفة من الرماد المحترق . ومع أن الرومان احتلوا المكان وعسكروا فيه ثم أحرقوه بعد ذلك إلا أن السكان الأولين كانوا من طائفة الأسينيين^(١).

خربة قمران

جرت فيها خمسة مواسم للتنقيب :

(١) ٢٤ نوفمبر - ١٢ ديسمبر ١٩٥١

(٢) ٥ فبراير - ٢٤ ابريل ١٩٥٣

(٣) ١٣ شباط - ١٤ نيسان ١٩٥٤

(١) لم يرد اسم الاسينيين مكتوباً على أي أثر في منطقة قمران مطلقاً .

(٤) ٢ شباط - ٩ نيسان ١٩٥٥

(٥) ١٨ شباط - ٢٨ آذار ١٩٥٦

من أهم ما وجد في هذه الحفريات شقف فخار من القرن السابع قبل الميلاد ولكن لم توجد بقايا أبنية من تلك الحقبة .

اكتشف في الغرب من أبنية الخربة جدران صهاريج مستديرة ، قد تكون أول أبنية في قمران التي ذكرت في يشوع ١٥ : ٦٢ باسم مدينة الملح ، زيادة عن المدن الثلاث الأخرى بين عين جدي وبيت عربية في المرج المعروف اليوم باسم البقيعة ، على بضعة أميال في الشمال الغربي من خربة قمران . وفي الغرب من خربة المرد التي اكتشف فيها الدير البيزنطي . وفي صيف سنتي ١٩٥٤ و ١٩٥٥ اكتشف كل من كروس ومليك وادي قمران ونقبا فيه وظهر لهم أن المواقع الثلاثة كانت مسكونة من القرن السادس قبل الميلاد واستنتجا أنها مدن التوراة المعروفة بأسماء : بيت العربية ومدّين وسكاكة ونبشان ومدينة الملح وعين جدي وأوصحا أنها كانت ثلاثة حصون وثلاث مدن للخزين بناها ياهوشافاط وكانت على اتصال بحصون عزيا وصهاريجه في البرية . وهذا يطابق ما ذهب اليه مارتن نوث من أن البقيعة هي المعروفة في التوراة باسم وادي اغور حيث ضرب عاخن وأبناؤه وعبيده بالحجارة وحرقوا بالنار ، يشوع ٧ : ٢٤ واشعيا ٦٥ : ١٠ وحوزيا ٢ : ١٥ ، هذه القرى الإسرائيلية دمرت حوالي سنة ٦٥٠ ق.م ولم تكن لها صلة بسكان قمران الذين عاشوا بعد تدميرها بخمسة قرون ، باستثناء ما بقي من أسس البناء القديم الذي قام البناء الحديث قربه .

وفي سنة ١٩٥٥ وجدت خمسون من قرون الحيوانات مبعثرة في عدة زوايا وكانت مدفونة في آنية فخارية وهي قرون نعاج وخراف وماعز وعجول وبقر . ويظن الأب ديفو أنها بقايا تخلقت من وجبات الطعام الجماعية في الاحتفالات الدينية بالرغم من عدم توفر أي شيء في النصوص يدل على الغاية منها .

(١٣٧) في الشرق من البناء الرئيسي توجد المقبرة العظيمة التي تضم عظام ألف ميت وضعت في صفوف وألقي الميت فيها على قفاه واتجهه الرأس الى الجنوب على عمق أربعة أقدام . ولم يوضع مع الميت أي نوع من المواد الأخرى .

في سنة ١٩٥٣ فتحت ستة من هذه القبور كما فتح في سنة ١٩٥٦ أحد عشر قبراً وكانت كل هياكلها رجالية - باستثناء بعض قبور النساء والاطفال في أقصى الطرفين الشرقي والجنوبي - وفي الشمال قبر دفن فيه رجل وقبر دفنت فيه امرأة . ومن المشاكل التي ما زالت قائمة هي هل كانت الجماعة من الرجال فقط أو دخل اليها النساء وتشكلت فيها الأسر فيما بعد .

بين خربة قمران وبين واحة عين الفشخة على شاطئ البحر الميت وعلى بعد ميلين من الجنوب عيون كثيرة استخدمت في الري . وقد وصف المؤرخ الطبيعي الروماني بلييني الأسينيين الساكنين قرب البحر الميت بين أشجار النخيل . وقد وجد ملك بقايا أخشاب وجذوع النخل في خربة قمران استخدمت كدعائم في البناء .

(١٣٨) في سنة ١٩٥٦ نقب ديفو في عين الفشخة التي اثبتت موجوداتها الاثرية انها سكنة اخرى لجماعة دينية تشبه سكان قمران عاشوا حياة كلها جد وعمل خلال القرنين الاول قبل الميلاد والاول بعده وانهم كانوا يتناولون طعامهم شركة في الجامع المركزي الذي اعتادوا ان يجتمعوا فيه ايضاً للعبادة والدراسة وكانوا يمشون ايامهم في المطاحن والفواخير ونسخ التوراة وغيرها من الآداب الدينية .

(١٣٩) يرى الاستاذ المديكو ان الكهوف لم تستعمل لاختفاء الكتب الثمينة الخاصة بتلك الطائفة ولكنهما في نفس الوقت كانت جنيزة لقبر الكتب التي يقرر الاحبار منع تداولها . وهو يحمل الباحثين مسؤولية اعتبار هذه الكهوف مخازن لمكتبة الاسينيين . وهو ينكر ان طائفة تشبه الاسينيين كانت تسكن هنا، فانه لم يذكر اي كاتب قديم ان الاسينيين كانوا

يمضون اوقاتهم في نسخ الكتب كما ينكر وجود طائفة يهودية سكنت وادي قمران ، كما لم يعهد في تاريخ اليهود وجود مساكن قرب اي مقبرة . وهو يتساءل هل استعمل احد اليهود ^(١) محابر كالتى وجدت في مكان الكتابة في جامع قمران ؟ وهو يرى ان ذلك الجامع كان يستعمله حرس المخفر الروماني المسؤول عن مراقبة تحركات اليهود - ففي هذا الجامع كانت تكتب التقارير وترسل الى الجهات المختصة كما تفتح الاوامر الآتية من القيادة ويضيف الى ذلك قوله ان قلعة يهودية بنيت على الحدود اثناء حكم اسكندر جانوس الحشموني ١٠٣ - ٧٦ ق . م وقد اهملت في ايام هيرودس .

(١٤٠) لقد استعمل القرية طائفة متمسكة باليهودية ثم استعملتها طائفة من زنادقة اليهود لم تكن تهتم بالاوامر الدينية وان القاعة الكبرى في الشمال الشرقي والقاعة التي في الجنوب من الساحة كانتا تستعملان لتقديم الصلوات كما استعملت الغرف الاخرى لغسل الاموات وكانت الصهاريج الواسعة توفر الماء للقادمين حتى يشبعوا الجنازات او يزوروا القبور . وعلى ذلك فانه يستنتج ان الذين عاشوا في هذه المنطقة كانوا حراساً او حفاري القبور ، حتى احتل المكان بعض ثوار باركوكبا في الثورة الثانية وكذلك استعمل المسيحيون هذا المكان لدفن موتاهم فيما بعد .

عدم وجود اي مخطوطة في مكان النسخ بدير قمران دليل على ان الكهوف كانت جنيزات لاختفاء النسخ غير المعترف بها .

نوع الفخار والخمسمائة قطعة من العملة الفضية وبعض السككات العبرية على شقف الفخار تؤكد ان تاريخ الحربة يعود الى القرنين الاول قبل الميلاد والاول بعده .

وفي سنة ١٩٥٥ وجدت جذاذات كثيرة في غرف قدت في الصخر تحت بناء قمران وإن وجود النقود من العصر البيزنطي يؤيد نظرية استعمال المقبرة في العصر المسيحي الذي كانت تقام فيه الصلوات عن روح الموتى .

(١) وجدت اشباه هذه المحابر في حفريات القويلبة في شمال اريد سنة ١٩٥٩ وهي رومانية بحتة - مما يقوي نظرية جعل موجودات دار النسخ في قران رومانية - لا يهودية .



صلاة كان يؤديها القمرانيون قبل تناول الطعام

خربة المرد

(١٤١) استمر التعاامرة في البحث عن المخطوطات بنجاح مدهش حتى سبقوا العلماء في العثور على اجزاء من مخطوطات بكهف يبعد حوالي مئة متر عن الكهف الاول كما أنهم وجدوا على مسافة اكبر نحو الجنوب كهفاً اخر جوا منه جرة فخارية كاملة مع غطاءها . وظلت قطع المخطوطات تنوارد الى بيت لحم والقدس حيث يتنافس على شرائها المتحف والمدرسة الفرنسية ودائرة الآثار . وقد تبين فيما بعد أن التعاامرة احضروا كثيراً من الاثریات من خربة المرد .

(١٤٢) زادهاتمام العقيد البلجيكي فيليب ليبانز (الذي لعب دوراً بارزاً عام ١٩٤٩ في البحث عن الكهف الاول) بهذه الاثرثيات حتى اصبح استاذاً في جامعة لوفان وانضم اليه زميله الاستاذ ديلانج DeLange فشكلا بعثة سافرت في شباط ١٩٥٣ الى خربة المرد . وهي خرائب دير بيزنطي يبعد خمسة كيلومترات في الشمال الشرقي من دير مار سابا وعلى قمة أحد الجبال التي تشبه مخروطاً مقطوع الرأس حيث تكثر كهوف النساك وصهاريج الماء والقنوات التي تصب فيها وبقايا جدران وارضية فسيفساء لكنيسة وبعض القبور . واستمر الدير عامراً برهبانه من القرن الثاني الى القرن التاسع وقد وجدت البعثة البلجيكية بعد تنقيب التعامرة كمية لا بأس بها من العاديات وهذه أهم ما أحضره التعامرة وما كشفته البعثة البلجيكية من خربة المرد :

١ - أجزاء من سفر يشوعا ومن النجيلي لوقا ومتي وسفر من اعمال الرسل ورسالة بولس الى أهل كلوسي . وكلها كتبت بالآرامية الدارجة بفلسطين ايام المسيح .

٢ - رسالة بالآرامية هذا تعريبها « من المبارك بالرب وطالب الغفران عن أخطائه جبرائيل الى رئيس دير اسيدانا وآبائنا - اني ارجو ان ترفعوا الصلوات لاجلي لانجو من العشيرة التي يخافها قلبي . سلام عليكم من الاب والابن والروح القدس آمين » .

٣ - حجاب كنب فيه الآيات ٤ - ٩ من سفر التثنية .

٤ - اجزاء من نبوات الانبياء الصغار : ميخا . يونا . ناحوم . حبقوق . سفينا . وزكريا كتبت على درج باليوناني في نهاية القرن الاول الميلادي .

٥ - قطعة ادبية من رواية اندروماكي التي كتبها يوربيدس في القرن الخامس قبل الميلاد .

٦ - معاملة استرداد ملك بيع بالزاد العلني وفاء لذمة كتب باللغة النبطية .

- ٧ - قطعة من عمود من سفر حبقوق باللغة اليونانية ويعتبرها الاب بارثلمي الحلقة المفقودة في تاريخ الترجمة السبعينية للتوراة .
- ٨ - قطع من سفر التكوين والعدد ومن المزامير وحكمة سليمان ، كتبت فيما بين القرنين الخامس والثامن بعد الميلاد .
- ٩ - رسالة موجهة الى قائد الثورة اليهودية الثانية سمعان بن كذبا .
- ١٠ - مستندان بالآرامية في العام الثالث من تحرير اسرائيل على يد القائد سمعان .
- ١١ - وثيقتان باليونانية من العصر الذي كانت فيه هذه البلاد تسمى الولاية العربية .
- ١٢ - رسائل عربية من القرن العاشر على ورق عادي .

الكهف الرابع

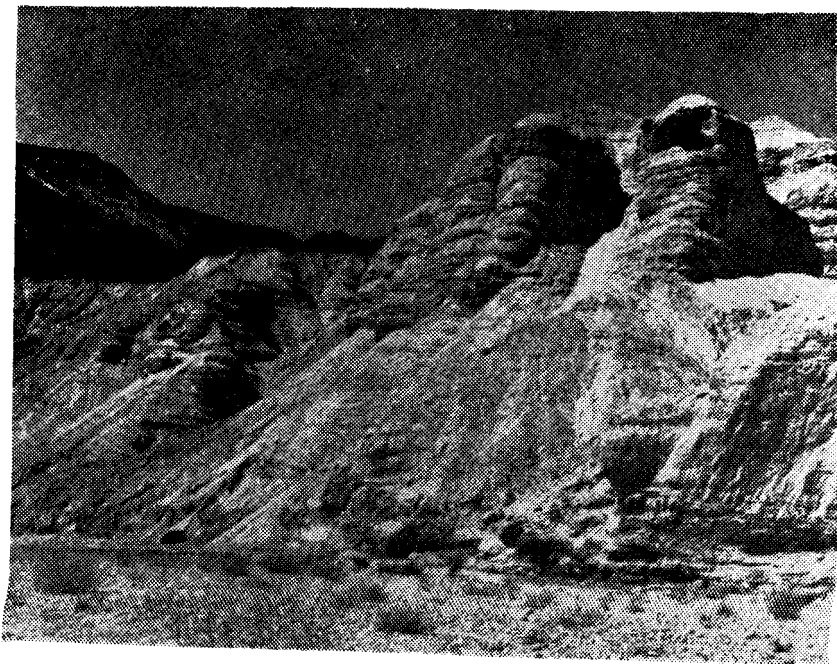
(١٤٣) اذا مشينا نحو مئة خطوة في الجنوب من خربة قران نشاهد عن يميننا وادياً سحيقاً برز فيه رأس أبيض فتحت فيه عينان من الصعب الوصول اليهما . وقد كان عربان التعامرة قد سمعوا أن آباءهم عندما كانوا يفرون من الخدمة في الجيش التركي كانوا يختبئون في هذه الحجرات . وذكروا انهم كانوا يرون فيها أوراقاً ممزقة . لذلك اسرع شبان التعامرة الى هذا المكان ونصبوا السلام وتدلوا بالحبال حتى دخلوا الحجرات ، فوجدوا فيها ما ذكره الآباء الفارون من مخطوطات كانت قد القيت فيها .

وهناك رواية أخرى تقول ان صياداً طارد حجلأ فأصابه يرح وزحف وراءه حتى هبط الى الكهف الذي دخله . وهناك شاهد سراجاً وقطعاً أخرى من الفخار ، فتذكر الاثان الطيبة التي قبضها ابناء قبيلته ثمناً لما وجدوه من المخطوطات مع مثل هذه الفخاريات ، فعاد الى ابناء عشيرته واخبرهم بما رأى فشكوا حملة اخذت معها كيس طحين ليصنعوا منه خبزهم ، كما اخذت الحبال وبعض الاضواء وتوجهت سرأ الى تلك المغارة . فدخلتها وبعد مدة بدأت اثرياتها ترد تباعاً الى بيت لحم والقدس .

وهكذا تيسر لهؤلاء العربان أن يجدوا المكتبة الرئيسية التي أودعها
العبرانيون مخطوطاتهم الثمينة دون عناية، وذلك لأن الجيش الروماني كان قد
اقترب منهم فلم يترك لهم فرصة للفها في قماش ووضعها في جرار. ولهذا السبب
تعرضت الى الأرضة (النمل الابيض) وفعل الرطوبة ، فاهترأ قسم منها
واعمى قسم آخر . ومع ذلك فقد بقيت اجزاء كثيرة من جميع الاسفار
المعترف بها وغير المعترف بها المعروفة بالابوكريفا^(١) التي تعود الى الطوائف
اليهودية التي كانت تعيش في القرنين الثاني والاول قبل الميلاد . وقد كتبت
باللغات العبرية والآرامية واليونانية .

ولا أبالغ اذا قلت ان ما جمعه الاعراب منها بلغ عشرات الآلاف من جذاذات
مخطوطات التوراة ومن كتب الابوكريفا التي لم تكن معروفة قبل هذا
الاكتشاف . كما كان من بينها ٣٣٢ وثيقة طائفية يضاف الى ذلك اجزاء تبين
عند جمعها بعضها الى بعض انها تكون كتاباً يرجع عهده الى ٣٢٥ - ٢٠٠ ق.م .
وقد عرف هذا الكهف بالكهف الرابع وهو اغنى كهوف قمران على
الاطلاق . وقد عرض عربان التعامرة بعض موجوداته على الأب ديفو في
المدرسة الافرنسية بالقدس ، فاشترى منها مجموعة ب ١٣٠٠ دينار واتصل
تليفونياً بالمستر هاردنغ مدير آثار الأردن في عمان ليزف له هذه البشرية ،

(١) الابوكريفا : في ثورات اليهود على حكامهم اليونان والرومان ، استعمل قادتهم عبارات
وأقوالاً تحض الشعب على القتال كأنها من اقوال انبياء الله ورجاله . وبمرور الزمن اخذت
تظهر مكتوبة مع اسفار العهد القديم . فهب الكهنة يستنكرونها ويشتمون انها مدسوسة
واخذوا يخفونها في جنيئات لتكون بعيدة عن متناول الايدي ، فعرفت بالابوكريفا
Apocrypha أي الخبأة باعتبار انها ليست من وحي الله أصلاً (ف ٨٧) . اما الاسفار
القانونية والمعترف بها فكانت معروضة على رفوف مكاتب الكهنة والكتبة اليهود لاستعمالها .
وهناك اربعة عشر سفرأ اعتبرت من الابوكريفا كسفري عزرا الثالث والرابع
واسفار طوبيا ويهوديت والحكمة ليشوع بن سيراخ والمكابيين الاول والثاني واليوبيل .
ولذلك لا نجدتها الآن ملحقة بالتوراة الحالية . ولكننا وجدنا بعض اجزائها بين مخطوطات
البحر الميت ، فقد اجاز بعض اليهود استعمالها في الوعظ والارشاد والترهيب والترغيب .



الكهف الرابع

فأسرع هاردنغ الى الكهف الرابع مع جنديين ووجد البدو ما زالوا منهمكين في البحث والتنقيب ، فأوقفهم ورأى من الضروري الاسراع بالبحث العلمي في هذا المكان الخطير ، ودعا الى المشاركة فيه المدرسة الفرنسية والمتحف الاثري . وقد بدأت الحملة عملها في ٢٢ أيلول سنة ١٩٥٢ . وخلال اسبوع تمكنت من اخراج ما خلفه البدو في ذلك الكهف ، وكانت كميات وافرة تفوق في قيمتها الاكتشافات الأولى سنة ١٩٤٧ .

(١٤٤) بعد أن عادت هذه الحملة الى القدس أقامت المدرسة الاميركية في الرابع من تشرين الاول حفلة شاي تكريماً لها واغتنم الأب ديفو الفرصة ليتكلم مع الدكتور تشنكهام (A. D. Tushingham) الذي خلف الدكتور ريد في ادارة المدرسة الاميركية وروى له خبر الاكتشاف الجديد الذي جرى عندما كان في رحلة الى سوريا استغرقت اسبوعين ، وبين له وجوب الإسراع بقيام

حملة أخرى قبل قوات الأوان . وبالرغم من أنصاب تلك الرحلة ، أسرع في اليوم التالي مصطحباً معه اثنين من أعضاء المدرسة الأمريكية هما السيدان نييل ريتشاردسون (Neil Richardson) وغس فان بيلك (Gus Van Beek) ورافقهم الاب مليك (Milik) من المدرسة الفرنسية والسيد يوسف سعد من المتحف ولم يحالف الحظ هذه الحملة فعاتد دون أن تجد ما يستحق أنعابها .

أسرعت الحكومة بإرسال دوريات عسكرية لإيقاف حفريات التعمارة ، كما خصصت خمسة عشر ألف دينار لشراء جميع المخطوطات التي كان البدو يعرضونها . ولكن بعد مدة ظهرت مجموعات أخرى ، فاشتري المتحف منها بنحو ثمانين ألف دينار ، ثم تبرع بعض الجامعات والمتاحف في أوروبا وأمريكا بمبالغ لا بأس بها لإنقاذ هذه المخطوطات وحفظها وتمكين العلماء من درسها . وقد وضعت كل الكميات المشتراة هذه في المتحف الاثري بالقدس لتكون وحدة ، ثم وضعت تحت تصرف فريق من العلماء من جنسيات مختلفة أكبوا على جمع تلك القصاصات التي طمسها الطين أو أصبحت هشة منكشة يضعونها تحت ألواح من الزجاج تضغطها برفق واثانة ، ثم تنظيفها بفراشي ناعمة ، وأخذوا يسلطون عليها الاشعة الحمراء حتى استطاعوا أن يتبينوا ما كتب عليها كما أخذوا في تصنيف محتوياتها وتهيئتها للدراسة . ونتيجة لهذه الدراسة ظهر أن موجودات الكهف الرابع تعود الى ستين مخطوطة . وقد يصل عددها مع محتويات المغاير المجاورة الاخرى الى مئتي مخطوطة على أقل تقدير .

(١٤٥) وبفضل هذه الجهود أصبح لدينا :

نسخة كاملة من سفر اشعيا كتبت قبل الميلاد بنحو مئة عام ، مع العلم بأنه لم يكن لدينا قبل هذا الاكتشاف من سفر اشعيا ما هو أقدم مما كتب سنة ٨٢٧ م .

أعمدة من سفر صموئيل يرجع عهدها الى سنة ٣٢٥ ق.م .

آلاف الجذاذات الاخرى من أسفار العهد القديم وقد كتبت باللغة التي

كان يتحدث بها السيد المسيح، مما يساعد على معرفة المعاني الغامضة لبعض التعبيرات التي وصات الينا مترجمة عن اللغة اليونانية .

قطع عديدة من المزامير ودانيال وارميا .

تعليقات على المزامير واشعيا وكتب بعض الانبياء الصغار .

بعض الترانيم التي تشبه مزامير الشكر التي اشتراها سكنيك من الكهف الاول .

مقتطفات من كتاب النظام كالخطوط الذي باعه المطران من الكهف الاول .

نص يشبه كتاب « حرب أبناء النور مع أبناء الظلام » وقد وجد اختلاف بينه وبين ما اكتشف في الكهف الاول، اذا قورن بما هو في التوراة الحالية .

سفر توبيت (Tobit) وهو أحد كتب الابوكريفا وقد كتبت أجزاءه باللغتين العبرية والآرامية وهي مملوءة بالاقاصيص .
قطع تشبه الوثيقة الدمشقية .

كتاب البطارقة الاثني عشر - وهم اولاد يعقوب الذين وصاهم الآباء والاجداد بالمحافظة على تعاليمهم كما ورد في الآية ٢٢ من سورة البقرة (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) وفي الآية ١٣٣ من ذات السورة (ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق ، اله واحد ونحن له مسلمون) .

سفر ناحوم الذي نجد فيه تفاصيل وافية عن الملك المكياني اسكندر جانوس حوالي سنة ٩٠ ق م .

والخلاصة اننا نستطيع ان نجمع توراة كاملة من مخلفات هذه الكهوف باستثناء سفر استير . وميزتها أنها وردت بلغتها الاصلية العبرية - لا مترجمة عن اليونانية كالتي بين ايدينا - وانها اقدم منها بألف سنة .

الفصل السادس

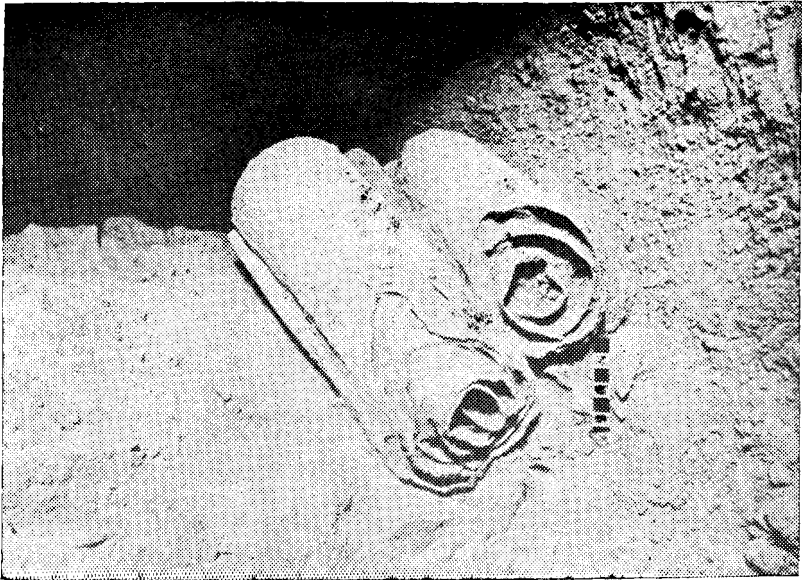
الملف النحاسي

(١٤٦) كانت المدرسة الفرنسية لعلم التوراة والآثار في القدس، بالاشتراك مع المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية ، قد عثرت في شهر آذار سنة ١٩٥٢ على الكهف رقم ٣ قرب الفشخة من اراضي قمران وجدت فيه ملفين من البرونز كتب عليهما بالحرف العبري المربع المستعمل في كتابة اكثر المخطوطات، وقد حفظا في المتحف الاثري الفلسطيني بصورة مؤقتة ريثما يجري فتحهما ومعرفة مضمونها بشكل مفيد . وتمكن العلماء من دراسة بعض الاحرف البارزة على ظهر الصفحة قراءة معكوسة . ولم يتمكنوا من قراءة أحرف كثيرة تساعدهم على فهم مضمون النص . وأعرب الاب ديفو عن قناعته بأن النص لم يكن من التوراة وانما يحتمل أن يكون تعليمات أو قراءات أو آداباً تكتب وتعلق في قاعة الاجتماع بخبرة قمران لاستعمالها عند الطعام أو الصلاة .

وبعد عام تقريباً من اكتشاف هذا الملف قام الاستاذ كون (G. Khun) بفحصه في متحف القدس وحل بعض الكلمات البارزة وخرج بفكرة مفادها أن هذا المخطوط سجل أو جرد لكتنوز الجماعة وذخائرها مع ذكر أسماء المواقع التي دفنت فيها عندما هجر اصحابها مساكنهم . ولا يمكن التأكد من صحة هذا الاستنتاج الا بعد فتح المخطوط وفرده . واذا كان هذا صحيحاً

فان حمى التنقيب عن الكنوز ستعم المنطقة كلها. وتفادياً للخراب يجب اتخاذ مراقبات شديدة . وفي هذه الاثناء يجب حفظ المخطوط تحت حراسة أشد حتى تتم قراءته نهائياً .

ولما كان ذلك يحتاج الى خبراء فنيين حاذقين في شؤون الآثار فقد عملت دائرة الآثار الاردنية على مفاوضة معاهد مختلفة في اوروبا واميركا لتتولى فتحها بالطرق الفنية وظل الامر تحت المفاوضة مدة ثلاث سنين حتى اقترح مدير الآثار أن يأخذ ملفاً معه ليعرضه على جامعة مانشستر في انكلترا . وقد وافقت الحكومة على طلبه بعد أن أبدت تلك الجامعة استعدادها للقيام بتلك المهمة وتعهده مدير الآثار المستر هاردنج شخصياً بنقله والحفاظة عليه وتأمينه لدى شركات التأمين بما لا يقل عن الف دينار وبالفعل حمله وسافر .



الملف النحاسي كما وجد في الكهف الثالث

(١٤٨) وبتاريخ ١٩٥٥/٩/٢٨ كتبت السفارة في لندن الى الخارجية :
 زارنا المستر هاردنج مدير الآثار ولكنه لم يعهد الينا ببحث ترتيبات فتح
 الملف الذي وضعه في جامعة مانشستر . لكننا علمنا أن القسم التكنولوجي
 في الجامعة يتولى القيام بالاعمال التمهيدية لفتح الملف وقد طلبنا من المستر
 بيكر الذي عهد اليه القيام بالمهمة عدم فتح الملف الا بحضور أحد موظفي
 هذه السفارة . وبالامس زارني مدير القسم التكنولوجي في جامعة مانشستر
 واعلمني أن الاعمال التمهيدية اوشكت على الانتهاء وانه يقترح فتح الملف في
 ١٩٥٥/١٠/٧ أو في ١٩٥٥/١٠/١١ بحضور القائم بأعمال السفارة وبحضور
 أحد اساتذة جامعة مانشستر . واعلمني أنه لا يعرف عنوان المستر هاردنج
 ولكنني كنت قد علمت انه موجود حالياً في قبرس .

والآن ارجو اعلامنا ما يلي :

١ - الموافقة على فتح الملف بدون حضور المستر هاردنج . وفي حالة وجوب
 حضوره ارجو اليعاز اليه بالمجيء الى انكلترا .

٢ - هل تخول جامعة مانشستر دراسة الملف .

٣ - اذا ظهر ان الكتابة عبرية وليست آرامية - تتعلق بالتاريخ اليهودي
 فهل يسمح لجامعة مانشستر بدراستها .

وقد طلبت أن يبقى خبر الفتح مكتوماً عن الصحافة ثم ظهر أن إبقاء
 هذا العمل مكتوماً غير ممكن خصوصاً اذا كانت المحتويات تتعلق
 بالتاريخ العبري .

ولدى تكليف المستر هاردنج بالاجابة كتب :

١ - لا يمكنني العودة الى لندن .

٢ - اكرر توصي بارسال المساعد الفني اذا كان ذلك ضرورياً .

٣ - وخلاف ذلك افوض اجراء عملية الفتح بغياي .

٤ - يمنح المستر الليغرو (Allegro) من جامعة مانشستر حق دراسة محتوياته.

٥ - لا يسمح بإذاعة نبأ الفتح قبل معرفة محتويات الملف .

وبتاريخ ٣٠/١٠/٥٥ كتب مدير الآثار الى وزير المعارف : يسرني ان أنبئكم معاليكم بأنني سلمت خلال شهر آب الماضي الملف البرونزي الى القسم التكنولوجي في جامعة مانشستر . ولدى مقابلي رؤساء المعهد المختصين وتجوالي في جميع انحاء شعرت بالثقة والطمأنينة على سلامة ترك الملف عهدة لديهم ، نظراً لتوفر جميع مصادر العلوم الحديثة ولوجود مشاهير العلماء به . وكان من حسن الحظ ان جميع العلماء ابدوا اهتماماً فائقاً به مما حدا بهم الى صنع آلة دقيقة خصيصاً لهذه الغاية ولقد عمل عمداء المعهد على تعيين مساعد للبروفسور بيكر المسؤول عن عملية الفتح وعلى نفقة المعهد المذكور .

وقد وصلني حديثاً مخبرة من الدكتور بيكر يفيدني بها ان عملية فتح الملف تمت بنجاح تام وبدون ان يحدث اي تأثير على البرونز المتآكل . اما عملية تنظيف القسم الداخلي منه وغيرها من الامور الفنية فهذه سوف تتطلب وقتاً من الزمن نظراً لدقتها التي تحتاج الى صيانة الكتابة التي في باطنه من التشويه . ومن ثم يعكف الدكتور الليغرو من الجامعة نفسها على قراءة مضمونه . وكانت الدراسة الاولى له تفيد بانه عبارة عن قائمة لمحتويات سكة قران . غير ان ذلك عرضة للنقد والتصحيح عندما تمكن قراءته بصورة نهائية .

اما بصدد الملف الثاني فاني اجد ضرورة ملحة لارساله الى مانشستر لاجراء عملية فتحه بالطريقة التي عولج بها الملف الاول . وقد ارتأى الدكتور بيكر ارسال الملف بالسرعة الممكنة نظراً لوجود الآلة المختصة المنصوبة في غرفة العمليات وتفرغ المختصين بمعالجته .

(١٤٩) ولما كانت الطرق العادية لارسال الملف غير مأمونة يتوجب بهذه الحالة سفر احد موظفي الدائرة المختصين لنقله . اوصي بشدة ارسال المساعد

الفني السيد محمد^(١) مصطفى صالح الى مانشستر لهذه المهمة وسيمكث هناك المدة التي تحتاجها عملية فتح الملف حيث يشرف على فتحه ويتمكن من ان يكتسب خبرة بمعالجة المعادن الاثرية وتنظيفها في المستقبل . ولقد تمهد المعهد البريطاني بارساله في بعثة خاصة لبريطانيا لمدة ثلاثة اشهر على حسابه الخاص.

كتب القائم بأعمال السفارة في لندن : اعلمتنا جامعة مانشستر انها فتحت الملف البرونزي الذي اودعه المستر هاردنج لدى البروفسور بيكر وكنا قد اعلمناه بضرورة الانتظار الى ان نعرف عما اذا كان يتوجب حضور المستر هاردنج او السيد عوني الدجاني وقد اتصلت بالبروفسور بيكر لمعرفة اسباب فتح الملف بدون موافقة السفارة فأجابني انه لم يستطع الانتظار اكثر من المدة التي انتظرها . وارى من المفيد ان يكلف السيد عوني الدجاني الموظف في دائرة الآثار والموجود في لندن بالذهاب الى جامعة مانشستر ودرس موضوع الملف وتقديم تقرير عنه .

وفي ١٩٥٤/١١/٩ وافقت الحكومة على هذا الاقتراح . وبتاريخ ١٩٥٥/١١/٢٢ كتب السيد عوني الدجاني مفتش الآثار من لندن :

الليفة النحاسية الاثرية لحربة قران بالفشخة
الواقعة على الضفة الغربية من البحر الميت

(١٥٠) وجدت اللفائف البرونزية في مغائر خربة قران بالقرب من المكان المعروف بالفشخة على شاطئ البحر الميت من الجهة الجنوبية الغربية ، وهي ملك لدائرة الآثار بالملكة الأردنية الهاشمية .

١ - أحضر السيد لانكستر هاردنغ ، مدير الآثار بالأردن ، هذه الليفة النحاسية . وقد تسلم الليفة مع قطع نموذجية صغيرة البروفسور بيكر المسؤول الفني بجامعة مانشستر ببريطانيا . وقد رأى البروفسور المذكور

(١) انه الآن قيم على جناح من المتحف الاشمولي بجامعة اكسفورد .

بعد الدرس العميق أن الطريقة الوحيدة لفتحها وقراءة محتوياتها هي تقطيعها إلى قطع تسير مع الأعمدة والأسطر الكتابية ، لأن أية محاولة لفتحها بدون هذه الطريقة يعني اهلاك الليفة وضياح المخطوطات الكتابية التي عليها ، لأنها قابلة للاهتراء والتكسر والتفكك بسهولة .

٢ - جهاز البروفسور بيكر بمعرفته جهازاً خاصاً لذلك تسهل به عملية القطع بدون ضياح أي من الحروف أو المقاطع . ولذلك نرى أن القطع ليس مستقيماً بل فيه تعاريج واعوجاجات كما أن القطع ليست مستقيمة ولكنها ذات مقاطع بيضوية الشكل وستبقى كذلك ، لأن أية محاولة لجعلها مستقيمة تؤدي بها الى التلف والتفكك والاهتراء .

٣ - الليفة من النحاس ، ملآنة بالأتربة بين طياتها ، مع قليل من الصدأ عليها ، وقد أمكن إزالة الصدأ والأتربة باستعمال فراش صنعت خصيصاً لهذه العملية في معامل الجامعة مع الاستعانة باستعمال النفاضات الهوائية الكهربائية ، ولم يستعمل أي من المواد الكيماوية أو المعدنية أثناء التنظيف أو بعده ، وكل ما استعمل مواد طلائية عادية تعرف « بالأرالدات Araldite » والمقوى ٩٥١ .

٤ - الليفة كتبت باللغة العبرية القديمة ، وبها بعض الكلمات الآرامية ، والكتابة ظهرت جليلة واضحة جداً بعد التنظيف . تتكون الليفة من اربعة أعمدة ، وكل عمود يحتوي على سبعة عشر سطراً . الكتابة نقشت نقشاً بازميل بعد أن وضعت على قطعة من الخشب الطري ، وهذا واضح من بروز الاحرف على خلف الليفة .

٥ - يقول السيد الليغرو Allegro المختص بقراءة المخطوطة انها ليست تعاليم توراتية أو أموراً دينية كما كان يظن بعض الأثريين بالأردن ، ولكنها وصف شامل للمكان الذي وضعت فيه . ومن المحتمل أن يكون هذا المكان « خربة قران » الواقعة بالفسخة على الضفة الغربية

للبحر الميت ، والتي أجريت الحفريات الأثرية عليها بالسنين السابقة .
فإن صح ذلك فلا شك لدي أن المخطوطة والخربة المذكورة
تعودان بتاريخيهما الى القرن الاول قبل الميلاد أو بعده وان المكان يعود
الى الفئة اليهودية المعروفة لدينا اثريا بالاسين Essenes وقد ورد ذكر
قبور بعضهم وأسمائهم بالمخطوطة وموضوع البحث كاسم قبر أباشالوم مثلاً .

وسيقدم السيد الليغرو قراءته الكاملة لهذه المخطوطة بعد أسابيع
ثلاثة ، غير أنه لا يمكن إعطاء رأي تام بمحتويات المخطوطة إلا بعد
قراءة اللفائف المتبقية بالأردن .

٦ - إن القطعة الموجودة حالياً في جامعة مانشستر ببريطانيا هي القسم
الأسفل من المخطوطة وقد كانت موصولة مع القطع الموجودة حالياً
بالاردن بواسطة خروق واضحة تماماً .

٧ - إن تنظيف وقطع اللفائف الأخرى المتبقية في الاردن لا يتحمل أكثر
من عشرة أيام كما يقول البروفسور بيكر المسؤول ، خاصة وان الآلات
جاهزة وقد أصبحت لديه الخبرة السكافية لذلك ، وهو يرى إن نسبتهم
إرسالها أن يكون ذلك قبل عطلة عيد الميلاد . ليستطيع إنجازها في
شهر شباط من عام ١٩٥٦ .

٨ - يرى البروفسور بيكر ضرورة حفظ هذه القطع من اللفيفة جيداً
ووضعها وديعة باسم الحكومة الاردنية الهاشمية في بنك لندن في مانشستر
بعد الفراغ من قراءتها ، أو أن تحفظ في السفارة الأردنية بلندن ليرجع
اليها عند اللزوم المختص القارئ السيد الليغرو عند احضار القطع
الأخرى المتتمة لها . ولكنه يحبذ حفظها في بنك لندن بمانشستر وديعة
باسم الدولة الاردنية خوفاً عليها من التلف والتفكك لكثرة النقل ،
وعلى كل فالأمر كما يقول البروفسور بيكر هو لسعادتك بهذا الخصوص .
إنني لا أرى مانعاً من إرسال اللفائف المتبقية بالأردن للجامعة

المذكورة ، خاصة وقد نجحت عملية القطع تماماً بدون إتلاف المحتويات الكتابية التي عليها . وفيما اذا حُبِذَ ذلك يجب إرسال اللقائف بعد لفها جيداً ، مع شخص حريص جداً ، وتسلم بيده للسفارة الاردنية هنا ، أو الى الجامعة رأساً .

هذا مع العلم التام بأن هذه اللقائف جميعها ملك لدائرة الآثار الاردنية دون سواها ويجب أن تبقى كذلك نظراً لأهميتها . ولقد أكدت على البروفسور بيكر بضرورة عدم نشر محتويات هذه المخطوطة بتاتاً إلا بعد أخذ موافقتكم الخطية بهذا الخصوص .

مفتش الآثار

عوني خليل الدجاني^(١)

الطالب الباحثة بجامعة لندن

(١٥١) وفي ١٩٥٥/١٢/٥ كتب مدير الآثار الى وزير المعارف :

درست بكل دقة تقرير مفتش الآثار السيد عوني الدجاني وإنني أؤيد النقاط الواردة فيه كما وإنني أؤيد الاقتراح الوارد في البند « ٨ » من التقرير المبحوث عنه والقاضي بإيداع الملفات خزانة بنك انكلترا أو أي بنك آخر في لندن لأنني أعتبر ذلك ضماناً لعدم تداوله على نطاق واسع إلا ضمن الضروريات الجوهرية .

وأما بصدد ما جاء في البند السابع من التقرير فأرجو أن أبين بأنه سبق لي وأن أكدت مراراً على ضرورة إرسال الملف الثاني الى جامعة مانشستر بأقصى سرعة ممكنة . ولما كان المجلس الثقافي البريطاني وافق على إيفاد المساعد الفني السيد محمد مصطفى صالح في بعثة الى كلية التكنولوجيا في جامعة مانشستر على نفقته الخاصة لدراسة المعادن الأثرية وطرق معالجتها كما وافقت لجنة البعثات في وزارة المعارف على ذلك فإنني أرى الفرصة مواتية لإرسال

(١) الدكتور عوني الدجاني مدير الآثار حالياً .

الملف الثاني صحبة السيد محمد لأنه أحرص شخص على هذه المهمة ولأنه يستطيع أن يحضر الملفين معاً عند نهاية العمل بها وعودته للبلاد . كما وإنني أرى من الأنسب تسليم الملف مباشرة الى جامعة مانشستر . . . هذا مع العلم بأن محتويات الملف الموجود الآن في مانشستر لا يمكن معرفتها بالتام إلا بعد فتح الملف الثاني وقراءة محتوياته لأن كلا منهما متمم للآخر .

أما بشأن عرض الملفين في قاعة متحف مانشستر لمدة معينة فإنني لا أرى ما يمنع ذلك بينما أحبذ إرجاء ذلك حتى يصبح الملفان قابلين للعرض معاً .

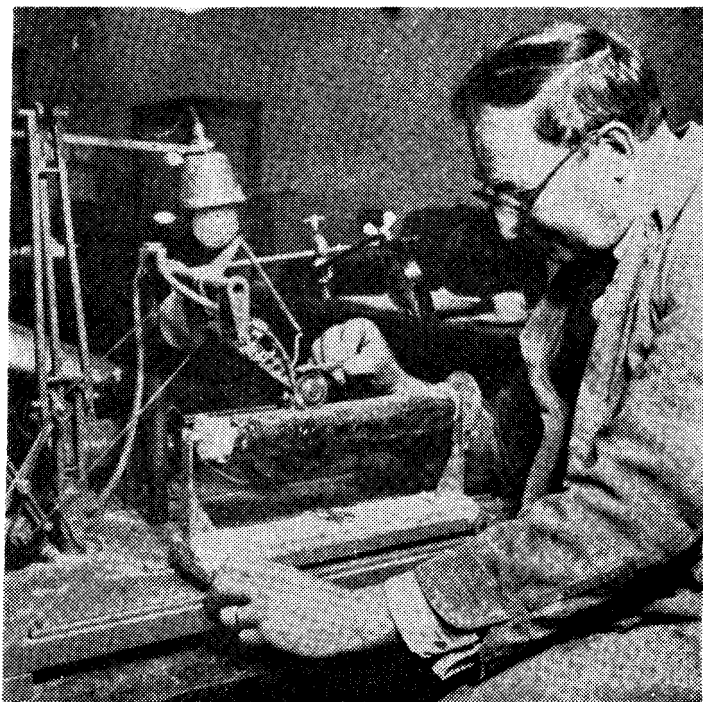
وبصدد محاضرة الدكتور بيكر عن هذا الموضوع فإنني لا أرى ما يمنع ذلك .

ولما وافقت الحكومة على الاقتراح حمل المساعد الفني الملف النحاسي الثاني وسافر الى بريطانيا ، فكتب الى مدير الآثار :

ارفع اليكم تقريراً مفصلاً عن نتائج معالجة الملف النحاسي والطرق التي اتبعت في فتحه وتقويته بالمواد الكيماوية والمراحل التي مر بها .

وصلت حاملاً الملف الثاني الى مطار لندن يوم الخميس ٢٩/١٢/١٩٥٥ وقصدت الى السفارة الاردنية واعلمتها بمجيئي وبخطورة المهمة التي قدمت من اجلها ثم توجهت الى المعهد البريطاني في لندن وحفظت الملف في خزائنه التي تحفظ فيها امواله ريثما تنتهي عطلة السنة الجديدة . وفي ١/٥/١٩٥٦ حملت الملف الى مانشستر بحراسة عسكرية مشددة وادعته احد البنوك فيها بكفالة مالية . وفي ٩ منه سلمت الملف الى البروفسور رايت بيكر بموجب ايصال رسمي . وقد كتمنا خبر وصول الملف عن الصحافة حفظاً على سلامته .

(١٥٢) بدأنا بتنظيف الملف من الخارج وازالة الغبار عنه ومن بين ثنياته وعند الفحص تبين لنا بأن معدن الملف متآكل كلياً لا يقوى على اللمس ولا



الاستاذ بيكر يقطع بمنشاره الدقيق المخطوط النحاسي

يمكن فتحه دون ان يتكسر الى قطع صغيرة ما لم توجد مادة لزجة يدهن بها الملف من الخارج وبعدما يتجزأ القسم المدهون . وقد وجدنا ان اسلم طريقة لحفظ الملف هو دهنه بمادة ارالدايت تيب ١٢٢ والمقوى رقم ١٠٥ ثم وضعه في فرن كهربائي على ان لا تزيد درجة الحرارة عن ٤٧ س مدة لا تقل عن ساعتين ونصف الساعة وعلى ان لا تزيد على ثلاث ساعات مهما كان الحال .

لقد صمم البروفسور بيكر بنفسه آلة خاصة لفتح الملف وتجزئته الى اقسام حسب ثنياته (طياته) وعندما تنتهي عملية القطع يفصل الجزء المقطوع وينظف بالآلة صغيرة اخرى اشبه ما تكون بالآلة التي يستعملها

اطباء الاسنان ثم تصويره من مختلف الجهات . . . وهكذا حتى تتم تجزئته الى اقسام .

كانت الصعوبة القصوى التي اعترضتنا هي التصاق اللفائف بعضها فوق بعض حتى كونت طبقة من الصدا الاخضر (تأكد) ومن الشوائب والغبار التي علفت بالملف من جراء تسرب مياه المطر الى الكهف بحيث كونت طبقة قاسية جداً من الاملاح الارضية تشبه الاسمنت وكان من الصعب ازلتها حتى ولو بالادوية الكيماوية . ولولا حنكة البروفسور بيكر ومهارته وخبرته الطويلة التي كرسها كلها لهذا العمل لما امكن فتحه ابدا .

تتألف الآلة التي صممها الاستاذ من محمل يتحرك ويسنده دواران من الجانبين لتكثيف اتجاه القطع وتفادي قص الكتابة ما امكن . ثم وضع فوق الحمل منشاراً دقيقاً جداً سمكه $\frac{1}{6}$ من الانش كالمناشير التي تستعمل في شق رؤوس اقلام الحبر . وهذا المنشار يدار باليد بواسطة قوة الضغط المطلوب . ثم ركب فوقها مجهرأ كبيراً ليرى بواسطته الاتجاه الذي يمر به القطع . وتدار هذه الآلة بموتور كهربائي صغير من السهل ضبط قوته . ثم وضعت آلة اخرى على الجانب لها بوق يمتص ذرات الغبار المنبعثة من الملف واقسامه .

بعد الانتهاء من هذه المرحلة كانت الصور تحمض ويعلم فوق الكتابة بالحبر الصيني الابيض ثم تقارن الصور مع الاقسام الاصلية وتعاكس الكتابة بواسطة مجهر للتكبير ولضبط الحجم ثم يعلم على الكتابة المعكوسة بقلم الرصاص ثم تأتي الصورة الثانية وتوضع على جانب التي قبلها وتنقل الاخرى حتى يتكون سطر واحد ثم تمقل تلك الاسطر على طبق من الورق ويلصق بعضها مع بعض او يعلم عليها بالحبر ويعاد تصويرها مرة ثانية .

كتب الملف باللغة العبرية التي كانت سائدة في ذلك العصر . اما نص المخطوط فلا يزال تحت الدراسة . ومع ان المعدن متأكل جداً الا ان الدواء المقوى الذي عولج به حفظه حتى كانت نسبة الحروف التي مر عليها القطع ٢ - ٣٪

من مجموع الحروف والتي كانت متآكلة في السابق من جراء العوامل الطبيعية، ولقد كانت نتيجة العملية ناجحة اكثر مما كان يتوقع لها . وبلغ من اخلاص البروفسور انه منع دخول أي شخص من موظفي قسمه الى المختبر الذي كانت تعالج به المخطوطات ، ولم يسمح لأي شخص عدانا نحن الاثنين والمساعد الخاص له طيلة مدة العمل فيها .

(١٥٣) كان اهتمام الرأي العام كبيراً بالمخطوط ، ولذلك حاولت الصحف البريطانية اغرائي مادياً بكتابة شيء عن المخطوطات أو السماح لمن يقوم بترجمتها والتلميح عن محتوياتها . ولكن حرصاً على الاحتفاظ المطلق بحق النشر للحكومة الاردنية التي تملك المخطوط في نشر محتوياته قد رفضت وعملت ما في استطاعتي للمحافظة على محتوياته وعدم مقابلة أي عالم اثري أو السماح لأحد بمشاهدة عملية فتحه حتى لا يتسرب أي شيء من المحتويات الى الصحف .

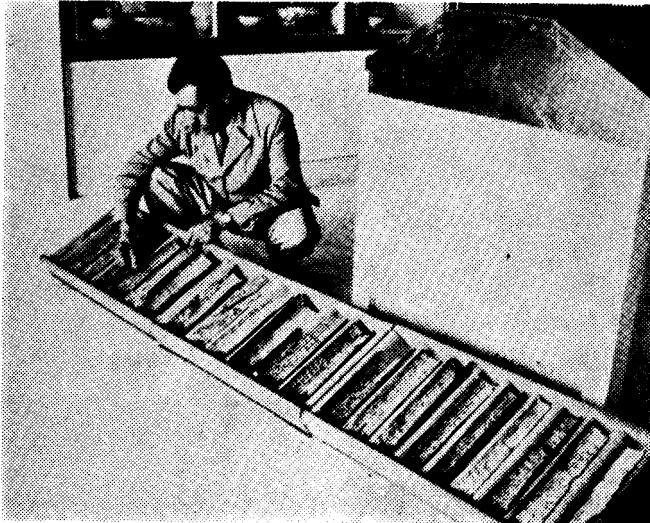
عند الانتهاء من عملية فتح الملف عفدنا مؤتمراً صحفياً في مانشستر دعونا اليه اكبر مراسلي الجرائد في بريطانيا وبيننا لهم الحقيقة وهي ان هذا المخطوط ملك للاردن وله الحق وحده في النشر عنه وبعد فتحه ستجري دراسته في الاردن نفسها وعند الانتهاء من الدراسة ستذيع الحكومة الاردنية محتوياته في الصحف الاجنبية . وهكذا عملت دعاية طيبة للاردن تجعل عيون عشاق الآثار واساتذة اللغات القديمة تنو الى الأردن بلهفة وتشوق .

لا شك ان تلك الآلات التي صنعت خصيصاً كلفت مبالغ كثيرة دفعتها جامعة مانشستر عن طيبة خاطر ودون أن تنتظر مقابلاً . كما وافقت الجامعة على صنع خزانة خاصة كبيرة مكسوة من الداخل بطايط لتعرض بها قطع الملف في المتحف الاردني بعمان .

(١٥٤) طلبت جامعة مانشستر من البروفسور بيكر ومني أن نلقي محاضرة نتحدث فيها عن الحفريات في خربة قمران والكهوف التي عثر بها على الملف ، كما يتحدث البروفسور عن الطريقة التي اتبعت في فتح الملف . ولوجاهة

هذا الطلب ولكونه لصالحنا ، فقد وافقت على ذلك شريطة أن لا يتعرض الى محتويات الملف أو اللغة التي كتب بها أو أي شيء من هذا القبيل قبل اطلاع الحكومة الاردنية وموافقة مدير الآثار على ذلك ... القينا المحاضرة في مانشستر ، وقد حضرها اكثر من سبع مئة شخص اكثرهم من طبقة العلماء والمؤرخين ، ولشدة الاقبال على سماعها ، فقد طلبت الجامعة اعادة قائمها مرة ثانية بعد اسبوعين من تاريخ الأولى ، وقد صدرت الصحف الكبيرة في اليوم التالي وفيها ثناء عاطر على الاردن ودائرة الآثار فيها وتقديرها للمخلفات الاثرية. كما طلبت مني محطة الاذاعة البريطانية تسجيل احاديثي ، وقد سجلت لها حديثين، كما سجلت حديثاً آخر بالتلفزيون . وبعد ذلك القيت ثلاث محاضرات في اماكن مختلفة في لندن ، احداها في جامعة لندن ومعهد دراسة الآثار الذي يعتبر اكبر معهد للآثار في العالم .

وفي ١٩٥٦/٤/٩ عاد السيد محمد مصطفى الى الاردن ومعه الملف المقطع مع هذا التقرير ليرفع الى الجهات المختصة .



قطع الملف النحاسي في متحف عمان

ويقول مدير الآثار ان التقرير جاء ممتازاً وشاملاً ، وقد حمل قطع الملفين الى المتحف الاثري الفلسطيني بالقدس ليتسنى للعلماء الترجمة ، وبعد ذلك تعاد الى متحف عمان لتوضع في خزانتها التي قدمتها جامعة مانشستر هدية ، والتي تضم الآن الـ ٢٤ قطعة التي كانت في الاصل القطعتين من الملف النحاسي .



واحدة من ٢٤ قطعة التي قطع اليها الملف النحاسي

(١٥٥) محتويات الملف النحاسي :

اكتشف في الكهف الثالث على بعد كيلو مترين من خربة قمران أول مخطوط كتب على النحاس في ثلاث صفحات طول كل منها ٨٠ سم وعرضها

٣٠ سم وسمكها ١ م وقد ربطت الثلاث ووضعت في طاقة بسقف الكهف الى أن سقط على الارض فانكسرت الى قطعتين منفصلتين . وقد تأثر الملف الى حد بعيد باملاح النحاس وغيرها واصبح هشاً سهل الكسر وكاد ما كتب عليه أن ينمحي حتى نجح البروفسور رايت بيكر بفتح الملف وتقطيعه فاصبحت قراءته ممكنة وبذلك استحق شكر العالم بأجمعه . وقد اكب العلماء على دراسة الملف في القدس .

وسأعتمد في هذا الموضوع على ما كتبه الاب ميلك والاستاذ جون الليغرو . كتب الملف بالخط العبري المربع في اعمدة يقف الواحد بجانب الآخر . وقد حفرت الكتابة بالازميل والمطرقة على النحاس بحيث ظهر لها بروز خلف الصحيفة . وقد كتب عليها أغرب مجموعة من الاساطير التي تدل على وجود دفائن قديمة بلغت ستين دفينة مكونة من الذهب والفضة تزيد في وزنها على مئتي طن وقد كملت بمكيال كان يستعمل في ذلك الزمن اسمه التالانت Talant وبالصندوق وما شاكل ذلك . وقد وضعت تلك الدفائن في المنطقة التي تمتد من جبل جرزيم فوق نابلس حتى الخليل . ويظهر أن القسم الاكبر منها مدفون في منطقة القدس - في المقبرة خارج السور في وادي قدرون ومن هذه الكنوز ما هو مخبأ بالآبار والمحاجر والقبور . ولكن من الصعب جداً تحديد مواقع تلك الدفائن في الوقت الحاضر لان طبيعة البلاد الطبوغرافية قد تغيرت عما كانت عليه في القرن الاول بعد الميلاد وهكذا بقي الوصف غامضاً لا يدل على أي مكان معروف أو حقيقي . وهذه مقتطفات تبين الوصف الغامض وطبيعة تلك الدفائن :

١ - في البشر الكبير الواقع في ساحة الرواق بين الاعمدة توجد فتحة بالقاع وضعت فيها تسع مئة وزنة من الفضة .. فاذا عرفنا أن وزنة الفضة تساوي ٢٥٠ ديناراً رأينا أن المبلغ يصل الى ٢٢٥,٠٠٠ دينار - هذا في مكان واحد .

٢ - في البركة الكائنة تحت الحندق على الجانب الشرقي مكان منقور في الصخر وضع فيه ٦٠٠ قضيب من الفضة .

٣ - في القرنة الواقعة تحت رواق ضريح صادوق ويحاذي الدعامة في ذلك الرواق وعاء من خشب الصنوبر وآخر من خشب الاكاسيا مملوءان بالبخور .

٤ - في حفرة مجاورة نحو الشمال بالقرب من القبور توجد نسخة من هذا الكتاب فيها قياسات وتفاصيل .

من الصعب جداً أن نفهم لماذا اهتمت طائفة الاسينيين بأساطير كنوز مدفونة مع أنها طائفة روحية متدينة لا تحفل بماديات الحياة ومباهجها ولا ندري لم حفرت تفاصيلها على معدن النحاس الذي كان غالباً ونادر الوجود في تلك الايام؟ واغرب من ذلك انه كيف استطاعت تلك الطائفة الفقيرة ان تملك ما وزنه مثنا طن من الذهب والفضة .. وهو رقم خيالي جداً . ومما يزيد في غرابته ما ذكر بأن بعض الدفائن دفن على عمق ١٦ - ١٨ قدماً .. كل ذلك يحمل المرء على الشك في صحة ما ورد في هذا المخطوط . واغرب من ذلك الجملة الواردة في الفقرة الاخيرة التي تشير الى وجود نسخة ثانية من هذا الكتاب تحتوي أيضاً على تفصيلات مما يزيد الرغبة الشديدة للبحث عنها والحصول عليها .

وفي صيف ١٩٦٠ حصل الاستاذ الليغرو على تصريح من دائرة الآثار للقيام ببعض الحفريات في الامكنة التي ذكرت في المخطوط . وبالفعل قام بتحريات في المربعات وخرابة المرد ووادي النار وقبو زكريا وبوشفاط في وادي قدرون بسلاوان ثم انتقل الى الحرم الشريف وبالنظر لخطورة المكان تشكلت لجنة من ممثلين عن الاوقاف ومحافظة القدس والامن العام كما مثلت دائرة الآثار . وقد أشار الاستاذ الى القوسين اللتين على يمين النازل من درجات الميزان الشرقي التي تهبط من ساحة قبة الصخرة الى الساحة السفلى . ولكننا مانعنا في الحفر او

الهدم لأن ذلك يخالف بقاء القديم على قدمه . ثم انتقلنا الى البئر الواقعة الى الشمال من قبة الصخرة التي ظن أن فيها شيئاً مأموراً وصفه في المخطوط ولكن الصعوبة كانت من يتحمل مسؤولية الهبوط الى قعر البئر .. ولما لاحظنا لم نكن جديدين في الموضوع الذي لا يستحق بذل هذه الجهود وتحلى عن فكرته بمضض .

(١٥٦) واتضح للخبراء بعد التدقيق والتمحيص أن هذه المخطوطات ليست دليلاً على كنوز حقيقية خبأها الاسينيون الفقراء النساك ومالوا الى الاعتقاد بأن المخطوطة جمعت الاقاصيص الشعبية التي كانت تدور حول الكنوز الدفينة في القرن الاول بعد الميلاد . وبعبارة اخرى ظهر أن هذه المخطوطة الفريدة العجيبة ما هي الا مجموعة من القصص والتقوليات التي تناقلها الناس فجاها الكاتب وجمع خلاصتها كما جمع الكاتب المصري احمد كامل سنة ١٩٠٧ الاخبار التي كان يتناقلها الناس في مصر وسوريا وفلسطين عن الكنوز المدفونة ولا سيما ما كتبه المغاربة باللغة العامية والتي لا تزال الى هذا اليوم تشغل بال الكثيرين ممن يجهلون بالغنى ولو بطريقة قبض الربح ولن يحنوا أكثر من الحسارة المادية والحزن والاسى على الآمال الفارغة والتي كانت تداعب خيالهم وفي هذه الحالة تعود بنا الذاكرة الى ما أورده المؤرخ اليهودي يوسفوس عن هركانوس الاول وعن هيرودس الكبير عندما حاول كل منهما فتح قبر الملك داود والاستيلاء على كنوزه ولكن الارواح التي كانت تحفظها حالت دون ذلك .

(١٥٧) يميل سيسل روث الى ان القمرانيين لم يكونوا أسينيين وانما كانوا من الغيورين^(١) او الغلاة . وبالرجوع الى يوسفوس نجد ان الغلاة استولوا

(١) في السنة السادسة قبل الميلاد امر الامبراطور اغسطس قيصر باحصاء سكان الامبراطورية الرومانية ، فقام في شمال فلسطين كاهن يعرف بيهودا الجليلي واخذ يدعو الى مقاطعة الاحصاء لسببين :

الاول : ان الاحصاء اعتراف بسيادة ملك غير يهوه — الذي هو الاله وهو الملك .
واذا اعترف اليهودي بغيره ملكاً وبغير مسحاته (انبيائه) فهو مطرود من رحمة الله .
واعترافه بسيادة الامبراطور يعني افتتاح الصلاة باسمه .
والثاني : يترتب على الاحصاء فرض الضرائب . واليهودي لا يدفع ضريبة الا لمصلحة الهيكل ...

ولقد عرف اتباع هذه الدعوة بالغلاة أو الغيورين . وقد لزموا جانب التطرف .

في سنة ٦٦ م . على الكنوز التي كانت في قصور ملوك القدس وعلى الضرائب التي كانت في خزائن الوالي الروماني وكتبوا جرداً بها على صفائح من نحاس والصقوها في جدار الهيكل . وعند اقتراب الجيش الروماني من الهيكل نزعت اللوحات النحاسية وهربت الى منطقة قمران . ولكن الذي يدعو الى الاستغراب ان الاسماء المذكورة في الملف النحاسي لم تكن معروفة في ايام حكم الرومان في فلسطين .

لذلك يرى البعض انها قد تكون رواية عن كنوز الهيكل الاول التي نهبها البابليون سنة ٥٨٦ ق . م . وان كهنة قمران كانوا يحفظون تلك الاخبار التي تقترن بأعظم نكبة حلت بهم .

(١٥٨) يعتقد الاستاذ المديكو ان الذين صنعوا المخطوطة النحاسية هم الصدوقيون الذين كانوا يخالفون الربانيين في كيفية حلف اليمين بأن يضعوا الايدي فوق مخطوط من التوراة . وقد يكون هذا القسم في الغرفة التي تضم كنوز الهيكل . وهو يشبه قسم القرائن الذين كانوا يقسمون أن يكرسوا كل الممتلكات للجماعة . لذلك نقشوا أوصاف الكنوز على معدن لامع يضع المقسم يده عليه لا سيما عندما قال الصدوقيون انهم الجماعة الوحيدة التي يحق لها التصرف بكنوز الهيكل، يضاف الى ذلك ان ذكر صادوق الذي تلتسب اليه هذه الجماعة يرد بكثرة في نهاية الملف النحاسي، ثم وضع هذا الوصف في جنيزة نسميها الآن الكهف الثالث .

(١٥٩) وعلى كل حال فان اكتشاف هذه الوثيقة كدليل على كنز مدفون هو أول اكتشاف من نوعه في العالم كما وانها أيضاً أقدم وثيقة مكتوبة باللغة العبرية العامية . ويظهر ان كاتبها كان شبه مثقف وربما كان مهووساً في جمع الكنوز الى درجة كبيرة وقد لا تكون له أي علاقة بالاسينيين وقد يكون واحد منهم قام بهذا العمل الفردي اشباعاً لرغبة خاصة .

الفصل السابع

الوثيقة الدمشقية

« ورد ذكر المخطوطة الدمشقية مرات كثيرة فيما سبق وسيرد مرات كثيرة أخرى في أبحاثنا التالية . لذلك لا بد من تقديم هذا الفصل عنها ، ولو أنها ليست من مكتشفات قران » .

(١٦٦) في سنة ١٨٩٦ وبينما كان العمال ينظفون مخزن (جنيزة) في كنيس اسرائيلي بالجيزة قرب القاهرة عثروا على مخطوطتين كتب في احد القرون ١٠ ، ١١ ، ١٢ بعد الميلاد ، يقع الاول في ثمان ورقات والثاني في ورقة واحدة ، وقد أكب على دراستها العلامة شختر (Shechter) وخرج بنتيجة انها لجماعة من اليهود اطلقوا على أنفسهم أبناء صادوق . وهو الكاهن صاحب الاعتبار الرفيع أيام الملك داود ، وقد اعتقدوا أن الله ارسل اليهم النجم الذي سموه معلم الحق ليخلصهم من ذنوبهم واتفقوا أن يبتعدوا عما سموه الحاداً وزندقة بين رجال الكهنة في هيكل بيت المقدس ، فخرجوا مهاجرين الى دمشق - ولذلك اطلق على هذه المخطوطة اسم علمي « وهو الوثيقة الدمشقية » بينما يسميها البعض مخطوطة القاهرة أو المخطوطة الصدوقية . وسموا أنفسهم أبناء العهد الجديد في أرض دمشق . وليس لدينا أي دليل على أنهم وصلوا الى دمشق . وقد ظهر بين مخطوطات البحر الميت في كتابات الاسينيين ما يشابه الى حد بعيد محتويات هذه الوثيقة ، وسنقابل بين هذه الالوجه من التقارب أو الافتراق ، وهذه ترجمة لمحتويات هذه الوثيقة :

١ - والآن اصغوا الي يا من تعرفون العدل وتفهمون أعمال الله . ان الله حقاً على كل حي وسيقيم الحساب على كل من تهاون بهذا الحق . وعندما أذنب اولئك الذين هجروا تعاليمه أدار وجهه عن اسرائيل وعن معبده وأسلمهم للسيف . ولكنه عندما ذكر عهد الآباء الاولين ترك لبني اسرائيل بقية ولم يسلمهم للهلاك . ولقد افتقدتم في فترة نعمته التي امتدت ٣٩٠ سنة عندما سلمهم الى نبوخذ نصر ملك البابليين ثم انبت لاسرائيل وهارون نباتاً ليرثوا الارض وليزرعوا فيها الطيبات . ثم ادركوا ظلمهم وعرفوا أنهم جماعة مذنبه . ولكنهم ظلوا كالعمي يتحسسون طريقهم مدة عشرين عاماً . ولاحظ الله اعمالهم عندما أخذوا يبحثون عنه بقلوب طاهرة ، ولذلك أرسل لهم معلم عدل أو حق ليقودهم الى طريقه . كما أعلم الأجيال اللاحقة بما فعله مع الأجيال السابقة وبما فعل مع الخائنين الذين انحرفوا عن طريقه .

لقد كان هذا الوقت هو المعني بقوله تعالى (لقد كان بنو اسرائيل عنيدين كالبغل الشמוש) . وكان هذا عندما ظهر الرجل الحقير الذي أضل اسرائيل بكلمات كاذبة وقادهم الى فلاة غير مطروقة حتى حطم من كبريائهم الشاخنة ، لأنهم ابتعدوا كثيراً عن طرق العدالة وأزالوا حدود الارض التي ورثوها عن أجدادهم ، فانصبت عليهم لعنات العهد واسلمهم الله الى السيف الذي صلته عليهم العدو . ولا سيما عندما بحثوا عن الاشياء الناعمة والسهلة واختاروا الاوهام فنقضوا المواثيق كما اختاروا الرقاب الشقراء (عملوا الفاحشة مع البنات الشقراوات) كما أنهم زكوا الاشرار ونبذوا الابرار وتعدوا على الميثاق وانتهكوا حرمة الشريعة كما وقفوا صفاً واحداً في وجه العادلين وكل من مشى على الطريق المستقيم وحاولوا فرض الاقناع بالسيف وفرحوا برؤية الناس يتقاتلون

فسخط الله على ملتهم وبدد جوعهم وأحاطهم علماً بجميع أعمالهم الدنيئة .

٢ - والآن اصفوا الي يا معشر المعاهدين وسأحيطكم علماً بطرق الاشرار ان الله يحب معرفة الحكمة لانه يتصف بالحكمة العميقة وجعل الحصادة والمعرفة حافتين به . كما يتصف بالصبر وفيض من العفو لمسامحة من يتوبون عن تجاوزهم الحدود ولكنه سيصب غضبه العظيم المصحوب بألسنة النار وملائكة السعير على الذين يتنحون عن الطريق ويزدرون الشريعة حق لا تقوم لها قائمة .

ولم يصطفهم الله منذ بدء الخليقة لانه عرف أعمالهم ومقت اجيالهم منذ أن كونهم في قديم علمه ولم يعر انتباهه للارض وللشعب حق هلكوا لأن بيده الاعمار ويعلم ما في السابق وما في اللاحق منذ الازل والى الابد .

ولكنه أرسل في جميع العصور رجالاً يدعون له حق يتركوا في الارض بقية فتمتلئ الارض بنتاج ما زرعوه ، ولقد كشف لهم عن الروح المقدسة وعرفهم بالحقيقة التي تقول أن اسماءهم مشتقة من اسمه فهم احباؤه . لكنه مقت الذين ابتعدوا عن طريقه .

٣ - والآن اصفوا الي وسأكشف عن اعينكم لتروا اعمال الله وتختاروا ما يحبه وترضوا ما يكرهه ولتسيروا كلكم في طريقه وأن تتجنبوا ما نهاكم عنه وتفضوا أعينكم عن الزنى الذي اضنى كثيرين من جبابرة العصور قديماً وحديثاً . ولقد سقط مراقبو السماء عندما شعروا بأن قلوبهم عاصية . وقبض هؤلاء المراقبون على الذين لم يحافظوا على أوامر الله كما قبضوا على أطفالهم الذين بلغوا الدرجات العلى كما بلغت أجسامهم ضخامة الجبال . نعم لقد سقط جميع الاحياء الذين يعيشون على سطح اليابسة . نعم لقد هلكوا هم وأرضهم وكأننا لم تكن لأنهم عملوا على هوامهم ولم ينفذوا أوامر خليفتهم حق غضب الله عليهم .

٤ - وبسبب العصيان والافكار الشريرة ضل أبناء نوح وعائلاتهم وتنكبوا الطريق فهلكوا . ولم يسر ابراهيم في طريق العصيان ولذلك اعتبر خليلاً لله وحافظاً لأوامره ولم يتبع هواه وبلغ ابراهيم وأمر الله الى اسحاق ويعقوب اللذين حفظاها واعتبرا صديقين لله الى الابد . ولقد ضل أبناء يعقوب السبيل ولذلك عوقبوا على اخطائهم وسار أبناءهم في مصر بقلوب قاسية يتلمسون الطريق للخروج على أوامر الله حتى فعل كل منهم ما يراه صواباً في نظره الخاص ، فقد شربوا الدم ولذلك قضى على ذكورهم في الصحراء . ولقد قال لهم في قادس (اذهبوا واملكوا الارض) ولكنهم تقاعسوا ولم يصغوا الى صوت خالقهم وتعاليم معلمهم بل ظلوا يتذمرون في خيامهم واشتد غضب الله على ملتهم فهلك أطفالهم وملوكهم وأقويائهم لهذا السبب . كما أصبحت أرضهم يباباً واصبح أول الداخلين في الميثاق مذنباً . وسلخوا جميعاً الى النار لانهم نبذوا عهد الله واختاروا ارادتهم الخاصة واستمروا في ضلالهم ، يعمل كل ما يحلوه .

٥ - ولقد أنشأ الله مع أولئك الذين تشبهوا بأوامره وعهده لبني اسرائيل للابد وكشف لهم اشياء لم يكونوا يعرفونها - وضل بسببها بنو اسرائيل - كشف لهم سبته المقدس واعياده المجيدة وبراهينه العادلة وسبله الصادقة ورغباته التي يعيش الانسان ما اتبعها سعيداً . وقد ساعدتم في حفر بئر ذات مياه وافرة ، وجعل من يحتقرهم لا يستحق الحياة . ولكنهم لوثوا حياتهم بطريق الاعتداء على الرجل وبالسير في غواية المرأة غير الشريفة واحتجوا قائلين (هذا ملك لنا) . ولكن الله بأسراره العميقة ساعدهم على آثامهم وعفا عن تعدياتهم وبني لهم بيتاً في اسرائيل لم يسبق ان بني مثله حتى الآن . وجعل الذين يتشبهون بالبيت خالدين واورثهم بمجد الانسان . وعندما أسسه الله لهم برسالة النبي حزقيال قال لهم (سيقدم لي الكهنة واللاويون وابناء صادوق الذين حافظوا على معبدي ، عندما ضل بنو اسرائيل - سيقدمون لي الزبدة والدم) .

٦ - الكهنة هم سبي بني اسرائيل الذين غادروا ارض يهوذا . واللاويون هم أولئك الذين التحقوا بهم . وابناء صادوق هم المختارون من بني اسرائيل والذين سيخلدون حتى النهاية . انظر الى تفسير اسمائهم بموجب تناسلهم وسبي غربتهم والى تفسير اعمالهم . أولئك القديسون الذين ساعهم الله والذين ناصروا العادلين وقاوموا الاشرار .

لقد كان على الذين أتوا من بعدهم أن يعملوا بالشرعية التي عمل بها آبائهم دهوراً طويلة وسيعفو الله عنهم بموجب الميثاق الذي قطعه مع اجدادهم ويساعهم على آثامهم . لا يرتبطون بعد تمام هذه المدة من السنوات ببيت يهوذا بل يقف كل منهم على برجه الخاص ، وقد بني الحائط ، ولكن الأمر الالهي أهمل وأبعد .

ولقد كان بلعال (الشيطان) متروكاً في بني اسرائيل خلال هذه السنوات عندما أوحى الله الى النبي اشعيا بن عاموس قائلاً « لقد فرض عليكم الخوف والشرك والمصيدة يا سكان الارض » وهذه تعني احابيل بلعال الثلاثة التي ذكرها لاوي بن يعقوب . وهذه الاحابيل قبض على بني اسرائيل فوضعها امامهم كأنها ثلاثة من انواع الحق . اولها الزنى وثانيها الغنى وثالثها تدنيس المعبد ، وان الذي سينجو من احداها لا بد وأن يقع في اخرها .

٧ - وسيعق الذين بنوا الهيكل في احبولتين - الزنى بارتباطهم بزوجتين خلال حياتهم ، بينما تأمر الشريعة حسب سنة الخليقة « لقد جعلهم من ذكر وانثى » والذين دخلوا الفلك « دخلوه اثنين اثنين » ومكتوب بخصوص الامير « سوف لا يضاعف الزوجات لنفسه » . ولكن داود لم يقرأ الشريعة التي كانت مهمة لأنها لم تفتح في اسرائيل منذ وفاة اليعازر ويشوع ومن كان اقدم منهما عندما عبدوا عشتروت ، بل بقيت الشريعة مخبأة حتى اظهرها صادوق ، ولقد سامح الله داود على اعماله ما عدا دم اوريا^(١) الذي بقي لاصقاً به .

(١) اوريا الحي الذي قتل في عمون وتزوج داود ارملة بث شبع (ف ١١)

وعلاوة على ذلك فانهم يندسون الملعب عندما لا يطلقون حسب الشريعة بل ينامون مع من يتدفق الدم منها وهو امر في منتهى القذارة . وكان احدهم يتزوج ابنة اخيه أو ابنة اخته ، ولكن موسى قال لهم : لا تقربوا خالاتكم لأنه زنى . وهناك افسدوا روحهم المقدسة وخاضوا في احاديث غير مهذبة قائلين عن الشريعة انها غير قائمة ولا يجب اتباعها وتكلموا في أمور مكروهة كمن يشعلون النار ويضعون فيها قرامي الحطب اليابسة وكمن يجعلون بيوت العناكب مساكن لهم وكمن يتبنون بيوت الافاعي السامة ، حتى اصبح من يقترب منهم لا يعد بريئاً . ولقد توغلوا في هذه الاجرام دون أن يطلب منهم ذلك .

ولكن الله ضرب اعمالهم منذ القدم وازداد غضبه بسبب اعمالهم هذه لأنهم ليسوا من الناس الذين يرضى عنهم ، بل انهم أمة خالية من العمل الصالح ولا يستحقون الثقة بهم ، ورغمًا عن قيام موسى وهارون بينهم اطاعوا بلعال الشرير وعملوا بنصيحته ورفعوا راية لكل شر .

٨ - وفي عصر دمار الارض نهض مزيلو الحدود وابعدوا اسرائيل عن الطريق السوي ، واصبحت الارض معزولة عندما اعلنوا ثورتهم على موسى ، فابتعدوا بكذبهم عن الله . ولكن الله تذكر طاعة الاجداد وتسامى عن ذنوب رجال هارون وعن الحكماء من اسرائيل عندما سمعوا وحفروا البئر (البئر الذي يحفره الأمراء ونبلاء الشعب بأعمدة الرايات) البئر هو الشريعة والذين يحفرونه هم عبيد اسرائيل الذين هاجروا من يهوذا واقاموا مؤقتاً في ارض دمشق ، وجميع من دعاهم الله أمراء لأنهم نجشوا عنه ولم تفتر ألسنتهم عن ذكره . وصانع القوانين هو من يدرس القانون كما قال اشعيا « يصنع آلة لعمله » وعظماء الناس هم الذين يأتون لحفر البئر بالقوانين التي وضعها صانع القوانين ليسيروا بها خلال جميع عصور الاشرار ، وبدونها لم يصلوا الى تعليم اركان الدين حتى النهاية وجميع من أحضروا للمهد لم يأتوا الى المكان المقدس ليشعلوا النار على مذبحه عبثاً

وسوف يطبق عليهم قول الله (ان الذي بينكم سيغلق بابه لدرجة انك لا تستطيع أن تشعل النار عبثاً على مذبحي) أي انهم يقفون في الباب ولا يدخلون وبذلك لا يعملون حسب الشرائع - أولئك الذين نهىوا ثروة المعبد واغتصبوا فقراء شعبه واراملهم ، ففسدوا واجرموا بالحصول على ما ليس لهم ولا لأبائهم . ولم يميزوا بين النظافة والنجاسة وبين النقي والشقي ، ولم يحفظوا حرمة السبت والاعياد وايام الصوم ، حسب ما أراد اصحاب العهد الذين هاجروا الى دمشق ووزعوا ما لهم بين الجماعة وأحب كل واحد أخاه كنفسه ، وكان احدهم يعطف على الفقراء والمحتاجين ، كما كان كل منهم ينصح أخاه ويعينه على الطريق المستقيم . وكما حافظوا على طهارة اجسامهم وملابسهم طهروا ارواحهم ، فاقصوا بالقداسة وعبدوا الله وحفظوا اوامره واجتنبوا نواهيه بحب واخلاص .

٩ - مكتوب على من يحفظ العهد ويقف بثبات أن تعيش اجياله في الخيام حسب اوامر الله ، وأن يتخذوا لهم زوجات حسب الشريعة وينجبوا أولاداً كما ورد (بين كل رجل وزوجته وبين كل اب وابنه) ولكن عندما يأتي الله الى الارض ليحاسب الاشعار حسب كلمات النبي اشعيا (سوف يحلب عليك وعلى شعبك وعلى بيت ابيك اياماً كهذه لم تحصل منذ ان رحل ابراهيم عن يهوذا وسيرى الذين رفضوا الأوامر والشريعة عندما يقام الحساب) وتأتي الكلمة التي قالها النبي زكريا (ولتمر أيها السيف ولتقف امام الراعي وامام الرجل الذي يقف بجواري : اضرب الراعي لكي تبعثر الغنم . وأحول يدي عن الصغار الذين هم فقراء القطيع وعن الذين يتبعون اوامري وينفذونها) .

عندما انفصل بيتا اسرائيل انفصل افرام عن يهوذا واستسلم للسيف جميع الذين كانوا هناك ولكن الذين وقفوا مخلصين هربوا الى أرض الشمال وسكنوا خياماً في دمشق وكتبوا الشريعة وطبقوها بقيادة النجم الذي فسر الشريعة وهو خارج من يعقوب كأنه صولحان

هارب من اسرائيل ليقود الجماعة ويحطم جميع أبناء الشر مع أولئك
 الابرار الذين هاجروا في فترة الافتقاد الإلهي ، وهو مقدمة لمجيء مسيا
 - المسيح المنتظر من هارون كما قال النبي حزقيال ليضع يده على جباه
 الذين يثنون ويلهثون ، ويبعدهم عن الذين استسلموا للسيوف وأصفوا الى
 بلعال داعية الخراب ، فتعدوا الحدود واستحقوا أشد العقاب ، لا سيما
 أولئك الذين كان كل واحد ضد أخيه وجاره وقريبه وليس لهم غرض
 إلا كسب الثروة عن أي طريق ، سادرين في طريق الغواية ينطبق
 عليهم تحذير الله (خرم سم الحيوانات القارس الزاحفة في مصر)
 الحيوانات هم ملوك الشعب ، وسمها هم رؤوس ملوك اليونان الذين أتوا
 ليثأروا منهم . والخمر هو طريق الغواية ولكن الذين بنوا الحائط
 ودهنوه بالشيد الابيض ليكون حاجزاً لا يتعدونه يوم السبت انما فعلوا
 ذلك بقيادة واعظ الكذب الذي ينطبق عليه (كمن يمشي في الهواء
 ويزن العواصف) هذه هي عبودية اسرائيل عندما انحرفوا
 عن طريق الاجداد في حب الله التي رسمتها شريعة موسى

ان جميع الرجال الذين دخلوا العهد الجديد ببلاد الشام عندما امتد
 الزمن بهم ، رحلوا عن بئر الماء الحي وابتعدوا عن الطريق السوي حق
 يظهر المسيح من هارون ومن اسرائيل ، فكأنهم يصهرون في الأفران
 عندما تشتهر أعمالهم وتظهر غلطاتهم عندئذ يتقدم المسيح ليخلصهم مما
 في قلوبهم من الكفر وعبادة الاصنام ، متبعين تعاليم معلم الكذب حوالي
 أربعين سنة ، استحقوا خلاها غضب الله ، فلا بد من التوبة والرجوع
 الى حفظ ارادة الله بعد أن ينصح كل واحد جاره ويقوي إيمانه ويسدد
 عزمه في خشية الله وتذكر اسمه . وعندئذ سينالهم عفو الله فيجعلهم
 أحباء وأصفياء وينقذهم من فترة الظلام ، فيستغفر لهم معلم الحق
 الذي اتخذوا من اسمه معتصماً لهم .

(١٦١) تنظيمات الشعب :

١٠ - كل من يتصرف بقسم من ممتلكات الجماعة حسب عادات الأيمن حق عليه الموت ، والذي يدخل العهد يتنازل عن كل ما يملك ، وعندما يفقد شيء من ممتلكات الجماعة يقسم الجميع باللغنة على الذي رأى واحداً ولم يخبر عنه ، ويعتبر شريكاً في الجريمة ، ولا بد ان يعترف للكهان بما رأى ، والكهان يكتم سره ويستغفر له . أما اذا كانت جريمته كبيرة فلا بد وأن يعترف بها بحضور وكيل الجماعة فيكتبها أمام شاهد واحد . حق اذا عاد مرة ثانية تضاعف جزاؤه ، ولكن لا بد من شاهدين اثنين ولا بد كذلك من التكفير عن الجريمة بأن يعزل عن الطعام الجماعي بأمر من حكام الجماعة .

١١ - في كل جماعة لا بد من اختيار عشرة رجال - أربعة من لاوى وستة من اسرائيل - تتراوح أعمارهم بين ٢٥ و ٦٠ سنة ، ولا يجوز أن يحكم الجماعة من تحتوى الستين . هؤلاء المختارون يقيمون حدود الله في الجماعة وهم ممن أوتوا علماً واسماً بشريعة الله .

١٢ - لا تدع رجلاً يغتسل بالماء القدر أو بما لا يكفي لتغطينه ، كما لا يجوز أن تطهر بالماء المستعمل أي وعاء . كل نقرة في الصخر يجب أن يغطى ماؤها فاذا لمسها رجل قدر زالت طهارته .

١٣ - لا تدع رجلاً يعمل عملاً يوم السبت منذ مغيب شمس الجمعة حتى شروقها صباح الاحد . احفظ لسانك يوم السبت ، لا تقم بأي عمل لجمع الثروة وخلافها ، لا تسلكم بمشاكل العمل الذي يمكن أن يتم في اليوم التالي . لا تدع رجلاً يسير في الحقل لينجز عمله يوم السبت ، لا تبعد خارج المدينة أكثر من ألف ذراع . لا تجعل أي رجل يأكل في يوم السبت سوى ما سبق تحضيره . اذا كان الرجل ذاهباً الى المعركة دعه يشرب بينا يقف بالطريق ولا تسمح له باخراج الماء وسحبه في أي

وعاء . لا تكلف أجنبياً بإنجاز عملك يوم السبت . لا ترتد ملابس نجسة ولا تخرجها من الخزانة لتلبسها قبل أن تغسل بالماء أو تمسح باللبان الذي الرائحة . لا تدع رجلاً يسير جائعاً يوم السبت . لا تدع أي رجل يشي وراء حيوان الى مرعى خارج المدينة أكثر من ألفي ذراع . لا تدعه يرفع يده ليضرها ، وإذا كانت عنيدة لا يخرجها من بيته . لا تدخل شيئاً من الخارج الى البيت ولا تخرج من داخله شيئاً . لا تفتح وعاءاً مختوماً ، ولا تجعل المرضعة تأخذ الطفل الرضيع لتذهب به الى الخارج . ولا تدع أي رجل يكلف عبده أو خادمته أن يعمل يوم السبت ، ولا تدع أي رجل يقيم في مكان بالقرب من الكفار يوم السبت . وإذا وقع انسان في بئر يوم السبت فلا يجوز اخراجه بسلام أو حبل أو آلة . لا يقدم الى المذبح يوم السبت ما عدا الضحايا المحروقة في ذلك اليوم ولأجل ذلك يجب أن تقف بجانب سبتك .

١٤ - لا تدع أي رجل يرسل الى المذبح تقدمات محروقة أو ضحايا أكل أو بنجوراً أو خشباً يحملها رجل نجس . وعندما يدخل أي واحد الى مكان العبادة لا تدعه الا اذا كان نظيفاً . لا تسمح لرجل أن يضطجع مع امرأة في المدينة المقدسة لئلا يدينها .

أي رجل يخضع لبلعالم الذي يأمر بالعصيان سوف يحكم بما يطبق على الوسطاء والسحرة ، وأي واحد يبعد عن الطريق السوي لكي يفسد السبت والاعياد سوف لا يوضع للموت ، لكن أبناءه يكونون مسؤولين لأداء الواجب عنه . وإذا قصر انسان في حق الجماعة فحكمت عليه بالخروج منها يحق له العود الى الجماعة بعد ست سنوات . لا تدع أي رجل من أن يمس يده لكي يسقط دم أي رجل من الكفار سعياً وراء الغنى . ولا يجوز أخذ شيء من ثروة الكفار اذا لم يكن ذلك بأمر مجتمع اسرائيل . ولا تدع أي رجل أن يبيع الحيوانات والطيور الطاهرة الى الكفار لكي يضحوا بها ولا يبيعهم من غلته ومن معصرته

ولا عبده ولا أمته الذين دخلوا معه في عهد ابراهيم ولا تدعه يجعل نفسه مكروهاً مع أي كائن حي ولا تسمح له بأكل الزواحف والحشرات والنمل ولا دم أي حيوان يخرج منه عند الذبح، كما يجب أن توضع الجراداة في النار أو الماء وهي حية قبل أن تموت . جميع الحشب والحجارة والغبار التي افسدتها قذارة الانسان تصبح قدرة وتنجس من يلمسها . وكل آلة كالسمار أو الوتد في الحائط لامست الاموات تصبح نجسة ولا سيما اذا صنعت من مادة نجسة .

١٥- طبقاً لهذه الأوامر في مجلس مدنت اسرائيل يجب أن يفرق بين النظيف والنجس وبين رجل الدين والرجل العادي . اذا سار الرجل الحكيم على هذه الشريعة من وقت الى آخر فإن اللعنة تبعد عن ذرية اسرائيل .

وهذا هو أمر مجلس الخيام : إن أولئك الذين يسرون في هذه الطرق خلال فترة الشر حتى يظهر المسيح من هارون واسرائيل يجب أن يكونوا عشرة رجال على الأقل بين الآلاف والمئات والخمسينات والعشرات ليعلموا شريعة الله حسب كلماته ، وسوف يكون الدخول الى الجماعة أو الخروج منها بأمر من هؤلاء المختارين . ثم يأمر الوكيل كاهناً أن يشرح الشريعة ويفسرها في خيمة الاجتماع .

١٦- هذا هو أمر وكيل الخيمة : انه سيأمر الكثيرين من عمال الله ويجعلهم يفهمون أعماله ويجعلهم يفهمونها ليرجع كل من ضل عن الطريق كما يفعل الراعي في قطيعه من الغنم ولا يحوّله أن يظلم أو أن يلعن أي واحد في مجتمعه . وكل من يدخل الجماعة تقدر أعماله وقوته وثروته . وسوف يوضع في مركزه في الجماعة بواسطة الوكيل الذي بيده أعمال البيع والشراء . وكل الذين يشون بموجب عهد الله يقفون أقوياء ليخلصوا من الحفر وينجوا من العقاب ويسلموا من السقوط .

١٧- هذا هو أمر مجلس جميع الخيام : يجب أن يسجلوا اسماءهم مبتدئين بالكهنة ثم اللاويين ثم أبناء اسرائيل وأخيراً المهتدين حديثاً . هكذا

يجلسون ويسألون ثم يسمعون كلام المختار الذي يتكلم صدقاً مع كل واحد منهم . ويتراوح عمر المختار بين الثلاثين والخمسين ويجب أن يكون عالماً متمرنًا على إدارة المجالس . وكان لا يسمح لأي فرد أن يتكلم في الاجتماع قبل أن يعرض ذلك على الوكيل ويأخذ موافقته .

١٨- هذا هو أمر الكثيرين في حل جميع شؤونهم : يجب أن يضعوا في يد الوكيل اجور يومين لكل شهر على الأقل . ويعطي الحكام من هذه الأموال حقاً للانتماء ويساعدون الفقراء والمحتاجين والمسنين وأبناء السبيل والاسرى والى البنات التي ليس لها من تعتمد عليه والى العبد الذي لا معيل له .

١٩- لا يجوز القسم بالله، إذ لا يجوز ذكر اسم الله لا صدقاً ولا كذباً، لإثبات حق . وإذا كان ولا بد من قسم فانه عند دخول الجماعة التي من مبادئها عدم الكذب ، فاذا سجل عليه الخروج عن مبادئها فانه يطرد حالاً . وذلك يغني عن اللجوء الى الأيمان في كل مناسبة .

٢٠- لقد بقيت التفسيرات التي وضعها رجال العهد التي عميت عنها اسرائيل موضحة في كتاب الاوقات لتعيين الاعياد والاسبوع . فاذا تقيد بها الانسان حسب شريعة موسى انهزم شيطان العداوة؛ ولذلك فان ابراهيم قد ختن في اليوم الذي تلقى فيه المعرفة ، وعلى الانسان أن يفي بالوعود التي ألزم بها نفسه واذا اضطر الانسان للقسم فيجب أن يؤديه ويفي به حسب الشريعة بصدق وشرف ولو كان يقترب على ذلك الموت . وعلى الزوج أن يعفي امرأته من أي قسم الا اذا كان هذا الاعفاء خرقاً للعهد . وهذا هو نفس الواجب على والدها أيضاً .

وما دامت الذبيحة فرضت لتطهير الذنوب فلا يجوز سلبها بالقوة وتقديمها كفارة عن الذنب^(١) .

(١) منذ سنة ١٩١٠ استمر العلماء على خطة المرحوم شختر في الانكباب على دراسة الوثيقة الدمشقية في كل مناسبة وكان آخرهم الدكتور موراغ الذي امضى ستة أسابيع منكباً عليها في جامعة كمبرج سنة ١٩٦٥ واستطاع أن يصل الى حقائق تلقى أضواء جديدة على تاريخ طائفة قهران وانظمتها التي كانت تلزم بها كل من يدخل في عدادها وكيف كانت تشدد في تطبيق شريعة موسى .

الفصل الثامن

شرح حبقوق

(١٦٥) لا يمكن أن يستدل على عمر مخطوط إن لم يذكر كاتبه ذلك صراحة . فاذا تعذر وجود هذا النص الصريح فإننا نلجأ الى طرق اخرى تساعدنا في الوصول الى أقرب عمر لهذا المخطوط ، ولما لم نجد تاريخاً مدوناً على مخطوطات البحر الميت فقد لجأنا الى لغتها لعلها تقدم لنا دليلاً محتملاً على تقدير أعمارها . وبمقارنة شرح حبقوق بسفر اشعيا - بما فيها من خروج على التهجئة المعروفة وشذوذ عن القواعد المألوفة - نجد ما يحملنا على الاستنتاج بأن كاتب المخطوط كانت معرفته لا تزيد عما اكتسبه من اللغة العبرية في قراءته للتوراة . ويشبه كاتب مزامير الشكر تلميذاً حاول كتابة موضوع إنشائي باللغة العبرية القديمة التي لم تكن محكية في زمانه . لقد كتب بعبدية وسط بين القديمة وبين الحديثة التي سبقت قيام المسيحية والتي لا يمكن أن تكون قد استمرت الى ما بعد سنة ٧٠ م أي سنة تدمير الرومان هيكل القدس .

(١٦٦) كما يمكن الاستفادة من المقارنة بين هذا المخطوط المجهول التاريخ وبين مخطوط معروف التاريخ بما ورد فيه من أسماء مختلفة . وهنا تصح المقارنة بالوثيقة الدمشقية التي وجدت في جنيزة القاهرة التي تتشابه لغتها

مع لغة شرح حبقوق وتقدم لنا كشفاً واضحاً بأسماء اشخاص وبقاع نستطيع أن نطبقها على ما ورد في حبقوق ، لا سيما عند استعراض جماعات واشخاص دار بينهم حوار في مسائل كثيرة . ومع ذلك يؤسفنا أن تكون حوادث الحوار والحركات مبهمة قابلة لتأويلات مختلفة، مثال ذلك ما ذكر في رؤيا دانيال من ظهور وحوش وقرون يقال انها إشارة الى ملك الجنوب وملك الشمال اللذين لم يذكر اسمها صراحة خشية التعرض للمراقبة والاضطهاد .

(١٦٧) وهنا يجدر بنا أن نعود الى استنطاق مراجع معاصرة أو قريبة عما جاء في شرح حبقوق . ومن حسن الحظ أن ما كتبه المؤرخ اليهودي يوسفوس في القرن الأول الميلادي هو تحت تصرفنا بتفصيلاته الوافية . وبالطبع لا نتوقع أن يطابق ما جاء في كتابات يوسفوس تمام المطابقة ما ذكر في حبقوق بالنسبة للأشخاص والحوادث . والمنتظر أن يكون في الكتابين وجهتا نظر مختلفتين تصح المقارنة بينهما ، أي مقارنة كتابات لا نعرف مقدار صحتها بكتابات أخرى وردت في كتاب معروف ككتاب يوسفوس الذي يستعرض الإشارة الى جماعة الكتييم بأنهم جاءوا اما في عصر المكابيين واما في العصر الذي سبقهم واما في العصر الذي تلاهم .

الكتييم

(١٦٨) عندما قسمت مملكة الاسكندر بعد موته وقعت فلسطين بين مملكتين الأولى مملكة البطالسة في مصر والثانية مملكة السلوقيين في سوريا وبقيت فلسطين تحت حكم البطالسة مئة عام تقريباً ، ثم استولى السلوقيون عليها ١٩٨ - ١٦٨ ق. م. وهذا يوصلنا الى نهاية الزمن السابق للعهد المكابي الذي يتبدى بثورة يهوذا المكابي عام ١٦٨ عندما أصبح يحكمها سلالة سمعان أخ يهوذا، الذين عرفوا باسم الحشمونيين. ولم يجعل المؤرخون الزمن المكابي والزمن الحشموني واحداً. ولكننا نستطيع هنا أن نجعل الزمن المكابي مرادفاً تماماً للزمن الحشموني الذي يتبدى في سنة ١٦٨ ق. م. وينتهي عام ٦٣ ق. م. عندما

ضم القائد الروماني بومبي فلسطين الى سوريا. وهكذا يكون العصر الروماني قد دخل رسمياً في التاريخ الفلسطيني ، وبعد ربع قرن تولى هيرودس الكبير حكم البلاد ٣٧ - ٤ ق. م. ثم حكم أبناؤه حكماً شبه مستقل ثم تلا ذلك فترة استبداد قسارية تحت إدارة ولاية روما المتعاقبين . وقد أدت قسوة الولاة الى استياء اليهود فثاروا عام ٦٦ م وهذا أدى الى أن يحتل القائد الروماني تيطس مدينة القدس ويهدم الهيكل عام ٧٠ م. ولما كان مخطوط حبقوق أحد المخطوطات الحديثة العهد نسبياً فلا بد لنا أن نعرف تاريخ المؤلف الاصيل لهذا السفر الذي ربما عاش وكتب هذا الشرح قبل عام ٧٠ م .

(١٦٩) كثير من المراجع المذكورة في شرح حبقوق تهتم بالمشاكل الداخلية للمجتمع اليهودي - فأحد هذه المراجع يشير بوضوح الى الغزاة الاجانب والفاحين الذين يدعون الكتيم وهم الغزاة الذين يتميز بهم هذا العصر . وهمنا أن نعرف من يكونون . ولنا أن نأخذ احتمالين فيما أن يكونوا المكدونيين بعد الاسكندر أو (البطالسة أو السلوقيين) وإما أن يكونوا الرومان . وتظهر كلمة الكتيم « جمع » في مواضع كثيرة من العهد القديم :

١ - في سفر التكوين ١٠ : ٤ أن أولاد يافان «اليونان» هم اليشع وترشيش وكتيم ودودنيم .

٢ - وفي اشعيا ٢٣ : ١ يظهر اسم الكتيم في بداية النبوات « وهي من جهة صور من ارض كتيم أعلن لهم » .

٣ - بينما نقرأ في رؤيا الملك يعقوب «ولكن السفن تأتي من كتيم» تلميح الى جزيرة قبرص .

٤ - في دانيال ١١ : ٣٠ «بانه ستأتي سفن كتيم» اشارة الى الرومان .

٥ - في الترجمة السبعينية للتوراة والترجوم الآرامي اشارة الى الرومان ايضاً .

٦ - وفي المكابيين الأول أن الاسكندر الكبير أتى من ارض الكتيم .

٧ - ويقول سفر اليوبيل أن المكدونيين يشبهون الكتيمة .

مهما يكن من أمر فلعلنا نحسن عملاً إن نحن أوردنا أو لحصنا بإيجاز ما جاء عن الكتيمة في شرح حبقوق .

(١٧٠) والكتيمة هم رجال سريعون مثال للجرأة والاقدام في المعركة . يؤمنون بالاصنام - لا بإله اسرائيل - يسرون فوق الارض الملساء ينهبون ويدمرون المدن التي على سطح الارض . يخططون للشر وينفذون خططهم بدهاء وخديعة . ويهزون الارض بنحيولهم وحيواناتهم ... « من بعيد جداً ، أتوا من سواحل البحر يفترسون الشعوب وكأنهم نسور لا تعرف الشعب ويعاملون الشعوب بسخط وكرهية وغضب وحشي ويشيعون الرعب والخوف ويفتكون بهم بدافع الظلم والعسف المتحكم فيهم .

ولا بد أن تكون الإشارة الى الكتيمة أيضاً عندما يرد هذا الوصف الذي يقول أنهم يضعون لإعلامهم وأن رمز عبادتهم هو سلاح حروبهم وهم يكذبون ما يفرضونه من أتاوة وطعام من كل الشعوب ، سنة بعد أخرى ويهلكون بالسيف شباباً وشيوخاً ونساء وأطفالاً ولا يرحمون ثمرات الارحام أيضاً .

وأخيراً يتحدث شارح حبقوق عن آخر كهنة اورشليم بقوله : « جمعوا الغنائم والثروات من الشعب ولكن في نهاية الازمان ثرواتهم وغنائمهم ستكون من نصيب جيش الكتيمة لانهم نهاية الشعوب » .

(١٧٢) ومن دلائل النظرية التي تقول انهم مكدونيون العبارة « يسرون على الارض الملساء » تعني السهل المرتفع الذي يقع شرق البحر الميت بين نهر الموجب وبلدة حسيبان والذي غزاه الملك الحشموني اسكندر جانس (١٠٣ - ٧٦ ق.م .) ويشير الى غزو انتيوخس ملك السلوقيين (٨٧ - ٧٤ ق.م .) بلاد الانباط . يضاف الى ذلك عبارة « الدهاء والخديعة في الكتيمة » إشارة الى السلوقيين لأن هذه الصفات كثيراً ما عزيت اليهم

في المكابيين الأول ويوسيفوس . وأن الكتم يدكون الارض يجيئادهم وحيواناتهم التي قد تكون فيلة الحرب التي كثيراً ما افتخر بها ملوك السلوقيين ورسموها على نقودهم . وليس من المهم تفسير الحيوانات بالفيلة يضاف الى ذلك أن السخط والوحشية التي استعملها الكتم مع ضحاياهم تناسب صفات السلوقيين وفي سفر المكابيين الأول وفي دانيال كثير من كلمات التهديد والسخرية التي كان يوجهها أبيفانوس وقواده الى اليهود .

(١٧٣) يرى مشيل أن العظماء والشرفاء والذين احتقرهم الكتم يمكن أن يكونوا كهنة اليهود وشيوخهم الذين أهانهم الرئيس المكدوني نيكاتور عام ١٦١ ق.م. كما يمكن أن يكونوا ملوكاً أو امراء من مصر أو حكاماً شرقيين أقل شأنًا، سخر منهم الكتم وعاملهم انتيوخس ابيفانوس بالهزء والازدراء . ويرى في حالة أخرى تلميحاً لانتصار ابيفانوس على جيش المصريين في أكثر مما يستحق . ويقول المعلم أو الشارح بأن حكام الكتم « يرون كل واحد أمام زميله ويأتون واحداً بعد الآخر ليبيدوا الأرض » يفترض الباحثون أنهم الكهان يسرون واحداً قتلوا الآخر نسبة الى أعلام رتبة زمن الملوك السلوقيين .

وبما يساعدنا على تعريف الكتم أن نعرف ماذا كان يقصد بالبيت الشرير الذي جرى بمشورته حكام الكتم ، ولقد ساد الاعتقاد أن هذا البيت الشرير إنما هو اسرة طوبيا التي كانت ميالة لحكام السلوقيين . وفي هذا رد واضح على الذين يدعون أن ابيفانوس أخذ القدس عنوة عام ١٧٥ ق.م. وذبح كثيراً من افراد اسرة أو نباد الذين كانوا ميالين لبطالسة مصر - بعكس اسرة طوبيا الميالة لسلوقي سوريا ، ثم نهب الهيكل ومنع تقديم القرابين ثلاثة أعوام ونصف العام . ومع ذلك فإننا تنقصنا الأدلة الصريحة على أن اسرة طوبيا هي البيت الشرير .

في مقال الاستاذ ستوفر عن الكتم « بأنهم يجمعون ثروتهم كما يجمع السمك من البحر » يمكن أن تقابله مع ما جاء في رسائل الانبياء الاثني عشر التي تتكلم

عن ملوك سببتلعون الرجال كالسك. ومع ذلك فليس من دليل أكيد يدل على أن هذه العبارة تعود الى ملوك السلوقيين في سوريا .

(١٧٤) اشتد الخلاف حول عبارة « الكتيمة يضحون لاعلامهم ويعبدون اسلحتهم » وقد يكون في هذا اشارة الى مقدار احترام الجيوش الرومانية لإعلامها لكن ستوفر يرى أن ذلك إشارة الى سياسة ابيفانوس السلوقي الذي كان يقدر أعلامه كأعلام زفس رب آلهة اليونان . ولا يخفى ان كلا من جيوش آشور وفارس ومصر قدست أعلامها كما فعل الرومان . وليس لدينا أي دليل مقنع بأن تقديم الضحية للأعلام عرف قبل سنة ٧٠ م. وهذا يرجح أن يكون ذلك بدأ في حكم الرومان لا في حكم المكابيين ومعاصريهم السلوقيين .

(١٧٥) يرى دلکور في عبارة (لم تكن عندهم شفقة على ما في الارحام) إشارة الى غزو بطليموس الثامن بلاد فلسطين سنة ١٠٠ ق. م. ويعود مشيل لينكر ما في يوسفوس من الفظائع التي ارتكبها بطليموس مع الحبلى. وإليها أشار شرح حبقوق الذي يميز بين الاطفال وبين ما في الارحام ولا يقبل ما ذكر يوسفوس وما شرح على سفر حبقوق . في حين يرى مشيل أن هذه العبارة تشير الى المذابح والفظائع التي ارتكبها ابيفانوس ضد اليهود عندما عاد من مصر سنة ١٦٨ ق. م. وهنا أيضاً تعجز الأدلة عن أن تكون شواهد قاطعة - فليس السلوقيون ولا الرومان هم وحدهم استأثروا بالمذابح والفظائع المقصودة بعبارة (آخر كهنة اورشليم الذين ستنقل أسلابهم الى أيدي جيش الكتيمة) .

(١٧٦) ويعتمد ويرمز على أن الكهان الحاربيين هم أسرة الحشمونيين ومنهم آخر كهنة اورشليم ولكن الكهنة الحبيين لليونان قبل العصر المكابي لا يمكن أن يهاجموا حلفاءهم وحمايتهم المكدونيين . ومن جهة أخرى فإن آخر الكهنة أيام هيرودس وأيام الحكم الرومانيين لم يكونوا حاربيين - باستثناء الكهنة الذين هيجوا وأثاروا الشعب في الثورة الاولى على الرومان

٦٦ - ٧٠ ميلادي . ومن المعروف أن كهنة الحشمونيين هاجموا الشعوب المجاورة ونزعوا ثرواتها ودمروا بلادها - ومع ذلك فإن ويرمز ما يزال يعتقد بأن الكتيم هم الرومان .

وآخر عبارة يذكرها الشرح عن الكتيم (وأنهم بقايا الشعوب) يقابلها مشيل مع مظاهر حكم السلوقيين في أيام الملك ابيفانوس التي وصفها سفر دانيال بأنها آخر وأعجب مملكة بشرية تقوم قبل قيام الساعة .

(١٧٧) يجعل مشيل السلوقيين هم الكتيم معتمداً على ما جاء في الشرح الذي يقول بأن السلوقيين تمسكوا بعبادة الأوثان ودافعوا عنها وحاولوا إلغاء الديانة اليهودية في زمن ابيفانوس . أما الرومان فقد سمحوا لليهود بحرية العبادة . ولسوء الحظ فإن شارح حبقوق لم يذكر علاقة الكتيم بعبادة الأوثان وإنما اقتصر على التشهير العام بتلك العبادة . وهكذا فإن اتصال الكتيم بمحيوش السلوقيين في أيام المكابيين وما يسبقها لم تسفر عن شيء ثابت . والاحتمال إذن ضعيف في أن يكون الكتيم هم السلوقيين إذا كان الشرح قد كتب قبل أن يبرز الرومان على مسرح التاريخ .

(١٧٨) هل هناك أسباب أقوى للاعتقاد بأن الكتيم المذكورين في شرح حبقوق هم الرومان ؟ ... يرى سيمون في قول الشارح (فوق الارض الملساء) ما يشير الى أنهم جاءوا من البحر عندما يفسر الارض الملساء بأنها سهل مائع . وحق إذا ثبت أن الرومان هم المقصودون بالكتيم وأنهم جاءوا الى فلسطين عن طريق البحر تكون هذه الترجمة من الكلمة العبرية جذيرة بالتساؤل . وعبارة (من بعيد هم يأتون ، من سواحل البحر أو جزره) يمكن أن تنطبق على الرومان أكثر من انطباقها على السلوقيين . ويذهب سيمون الى ما هو أبعد في ادعائه بأن الرومان جاءوا من جزر البحر وسواحله .

(١٧٩) عبارة حبقوق ١ : ٨ التي تصف خيول الاعداء بقولها (تطير كالنسور) تشير الى بيت الشر بأنه أسرة طويبا التي كانت قبل الحكم المكابي . ويرى كثير من العلماء بأن المقصود ببيت الشر هو مجلس الشيوخ الروماني .

وقد يكون من الأيسر علينا أن نختار واحداً من هذين التفسيرين إذا عرفنا ما المقصود ببیت الشر .

(١٨٠) ليس غريباً أن تكون شواهد الشارح على عبارة (ثروتهم مع كل أسلافهم) قد فهمها أكثر من باحث بأنها تلميح للغنائم التي كسبها الرومان .

سبق أن جلب انتباهنا العبارة الواردة في الشرح بأن الكنيم بضحوت لإعلامهم ويقصدون أسلحتهم في الحرب ، وعندما قرأت الشرح لأول مرة في القدس سنة ١٩٤٨ قلت بأن الكنيم هم الرومان . وفي الحقيقة لم يكن المقصود بهذا الشأن الجند الروماني من حيث أنهم يحترمون أعلامهم فقط ، بل كانوا يقدمون لها الضحايا ايضاً وهو الدليل الواضح على ما يقدمه يوسفوس عندما فتح تيطس مدينة اورشليم عام ٧٠ م . ويستعرض الدكتور درايفر هذا الدليل على أن ما يذكره يوسفوس هو أقدم تاريخ يذكر أن عملية التضحية للاعلام كانت قبل قيام الحكم الامبراطوري عام ٣١ ق. م. وعلى ذلك تكون الاشارة الواردة في حبقوق أقدم شهادة على هذه العملية. وهذا يدعم التفسير القائل بأن الكنيم في حبقوق هم الرومان .

(١٨١) زعم صومر أن آخر كهنة اورشليم هم الاخوان أرسطوبولس الثاني (٦٧ - ٦٣) وهركانوس الثاني (٦٣ - ٤٠) ق. م. وبها انتهت ولاية اسرة الحشمونيين . ويضيف الشارح بأن ثروة آخر كهنة اورشليم تعطى الى الكنيم الذين يرثون الشعوب . وعلى ذلك يكون الكنيم آخر شعب يلعب دوراً هاماً في التاريخ حسب نظرية صومر . ولكن لا يجوز أن ننسى أن الشارح يتأثر بالعصر الذي يعيش فيه فيحكم بأن القوة السائدة على العالم في زمانه هي آخر امبراطورية يمكن أن تظهر قبل نهاية التاريخ .

وهكذا يصبح من الجلي أن الشواهد التي تشير الى الكنيم لا تساعد على تعيين الأمة التي ينتسب اليها الكنيم كما لا يساعد على شرح عبادة الاعلام

וְהָיָה וְאַחַר תִּגְלָה לְחַנֵּךְ הַיָּעֵת בְּנֵי
 הַיָּעֵת לִדְבַּח הַיָּעֵת וְשִׁשְׁתֵּי נְשִׁמָּה
 חֲסִידֵי אֵל שָׁכַן לִמְעַן חֲסִידֵי אֵל וְנִשְׁמָה
 נִשְׁמָה עַל הַיָּעֵת הַיָּעֵת אֵשׁ
 וְיָדֵי אֲחֵרֵי הַיָּעֵת לִשְׁמָה לְבָנֵי בְנֵי
 חֲסִידֵי אֵל וְנִשְׁמָה וְכִינֵי בְנֵי בְנֵי
 וְיָדֵי חֲסִידֵי הַיָּעֵת וְנִשְׁמָה לְבָנֵי
 וְנִשְׁמָה בְנֵי עַם שָׁכַן לְבָנֵי
 קָלוֹן בְּנֵי שָׁכַן וְנִשְׁמָה וְנִשְׁמָה
 תִּשְׁמָה עַל בְּנֵי וְנִשְׁמָה בְּנֵי
 וְנִשְׁמָה עַל הַיָּעֵת אֵשׁ וְנִשְׁמָה
 בְּנֵי לֹא בְּנֵי אֵל שָׁכַן לִבְנֵי
 וְנִשְׁמָה לִמְעַן חֲסִידֵי וְנִשְׁמָה
 אֲחֵרֵי לִשְׁמָה

العمود الحادي عشر من شرح حبقوق بالخط المربع
 الا اسم الجلالة فانه بالخط المائل

ليسند النظرية التي تقول بأن الرومان عبدوا أعلامهم أكثر من السلوقيين .
 فإذا قبلنا نظرية جعل الرومان هم الكتيمة لا يبقى لزوم للقول بأن الشرح كتب
 بعد فتح الرومان بلاد فلسطين . أن الشارح كان يشعر بحماس أو عاطفة
 كأنه عاش هذه الاجيال البغيضة وعاشرها فسردها كما هي . فإنه يتضح
 أن الكتيمة لم يكونوا في فلسطين عند كتابة الشرح ولكن عندما كان الناس
 يتوقعون مجيئهم بسرعة قبل وصول بومبي الى القدس سنة ٦٣ ق.م .
 واستمر كهنة الحشومنيين ينهبون البلاد المجاورة لفلسطين أجيالاً كثيرة
 ولكن ما غنموه سيذهب حالاً الى أيدي الرومان .

(١٨٢) ومن جهة أخرى فليس كل ما قيل عن الكتيمة يناسب ما حصل عند فتح يومى لمدينة القدس . ويقول مشيل أن مجيء يومى لم يكن تنفيذاً لخطة عسكرية سبق رسمها والسعي لتنفيذها ولكنه كان تلبية لدعوة تلقاها من الأخوين المتنازعين في أورشليم ، بينما يقول الشرح أن الرومان كانوا ينفذون خططهم لفعل الشر بالدهاء والخديعة نحو كل الشعوب . هذه الحقائق تكون مقبولة إذا فرضنا أن سمعة الرومان المرعبة كانت قد سبقتهم الى فلسطين في الوقت الذي كان يكتب فيه شرح حبقوق .

عند استعراض هذه الشواهد يستنتج اليجر بأن الشرح كتب بعد عام ٦٥ ق.م. عندما وصل الوفد الروماني للصلح بين الأخوين ارسطوبولس وهركانوس وهكذا فإنه يبدو لي أنه من المحتمل أن يكون المقصود بالكتيتم هم الرومان ومع ذلك لا يمكن البت في هذا الأمر إذ لا يمكن أن يبنى تأكيد من تأميمات وردت في الشرح .

شخصيات الرواية

(١٨٣) بالإضافة الى الشواهد عن الوضعية الدولية ، فهناك في شرح حبقوق الشيء الكثير عن حالة الافراد والاحزاب بين اليهود وعلاقتها بالكتيتم ، من ذلك العبارة التي تقول «ان اسلاب آخر كهنة اورشليم ستعطى للكتيتم» وليس لهذا القول دلالة واضحة عن الافراد والجماعات المذكورين في المراجع الاخرى لذلك تحتم علينا ان نجد ارتباطاً واضحاً بين ما جاء في شرح حبقوق من تاريخ اليهود وبين ما جاء في المصادر الاخرى . وبما يزيد في الصعوبة عدم ذكر الاسماء سوى في حالة أو حالتين، يضاف الى ذلك تعارض هذه الاقوال واختلافها في توضيح ازمة الحوادث وامكنة حصولها . ومن الانسب أن نستعرض جميع الممثلين على المسرح ونرى ان كنا نستطيع معرفتهم ومعرفه الادوار التي مثلوها . فبطل روايتنا هو معلم الحق الذي

سيختلف مع معلم الكذب . . . « فيقطع الرب من اسرائيل الرأس والذنب في يوم واحد » فالرأس هو داعية الحق والذنب هو داعية الكذب .

« ماذا نفع التمثال المنحوت حتى نحته صانعه او المسبوك » .

« يا بني صهيون ابتهجوا وافرحوا بالرب الهكم لانه يعطيكم المطر مبكراً او متأخراً . . . فانه قد اعطاكم مشرع العدل لاجل خلاصكم . . . لاجل معلم الحق » .

« اولئك الذين يمثلون الحيانة ويتبعون الرجل المنافق لانهم لا يعتبرون كلام معلم العدل الموحى به من الله » .

وهكذا يستمر كاتب تفسير حبقوق على ذكر المعلمين الذين لا يسمعون كل ما سيحدث الى منتهى الاجيال على لسان الكاهن الذي وضع الله الحكمة في فؤاده ليفسر كلام خدامه الانبياء . وان العدل سينقل الى جميع الامم على يد الذي يختاره الاله وكل شرير بين شعبه سيعاقب بمقدار ما اقترف من الذنب .

(١٨٤) ورد في قائمتنا عبارة غامضة تذكر جماعة باسم «بيت ابشالوم» عند ذكر حادث النزاع بين معلم الحق ورجل الكذب تفسيراً لعبارة حبقوق القائلة « عندما يبتلع المنافق من هو ابر منه » يقول المعلق ان هذا يعني بيت ابشالوم ورجال حزبيهم الذين لم يساعدوا معلم الحق ضد رجل الكذب عندما رفض الشريعة وخرج على رؤوس الاشهاد . وابشالوم هو الذي تورد على ابيه داود وسبب له اسوأ نهاية لحياته .

(١٨٥) لقد سبق معلم الحق الى المحاكمة وادين لان بيت ابشالوم تخلى عنه ولم ينصره ويدافع عنه ولا سيما عندما استعمل رجل الكذب القانون بطريقة

منحرفة فتعرض الى التعذيب . وانعكست الآية اذ كان العدل يقضي بأن يحكم معلم الحق على رجل الكذب - وهذا تفسير العبارة « عندما يبتلع المنافق من هو ابر منه » .

يرى بارثلمي ان معلم الحق كان المفسر الملهم لكل المغيبات والنبوات الواردة في كلمات خدام الله الانبياء . اما الكاهن الشرير الذي قال عنه حبقوق « الويل لمن يجمع مال غيره » فانه اضاع وجدانه وتخلي عن ضميره عندما جاء ليحكم شعب اسرائيل فتخطى كل عدل وداس كل شريعة سعياً وراء كسب الثروة بطرق الاغتصاب وغيرها .

يرى اليجر ان معلم الحق شعر بالمرض أثناء المحاكمة وبدأ عليه الاعياء عندما تلي عليه الحكم . ولقد تجمع حوله المؤمنون به وحاولوا ان ينقضوا على اخصامه والذين حكموه زوراً وبهتاناً وهنا اكلت الديدان الاسطر الاخيرة من عمود الكتابة ففقدت بعض العبارات وصعب تتبع المعاني ويظن صومر ان السطر الاخير المفقود من العمود الثامن يتعلق بالكاهن الذي ثار او بمعلم الحق الذي انتهى وهو يفسر الكلمات الناقصة من العمود التاسع بهذه العبارة « قضت الحكمة بجلده » وهي تشير الى ان معلم الحق هو الذي قاسى المصير المؤلم . ويتطرق صومر فيقول ان معلم الحق تعرض للعذاب الجسدي ولكنه لم يؤثر فيه لانه كائن إلهي تجسد ليعيش ويموت كإنسان . ولقد ركز صومر جهوده على التعذيب الجسدي ليعمل على نتيجة مفادها ان هذا الحادث كان مقدمة لظهور المسيح ولكنه لم يلبث ان تخلى عن فكرته هذه .

(١٨٦) اما التمييز بين البار والفاجر في هذه العبارات فلم يكن واضحاً لعدم توفر الصفات المميزة لكل منها . فنحن نعلم ان معلم الحق كاهن يمتدح اتباعه بقدرته على تفسير النبوات . ولقد وقف في طريقه وحال دون اداء رسالته اناس لم يؤمنوا به بل تواطأوا عليه مع خصمه رجل الكذب وكان

ينتظر من بيت ابشالوم ان ينتصروا المعلم الحق ويحولوا دون الحكم عليه حتى لا يقاسى الآلام .

وعندما تولى كاهن الشر حكم اسرائيل ابتعد عن الله وابطل الشريعة واستولى على المال بالاغتصاب وسار في سبيل الرذيلة ومشى بطرق الفسوة وشهد على معلم الحق شهادة ادت الى حكمه بان يجلد ويعذب حتى يموت. ولكن الله سلط عليه غزاة الكتيمة ففقدوا على ملكه وغنموا كل ثروته التي جمعها بشق الطرق .

يتلو ذلك بضعة سطور في التعليق عن الواعظ بالكذب وهو يدعو الكثيرين لبناء مدينة الخداع بالدم وينشيء جماعته على الزور والبهتان وضلل الكثيرين عندما جعلهم وقود النيران وجعلهم في عذاب السمير - كل ذلك حملهم على مقاومة معلمي الحق والحيلولة دون اداء رسالتهم .

(١٨٧) بيتديء العمود الحادي عشر من التعليق بعبارة « الكذب ، وقد يملأ الفراغ بالناقص ليكون « واعظ الكذب » أو « رجل الكذب » ، لتتسجم مع ما يتلوها من هذه العبارة « . . . الذي يحمل جيرانه يشربون السكر » ويقول المعلق « وهذا يعني الكاهن الشرير يضطهد معلم الحق لكي يقوده الى الغضب وليعاقبه في يوم الاحتفال بعيد الغفران وينغص عليهم يوم صياهم وسبتهم » ويظهر ان الكاهن الشرير صبر على معلم الحق حتى اتم موعظته العلنية يوم عيد الغفران ثم قبض عليه وقدمه للمحاكمة . وهذا يشبه تجلي الاله الذي يتمسك به صومر في الخلط بين معلم الحق في شخص المسيح وبين كاهن الشر في شخص قيافا كاهن اورشليم . . . كاهن الشر اضطهد معلم الحق وحال دونه ودون اداء رسالته وبيت له الشر ليتخلص منه .

يقول سالون كان معلم الحق واتباعه قد عينوا يوم العيد بموجب تقويمهم الخاص فظهر لهم الكاهن الشرير وسعى في تشكيك ايمانهم مدعياً ان هذا

التعيين مخالف لما روى عن الآباء والاجداد في تعيين يوم عيد الغفران . وقد جمع كاهن الشر جمهوراً من اتباعه في ذلك اليوم ليتحشروا بمعلم الحق وجماعته بقصد احداث شيء لم يفصح عنه تعليق حبقوق .

(١٨٨) يذكر مخطوط حبقوق بعض جرائم كاهن الشر فيقول : لقد امتلأ بالفضيحة بدل المجد - اي ان كاهن الشر لم يطهر قلبه بل سار في طريق السكر لكي يطفئ ظمأه . والرواية الثانية تقول « يمتص دم المدينة » اي مدينة اورشليم التي يدنس مقدساتها بأعمال الجور والشدة . وهناك من يرى ان كاهن الشر كان يعيش حياة فاسقة ويعكف على الشراب وينغمس في الظلم والتعسف اشارة الى العبارات التالية « وكأسم عين الرب تدور اليك وفي الفضيحة يغشى مجدهم » . وباقي النص مفقود هنا حتى نهاية العمود الحادي عشر . وفي العمود الثاني عشر « الكاهن الشرير الذي يمكنه محاكمتهم . . . الله سيقم عدله ويقضي عليه » وهذا معناه « ان الكاهن الذي كان قد تسبب في ظلم الآخرين عليه ان يقاسي العذاب الشديد » وقد تكون هذه العبارة هي الوحيدة في المخطوط التي تحدث فيها كاتب التعليق بصراحة عن حوادث جرت ايام حياته عندما نال الكاهن الشرير قسطه من العذاب . . . وان كان البعض يرى تأخير المحاكمة الى قيام الساعة .

(١٨٩) وفي تفسير نبوة حبقوق « لان الظلم للبنان يغطيكم واختطاف البهائم يفزعك لاجل ماء البشر والظلم للارض والمدينة وجميع الساكنين فيها » يقول المعلق ان كاهن الشر سيدفع الثمن غالباً . وترمز لبنان الى مشورة الجماعة . اما البهائم فانهم الناس البسطاء في اليهودية « وكل صانعي الشريعة بيت يهوذا الذين سيرفعهم الله من بيت العدل لعملهم وايمانهم في معلم الحق » تشير هذه العبارة بصراحة الى تلاميذ معلم الحق وقد انضموا الى الفقير الذي سلبه واضطهده الكاهن الشرير .

هكذا نرى جميع اشخاص مسرحيتنا امامنا . فالبر هو معلم الحق الملهم وهو المضطهد واما الفاجر الجشع المارق الملحد السكير الخائب المؤذي المفوض

المريض فهو الكاهن الشرير المنبوذ يوم الدينونة . وربما يكون رجل الكذب الممثل الثالث في المسرحية . اما الواعظ بالكذب فهو العضو الرابع فيها . يضاف اليهم مجموعة من الناس لم يساعدوا معلم الحق بل ظلوا صامتين لسبب لا نعرفه وقد اطلق عليهم عبارة « بيت ابشالوم » زيادة في الاثم .. اما شعب الله المختار من اهل الصدق والفقر والبساطة في يهوذا ، واما صانعو الشريعة فهم اولئك الذين حافظوا على ايمانهم بمعلم الحق ... كل هؤلاء مع ما يضاف اليهم من الكتيم وبيت الشر وبيت العدل (الحكمة) وآخر كهنة اورشليم هم ممثلون رئيسيون وجوقة قانونيون .

معلم الحق والكاهن الشرير

(١٩٠) لم يراع شرح حقوق تسلسل الحوادث حسب التاريخ وانما ذكر جملاً متفرقة بمناسبة حوادث غير مرتبطة واستعرض ما تنبأ انه سيحل بامته على يد الغزاة القساة المعروفين بالكتيم . وبسبب الغموض وعدم التحديد فانه لا يعتمد على شرح حقوق وحده بل يجب اشراك الوثيقة الدمشقية معه كلما جاء ذكر معلم الحق لنستطيع تحديد العصر الذي كتب فيه شرح حقوق .

في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد كانت فلسطين تحت حكم بطالسة مصر وذهب يوسف بن طوبيا مع اخيه سليمان (الذي كانت ترافقه ابنته) الى الاسكندرية ودعي يوسف الى العشاء مع الملك بطليموس بصفته جاكياً للضرائب من فلسطين للحكومة المصرية . وفي الوليمة احب يوسف احدى الراقصات فأعلمه اخوه سليمان بأن الشريعة لا تجيز ليهودي الاقتراح بفتاة اجنبية ومع ذلك وعده ان يجتهد في تزويجه من تلك الراقصة . وفي احدى الليالي وبينما كان يوسف غلاماً قدم سليمان ابنته لـ اخيه باعتبارها الراقصة . ومع ان يوسف شعر باللمبة فقد شكر اخاه وتزوج ابنته . ولكن هذا الزواج وبهذه الصورة ترك اثرأ بشماً بين الكهنة فحرموا من ذلك اليوم زواج العم من ابنة اخيه .

وبعد مدة ارسل يوسف ولده هركانوس الى مصر لينها الملك بطليموس عندما رزق مولوداً . وقد اخذ هركانوس من وكيل والده في الاسكندرية مبلغاً من المال اشترى به هدايا ثمينة قدمها الى الملك ورجاله . وبذلك اشتهر امره بينهم وتميزت مكانته في البلاط الملكي المصري . فحسده اقرباؤه على ما ناله من الحظوة وبيتوا له الغدر . وبينما كان راجعاً الى القدس خرج عليه كمينهم وبعد عراك عنيف نجا منه بنفسه ولكنه خسر اثنين من اخوته .

(١٩١) بعد هذا الحادث ترك هركانوس القدس ولجأ الى اماره آل طوبيا في عراق الامير القريبة من وادي السير غربي عمان . وبقي فيها اميراً اثني عشر عاماً حتى هاجمه انتيوخس ملك السلوقين سنة ١٧٥ ق م فانتحر .

ولقد اعتبر انتيوخس نفسه خليفة الاسكندر الكبير وسمى نفسه الالهى واشتد في ظلم اليهود ومال الى آل طوبيا واضطهد الكاهن الاعظم اونياس الثالث وعزله وعين في مركزه كاهناً آخر اسمه يشوع طوبيا . وقد تلاف الكاهن الجديد الى سيده اليوناني فسمى نفسه ياسون Jason واخذ يعمل في حماس لنشر الثقافة اليونانية بين الطبقة الارستقراطية . وحل الكهنة على التساهل بقبول العادات اليونانية . وبعد فترة وجيزة دفع مينالوس رشوة لانتيوخس فعزل ياسون ونصبه كاهناً اعظم مكانه . ويرى البعض ان ياسون هو الكاهن الشرير لانه تعاون مع انتيوخس وكان سبباً في تعريض امته الى الحراب والدمار والآلام وطبقاً لما جاء في سفر المكابيين اسقط الكاهن من برج عال حيث تلقته النار وحولته الى رماد .

اما رجل الكذب فهو انتيوخس الذي امر ببناء مدينة الظلام بالدم وانشأ رعية في الباطل كما جاء في المكابي الاول « حصن الجيش السوري مدينة داود واصبحت قلعته وانشأ السلوقيون في اكر (١) مدينة سكنها شعب خاطيء واناس عصاة » . ولما احتج اونياس الكاهن الاعظم عزله انتيوخس وولى مكانه ياسون الذي تخلى عن الله وخان الشريعة وصادر اموال الثائرين

(١) اكر احد تلال القدس .

وحجزها لنفسه وارتكب اعمالاً دنس فيها المقدسات . وفي يوم الغفران ظهر ياسون امام اتباع اونياس كي يصمم بالخزي والعار ويحملهم يتعشرون يوم سبتهم ولكن الله عاقبه على اعماله الشريرة بأن تخلى عنه انتيوخس وسلمه الى اعدائه كما تعرض لاسقام مؤلمة انتهت حياته شر نهاية . لذلك يرشحه البعض لان يكون هو الكاهن الشرير .

(١٩٢) في عام ١٦٤ ق.م توفي انتيوخس ابيفانوس وخلفه ابنه انتيوخس الخامس الذي حكم عامين تمكن خلالها من اخماد انقاس اليهود ثم تقرب اليهم فعين السيمس كاهناً اعظم فرحب به الحسيد المتمسكون بالدين وتحلوا عن الثوار وتعاونوا مع الكاهن الجديد . لكنه انقلب عليهم واضطهدهم وقتل ستين رجلاً منهم وسلب كنوز الهيكل . ولم يبال باصوات الاستنكار اليهودي لانه كان مدعوماً من القائد السوري بكداس . وظهر هنا ان بيت طوبيا قد انتقموا من الحسيد الذين انسحبوا من الثورة المكابية فجاء بكداس القائد الى القدس وامر ببناء مدينة الظلام بالدماء واسكنها رعية بالباطل . وهنا قال بعض العلماء ان السيمس هو الكاهن الشرير وان بكداس هو داعية الكذب.

وكل كاهن كان يعتبر في نظر الشعب شريراً يستحق اللعنة . وهنا تبلورت الطوائف الرئيسية في الدين اليهودي بشكل واضح ولا سيما الفريسيون الذين تمسكوا بالناموس وعارضوا الكاهن المكابي عندما جمع السلطة الدينية مع السلطة الزمنية ولم يحسن واحدة منها . ولكن اسكندر هركانوس المكابي اعلن نفسه ملكاً ١٠٣ - ٧٦ ق.م وكان رجل حرب وطموح كما كان سكيراً عريداً انتهت حياته بآلام حادة جعلت بعض العلماء يرشحونه لدور الكاهن الشرير بسبب ادمانه الخمر والرذيلة والطمع في الثروة وتخليه عن الرب الذي مكثه من رقاب الناس .

(١٩٣) كان من نتيجة الحروب المتواصلة بين بطالسة مصر وسلاسة سورية على امتلاك هذا القسم من البلاد السورية الضعيف الذي مكن الانباط

من الاستقلال والتوسع في حدود بلادهم حتى وصلت الى دمشق . وكذلك اتاح هذا الضعف الفرصة للكهنة المكابي اسكندر جانوس ان يؤسس مملكة صغيرة في القدس وجوارها . وقد ورثت مملكة الانباط وامارة المكابيين صراعاً مستمراً بينهما . واغتتم اسكندر جانوس المكابي فرصة انصراف الانباط الى تجارتهم وفاجأهم بهجوم غادر وانتزع القسم الشمالي من بلادهم وبني قلعة المكارر « ماخيروس » للغرب من ماد بالتقف في وجوههم فيها لוחاولوا استرداد ما اغتصب من بلادهم .

(١٩٤) ولما مات اسكندر المكابي تنازع ولداه هركانس وارسطوبولس على الملك فالتف القريسيون حول هركانس ووقف الصدوقيون بجانب ارسطوبولس . وزين انتيباتر الادومي لهركانس ان يطلب المساعدة من الحارث ملك الانباط . فرأى الحارث الفرصة المناسبة لاسترداد الجزء الذي اغتصبه المكابي من بلاده فساق جيشه وحاصر القدس في الوقت الذي كان فيه القائد الروماني بومبي قد فتح دمشق وقد وصلت اليه رسل الاخوين المتنازعين يحكمانه فيما شجر بينهما من خلاف ، فطلب بومبي من الحارث ان ينصرف عن اسوار القدس ويعود الى بلاده . وتقدم جيش الرومان لحصار القدس الذي استمر ثلاثة اشهر حتى احتلها سنة ٦٣ ق.م وعين هركانوس كاهناً لليهود واسر ارسطوبولس وساقه الى روما ليكون زينة الاحتفال بنصره .

وكان في مدينة عسقلان عاصمة ادوميا بفلسطين قد ولد لانتيباتر في سنة ٧٤ ق.م ولد من امرأته النبطية سماء هيرودس الذي نشأ اميراً طموحاً ورث عن ابيه الطمع في ابتلاع املاك المكابيين (وقد تزوج حفيده كاهنهم هركانوس) وفي املاك الانباط أخواله على السواء .

(١٩٥) هكذا ابتدأ العهد الروماني في سنة ٦٣ ق.م وينسب اليه عدد من العلماء الفوارجع التي اشار اليها شرح حبقوق . وفي التلمود ان رجلاً صالحاً يدعى لونياس كان المطر ينزل استجابة لصلاته وقد رجمه بالحجارة

اتباع هركانوس لانه رفض ان يلعبن ارسطوبولس . اما يوسيفوس فيقول ان اونياس رجم بسبب الرياح والعواصف التي اهلكت المحاصيل وجلبت المجاعة بسبب دعواته ولكن التلمود يعتبر هذه المجاعة ضربة نزلت بسبب الآثام التي اقترفتها حزب هركانوس واستمر هركانوس كاهناً اعظم حتى عام ٤٠ ق . م عندما سقطت البلاد بأيدي الفارثيين الفرس .

(١٩٦) وعلى كل حال فقد استولى غزاة الروم على ثروة الاخوين اللذين كانا يمثلان دور الكاهن الشرير الذي سلب الله عليه شعب الكتيك فسامه سوء العذاب . ولقد تحدث شرح حبقوق في عمود عن ارسطوبولس وفي عمود آخر عن هركانوس حتى شغلت اخبارهما احد عشر عموداً من ذلك السفر. ولذلك يستنتج بعض العلماء انه كتب قبل مجيء الرومان . وهناك من يرى ان الشرح كتب في ايام طيباريوس (١٤ - ٣٧ م) الذي بنى مدينة الدماء والنجاسة في مقبرة قرب البحيرة وسميت على اسمه طبريا ونقر اليهود منها، الا ان اتباع الراي ليليل نصحو الناس بسكنائها .

وهناك من يرى ان والي سوريا عندما امر باحصاء السكان سنة ٦ ق.م ليعرف كيف يفرض الجزية اختلف اليهود فبعضهم حبذ قبول الاحصاء وبعضهم قاومه بشدة وحصل بين الزعيمين الكاهنين خلاف ادى الى حرب داخلية .

(١٩٧) ولم يستقر الامن في الدولة الرومانية في فلسطين دفعة واحدة على اثر افتتاحها لان التنازع بين انصار الرومان وانصار الفرس من حدود القدس حول مناصب الدين والدنيا اتخذ شكل العنف . ومن امثلة ذلك ان ابن ارسطوبولس الذي كان انصار الفرس يرشعونه لرئاسة الكهنة قبض بيديه على رقبة عمه هركانوس الذي كان انصار الرومان يصرون على ابقائه كاهناً اعظم وقض اذنه باسنانه ليحول بينه وبين وظيفة الكهانة طوال حياته - اذ كانت هذه الوظيفة محرمة على المشوهين وذوي العاهات .

(١٩٨) يرى تيخران معلم الحق هو يسوع المسيح الذي يسميه الابيونيون « نبي الحق » وحدث فعلاً ان طائفة مسيحية يهودية هجرت بيت المقدس الى شرقي الاردن واعتزلت كنائس اسرائيل واقامت حيث تحرم الاقامة على سائر اسرائيل - ربما في جرش او في فعل من مدن الديكابولس اليونانية وظلت ردماً من الزمن لا هي اسرائيلية خالصة ولا هي مسيحية خالصة ثم انتهى امرها .

وتشخيص الكاهن الشرير اكثر سهولة من تشخيص معلم الحق ومع ذلك فلم تتفق حياة اي كاهن مع جميع ما ورد في الشرح عن صفات الكاهن الشرير .

(١٩٩) كل ما بأيدينا من مصادر تاريخ اليهود في حكم اليونان والرومان قليل غير موثوق به حتى يمكن ان يقارن مع ما جاء في مخطوطات البحر الميت ويتصل به . واذا كنا لا نجد اي اشارة الى يسوع المسيح في التاريخ الروماني المعاصر فانه لا ينتظر ان نجد خبراً عن مناهضة لحركته . ولذلك فان زمن كتابة الشرح غير واضحة . واذا كان الكتيمة الرومان فان احتلالهم فلسطين وتدمير الهيكل لم يذكرها شارح حبقوق ولم ترد اي اشارة الى حكم هيرودس . كل ذلك يحملنا على ان نرجح ان الشرح كتب قبل عام ٦٣ ق م ومعنى ذلك انه كتب قبل احتلال الرومان كهوف قمرات ب ١٠٠ - ١٥٠ سنة وهذا يتفق مع القول بأن شرح حبقوق هو من أقدم مخطوطات البحر الميت .

الفصل التاسع

مقالات بين الوثائق

(٢٠٠) في آذار من عام ١٩٤٨ عندما كنا نقرأ تعليقات حبقوق للمرة الأولى في القدس قلت لبراونلي وتريفر ان هذا يذكرني بالوثيقة الدمشقية ... وفي الحال اسرعا الى مكتبتنا واطلعا على كتاب شختر . وبعد نظرة سريعة على عمود واحد منه تراءى لهما في الحال ان المخطوطة الدمشقية احدث بكثير من مخطوطات البحر الميت ، ولكن التشابه في المحتويات كان حقيقياً .. ولم انس حماسة براونلي وفرحه عندما وجد ان معلم الحق وشخصيات أخرى في مخطوط حبقوق موجودة في الوثيقة الدمشقية . وان كل كاتب بحث مخطوطة حبقوق وكتاب النظام وقارن بينهما وجد التشابه بينها وبين الوثيقة الدمشقية متيناً جداً ، وان الكثير من الملاحظات والمزايا مشتركة بينهما .

يظهر معلم الحق في وثيقة دمشق وتعليقات حبقوق كما يظهر فيها رجل الكذب والواعظ بالكذب . وان تعبير « الدير الجديد » أو « العهد الجديد » تكرر أيضاً في كلا الوثيقتين .

وظهرت هنالك اصطلاحات بارزة في كل من الوثيقة الدمشقية وكتاب النظام كالكلمات التي وضعت للتمييز بين الرتبة والنظام والطهارة بالنسبة للطعام المقدس .

أما تعبير (دخول العهد) فقد ورد مرة واحدة في كتاب النظام بنفس الشكل الذي ظهر فيه في الوثيقة الدمشقية .

كما تتضح عبارة (مملكة بلعال) في كلتا الوثيقتين .
 اما كلمة (شدة) فقد ظهرت مرة واحدة في وثيقتين أيضاً .
 ولم يذكر في المخطوطات التي نشرتها المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية
 ولا في تلك التي نشرها سكينيك ، ولكنها ذكرت في واحد من العمودين من
 كتاب النظام الموجود في المتحف الفلسطيني بالقدس .
 وهناك مشاهدات ظهرت في كلتا الوثيقتين لا بد من اثبات بعضها لظهور
 العلاقة المتينة بينهما .

(٢٠١)

كتاب النظام

الوثيقة الدمشقية

والآن يا اولادي اصغوا الي
 وسأفتح اعينكم لتروا وتفهموا
 اعمال الله وتختاروا ما يجب
 وتنبذوا ما يكره وان تقوموا
 بجميع اعماله وان لا يراودكم
 شعور بالجريمة وان لا تمتلئ
 عيونكم بالاثم .

٢ - ونعترف امام الله اننا اثمنا وعملنا
 الشر نحن واباؤنا من قبل خارجين
 على العهد والناموس .

٣ - سيكتبون حسب اسمائهم، الكهنة
 أولاً واللاويون ثانياً وابناء
 اسرائيل ثالثاً والمهتدون رابعاً .

أحب كل الذين اختارهم واكره
 كل الذين أنبذهم . كن بعيداً عن
 كل الشر واقترب من جميع الاعمال
 الحسنة وقل الحقيقة واعمل الحق
 وانشر العدل على الارض .

٢ - أولئك الذين يملكون بالعهد يجب
 ان يعترفوا بقولهم لقد ارتكبنا
 الباطل واعتدينا واغشنا وعملنا
 الشر ، نحن وابناؤنا من قبلنا
 متعمدين القيام ضد المبادئ
 الحقيقية .

٣ - هكذا سيعملون سنة بعد سنة
 طيلة عهد بلعال . والكهنة أولاً
 حسب الترتيب طبقاً لصفاء
 ارواحهم ، واحداً تلو الآخر .
 واللاويون بعدهم . وسيمر الشعب
 كله واحداً بعد الآخر .

كتاب النظام

٤- كل من لا يستأدى في عناده أو شهواته أو تسترق عيونه الشهوات وتميل افكاره نحو الاثم سوف يهلكه حتى لا يلحق به الجور .

٥- كما يجب على الانسان ان لا يقول كلمة شر لجاره امام السادة دون ان يكون لديه شهود .

٦- اذا وجد في ابي مكان عشرة افراد من مجلس الجماعة يجب ان يتوفر بينهم كاهن منهم .

٧- عليهم ان يحكموا بالاحكام الاولى التي يقرها الحاضرون حتى يأتي نبي ومسيح من هارون واسرائيل . هذه شريعة الرجل الحكيم التي يعيش بموجبها ويجب ان يتعامل بها مع كل انسان .

الاختلاف

(٢٠٢) وهكذا يظهر وجه الشبه قريباً باستثناء بعض النقاط في النصوص الأخرى حيث يمكن تصحيحها بمقارنتها بغيرها ، فمثلاً في الوثيقة الدمشقية تعبير يظهر بأنه يعني (المعلم الفريد أو المعلم الوحيد أو المفضل) . وفي فكرة أخرى نجد التعبير (الرجل الوحيد بين الرجال - أو افضلهم) ويظهر النظام

الوثيقة الدمشقية

٤- ان لا يسير وافكاره مفعمة بالشعور بالذنب وعيونه مليئة بالشر لأن كثيرين ضلوا وقديماً سقط كبار الجبابة حتى جعل تمادهم في عنادهم حرس السماء يسقطون .

٥- يجب ان تلوم جارك حتى لا تأثم بسببه فأبى رجل من اولئك الذين يذكرون العهد يقدم شكوى ضد جاره دون ان يزجره امام الشهود .

٦- في كل مكان يجتمع فيه عشرة لا يجوز ان يخلو من كاهن يقرأ في كتاب الله .

٧- هذا هو نظام الجماعة في خيامهم أولئك الذين يسرون بموجبه في اوقات الشر حتى يقوم مسيح من هارون أو اسرائيل . هذه الانظمة التي يجب أن يتقيد بها كل مخلوق .

ان هذا التعبير يجب ان يعدل ويقرأ (معلم الجماعة ورجال الجماعة) وهنالك تشابه عام في غير هذه القرائن في اللغة ومشابهات عامة في الافكار ووجهات النظر . مثال ذلك التلميح الموجود في الوثيقة الدمشقية عن هارون وصادوق . وفكرة مجيء المسيح من بيت هارون الكهنوتي بدلاً من بيت الأسرة الملكية ليهودا .

وهنالك بعض الاختلافات ، فبينما تتكلم الوثيقة الدمشقية عن الدخول في العهد ينص كتاب النظام عن المرور بالمعهد . وبينما تتحدث الوثيقة الدمشقية عن الجماعة أو الهيئة يتكلم النظام دائماً عن الجماعة . وهنالك كلمة عبرية يستعملها النظام بمعنى مؤتمر الجماعة في حين تستعملها الوثيقة الدمشقية لمعنى النزلة أو السكنة أو البلد . وتكثر الوثيقة الدمشقية من الكلام عن الخيمات وتقل من ذكر المدن . بينما لا يذكر كتاب النظام شيئاً عن ذلك . هذه الاختلافات تدل على ان الوثيقتين وضعتا لحركة دينية عامة واحدة ولكنها لا تمثلان تمثيلاً تاماً ذات المجموعة داخل الحركة وعلى نفس مسرحها وتاريخها .

(٢٠٣) ان اكتشاف الجذاذات القديمة من الوثيقة الدمشقية في كهوف قران يدل على انها كتبت قبل تدمير الهيكل سنة ٧٠ م وان الخروج الى البرية والاستقرار في ارض دمشق مذكور في الوثيقة الدمشقية بينما لم تذكره مخطوطات البحر الميت . لذا يبدو ان هذا الخروج كان لوضع المخطوطات في الكهوف . وهي فكرة يأخذ بها كثير من العلماء . وقد أثارت هذه الدراسات التي جرت فيما بعد أسئلة كثيرة تدور حول الوثيقة الدمشقية التي نجد فيها نظاماً دقيقاً وترابطاً وثيقاً للجماعة التي كتبت عنها أوضح من الجماعة التي يذكرها النظام الذي هو أحدث من الوثيقة الدمشقية . وقد كتبت عندما كانت مخطوطات البحر الميت توضع في تلك الكهوف . ومع ان هذه الوثيقة لا تبين مرحلة أخيرة عن نفس الحركة ولكنها أفضل من النظام ومن مزامير الشكر في توضيح حقيقة معلم الحق .

بصر روست Rost على أن مخطوط حبقوق كتب بعد الوثيقة الدمشقية

لأن الأخيرة تشير الى معلم الحق على انه لا يزال حياً كما انها لا تذكر شيئاً عن تعذيبه الذي ذكر عنه الكثير في مخطوط حبقوق .

(٢٠٤) واحتمال أخير يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار وهو ان الوثيقة الدمشقية نفسها ليست مجموعة واحدة كتبت في وقت واحد وإنما هي مجموعات من مواد جمعت في تواريخ مختلفة . فالقطع التي وجدت في جنيزة القاهرة كانت أجزاء من قطعتين يظهر أنها كتبتا بنفس الحرف . ومن المحتمل أنها كانتا من مخطوط واحد ولكن حرف القطعة الثانية يختلف كثيراً عن حرف القطعة الأولى مثلاً . وهذا يدل على أن أحدهما كتبت قبل الاخرى مع عدم وجود خلافات كثيرة في الفقرات المتقاربة التي تشمل أحياناً وجود مادة في إحدى المخطوطات لا توجد بالمرّة في المخطوطة الاخرى .

يبرز اسحق روبرين بين ثلاث عبارات أدبية في الوثيقة الدمشقية أولها (حديث المصلحة) الذي فيه قطع تشابه ما في المخطوط الأول . وثانيها تلميحات أحدث وانتقادات لنفس هذه المخطوطات . وثالثها مواد الشريعة التي لا توجد إلا في القطعة الاولى . ولقد فسر هذا النص بأنه أنظمة الخيم التي انتشرت في الوقت الذي كان فيه أبناء الطائفة يعيشون في غيمات . والعبارة الثالثة وضعت بين القطعتين من القسم الثاني لتضم قوانين المدينة التي تعين وقتاً كان فيه الأعضاء قد استقروا في مدن .

ويجد روبرين تشابهاً للعبارة الثانية ورد في كتاب النظام . وبحسب رأيه انه مجموعة من مقالات مختلفة جمعت على شاكلة حافظة صور (البوم) تضم في داخلها نظام الجماعة ومعتقداتهم بوجود روحين في رجل واحد - الشيء الذي تنطرق اليه الوثيقة الدمشقية .

أما مقدار ما نستفيده من الوثيقة الدمشقية عن تاريخ كتابتها فأمر يحتاج الى استعراض نتائج إجمالية لأراء العلماء السريعة من حيث انها من إنتاج نفس العهد الذي كتبت فيه مخطوطات البحر الميت والتي يحتمل أنها كانت

ذات صلة بها . . نذكر فكرة واحدة وهي التي تشير الى معلم الحق ورجل الكذب . ولكن تفسير شارل يختلف نوعاً إذ يقول (الذين يسرون مع رجل الكذب أربعين عاماً) وهذا يترك العبارة غير تامة . وهنا نعلم أن فترة الاربعين عاماً بعد الموت ثم التجمع تمت الى حادثة ربما تكون في الحاضر أو المستقبل . فاذا فسرت عبارة الاربعين سنة بأنها تعود الى الماضي وليس الى ما قبل موت المعلم الفريد فتكون قد مضت الاربعون سنة قبل آخر حدث . . إذ يجب أن يكون موت المعلم الفريد قد حدث قبل وضع الوثيقة الدمشقية بأربعين سنة . وفي فقرة أخرى تتكلم الوثيقة عن هؤلاء الذين يذكرون معلم الحق وتشير الى أن المعلم لا يزال حياً .

(٢٠٥) لهذا السبب وجدنا روست Rost يفرق بين المعلم الفرد وبين معلم الحق ، فإن اضطهاد معلم الحق وتمذيبه لم يكن معروفاً لدى كاتب الوثيقة ، استناداً الى اعتقاد صومر بأن مخطوط حبقوق كتب حوالي سنة خمسين ق.م . وأن وثيقة دمشق كتبت قبل ذلك بزمان . فإذا كان معلم الحق قد مات منذ أكثر من أربعين عاماً يكون موته قد حصل حوالي سنة ١٠٠ ق.م . وعلى ذلك تكون حياته وأعماله في العهد الحشموني . أي في النصف الاخير من القرن الثاني قبل الميلاد . وطبقاً لهذه البيئة يكون معلم الحق قد ظهر بعد نصف قرن أي في بدء العصر الروماني .

وهناك فقرة هامة في الوثيقة الدمشقية هي (عندما طلبوه لم يجدوه فقد خبأ وجهه على اسرائيل خاصة . ولكنه عندما ذكر لهم عهده القديم قبلهم ولم يتركهم للهلاك وعندما أسلمهم الى أيدي نبوخذ نصر ملك بابل عاد فعطف عليهم ووعدهم بنبي من اسرائيل ومن هارون يعمر الارض وينشر العدل فيها . ومع أنهم عرفوا ظلمهم وشعروا بذنبهم فقد استمروا على غوايتهم وضلالهم عشرين عاماً . وقد رأى الله أعمالهم عندما تقدموا اليه بقلوب صالحة فارسل لهم معلم الحق حتى يأخذ بأيديهم الى طريق قلبه) .

يفسر شارل الجملة التي تلي الاخيرة من هذه الفكرة بقوله (لقد عرفوا

بأنهم مذبذبون وكالعميان يتلمسون) أن العشرين عاماً من الضلال والغواية كانت قبل إنبات جزر من هارون واسرائيل .

يقول وايز Weiz عن تفسير زتلن ل ٣٩٠ عاماً بأنها امتداد لبداية السبي البابلي حتى زعامة هليل . ولكنه يضيف بأن تعيين هليل للزعامة يجب أن يكون في عام ٣٠ ق. م. . فإذا كان هذا التعيين قبل خراب الهيكل بمئة عام فإن العشرين عاماً تقودنا الى سنة ١٠ ق. م. . فيكون مولد يسوع قد حصل عام ٩ - ٦ ق. م. . ولذا فإن وايز يستدل بأن يسوع هو المعلم الفريد المذكور في وثيقة دمشق - كواحد من مجموعة المعلمين الافاضل الذين ذكرهم القراءون في القرون الوسطى بالتبجيل والاحترام .

(٢٠٦) وعندما نشرت الوثيقة الدمشقية ظهر أن أتباع معلم الحق أخرجوا بالقوة من القدس فرحلوا الى منطقة دمشق حيث أسسوا تحت امرته العهد الجديد . وفي كتاب النظام ما يشير الى الذهاب الى البرية . وبما أن كتاب النظام لم يوضع قبل سنة ١٠٠ ق. م. وان اللجوء من اليهودية الى أرض دمشق يجب أن يكون في القرن الثاني قبل الميلاد ، فإذا كان الخروج من اليهودية يتعلق بوضع المخطوطات في الكهوف فلا بد وأن يشار اليها في الوثيقة الدمشقية لأن الجذاذات التي وجدت في الكهوف تبين أن الطائفة كانت قد حصلت على الوثيقة الدمشقية . ويبين كتاب النظام بوضوح أن الذهاب الى البرية كان لدراسة الشريعة . وهذا يعني تأسيس الطائفة بالقرب من خربة قمران في البرية . وبعبارة أخرى لقد انسحب هؤلاء الجماعة من المجتمع اليهودي الفاسد ليكرسوا أنفسهم لدراسة الشريعة في الزمن السابق للمكابيين كما ورد في سفر المكابيين الاول ٢ : ٢٩ - ٣٨ في زمن ابيفانوس كما يفهم من عبارة (الرجال الذين يجلسون تحت امرة الملك) ذهبوا ليختبئوا في البرية .

يلقي سفر دانيال الثالث نوراً ساطعاً على اصحاب العهد الذين رحلوا الى ارض دمشق زمن انتيوخس ابيفانوس . ويحتج بعض العلماء على أن هؤلاء الرجال التمسوا ملجأ من ظلم ابيفانوس - وكيف ذهبوا الى دمشق التي كانت

تحت حكمه يجيب أحد العلماء بان تنازع يوثان وسمعان على زعامة اليهود بعد موت أبيفانوس عرض اليهود الى صعوبات جمة فاضطر بعضهم الى الهجرة الى دمشق التي كانت تحت سلطة حاكم يكره المتنافسين اليهود ولذلك فان النجم كون جماعة رحلت الى دمشق .

(٢٠٧) يعين علماء آخرون الخروج من اليهودية بحادثة حصلت في حكم اسكندر جانوس سنة ١٠٣ - ٧٦ ق.م . ويقول يوسفوس أن جانوس صلب من الفريسيين ٨٠٠ كما هرب منهم ٨٠٠ ايضاً وعاشوا في المنفى . ولقد ايدت الاواني الفخارية التي وجدت في الكهف الاول هذا الرأي وهي من العصر الهليني . ومن المعقول جداً ربط هذه الحادثة بهرب بعضهم الى دمشق . ولكن قلة النقود التي وجدت في خربة قران تجعلنا نقول بان تلك البلدة حصل في تاريخها فترة كانت خالية من السكان بين فترتين كانت فيها عامرة . واذا كان لهرب الفريسيين في زمن اسكندر جانوس علاقة بجماعة قران فلا بد وان تكون تلك هي الفرصة الوحيدة لانشاء ذلك المكان والاقامة فيه . وان ربط اضطهاد اسكندر جانوس للفريسيين الثابتين على العهد لا بد وأن يؤدي الى استفهام حول ما اذا كانوا بالفعل هم اصحاب العهد .

يعتقد صومر انه من المحتمل أن تكون الطائفة التي اعتنقت العهد الجديد قد هاجرت الى دمشق بعد احتلال الرومان مدينة القدس بستة أشهر . وبعد أن قدم معلم الحق للموت على يد ارسطوبولس الثاني هرب الجماعة تحت قيادة زعيم جديد من اليهودية يعرف بالنجم . بينما يقول روبين ان هذا الرأي يضع الجماعة في دمشق في الوقت الذي كتبت فيه مخطوطة حبقوق مع العلم بأنه لا توجد دلائل في هذا المخطوط تشير الى دمشق مطلقاً . ويفترض راوي ان فريقاً من الجماعة هاجر الى دمشق . أما اذا شملت الهجرة الجميع فلا بد ان يكون بعضهم قد عاد فيما بعد . ويضيف بان مكتبة الجماعة قد تركت في الكهف عندما هاجر اصحابها الى دمشق .

مخطوط الحرب

(٢٠٨) ومن مخطوطات البحر الميت التي تضاهي مخطوط حبقوق في التلميحات التاريخية المخطوط الذي سميناه «حرب أبناء النور وابناء الظلام»

الذي يبين الانشقاق الذي حدث عندما عاد أبناء النور من صحراء الامم (ديار الغربية) ليسكنوا في صحراء اورشليم . ومن المحتمل أن تكون صحراء الامم في أراضي دمشق ، وصحراء اورشليم هي البرية المطلة على البحر الميت كما يمكن أن تشير صحراء الامم الى خروج اليهود الى اراض غير يهودية ثم رجوعهم الى اورشليم . وليس هنالك أي ارتباط بين وقت الهجرة ووقت العودة . ويفترض ويرمز أن الهجرة حدثت في عام ١٤٢ ق م وان أول فرصة للعودة كانت في العهد الحشموني عام ٣٧ ق م .

ويتفق صومر مع ويرمز على وقت العودة في ملك هيرودس وان جماعة منهم بقيت في دمشق وان وثيقة دمشق كتبت في نفس الزمن الذي كتبت فيه مخطوطة حبقوق قبل سنة ٤٠ ق م بقليل .

يلاحظ جنسبيرك أن مقطوعات شعرية عديدة من سفر دانيال عندما تذكر آشوريا (تعني النصر الساحق الذي حققته جيوش السلوقيين) وفي العهد القديم اسم آشوريا يشير الى السلوقيين . ففي المزمور ٨٣ تعني كلمة آشوريا اللعنة على جميع الشعوب الذين كانوا اعداء اسرائيل في أي زمن - في الماضي أو الحاضر أو المستقبل - ويفسر البعض آشوريا بأنها سوريا من القطع التي وردت في كتاب اليوبيل (ورحل ابرام بن حاران وأخذ معه زوجته سارة وأخاه لوطاً بن حاران الى أرض كنعان واتى الى آشوريا وتقدم الى شكيم وسكن بجانب شجرة بلوط) وفي هذه الحالة يمكن أن تكون آشوريا واقعة بين حاران وكنعان حتى يمكن أن تعتبر سوريا صراحة .

إن عبارة (كتم آشوريا) في مخطوط الحرب هي بدون شك تلميح خفي الى قوة كانت بارزة في زمن الكاتب ولا شك أن كلمة آشوريا يجب أن تكون مثل كلمة كتم تنوياً مخفياً الى أمة جاءت مؤخراً . وإذا كانت الإشارة الى آشوريا في مخطوطة الحرب تنوياً تاريخياً الى أمة متأخرة فهي لا تقدم أية دلالة على زمن كتابة المخطوط ولكفها تشير الى البطالسة أو السلوقيين .

ومخطوط الحرب يسمى جيوش أدوم ومؤاب والفلسطين أبناء الظلام الذين يؤلفون جيوش بلعال (الشيطان) . ويذكر المزمور ٣٨ أنهم عاشوا في شرقي الاردن والبحر الميت واستمروا على عداوتهم لليهود منذ دخول موسى حق الفتح الروماني .

وفي مخطوط الحرب في السنوات الاولى لحكم انتيوخس ابيفانوس ذكرت شعوب أدوم ومؤاب وعمون والمدن النبطية والهلينية في شرقي الاردن والمدن الهلينية في ساحل فلسطين .

يلاحظ راولي أن الشعارات المنقوشة على الاعلام في وثيقة الحرب تعيد الى الذاكرة الشعارات التي كانت ترفع في المعارك زمن المكابيين . ويعتبر روبين مخطوطة الحرب وثيقة نصر ولذا فهو يرى انها لم تكن قد كتبت قبل ان يحصل المكابيون على حريتهم الدينية عام ١٦٤ ق م ، اذ يعتبر ذلك انتصاراً للمكابيين على أخصامهم . ويصرح كاتس Cats أن استعمال البوق في المعركة لم يكن معروفاً في زمن الحشمونيين . ويذكر يوسفوس أن أتباع يهوذا الجليلي وصادوق الفريسي في القرن الاول بعد الميلاد حاربوا الرومان عندما رفضوا الاعتراف بحاكم غير الله .

(٢٠٩) يعتقد درايفر أن هذه الاتجاهات يقصد بها تنوير القارىء من حيث أن المخطوط يشير الى حرب بطولية كما يعتقد أن الوثيقة الدمشقية خيالية في طبيعتها وان عبارة أبناء النور تمثل حرباً ضد أبناء الظلام . ومن الواضح أن أبناء النور يربحون ثلاث معارك كما يربح جيش بلعال ثلاثاً أخرى . أما المعركة السابعة فتنتهي بالنصر النهائي لجيش النور . كما استعرضت الصلوات والمواظ والتبريكات التي كان يقوم بها الكاهن الاكبر قبل بدء المعركة بوصف أدبي دقيق . مما يدل على انها كانت حرباً مقدسة - سواء أكانت واقعية أو وهمية - وفيها من آداب الحروب الشيء الكثير من الشجاعة والثبات ، كما فيها وصف لفنون الحرب في ذلك الزمن . ولا شك أن تأليفها يعود الى اوائل العهد الروماني . وعلى كل حال فليس لدينا أي إشارة تاريخية الى حرب معينة معروفة تثبت ما ورد في هذه الوثيقة .

هنالك عبارة مبهمة جداً في قطعة من أحد المزامير تتحدث عن سيول بلعال الجارفة كسيول النار أو السنة اللهب المستعرة أو الماء الذي يغمر الارض الموقوتة . وقد يكون في سيول بلعال اشارة الى قناة المياه التي جرها بيلاطس النبطي لري اورشليم ، في حين يرى المديكو ان العبارة تشير الى ثورة بركان فيزوف عام ٧٩ بعد الميلاد ، والذي اعتبر في فلسطين تحذيراً

لجيء السيد أو الرب . وتبقى هذه كلها تلميحات لا تكفي لتوضيح تاريخ الوثيقة . وقد نتساهل فنقول ان كتاب النظام كتب في فترة ما قبل العهد المكابي في المدة الواقعة بين عامي ١٧٥ - ١٦٧ ق.م .

ومهما كان هذا الاستعراض قاسياً فجاً فإنه يمكن الاعتماد عليه في تطوير النظر الى مخطوطات البحر الميت التي أصبحت تستحق بالغ الاعتبار .

الافكار

(٢١٠) سنحاول فيما يلي أن نكون فكرة شاملة عن الافكار الدينية وكيفية ممارستها في مجتمع قرآن كما سنبحث عن أي دليل قد يساعدنا على معرفة تاريخها . وإن ظهور مؤسسة أو طريقة لا يتخذ دليلاً قاطعاً على التاريخ الذي دونت فيه الوثيقة ، بل يجب الأخذ بعين الاعتبار مرحلة التطور الديني الظاهرة في المخطوطات ، فيقال مثلاً أن مخطوطات البحر الميت والوثيقة الدمشقية تظهران اهتماماً واضحاً بيوم السبت على اعتباره يوم راحة لليهود بيد أن التشدد في المحافظة على يوم السبت ليس من الضروري أن يعطي حقبة معينة من الزمن ، كما أن ارجاع جماعة قرآن الى أبناء صادوق كمؤسسين للكهنوت الحقيقي هو نقطة من النقاط الأخرى التي لا تتخذ دليلاً على أي تاريخ متقدم أو متأخر . وقد استدل في مستهل نشوء المسيحية على العقيدة القائلة بأن المعرفة وحدها هي سبيل الخلاص والتحرر من الخطيئة ، ومع ذلك يبقى مثل هذا الاستدلال ناقصاً لا يعتمد عليه .

كان ويرمز Verms قد استدل بفكرة ظهرت في أحد المزامير حول دمار العالم بالنار - فقال ان هذه المزامير قد كتبت بين عامي ٧٩ - ٩٠ للميلاد لكن هذه الفكرة ما لبثت أن اُهملت . إن حرق الهيكل عام ٧٠ للميلاد وانطلاق حمم بركان فيزوف عام ٧٩ قد يكون له بعض الاثر غير أن الأدلة الأخرى لا تؤيد هذا التاريخ . ولعل فكرة تدمير العالم بالنار كانت معروفة لدى جماعة الاوساط اليهودية قبل القرن الاول للميلاد .

تشير المعتقدات الأخرى حول نهاية العالم ومجيء المسيح الثاني الى تاريخ متأخر كما وردت في حبقوق ٢ ، ٣ وقد ذكر أيضاً في التلمود ما يدل على إن

مخطوطات البحر الميت دونت في عهد التلمود وان ما جاء في تعليق حبقوق عن نهاية العالم لا يعين زمن مجيء المسيح كما هو وارد في الكتب اليهودية القديمة .

وقد ذكر صوني Sonne أن الكلمة التي استعملت في مخطوطات البحر الميت تدل على نوع التفاسير التي كان يزاوها الباحثون عن المعارف في القرن الثاني، وهو يرى في هذه المخطوطات ما يناقض استعمال المسيحية لكتاب العهد القديم . ويشير ديفز Davis الى أن كتاب حبقوق لم يكن شائع الاستعمال بين القمranيين في مستهل المسيحية .

ويقول درايفر ان مخطوط حبقوق هو تعليق حقيقي يشابه في أسلوبه - ان لم يكن في مادته أيضاً - تعليقات العصور الوسطى ويستنتج أنه لا يمكن أن يكون قديماً، سيما وأن اليهود لم يكتبوا تعليقات على التوراة في مملكتهم الثانية ولم يكن الغرض من التعليق على حبقوق تفسير النصوص الغامضة بل للتأمل والنظر ، والوعظ والارشاد .

وقد اقترح اسحق روبين ترتيب مخطوطات البحر الميت وما تلاها من وثائق ترتيباً زمنياً يتناسب مع تطور الآراء في تلك الازمان في اربع مراحل من آراء تلك الجماعة المتعلقة بنهاية العالم وهي كما يلي :

- ١ - الاعتقاد بان نهاية العالم في طريق الاعداد .
- ٢ - الاعتقاد باقترابها العاجل .
- ٣ - الشعور بانها ارجئت والبحث في صدد ارجائها .
- ٤ - قبول الاستنتاج بان توقع نهاية العالم كان خاطئاً .

وفي كتاب النظام يتضح أن النهاية لا تزال أمراً مرهوناً بالمستقبل . وقد وجد أيضاً في صحائف الوثيقة الدمشقية أن نهاية العالم واقعة حتماً كما يظهر أيضاً في المزامير وفي مخطوط الحرب وإن نهاية العالم تقترب وعلى وشك التمام وفي المزامير الأخرى وفي تعليق حبقوق وفي بقية الوثيقة الدمشقية يبدو ان المشكلة هي الشعور السائد عن عدم بلوغ التمام - أو بالأحرى تأخير بلوغ التمام .

ويلاحظ نفس الشيء على اضطهاد الجماعة - ففي كتاب النظام لم تظهر أية بادرة تم عن اضطهاد شديد. أما في الصفحات الأولى من الوثيقة الدمشقية وفي اثنين من المزامير فإنه يتضح تعميم الاضطهاد ولكن الجماعة كانت تقاومه بثقة وإيمان وأن الاتقياء سجلوا عليه انتصاراً باهراً ونهائياً .

(٢١١) وعلى أساس هذه التطورات يبني تدوين هذه الوثائق على التسلسل التاريخي :

- ١ - كتاب النظام .
- ٢ - نتف من مخطوطة الوثيقة الدمشقية والمزامير الأولى .
- ٣ - مخطوطة الحرب والمزموران الآخرون .
- ٤ - مزمور آخر .
- ٥ - تعليق حبقوق .
- ٦ - الصفحتان الثانية والثالثة من الوثيقة الدمشقية .

بناء على هذا الترتيب المبني على أساس تطور الافكار والآراء يحاول روبين أن يحدد التواريخ للمراحل المتعاقبة من التلميحيات التاريخية . وتذكرنا هذه الطريقة بالطريقة التي يتبعها علماء الآثار في تأريخ اكتشافاتهم ، اذ يقومون أولاً بتعيين أزمان تقريبية معتمدين على أنواع الفخار التي يعثرون عليها في المستويات المتعاقبة بمجفرياتهم . ومن ثم يتقدمون الى تحويلها الى فترات زمنية ويشيرون ما أمكنهم الى نقاط كثيرة في هذا التسلسل مستعينين بالكتابات والنقود وما شابهها من أشياء أخرى قد يعثرون عليها .

ان النقاش الذي أثاره روبين اقتضى أخذ كل وثيقة على حدة لمقارنة هذه الوثائق بعضها ببعض ليستطيع ايجاد القرائن التي تحدد زمن كتابتها وهو يستبعد أي تاريخ لكتابتها بعد عام ٧٠ للميلاد .

وقد اتخذ سكونيك عبارة (رئيس الكهنة) في مخطوط الحرب دليلاً على

أن هذه الوثيقة كتبت قبل عصر الحشمونيين فقد كانت عبارة « الكاهن العظيم » هي المستعملة أيام الحشمونيين . وهناك تعابير واصطلاحات أخرى في مخطوطات البحر الميت لعبت دوراً بارزاً في النقاش المعاكس لارجاعها الى ما قبل المسيحية كاستعمال كلمة « اسرائيل » بدلاً من أورشليم ينسافي جميع الاصطلاحات التي وردت في كتاب رابطة الشعوب اليهودية .

(٢١٢) وكاستعمال كلمة « ايل » لاله بدلاً من يهوه السماوي (أو أدوني بمعنى السيد) هو دليل آخر على ارتباط تاريخها بالقرون الوسطى . ويؤكد وايز ان استعمال كلمة « ايل » متأثر بكلمة الله العربية في خلال القرون الوسطى . أما تيخز فيرد على ذلك بما يأتي :

- ١ - لا يشترط في مجتمع قمران أن يكون مماثلاً للمجتمع اليهودي المعروف .
- ٢ - ان كلمة « ايل » استعملت في الصلوات اليهودية العريقة في القدم .
- ٣ - كان ظهور كلمة ايل قليلاً جداً في آداب العصور اليهودية الوسطى .

(٢١٣) يقدم وايز تفسيراً مقبولاً لعبارة (ودعاء يهوذا) في تعليق حبقوق ويربط ترجمة كلمة الوديع بالكلمة العربية التي تعني ولدأ أو طفلاً . ولذلك يأخذ هذا الاصطلاح بمعنى أطفال أو أولاد يهوذا . والمصادر اليهودية القديمة تجمع بين الكلمات العبرية والعربية التي هي موضوع البحث . وهذا يدل على تعرف اليهودية القديمة على العربية في زمن بعيد، كما أن الحاخام عقيبة استعمل في القرن الثاني للميلاد مثل هذه الكلمات. وليس من المستحيل طبعاً أن يكون اليهود في تلك الحقبة قد عرفوا شيئاً من اللغة العربية. وإذا كان الأمر كذلك لا يستبعد أن يكون مستعملاً في قمران . أما أسلوب الوثيقة الدمشقية فانه قريب من الاسلوب العربي في القرون الوسطى ومع ذلك نستطيع أن نقول أن هذه الاصطلاحات كانت مألوفاً في العهد الاول للمسيحية ثم تجدداستعمالها على نطاق واسع في العصور الوسطى .

كان اليهود المتمسكون ببحرنية التوراة يعرفون بالقرائين وهم ملهون باللغة العربية واصطلاحات الكتاب العرب، مما جعل بعض العلماء يرى أن المخطوطات هي من عمل العصور الوسطى . ومن أهم رجال القرائين سعديا بن يوسف الذي ولد بمدينة الفيوم المصرية عام ٨٩٣ م وتوفي بمدينة سورا في العراق سنة ٩٤٢ م وله مصنفات كثيرة أغلبها باللغة العربية أشهرها كتاب التاج الذي يشتمل على ترجمة جميع أسفار العهد القديم .

كما أن المشابهة الأدبية الواضحة قد لا تكون كافية بمفردها لتقرر أقدمية وثيقة على أخرى ولكنها تستطيع أن تظهر العلاقة المعنوية بينهما تاركة العلاقة الزمنية لادلة أخرى .

(٢١٤) هنالك مشكلة حول العلاقة بين مخطوطات البحر الميت وسفر سيراخ المسمى حكمة يشوع بن سيراخ وهو من الاسفار الابوكريفا ويعتبر أقل قداسة من الأسفار الاخرى ويعتقد كهيل بأن سفر سيراخ الذي وجد في مصر قد أخذ في الأصل عن مخطوطات أحضرت من وادي قمران عام ٨٠٠ م كما ذكر تيموثيوس . وبالمقارنة والبحث وجدنا فيه المزمورين ٥٠ - ٥١ ومعناهما (سبعوه لانه اختار أبناء صادوق ليكونوا كهنة) ولم ترد في الكتاب أي اشارة لابناء صادوق غير المعروف .

وإن ظهور المزمور في النص العبري يدل على أن كتاب سيراخ كان متداولاً في أيدي الناس الذين كانوا يعرفون أن أبناء صادوق هم الذين أنتجوا مخطوطات البحر الميت والوثيقة الدمشقية .

إن القصصات العبرية من كتاب سيراخ وتعليق حبقوق والوثيقة الدمشقية والجزايات الأولى من كتاب النظام تعود جميعها الى النصف الاول من القرن الثالث للميلاد وكلها تعبر عن احتجاج الكهنة من أبناء صادوق على الآثام التي سبها كل من ياسون ومينالوس على اونياس الثالث . وهنا يمكن ربط وجهات النظر بين العلاقة الفكرية وبين تفسير القرائن التاريخية في توضيح

تاريخ حقبة ما قبل المكابيين المعقدة وان الكتيـم هم السلوقيون . وليس لدينا ما يدل على ان كتاب سيراخ تداوله القوم دون تعديل . في حين أن الوثائق التي تبرز تاريخهم الخاص ومعتقداتهم الواضحة كانت قد صهرت في ذلك المجتمع .

والنتيجة النهائية لهذا الامر انه لا يوجد حتى الآن أي ارتباط واضح بين هذه الوثائق وبين كتاب سيراخ . كما أن القصصات التي وجدت في إحدى مغائر قران التي ظن في بادئ الأمر أنها النص العبري لكتاب سيراخ، ظهرت فيما بعد بأنها عبارات عبرية وآرامية من سفر توبيت Tobit (ف ١٤٥) .

ليس لاية وثيقة من هذه الوثائق التي نحن بصددھا صفة النبوة أو الرؤيا اللاهوتية بالمعنى الصحيح ولكنها تركز اهتماماً بالغاً على نهاية العالم .

ويثير دلکور موضوع تقارب اکید في الكلمات والافکار بين مخطوطات البحر الميت وكتاب اينوخ وهو أقدم من كتب النبوات والرؤى . وليست جميع الأدلة التي ساقها لدعم فكرته هذه مقنعة . ومعظمها لم يظهر تشابهاً عاماً في جوهرها الروحي فان كلمات (المنتخب . المختار . الاعجوبة) كانت مستعملة على نطاق واسع في الكتب اليهودية .

(٢١٥) وهنالك كتاب اليوبيل^(١) الذي وجدت قطع منه في العبرية عندما بوشر في الحفريات الاولى في مغارة قران ويسميه الآخرون (سفر التكوين الصغير) ويعتقد بعض الباحثين أنه كتب في القرن الثاني قبل الميلاد وقد لوحظ تشابه كثير في اللغة والافکار بين كتابي اليوبيل والنظام وليس في ذلك ما يدعو الى الاستغراب .

(١) هو اعادة كتابة « سفر التكوين » كتبه يهودي محافظ حوالي سنة ١٠٠ ق.م باللغة العبرية وكأنه تقويم خاص بالاسينيين قبل انفصالهم عن الهيكل والديانة اليهودية الرسمية . ولما وجدت هذه النسخة في قران قضت على النسخة التي كانت متداولة والتي كتبها كاتب مسيحي باحدى اللغتين الحبشية أو اللاتينية .

كان كتاب اليوبيل معروفاً لدى المجتمع كما يتضح من القطعة التي وجدت منه في إحدى المغائر . وإن ورود ذكر هذا الكتاب صراحة في الوثيقة الدمشقية دليل على أنها جاءت بعد كتاب اليوبيل .

في كتاب اليوبيل وتعليم الاثني عشر^(١) بطريقاً عبارات تشير الى أن مسيا (المسيح) هو من سبط لاوي . ويظن صومر أن الإشارة الى المسيح الواردة في تعاليم البطارقة تعني معلم الحق المذكور في تعليق حبقوق والوثيقة الدمشقية وان الاعتقاد بالمسيح المتألم والمخلص كان شائعاً في القرن الأول قبل الميلاد .

ومهما كانت طبيعة العلاقات بين مخطوطات البحر الميت وتعاليم البطارقة الاثني عشر فانه ليس هنالك دليل واضح على التشابه المباشر بينها وان كتابي اليوبيل وتعاليم البطارقة ليسا وحدتين ادبيتين مؤلفتين في وقت واحد ولكنها جاءتا نتيجة عملية أدبية طويلة استغرقت الف سنة حتى كادتا تصبحان وحدة .

وقد لوحظ ترابط بين تعليق حبقوق ومزامير سليمان عن طريق استعمال اصطلاحات وتعايير مشتركة متداولة بكثرة وفي وجهات النظر والمواقف الواردة فيها . ويدل الانسجام الحاصل بين تعليق حبقوق ومزامير سليمان على أن كليهما كانا قد صدرا عن جماعة انكثرت حق الحشمونيين في الكهانة العليا، كما كانت متأثرة بالحكم الذي فرضه الرومان على آخر ملوك الحشمونيين.

(١) البطارقة هم أولاد يعقوب الاثنا عشر . وعهدهم آخر نصائح وآخر نبوءات كل من ابناء يعقوب الاثني عشر وهو يحتضر . والقرآن الكريم يسميهم النقباء ففي الآية ٢١ من سورة المائدة : « ولقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا » وفي الآية ١٣٣ من سورة البقرة : « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت ، إذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا : نعبد الهك واله آبائك ، ابراهيم واسماعيل واسحاق ، إلهنا واحداً ونحن له مسلمون » .

الفصل العاشر

عصر المخطوطات

لماذا أخفيت ؟

(٢١٦) بعد اكتشاف الكهف الأول لم يحصل اتفاق بشأن السبب في وضعها في المغاور مدة من الزمن، فقد قال سكنيك منذ البداية بأن وضع المخطوطات في الجرار لم يكن لقيمتها بل لعدم صلاحيتها للاستعمال ، فمخطوط اشعيا للمطران^(١) على وجه التحديد يختلف عما تتضمنه السفر المعروف لدينا. وبناء على هذا الرأي كان يجب أن يهجر . ولكن من جهة دينية لا يجوز أن تتلف مخطوطات كهذه بل جرت العادة أن يطرحوها في مكان يسمى « جنيزة » تلحق بكل كنيس عبري ، تطرح فيه المخطوطات ومن وقت الى آخر باحتفال جنازي . وهكذا اعتقد سكنيك أن كهف قمران كان جنيزة تجري فيه مثل هذه الاحتفالات بوضع الكتب والاسفار غير المعترف بها أو التي فيها تحريف .

وقد لاحظ هنري ميديكو (Henry Del Medico) استناداً الى هذه

(١) وجد في الكهف الأول نسختان من سفر اشعيا ، واحدة اطلقنا عليها سفر اشعيا للمطران والآخرى سفر اشعيا لسكنيك .

النظرية بأن المخطوطات قد لفت في كتمان كما كانت تلف الموميا ، لا سيما وقد حرم حاخامات اليهود استعمالها وحكموا بموتها ودفنها في جنيزة ، ففي السنة التي سبقت ثورة اليهود الأولى على الرومان ٦٦ م. ظهر الانبياء الكذبة الذين حاولوا حمل الشعب على اللجوء الى العنف في الحرب حينما أعلنوا أن خلاص اسرائيل بات قريباً ، فنشبت الفتنة واتسعت مما جعل الراي سيمون ابن غمليل الأول (S. Gamliel) ^(١) أن يرسل رجلاً لإخماد الفتنة والاضطرابات ثم جمع كتابات الانبياء الكذبة وأخفاها في أمكنة سرية. وبعد احتلال القدس وتدمير الهيكل سنة ٧٠ م ظهرت كتابات غير قانونية جاهد غمليل الثاني (٩٢ - ١٠٠ م) في منعها عن الشعب . ويرى المديكو أن هذه الكتب غير المرغوب فيها وضعت في الكهوف في هذا الزمن .

أما آراء المناهضين لفكرة سكنيك أو المديكو بشأن الجنيزة فتقول انه لا يستغرب أن توضع المخطوطات في جنيزة مرة أو اثنتين وبعدها تدفن . ولكن هذه المخطوطات كانت ملفوفة وموضوعة في جرار لها أغطية لتحميها من الرطوبة وليس لإماتها نهائياً . بل لتكون نواة لمكتبة بشكل منظم . كما يلاحظ أن هذه المخطوطات لا يمكن أن تكون قد وضعت بشكل موميا على الطريقة المصرية ، كما يقول المديكو ، بينما يقول سكنيك انها وضعت في جنيزة بأحد الكهوف في مناسبة معينة. وقد زاد على فكرته الاولى أن الهجرة الى أرض الشام التي ذكرتها الوثيقة الدمشقية حملت القوم عند ترك القدس الى أن يلقوا كل المخطوطات البالية ويتلفوها .

يرد على هذا الزعم باقي المختصين بأن هذه المخطوطات وضعت في زمن الاخطار التي لحقت بالناس الذين كانوا يستعملونها ، حتى تحفظ من تلك الاخطار التي أحاقت بهم ، ولا سيما عندما لم يتمكنوا من حملها معهم . ولم يستطع سكنيك أن يذكر لنا متى حصلت الهجرة الى الشام اذا كانت حقيقة :

(١) من زعماء الفيورين والغلاة المتطمين .

ولو فرضنا انها وقعت فعلاً فإن الباحثين لا يوافقونه على أن المخطوطات أخفيت في ذلك الزمن، لا سيما وقد كثرت الكهوف التي وجدت فيها المخطوطات المتعددة في خربة قمران نفسها وفي الكهوف المجاورة . وقد وجد في كهف واحد ما يكون مكتبة كبيرة، فيها عدة نسخ لواحد من الكتب . ومن الواضح أن هذه المجموعات لفت ووضعت في الكهوف المختلفة لصيانتها عندما أجبر السكان على الهجرة ، فكانت قمران المركز المناسب لذلك .

ان اكتشاف المخطوط النحاسي في أحد الكهف يؤكد بأن المخطوطات لم توضع في ذلك المكان بسرعة في ساعة الروع والخوف ، بدليل وجود تكلمة مطولة الوصف مثبتة على حائط في منتصف المكان الذي أخذوه منه عندما قسموه الى قسمين وأخفوه في كهف يبعد حوالي ميل وربع .

الفخاريات

(٢١٧) أما الوقت الذي وضعت فيه المخطوطات ضمن الكهوف فإن براهين علماء الآثار هي التي تعينه، فعندما نقبوا وحفروا المرة الثانية الكهف الأول عام ١٩٤٩ أخذوا كمية من الفخار ووجدوا مقداراً من العملة اعتمدوا عليها في تعيين الوقت الذي كانت فيه هذه الأمكنة مأهولة . ولا سيما عند مقارنتها وملاحظة الرسوم والنقوش والأشكال التي عليها ، ونوع الطين الذي استعمل في صنعها ، ولقد اتفق علماء الآثار بعد دراسة هذه الفخاريات ومقارنتها بالفخار الفلسطيني القديم على انها تعود الى العصر الهليني أو الى ما قبل عصر هيرودس . وبعبارة أخرى انها تعود الى القرن الثاني أو أواخر القرن الأول قبل الميلاد لأن الجرار مشابهة (وليست مطابقة تماماً) لجرار مثلها تعود الى ذات العصر وجدت في أماكن أخرى . ومن هذه الجرار وتلك التي وجدت في بيت صور (ص ١١٦) الى جانب عملة ترجع الى العصر الهليني . ويوجد في متحف تورنتو بايطاليا جرتان من مصر من نفس

الطراز ثحتويان على مخطوطات من ورق البردي تعود الى القرن الثاني قبل المسيح . وجميع الجرار التي وجدت في الكهوف كلها من نوع واحد ، وكل شيء يشير الى نفس الزمن .

وهكذا بدأ البحث في اظهار العلاقة بين زمن الجرار وزمن المخطوطات . ولم يوافق كل الباحثين على جعل زمن المخطوطات والجرار واحداً - فقال بعضهم حتى ولو كانت الجرار قد عملت في العصر الهليني فالمخطوطات يجب أن تكون قد كتبت في زمن أقدم . وربما تكون هذه الجرار قد استعملت لحفظ الاطعمة والاشربة والغنائم عندما استعملها المحاربون في العصر المكابي أو اللصوص في أيام هيرودس . ولا يبعد أن يكون القمرانيون قد استخدموها في حفظ مخطوطاتهم عندما وجدوها صالحة لهذا الغرض . وقال أحد المتقبين حتى ولو أن الجرار ما صنعت خصيصاً لحفظ المخطوطات فقد استطاعت أن تقي بهذا الغرض قروناً عديدة ، سواء أكانت مكتبة مدرسة أم مكتبة كنيس يهودي .

ولم يقتنع عدد قليل من الكتاب بأن الجرار صنعت في العصر الهليني ، فإن طرازها كان بطيء التغيير في الأمكنة المهجورة . بسبب ان الانتقال من العصر الهليني الفتي الى الطراز الروماني غير منفصل بل كان متصلاً . ويمكن أن يقال أن الحضارة الهيلينية لم تكن قد اندثرت كلياً أمام الحضارة الرومانية . وفي التقرير عن مكتشفات الكهف الأول ذكر أن القطع الرومانية تعود الى أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث بعد الميلاد عندما كان المكان مأهولاً . وأن المخطوطات قد وضعت في نفس الزمن أو قبله .

وعندما أوضحت حفريات خربة قمران عام ١٩٥١ وما اكتشف من أوان خزفية وعملة رومانية إن المكان كان مأهولاً أيام اغسطس سنة ٣١ ق.م . الى عام ١٤ م وحتى الى أيام الثورة الأولى ٦٦ - ٧٠ م ولقد فحص

الاستاذ أولبرايت الجرار التي وصلت الى بلتييمور وكتب الى ديفو يقول بأنها صنعت من نفس الطينة وانها من طراز روماني ، مما أقنع ديفو بأن الجرار لم تكن هليينية ، بل رومانية منذ القرن الأول وليس الثاني أو الثالث . وقد أفاد الأب ديفو في تقرير وضعه في الرابع من نيسان عام ١٩٥٢ أن المخطوطات وضعت في الكهف خلال القرن الاول بعد المسيح وأن المخطوطات كانت موجودة قبل أن تصنع الجرار لحفظها .

لصانف الكتان

(٢١٨) وجدت المخطوطات الأولى ملفوفة بقماش بال . وعندما تم تفتيش الكهف وجدت أعداد كبيرة من نفس المادة . ويمكن القول بتفاوت زمن المخطوطات من القماش الملفوفة به ، كما قلنا بالنسبة للجرار والمخطوطات أيضاً، مع العلم بأنه من الطبيعي أن تلف مخطوطات قديمة بقماش جديد وليس بحرق بالية . وعندما أخذ هاردنج جذاذات من مخطوطات الكهف الأول الى بريطانيا صيف ١٩٤٩ مع قطع من الاقمشة طلب من السيدة كروفت (G. M. Crowfoot) فحصها وكانت قد تسلمت صندوقاً آخر مملوءاً من نفس القطع ارسل اليها من الاردن وقد فحصها تحت المهر المجهر سيريل (G. O. Searle) وقد أكد فحص خيوطها بأن القماش صنع من الكتان . وكان سكتنيك قد أفاد بأن البدو عندما وجدوا المخطوطات الأولى نزعوا عنها القماش لرائحته الكريهة . كذلك قالت السيدة كروفت بأنها عندما فتحت الصندوق الذي كانت فيه هذه القطع فاحت الرائحة الكريهة التي تشبه رائحة قبور المصريين القدامى . فأخذتها وأزالته عنها الاوساخ بعناية فائقة ثم درست فن حياكتها وتزيينها واستنتجت بأن الكتان صنع في فلسطين خصيصاً لهذه الغاية . كما أخذت قطعة أخرى الى البروفسور سالر وطلب فحصها في متحف المنسوجات بمدينة واشنطن وأفاد الفحص بأن الكتان من صنع فلسطيني قديم يصعب تعيين تاريخه . ولا بد من الاستعانة بالفحص

الكربوني الذي لا يتجاوز خطأه ٥ ٪ - ١٠ ٪ من التقدير . لذلك أخذ الاستاذ كلسو (Kelso) رئيس المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية في القدس سنة ١٩٤٩ - ١٩٥٠ قطعة من الكتان الذي أعده هاردنج للفحص وعرضها على ليبي من معهد نوكلير (Nuclear) في جامعة شيكاغو فأظهرت تقديراته أنها بين عام ١٦٧ قبل الميلاد وعام ٢٣٣ بعد الميلاد . وهكذا فإنه لا يعطينا تاريخاً دقيقاً يمكن الاعتماد عليه للمدة التي صنعت فيها الاقمشة الكتانية للمخطوطات .

مبتي وضعت ؟

(٢١٩) وهكذا نكون قد عرفنا جواب سؤالنا الأول وهو أن المخطوطات التي وجدت في وادي قمران قد وضعت هناك في الزمن الذي هدمت فيه البناية الرئيسية وهجرت ، مع ما يحاورها من الابنية خلال الثورة الاولى ٦٦ - ٧٠ بعد الميلاد ومن الممكن جداً تعيين ربيع ٦٨ م . ويمكن أن يكون ديفو مصيباً في اعتقاده بأنها أخفيت عندما اضطر السكان للهجرة . أما اذا كان آخر المخطوطات قد كتب قبل عام ٧٠ م فسؤالنا التالي سيكون متى كتب أولها . ومن الطبيعي أن يكون الجواب على ذلك بأن المدة كانت طويلة جداً لأن المخطوطات كتبت في أزمان متفاوتة . والحقيقة أن غرف البناية الرئيسية في خربة قمران تدل بوضوح على أنها استعملت لمخطوطات سماوية كتبت خلال زمنين رئيسيين لوجود السكان في هذا المكان . وهذا يجعلنا نعتقد بأن بعضها يعود زمنه الى حكم اسكندر جانوس أي نهاية القرن الذي سبق الميلاد . أو من الممكن أن يكون قبل حكم حنا هركانوس بعشرين أو ثلاثين عاماً عندما استعملت المقبرة المجاورة ، والتي تحتوي على أكثر من الف قبر في الزمن نفسه . ولا يمكن اعتبار الزمن الذي سكنوا فيه هذا المكان تاريخاً لأقدم مخطوط أو كتاب سماوي لانه ربما يكون قد حمل الى المكان في بدء إنشائه ووضع فيه مع انه أقدم من ذلك الوقت بكثير .

لهذا لم يبق لدينا ما نجيب به عن استفسارنا الثاني إلا أن نعود الى ما توصل اليه فحص هذه المخطوطات اعتماداً على معرفة الكتابة القديمة ودراستها . وكان أول تأييد من المدرسة الاميركية والجامعة العبرية على أنها بدأت قبل الميلاد . ولكن من لا يعرف حروف اللغة العبرية لا يستطيع أن يعرف طبيعة هذه المشاكل وما ينجم عنها .

الخط

(٢٢٠) لم تكن تغييرات الخطوط الآرامية الى عبرية بشكل مفاجيء أو نهائي لأن الخط القديم ظهر ثانية على العملة اليهودية في الزمن المكابي ، وبقي السامريون يستعملون شكلاً من أشكال هذا الخط القديم . وهو نط استعمال في بعض المكتشفات التي ظهرت في مقبرة قران كما استعمال هذا الخط في كتابة اسم الاله يهوه في تعليقات حبقوق .

ولقد كان على أحد الآثار المكتشفة الكلمة العبرية التي ترمز الى الله عز وجل - ايل (EL) وكانت مدونة في منتصف الآية بالحرف الرابع . حتى أن أحد الآثار الموجودة في الكهف الرابع استعمال مزيجاً من الشكلين . ان ما يهمنا هو الطريقة التدريجية في تفصيل ما كتب بالحرف الرابع ولو أنه توجد عوامل معقدة تعمق ذلك .

إن وجود مخطوطين لا فاصل زمني بينهما ، مع اختلاف في أشكال حروفهما يجعلنا نعتقد أن الحروف الهجائية كانت في بدء نشأتها . فاختلاف الكتابة ومادتها له تأثير على المخطوط أيضاً ، فعندما يكون المخطوط منقوشاً على الحجر لا يمكن أن تكون حروفه مطابقة لمخطوط مكتوب على جلد بريشة وحبر . وقراءة الكتابة القديمة لا يمكن أن تعين تاريخاً ما ، إلا أنها قد تؤدي الى تصنيف المخطوطات بالنسبة لازمانها . هذا مع عجزها عن أن تحدد الزمن الذي يفصل محتويات سلسلة من المخطوطات بعضها عن بعض ، اللهم إلا عن طريق ملاحظة الفروق القائمة بين هذه المحتويات كما وكيفاً . وإذا

قدر لنا أن نعرف الازمنة التاريخية لنهايات احدى القوائم المرتبة بوسائل أخرى أمكننا أن نقرر على ضوء ذلك وبمساعدة مدلول الخط القديم والاستعانة بالفخاريات أن نحدد الزمن الحقيقي ونثبت بهرمان أو اكثر .

أفاد كثير من الباحثين بأن تحليل خط مخطوطات البحر الميت وقراءتها لا يفي بالحاجة لأن موادها الصالحة للمقارنة ليست كافية ، والموجود منها لا يمكن تأريخه بالضبط ، فلا نستطيع القول بأن المخطوط يعود الى سنة معينة أو عشر سنين ولكننا نستطيع أن نقرر الزمن التقريبي كقولنا انه يعود الى نصف أو ربع قرن مثلاً .

لنلق نظرة قصيرة على بعض هذه المواد معتمدين على اجراءات برنبوم عليها ويمكننا أن نبتدىء بمخطوطات العصور الوسطى وما سبقتها من شواهد .

يقدم برنبوم قائمة معروضات من القرن الحادي عشر بعد المسيح وهي مشابهة حقيقية لشواهد حديثة ولخطوطات البحر الميت . ولكن زتلن قال بأنه لا توجد مشابهة فعلية . وأدلى بحجج عن المخطوطات التي تعود الى العصور المتوسطة في قاعة المعروضات مكتوبة بخط العصر البابلي وتشبه الى حد كبير كتابة بأحرف مطبوعة مع اختلاف بسيط . وكذلك مخطوط دمشق (القطعة ب) التي تعود الى القرن التاسع بعد الميلاد وهي تشابه قليلاً مخطوطات البحر الميت . ويقدم برنبوم بياناً واضحاً يرينا أهم مميزات الحروف في مخطوطات البحر الميت الى جانب الحروف التي تظهر في كتابة خطوط القرن العاشر والموجودة في المتحف البريطاني ، ومخطوطات من القرن السابع موجودة في مكتبة جامعة كمبردج . وفي عرض آخر نرى أيضاً حروفاً من مخطوطات دينية مكتوبة على الورق تعود الى القرن الثامن الميلادي تشبه شروح حبقوق ، ثم يقدم برنبوم قطعاً ورقية عبرية من مصر من القرن الرابع الميلادي . وفيها بعض نقاط الشبه مع مخطوطات البحر الميت ولا يمكن أن تكون في عصر واحد . والمخطوطات

العبرية التي تعود الى القرن الثالث والثاني موجودة بشكل وافر في كنيس
يهودي مبلط بالفسيفساء يشبه فسيفساء بيت ألفا قرب بيسان وهي ترينسا
اشارات فلكية مع اسمائها العبرية . وقد وجدت مخطوطات يعود تاريخها الى
٢٠٠ سنة بعد الميلاد في بيت شعرايم^(١) عام ١٩٥٣ ولا تتضمن حروفها أي
صفات من التي ذكرت .

لم تعرف المخطوطات الورقية العبرية التي تعود الى القرن الثاني الميلادي
إلا في السنين الاخيرة. أما المخطوطات التي وجدت في وادي المربعات سنة ١٩٥٢
والتي يعود تاريخها الى القرن الثاني الميلادي فتدل على انها انتشرت بعد
مخطوطات خربة قمران لأنه لم يكن لدينا واحد من المخطوطات المعروف
تاريخها لنقابها بها . لهذا كان علينا ان نعتمد كثيراً على المخطوطات وكتابتها
وهناك نوع وجد عرضاً ويتضمن اسماء محفورة على صناديق صخرية تشبه
الصناديق التي تحتوي عظاماً بشرية يعود تاريخها الى بداية عهد هيرودس
٤٠ ق. م. الى خراب الهيكل ٧٠ م. ومثل هذه الحروف المنقوشة على الصخر
تقدم نوعاً من الكتابة العادية لذلك الزمن أحسن بكثير مما تقدم مخطوطات
حروفها منقوشة بعناية أو مهارة فنية .

القبريات

(٢٢١) وعلى ذكر النقوش على القبور الحجرية يمكننا أن نذكر الكتابة المنقوشة
على قبر هيلانة^(٢) ملكة (Adiabene) في القدس والمعروف لدى الاهالي باسم
مقبرة السلاطين والتي يعود تاريخها الى ٥٠ - ٦٠ م. وكذلك النقوش
الموجودة على عارضة قبر في وادي قدرون في القدس مخطوط جنازي لثمانية كهنة

(١) بيت شعرايم في وادي السنط بالقرب من تل زكريا في الجنوب الغربي من الخليل .

(٢) في سنة ٤٥ م زارت هيلانة ملكة اديابنه من بلاد ما بين النهرين مدينة القدس واعتنقت
الديانة اليهودية وقبيل وفاتها أمرت بحفر قبر لها في الصخر. وفيما بعد حفرت قبور مجاورة
لأبنائها في المكان الذي نسميه اليوم قبور السلاطين أمام مدرسة المطران في القدس .

من أبناء عائلة حزير (Hezir) وخطوطها تشبه النقوش التي على صناديق العظام وتعود الى الزمن الذي يسبق تدمير الهيكل وتظهر أقرب مشابهة لكتابة مخطوطات البحر الميت .

يحد تريفير وألبرايت اقرب شهما لهذا المخطوطات الآرامية الموجودة في قبر يهودي والتي نشرها سكينك عام ١٩٣٤ ويعود تاريخها الى ما قبل تدمير الهيكل بقليل . ويضعها البرايت في زمن أقدم يعود الى بداية العهد المسيحي .

تكوّن كتابة عوزيا ملك يهوذا المنقوشة على قبره قطعة فنية . وقد نقلت من مكانها السابق الى المكان الذي وجدت فيه ولا يمكن أن تؤرخ تماماً شأنها شأن صناديق العظام المنقوشة ولكن البرايت يعيدها الى ما بعد اندلاع الثورة ٦٦ - ٧٠ م ولهذا فهي تقدم أساساً بعيد المدى للمقارنة بمخطوطات البحر الميت . أما بالنسبة لمخطوطات البحر الميت الاقدم بحوالي قرن فإنها تشبه النقوش المحفورة على حجارة وجدت في جازر^(١) وليس لها تواريخ دقيقة ولكن علماء قراءة النقوش قرروا أنها تعود الى النصف الأول أو الثلث الأول من القرن الذي يسبق ميلاد المسيح . وبالرغم من أنها محفورة على الصخور بشدة إلا انه يمكن قراءتها مثل مخطوطات دير السريان .

(٢٢٢) ظهر مخطوط قصير يجانب فتحة قبر منحوت في الصخر في عراق الامير^(٢) وهو منحوت بوضوح اكثر من المخطوطات التي وجدت

(١) جازر وتسمى اليوم تل الجزر في قضاء الرملة . كانت من أهم مراكز الحضارة الكنعانية وجرت فيها عدة معارك حربية . لذلك فقد هدمت مرات عديدة ، وأظهرت حفريات الاستاذ ماكستر الاثرية كتابات يونانية وعبرية تشير إلى اسم هذه المدينة .

(٢) عراق الأمير : واسمها القديم Tyre ومن هنا جاءت التسمية الحديثة « وادي السير » في الغرب من عمان . وقد ظهر اسم طوبيا محفوراً على واجهة القصر القديم فيها . وكانت امرة طوبيا ميالة للسلوقيين خلافاً لميل يهود القدس للبطالسة .

في جازر . وقريب منه قصر طوبيا في عراق الامير للعائلة التي بنت قلعة شهيرة لا تزال آثارها ماثلة للعيان منذ القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد . وسنقرأ عن هذه العائلة مرة ثانية في نقوشها المؤرخة بين ١٨٣ - ١٧٥ قبل الميلاد حسب رأي برنبوم مع أن فنيسننت Vincent يعتبرها أقدم من ذلك بقرن أو أكثر ، وتتشابه ثلاثة (أو خمسة) حروف عبرية فيها مع حروف مخطوط اشعيا ، ولو أننا أخذنا بعين الاعتبار أن المخطوطات المنحوتة في الحجر يمكن المحافظة عليها أكثر من تلك المكتوبة بريشة وحر ، لأمكننا أن نصل الى ان هذه النقوش وجدت في زمن قريب من الوقت الذي كتب فيه مخطوط اشعيا .

ومن هنا يمكننا أن نقول : لدينا مخطوطات ورقية يمكن أن نقارن بها . المخطوطات الورقية التي بحثها ناش كثيراً والتي نوه عنها تريفر ، وقد وضعها بين أقدم مخطوطات البحر الميت وأحدث مخطوط لسفر اشعيا وكتاب النظام . ولكنها أقدم من تفسيرات حبقوق ومخطوطة لامك . وبما يساعدا على معرفة تاريخها هو برنبوم الذي أفاد بأنها تسبق القرن الثاني قبل الميلاد ولو أنه يضع مخطوط اشعيا في حوالي الربع الثاني من نفس القرن وهكذا يكون قد خالف تريفر بملاقة هذين المخطوطين بهذا العصر ولكنه يوافق على أنه لا يوجد تاريخ يفصل بينهما . ولا تزال بردية ناش تظهر أحدث قليلا من مخطوط اشعيا وقريبة جداً الى كتاب النظام .

إن مشابهة المخطوطات واختلافها طفيفان جداً . ومقارنة مخطوطات البحر الميت يجب ألا تعود الى مخطوط قريب منها بل يجب أن تعود الى مخطوط ورقي أقدم من تلك المخطوطات المكتوبة على الجلود . وقد توصلنا الى ذلك من بردية ناش وقد أعلن عن وجود مخطوطين آراميين وقليل من الاشياء المهجورة في أعالي النيل تعود الى القرن الثالث قبل الميلاد ولكن درايفر يعارض في صحتها لوجودها في أماكن ومقاطع مختلفة أولاً ولأن

مقدارها غير كاف لتقديم مادة ملائمة للمقابلة ثانياً ، ويلزمها اثباتات أقوى لتكون الاستنتاجات صحيحة في اعادتها الى تاريخ معين . وهذا غير ميسور . أما اذا كانت جزءاً يضاف الى الصورة بكاملها فلا شك في أن تكون المقارنة - مع وجود هذه الشواهد المجتمعة - مقبولة وسليمة .

(٢٢٣) تعرض المخطوطات الورقية في ادفو^(١) شكلاً واضحاً للأيجدية أقدم من التي تظهر في مخطوطات البحر الميت أو في بردية ناش . فإذا كان هذا فعلياً فيجب أن نعرف مقدار هذا القدم الذي يمكن فتح باب المناقشة فيه . أما اذا رأينا عكس ذلك فعلياً أن نفرض قدم الأوراق المكتوبة بالنسبة للمخطوطات . ولكن برنبوم يعتقد أن أوراقاً قانونية تعود الى القرن الثالث قبل الميلاد محفوظة الآن بمكتبة بودليان في اكسفورد ، وقد قارنها بمخطوطات اشعيا واستنتج أن حروفها تقع بين المخطوطات الورقية وبين النقوش المكتوبة على صناديق العظام . وهذا يرجعنا الى أزمان سابقة جداً فإذا رجعنا

١ - جاء في مقتطف نيسان سنة ١٩٤٤ : في مجموعة فؤاد الأول (ملك مصر الاسبق) لعلم البردي بمصر درج رقم ١٦٦ من أجزاء كثيرة يشتمل على النصف الاخير من سفر التثنية من التوراة ، كتب بحروف كبيرة جميلة على انحاء . وهو الشكل الخاص للقرن الثاني والأول قبل الميلاد . ولا شك أنه كان أنيقاً وذخيرة ثمينة عند صاحبها اليهودي . وهي جذيرة بالتنويه لتاريخها المتقادم فلا يضارعا إلا قطعة من الترجمة اليونانية في مجموعة ريلاند Rylands في منشستر من القرن الثاني قبل الميلاد ومن سفر التثنية أيضاً .

النص الوارد في هذه الأوراق المتقادمة يطابق - لولا اختلاف يسير - النص المنتشر في العصر الحديث .

ومعنى هذا أن نسخاً من النص اليوناني للتوراة كانت متداولة في مصر وذلك بعد مدة دون القرنين - من يوم نقل التوراة من العبرية الى اليونانية أول مرة في الاسكندرية - تلك الترجمة التي قام بها سبعون عالماً في زمن بطليموس فيلاد لفوس .

تعمد كاتب هذا المخطوط أن يكتب كلمة الرب (يهوه) بالحرف العبري وسط الكلمات اليونانية حتى لا يقع عليها تحريف في اللفظ والمعنى . وقد تكون هذه الوثيقة من بقايا الجالية اليهودية في القيوم .

قرنين الى الوراء والى زمن مخطوطات أعالي وادي النيل ولو اعتبرنا المخطوطات الورقية الآرامية الموجودة في اسوان (في جزيرة الفيلة) لوجدنا أن تاريخ مخطوطات البحر الميت معقول جداً .

وتشبه مخطوطات البحر الميت الى حد كبير مخطوطات أتت بها جالية يهودية عاشت في مصر خلال القرن الخامس قبل الميلاد كتبت بأقدم خط يدوي مربع الشكل ، كما أن برنبوم قرر انها مخطوطات ورقية أقدم من القرن السادس قبل الميلاد وهذا لا يحتمل مجالاً للشك بأنها سبقت مخطوطات البحر الميت .

تعطينا هذه التفصيلات فكرة واضحة عن طبيعة المادة التي كتبت عليها المخطوطات بعد أن رتبنا حروفها وقرئنا محتوياتها ويمكن إيجاد شواهد كثيرة تؤيد ما توصلنا اليه . فمن مقارنة المخطوطات المتنوعة بمخطوطات البحر الميت استنتجنا فوائد عظيمة حتى أصبح لدينا أمثلة كثيرة من الكتابات وحروفها بحيث يستطيع القارئ أن يلمس بوضوح كل التغيرات التي طرأت على الكتابة وأشكال حروفها خلال قرون متعددة .

وقد عرضنا أشكالاً نموذجية من أشكال الحروف . ودرس زتلن كل فصول التلمود والمدارس التي تتضمن وصفاً لأشكال حروف عبرية معينة في مخطوطات البحر الميت . وعلى ضوء هذه الحقائق الادبية يستنتج أن أشكالها استعملت في كتابات القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد. وهذا النهج من المناقشة لا يقبل إلا اذا كانت لدينا مخطوطات للمقارنة من تاريخ يعاصرهما .

وفي هذه الحالة يمكن اعتبار المادة القابلة للمقارنة غير كافية للاقناع وأقل مما وجد في دراسة المخطوطات بالحروف المربعة في زمن يعود الى ما قبل السبي البابلي ، كما في رسائل لاختيش المكتوبة على أوان خزفية وتعود الى القرن السادس قبل الميلاد . فالخط الآرامي القديم انتشر في القرون السابقة للسبي البابلي لذلك كان لدينا مواد قليلة جداً مشابهة للخط الحجري القديم .

وهناك أيضاً مخطوطات كثيرة فنيقية وقرطاجنية حديثة وعملة يهودية تستعمل الحروف الأيحية القديمة منذ زمن المكابيين (القرنين الاول والثاني قبل الميلاد) ومنذ الثورتين اليهوديتين ضد روما (٦٦-٧٠ و ١٣٢-١٣٥ بعد الميلاد) .

مقابلة الخطوط

(٢٢٤) وشكل النقوش الذي انتشر كثيراً في الخطوط القديمة التي استعملها السامريون موجود في مخطوطات كثيرة تعود إلى القرون الاولى للمسيحية ويعتبر كتابة الإسم الإلهي في شرح حبقوق ذا طراز خاص غير عادي ويعتقد أن الذي كتبه ليست له الخبرة الكافية في الخط العبري كما انه يعتبر كلمة ايل EL على القطعة التي وجدت في الكهف الاول مكتوبة على طراز الحروف الاولى نفسها . أما برنبوم فيرى أن الخط القديم الذي كتب به إسم ايل في مخطوط شرح حبقوق ، متوسط بين رسائل لاخيش ، وخط العملة اليهودية .

إن مخطوط حبقوق ومزامير الشكر (التي كتبت فيها كلمة ايل بالخط القديم) كتبت بين زمن حكم هيرودس وخراب الهيكل أي بين سنة ٤٠ ق.م - ٧٠ بعد الميلاد .

فكثيراً ما استعملت نسخ التراجم اليونانية لاسفار العهد القديم الحروف العبرية المربعة في كتابة الإسم الإلهي . وهكذا تنتقل الى مشكلة أخرى وهي استعمال الخط العبري القديم لكل النصوص كما توضحها جذاذات سفر اللاويين التي وجدت في المغارة الاولى ١٩٤٩ . ولا يوجد لدينا نصوص أخرى مكتوبة بالخط القديم على جلد أو بردي ، أما الذي بين أيدينا من ذلك الخط فهو النموذج الرسمي . وفي مقارنتها بالمخطوطات علينا أن نذكر أنفسنا باختلاف الخطوط العصرية أيضاً لأنه لا يمكن أن نلاحظ اختلافها بوضوح ، فالخطوط المكتوبة على الحجارة لا يمكن أن تطابق خط

الميد المخطوط أدبي أو نقش لوثيقة كالذي في رسائل لاخيش أو المكتوب بحبر على كسرة جرة بحيث لا تحسن معها المقارنة بين الخطوط والحروف .

قارن جذاذات اللاويين الموجودة في الكهف الاول علماء فن قراءة المخطوطات القديمة بعناية فائقة مع مخطوطة ميشع التي تعود الى القرن التاسع قبل الميلاد وما على القبور الحجرية السامرية ومع مخطوطة سلوان التي تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد وما على أيادي الجرار من دمغات وختم تعود إلى القرنين السابع والسادس ومع رسائل لاخيش في القرن السادس ومع أيادي الجرار التي هي أحدث منها ، والعائدة إلى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ومع العملة اليهودية التي تعود إلى القرن الاول قبل الميلاد ، ثم مع العملة التي تعود الى القرنين الأول والثاني الميلاديين ثم مع المخطوطات السامرية التي تتسلسل في تواريخها من القرن الثاني الميلادي حتى القرنين الثامن أو التاسع الميلاديين .

في مخطوط اشعيا وكتاب النظام كثير من الخطوط القصيرة الافقية كما يوجد خط ينتهي بعقفة . وتوجد بقع كثيرة وعلامات عديدة متقنة الصنع على هوامش هذه المخطوطات . ولم يفسر معنى هذه العلامات بشكل مقنع - حتى الآن ، فبعضها يمكن أن يشير الى نهاية القراءة أو لاعتبارها كأنها وثيقة رسمية ذات أهمية خاصة ، وبعضها يمكن أن يكون لجلب الانتباه لخطأ في النسخ تتطلب تصليحاً .

(٢٢٥) لم يعتبر الجلد والخبر وسيلة لتقرير زمن المخطوطات . فقد استنتج الباحثون من أسفار التلمود أن الخبر القديم المعدني لم يستعمله اليهود قبل القرن الثاني أو الثالث لميلاد المسيح . وقد ثبت ذلك عندما حلل الدكتور بلندرليث في المتحف البريطاني مخطوطاً من المغارة الأولى سنة ١٩٤٩ . وأشار برنبوم بكل تأكيد الى أن الخبر المستعمل في رسائل لاخيش في القرن السادس قبل الميلاد لا يحتوي على معدن .

وقد اثبتت الحفريات وجود محابر في خربة قمران . ولكن المواد التي صنع منها الحبر كانت غير كافية لتقديم اثبات يتعلق بزمان المخطوطات .

تتجه مجالات البحث كلها الى تحديد الزمن التاريخي الذي يمتد من ٣٠٠ ق.م. الى ٦٦ أو ٧٠ بعد الميلاد لجعله الزمن الذي كتبت فيه كل هذه المخطوطات . ولم يكتف البحث في الجلد والحبر وأشكال الحرف بل تعداها الى لغة المخطوطات ونصوصها .



الفصل الحادي عشر

دلائل اللغة والمخطوط

الاختلاف عند النسخ

(٢٢٦) لا ينتظر أن تكون نسخ جميع المخطوطات صحيحة دون خطأ . وفي الواقع أن النصوص المنسوخة لا يمكن أن تطابق الاصل إذ أن الناسخين لم يكونوا دائماً دقيقين في النسخ ، وإن أمهرهم كان معرضاً للخطأ والسهو ، مهما كان حريصاً . وإن هفواتهم وأخطاءهم تماثل هفوات وأخطاء عمال المطابع والضاربين على الآلات الكاتبة في أيامنا هذه . وعندما تتوفر عدة نسخ مختلفة الأعمار - كتوفر النص اليوناني في التوراة - يمكن عندها تصنيف النسخ إلى أشجار وفروع . هذا إذا صح التعبير ، ومن ثم يمكن تحديد تاريخ النص والتعديلات التي طرأت عليه إلى حد ما . وهذه الوسيلة لا تنطبق على مخطوطات البحر الميت كلها - إلا ما كان منها من التوراة التي لدينا نسخ منها - ومع ذلك فإنها تقتصر إلى نسخ كتبت في التاريخ الذي كتبت فيه تلك المخطوطات . فإذا أخذنا مخطوطي سفر اشعيا اللذين وجدا في الكهف الأول نجد فجوة زمنية بينهما وبين أقدم مخطوط عبري يليهما . ولذا لا يمكننا المقارنة بين المخطوطات وبين نسخ عبرية أخرى أقدم منها عهداً .

النص المسوّر

وفيا عدا مخطوطات وادي قران وبعض قطع من ورق البردي في مصر ،

فإن جميع مخطوطات التوراة العبرية القديمة تتضمن النص الذي حرر ووجد واعترف به في القرون الأولى للعهد المسيحي . ولقد قام بهذا العمل علماء من اليهود يدعون المسورين Masoretes نسبة الى كلمة ماسورا Masora العبرية والتي يقرب معناها من كلمة المسورة العربية . والنص الذي اعتمده واعتبروه يسمى النص المسور . ونستطيع أن نعين عمر مخطوطات البحر الميت التوراتية بمقدار صلتها بالنص المسور . فقد أخذ بعض العلماء مسألة التطابق بين بعض نصوص المخطوطات وبين النص المسور دليلاً على أن المخطوطات لا تعود إلى عصور بعيدة عن العصر المسور (ف ٨٧) .

وقبل أن نأخذ بعين الاعتبار مدى علاقة دلائل اللغة وشكل النص بعصر المخطوطات يتحتم علينا أن نأتي أولاً على المعروضات السابقة لهذه القضية ، لافتين الأنظار الى حقيقة أولية وهي أن زمن ابتداء النص المسور غير محدد ، بحيث يمكن إرجاع أي شكل من أشكاله الى عهد يسبقه أو يلحقه ، لأن توحيد النص لم يتم كحدث أو واقعة بزمن محدود ، وإنما كان نتيجة تطور استغرق فترات من الزمن لا يمكن معرفة أولها . ومن الصعب تحديد نهايتها . والحقيقة الثانية أن رجال المسورات لم يضعوا نصاً جديداً ، ولم يؤلفوا كتباً جديدة ، وإن ما قاموا به هو محاولة معرفة النصوص الصحيحة وإيثارها على غيرها من الزائفة أو الدخيلة أو المحرفة . وإذا أمكن إعادة النص الصحيح فإنه يكون نسخة طبق الأصل عن النص الذي وضعه المؤلف ، وأكثر النصوص دقة هو أكثرها توافقاً مع النص الأصلي . وبعبارة أخرى كانت مهمة المسورين جمع كتابات قديمة ونشرها بالشكل الصحيح . واعتمد نجاحهم على مقدار اتفاق نصوصهم التي اعتمدها مع النصوص الأصلية .

وقد وصلوا الى هذا النجاح بسبب أنهم كانوا يملكون نسخاً صحيحة . وإذا حصل توافق تام بين أية مخطوطة وبين النص المسور في جميع النقاط - أو باستثناءات قليلة - يحق لنا الاستنتاج بأن هذه المخطوطة كانت نسخة

عن النص المسوّر وانها نسخت بعد ظهور النص المسوّر . أما اذا توافقت فقرات قليلة مع النص المسور فإن ذلك لا يمكن أن يدل على شيء أكثر من أن هذه الفقرة اعتمدها المسورون أو لأن الناسخ كان أميناً في نسخها . ولا يستطيع أي عالم أن يجزم بأن كل نص نسخ قبل المسورين يجب أن يختلف عن نصهم المسوّر في كل آية . ومن ناحية ثانية فإن اختلاف نص أية مخطوطة عن النص المسور لا يعني أبداً أن المخطوطة نسخت قبل العهد المسوّر . وعلينا أن نزاعي ثلاث مراحل لتشكيل النص المسور . وقد لا تحتوي أية مخطوطة على نص كامل مطابق في الشكل الذي آثره المسورون الذين كان اختيارهم مبنياً على الاختيار الأصح :

١ - التطور التدريجي لختلف أشكال النص . وعلى العموم كان لا بد للنص الذي سوّره المسورون أن يسنده العرف وتأييده التقاليد .

٢ - اختيار واحد من الأشكال المتباينة المتعارف عليها ، ثم قراءة واحدة لكل كلمة أو آية .

٣ - استبعاد المخطوطات التي لم تطابق النص المعتمد . إذ بعد اعتماد هذا النص يجب أن تنتهي كتابة مخطوطات جديدة ، فيها قراءات متنوعة ، سيما وأن النسخ الجديدة تكون قد صححت تماماً وبدقة وأتلفت جميع النسخ القديمة والجديدة التي كانت تخالف النص الرسمي . وهذه عملية استمرت حتى القرن التاسع الميلادي .

تظهر أهمية هذه المقارنة عندما يقرأ الإنسان ما كتب عن مخطوط سفر اشعيا للمطران ، فيجد فيه اختلافات في التهجئة والقواعد عما ورد في النص المسوّر . وهناك قراءات مختلفة كثيرة باللغة الأهمية . ففي أشعيا الأول ٣٤ : ١٧ - ٣٥ كان الكاتب الأول قد أهمل إحدى وثلاثين كلمة ، اضطر ناسخ فيما بعد لإدخالها بين السطور بخط جديد يختلف عن الخط القديم . ونلاحظ أن الكلمات التي أدخلت بين السطور من جديد ، تتفق مع النص

المسوّر ، على عكس بقية المخطوط . وهذا يجعلنا نفترض أن النص المسوّر لم يكن موجوداً قبل القرن الثاني الميلادي .

وقد احتج البعض بأن المخطوط السكامل لم يوضع في الكهف قبل القرن الثاني . ومن هذا يظهر بجلاء الافتراض الغريب الذي يقول بأن تطابق النص في مخطوط مع النص الرسمي المعتمد - ولو في فقرات قصيرة - لا يعني بأن تلك المخطوطة ترجع الى تاريخ يسبق العهد المسور . ولاختلاف الكلمات المضافة عن بقية النص ، أهمية أكبر من تطابق هذه المطابقات مع النص المسوّر ، لأن هذا يشير الى أن الإضافات يمكن أن تكون قد أدخلت بعد مرور زمن طويل على المخطوط .

(٢٢٧) وهناك اضافة أخرى في الاصحاح ٣٨ من اشعيا ، تتفق مع النص المسور ، بالرغم من أن الجزء الرئيسي من هذا الاصحاح ، يختلف كل الاختلاف عن النص المسور في كثير من النقاط . وهذه الحقيقة اعتمدها الذين يقولون بقدوم المخطوط ، وبوجود فجوة زمنية طويلة بين ظهور المخطوطة ، وبين تاريخ ادخال الإضافة ، عندما أصبح النص المسوّر مقبولاً وشائعاً . وهذا استنتاج ليس محتم الوقوع . وكل ما يمكن أن يقال أن هذه الفجوة الزمنية أدخل فيها النص المصحح على تلك المخطوطة . وقبل الوصول الى استنتاجات من اختلاف مخطوط أشعيا للمطران عن النص المسور ، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار مدى رجوع هذا الاختلاف الى السهو والخطأ . وهناك أخطاء واضحة ومتعددة كحذف ، أو اضافة كلمة أو كلمتين ، أو كاختلاط في الكلمات والحروف ، أو استخدام كلمة بدل أخرى ، أو تعبير ، أو وضع كلمة ، أو حرف من كلمة ، في الجمل وما شابهها . ويمكن ذكر الأمثلة في هذا المجال للبيان والتوضيح .

هناك فروقات تصل في بعض الأحيان الى عدد كبير . ففي أشعيا المطران ٣ : ٩ - ١٠ يظهر بوضوح اختلاف مع النص المسوّر ، فقد حذف الناسخ اثنتي عشرة كلمة عبرية ، مع أن الحذف لم يصلح الأمور . ويحتمل أن يكون

الحذف ناشئاً عن النص الذي نقل عنه الناسخ ، والذي كان على وشك التلف ولم يقدر أن يستفيد منه . فكان الناسخ اذا لم يتمكن من فهمه حذفه ، حتى ورد فيها أخطاء نشأت عن حذف جمل واقعه بين تكرار كلمة واحدة مرة أو مرتين ، أو بين كلمتين مذهبتين في نفس الحروف .

وفي الاصحاح السادس عشر ذكرت بلده سبام^(١) Sibmah في الآية الثامنة والآية التاسعة ، وقد قفز الناسخ مرة أخرى من الأولى الى الثانية تاركاً في هذه القفزة عشرين كلمة . وجاء ذكر مدينة صور مرتين في الآية الخامسة عشرة من الاصحاح ٢٣ . هذه الأخطاء سببها العين أكثر من الأذن . واذا كانت هذه المخطوطة قد أمليت - كما يرجح - فإن سبب هذه الاخطاء هي عين القارئ الذي أملاها على الناسخ ، ما لم تكن الغلطة موجودة أصلاً في النسخة التي نقلت عنها المخطوطة . ولقد أضيفت الكلمات المحذوفة - كما لاحظنا سابقاً - في عدد من الاماكن بيد السكاكيب نفسه ، في بعض الاحيان ، وبيد غيره في أحيان أخرى فيما بعد .

اختلاف المنسوخات

(٢٢٨) تحتوي هذه المخطوطة على إضافات ، على النص المتعارف عليه ، فبعد جملة : « يداك ملطختان بالدم » أشعيا ١ : ١٥ يضيف نصنا عبارة « وأناملك تقطر شراً » وهذه الإضافة مذكورة في الجزء اللاحق من أصحاح ٣ : ٥٩ ويحتمل أنها أضيفت سهواً . وفي أشعيا ٤ : ٣٤ تتحول جملة « تنشق أركان السماء » إلى جملة « تنشق الوديان وأركان السماء تزول وتضمحل » وذكر الوديان يوافق الإشارات الى الجبال في الآيات السالفة . لكن هناك إضافة في آخر الآية تثير الشك ، ففي نهاية ٥٢ : ١٢ بعد جملة (رب إسرائيل) تضيف المخطوطة « رب العالم أجمع سوف يدعى » . وهنا يمكن القول أيضاً بأن هذه

(١) ممة تبعد ميلين في الجنوب الغربي من حسان - أقرب إلى مادبا - ولا تزال آثار معاصر العنب الحجرية باقية فيها . ورد اسمها تارة شبام وتارة سبام .

الإضافة التي ترد فيها بعد في ٥٤ : ١٥ يحتمل أن تكون غلطية الناسخ أو القارىء .

ولقد اتخذت كثرة الأخطاء في هذه المخطوطات أساساً أدى الى استنتاجات متناقضة - فالبعض يقول إذا نسخت مخطوطة بعد فترة وجيزة من تأليف الكتاب الأصلي فإنها تكون مطابقة للأصل نسبياً وتكون أخطاءها قليلة - فالأخطاء تتراكم عادة بمرور الزمن ، وتنتقل من نسخة إلى أخرى ، فكلما تعددت أعمال النسخ زادت الأخطاء .

ومن جهة أخرى فإن وجود الخلاف في نص ديني يدل على أن المخطوط هو من عهد سبق عهد المسور ، وأن النص المسور يستند على مخطوطات أقدم وأدق من مخطوطات دير السريان .

إذا طرحنا جانباً أخطاء النسخ ، تبقى اختلافات وفروق لا يمكن تعليلها . ومع ذلك فإن الكلمات بصورة عامة وشاملة متماثلة ومتوافقة مع النص المسور . وقد استغلت هذه الحقيقة في غير صالح المخطوط . ويرى زتلن أن المخطوط سبق الميلاد وأن نصه لا يمكن إلا أن يتضمن بعض القراءات المخالفة والتي وجدت في الوثائق الخاصة السابقة ويذكر كشفاً يحتوي نحو خمسين قراءة حاخامية مخالفة . وإن وجود مخطوطين مختلفين من سفر أشعيا في كهف واحد دليل مقنع بأنه كان يوجد أكثر من شكل واحد لنص واحد في نفس الزمان والمكان . ولهذا السبب أي لاختلاف أشكال النص الواحد - كان عمل المسورين ضرورياً جداً .

ومخطوطة أشعيا لسكنيك ، تتفق إلى درجة كبيرة مع النص المسور . ومعنى هذا أنها تعود إلى عصر متأخر من عصر مخطوطة أشعيا في دير السريان وليس من الضروري أن نعيد القول مرة ثانية بأن التوافق بين أي نص مع النص المسور ، لا يدل على أن ذلك النص يعود تاريخه إلى ما بعد التاريخ الذي اعتمد فيه النص المسور .

يضم شرح حبقوق النص الكامل لسفر حبقوق ما عدا الاصحاح الثالث وباستثناء فاتحة الاصحاح الأول التي ضاعت . ويقول كهيل إن هذه المخطوطة نسخت قبل تدمير الهيكل لأنها لم تتأثر بالنص المسور . وكذلك لا يمكن الإقرار بأن كل مخطوطة نسخت بعد تدمير الهيكل يظهر فيها تأثير النص الرسمي .

يلاحظ برنبوم أن القطع الصغيرة من سفر اللاويين بالخط العبري القديم ، تتفق مع النص المسور ، كما يلاحظ أيضاً بأنها لا تساعد على معرفة تاريخ القطع ، إذ أن عدد القطع المتوفرة للدرس ضئيل جداً ، بحيث لا يمكن الاعتماد عليه . وكذلك لا يعرف تاريخ المخطوط الذي تؤلف هذه القطع جزءاً منه . وهناك قطع أخرى وجدت في الكهوف تختلف عن القراءات المسورة اختلافاً ملحوظاً . أما قطع سفر صموئيل فإنها تتفق مع التوراة السبعينية أكثر من اتفاقها مع النص المسور . وللحاحامين قراءات لم ترد في مخطوطات أخرى وهي تبدو أتم وأحسن من النص المسور ومن التوراة السبعينية أيضاً .

وعلى العموم فإن صيغة النص التوراتي في مخطوطات البحر الميت لا يمكن الاعتماد عليها للتدليل على تاريخها . وإذن فقد أدت المناقشات التي دارت حول هذه الصفة إلى فرضيات كثيرة تقتصر على قوة الإقناع .

وبشكل عام فإن لغة النص تشير إلى تاريخ النسخة الخاصة التي بين أيدينا . وبما أنه لم ينسخ أي نص نسخاً مضبوطاً فإن اللغة تتغير بالزيادة أو بالنقصان بتأثير لغة الناسخين ولهجاتهم الخاصة ، وحق في أيامنا هذه تلجأ المطابع إلى استعمال الإملاء الحديث ، وأحياناً إلى اللغة العصرية . وقد امتد ذلك إلى روايات شكسبير ، وإلى الكتاب المقدس الذي وضع بأمر الملك جيمس .

إن مخطوط أشعيا للمطران ، دليل واضح على مثل هذا التحريف أو التغيير . ومن الثابت أن سفر أشعيا يعود إلى قرون عديدة ، قبل أي تاريخ

يمكن تعيينه لهذا المخطوط . ومعظم الفروق بين هذا المخطوط ، وبين النص المسوّر ، يرجع إلى تحريف في الإملاء ، وإلى تغييرات إملائية ونحوية . وفي هذه النواحي احتفظ النص المسوّر بأشكال اللغة العبرية الأقرب إلى لهجة أهل القدس في زمن أشعيا ، مع بعض الاستثناءات . وبكلمات أوضح فإن نص المخطوط يحتوي على تحريف في النحو والإملاء عن لغة زمن أشعيا ، أكثر مما يحتويه النص المسوّر . ويمثل المخطوط لهجة عبرية معينة ، أو مرحلة تطور في تاريخ اللغة العبرية .

والسؤال يتلخص الآن فيما إذا كان هذا يقوم دليلاً على تاريخ المخطوط .

اختلاف الإملاء

(٢٢٩) ويمكن أن تعزى غرائب التهجئة إلى جهل الناسخ أو إهماله . والحقيقة أن هذا الناسخ لم يتقيد بنظام لضبط الإملاء ، مما يدل على أنه لم ينل حظاً كافياً من التعليم ، كما يمكن أن ينم عن مرحلة انتقالية في الإملاء العبري . وثمة ظاهرة لغوية ظهرت في هذه المخطوطة وهي استعمال أحرف الهجاء بدل الحركات .

وهناك مواضع كثيرة في التوراة تقرأ بأشكال مختلفة فتعطي معاني مختلفة للنص الوارد . وفي التوراة المطبوعة في القرون الوسطى ، ظهرت الحركات من ضمة وفتحة وكسرة . وقبل استنباط هذا الأسلوب كانت تتبع طريقة أخرى للدلالة على الحركات وهي استعمال حروف العلة لتؤدي الحركات في حالات الرفع والنصب والكسر .

حروف العلة والحركات

لقد بحث العلماء مطولاً شيوع أحرف العلة في هذا المخطوط في محاولاتهم لتحديد تاريخ المخطوط . وهذا الاستعمال الزائد وغير المنظم لحروف العلة يندرج في مخطوطات التوراة التي نسخت بعد كتابة النص الأصلي ولقد لفت

نظر كهيل أن استعمال حروف العلة في المخطوط لا تنشي على قاعدة واحدة .

ويحتمل أن يكون النسخ نفسه قد نقل عن مخطوطين مختلفين يتضمن كل منهما نصف الكتاب ، وذلك بناء على وجود شكلين في كل نصف من النص وبذلك يكون أحد النصفين أقدم من النصف الثاني. وقد يوجد تعليل آخر بأن كلا من النصفين يمثل طريقة خاصة في التهجئة والاملاء .

يعتقد بعض العلماء الذين حاولوا الاعتماد على اللغة في معرفة تاريخ المخطوط بأنه لم تكن هناك ضرورة لاستعمال حروف العلة ما دامت العبرية لغة حية .

يناقش برنبوم فكرة القائلين بأن حروف العلة وضعت عندما توقفت العبرية عن أن تكون لغة حية . ويضيف على ذلك أن العبرية لم تكن لغة التخاطب بين اليهود في القرن الثالث قبل الميلاد - أي في العهد الذي كتبت فيه الترجمة السبعينية للتوراة باللغة اليونانية . وهذه الترجمة تستعمل أحيانا حروف العلة التي لم تكن موجودة في النص المسور . وهذا يدل على احتمال وجود سوء فهم عند الاستغناء عن حروف العلة .

ويتقدم كهيل بنظرية مخالفة خلاصتها أن حروف العلة أدخلت على اللغة العبرية عندما لم تعد لغة حية . وانتشر استعمال حروف العلة عندما عاد اليهود الى دراسة العبرية في العهد المكابي ، وهو عصر البحث القومي . وحق تدمير الهيكل كان استعمال حروف العلة شائعاً . ويشير كهيل الى شيوع استعمال حروف العلة في سفر اشعيا المطران خصوصاً في القسم الثاني منه ، كما يدل على أن هذا السفر وضع في الفترة بين العهد المكابي وبين نهاية الثورة الأولى عام ٧٠ م. وهو استنتاج مقنع . وهناك نظرية أخرى أكثر احتمالاً تقول بأن حروف العلة انتشرت تدريجياً في القرون التي سبقت العهد الذي وضع فيه النص المسور . وقد أحدث المسورون معظم حروف العلة معتمدين على المخطوطات القديمة التي كانت متوفرة لديهم .

يعتقد درايفر ان انتشار حروف العلة جاء بعد توحيد النص المسور وليس قبله . وأخذ في الانتشار منذ القرن الثالث الميلادي . وبذلت أول محاولة للتشكيل في القرن الخامس لتحل محل حروف العلة التي أخذت تقل بالتدريج إذ لم تعد لها ضرورة . ومن المحتمل أن يشير عدم وجود الاخطاء في قراءة حروف العلة عند أوريجن وجيروم^(١) الى أنها كانتا ملمين بالرواية الصحيحة المضبوطة . وهناك اشارات تدل على وجود حروف العلة قبل زمن أوريجن بزمن طويل أي منذ القرن الثاني قبل الميلاد مع أن استعمالها لم يعم حتى وقت متأخر . ويكثر ورود أحرف العلة في الاسفار المتأخرة في العهد القديم أكثر من ورودها في الاسفار المتقدمة . وتدل دراسات أخرى في التهجئة العبرية على أن حروف العلة قد بلغت ذروة تطورها في الفترة المكابية . وليس من الضروري أن تفسر الغرائب الاملائية في مخطوط اشعيا للمطران وباقي مخطوطات البحر الميت - بأسباب زمنية ، بل يجب أن لا يغيب عن البال عامل اختلاف اللهجات المحلية . ويحتمل أن يكون الاستعمال الحر الواسع لحروف العلة ميزة للنصوص الشعبية أو غير الرسمية فقد لا تشعر جماعة قمران التي كتبت المخطوطات بوجوب التقيد بالقواعد والاصول التي يتقيد بها النساخ الذين ينقلون نسخاً رسمية لرجال الهيكل أو لأي فريق آخر .

وما يجدر ذكره هو النقاش حول وجود حروف علة أو عدم وجودها بشكل شائع عام . ففي سفر اشعيا لسكنيك توافق كبير مع التهجئة في

(١) هبط بيت لحم القديس جيروم في القرن الرابع الميلادي ، واتخذها دار إقامة ، ثم اشتغل بنقل التوراة من اليونانية إلى اللاتينية ، وهي الترجمة الشهيرة باسم فولغاتة Vulgata التي تعتمد على الكنيسة الكاثوليكية . وقد اكتسبت درجة النص الموثوق به ، لأن جيروم كان في متناول يده مخطوطات أقدم وأصح . لذا اكتسبت ترجمته قبولاً واسعاً . وقد توفي جيروم في كهف وقبر فيه ، ويقع اليوم تحت كنيسة اللاتين الجديدة وتضيئه أشعة الشمس من كوة في سقفه .

النص المسور ولذلك يستنتج كهيل أن هذه المخطوطات لم تكن قد كتبت قبل القرن الثاني الميلادي . ولقد أوضح سكينيك هذه المسألة بدقة فقال « بأن الكتابة الكاملة لحروف العلة كانت تستعمل في القرن الذي سبق تدمير الهيكل في كل من المؤلفات المعاصرة والنصوص القديمة في التوراة ، بقصد تسهيل قراءتها ، وخلال هذه الفترة كانت اسفار التوراة التي تستعمل تهجئة أقدم في متناول الايدي ، ولقد حافظ مخطوط سكينيك على التهجئة القديمة في حين أن مخطوط المطران أدخل حروف العلة لتساعد على اللفظ الصحيح . ومع ذلك بقي كل من المخطوطين يقرأ بلفظ واحد على الأرجح .

وكثيراً ما نجد تهجئة غريبة توحى بأن الناس كانوا ينقلون عن طريق السماع - أي أن شخصاً آخر كان يملئ على الناسخ أو أنه كان يكتب من ذاكرته - أكثر من ان يذسخ من مخطوط آخر نسخاً مطابقاً . وعلى أي حال فإنه لم يتقيد بالمألوف وكثيراً ما استعمل تهجئة من عنده كما طاب له . ولكنه تقيد بكتابة اسماء الاعلام والألقاب لتطابق معناها الأصلي .

ومن هذا كله يظهر بجلاء أن الإملاء والقواعد لا تساعدان كثيراً على تعيين التاريخ لمخطوط المطران ، فهما لا يثبتان ولا يدحضان الاستنتاجات التي قدمها كل من علم الآثار وعلم الخط . وكل ما نستطيع أن نقوله هو أن دلائلها لا تتناقض مع هذه النتائج .

وهناك بعض الضمائر والمقاطع في النص المسور تنتهي بحرف ساكن (صحيح) يقابلها في مثيلاتها في المخطوطات حرف الالف . وهذا غريب جداً إذ أن استعمال هذا الاسلوب هو من مميزات اللغة في أولى مراحل تطورها ، ثم سقط استعماله في اللغة العبرية فيما بعد ، ليظهر مرة أخرى في مؤلفات القرون الوسطى بتأثير من انتشار العربية الفصحى بين اليهود . وتظهر هذه الألف بشكل نادر في النص المسور في التوراة كبقايا أثرية أو كاختراع من القرون الوسطى . ويحتمل أن طائفة قران بقيت تستعمل

هذا النص القديم . وفي هذا المجال نلفت النظر الى أن اللغة السامرية لا تزال تحتفظ بهذه الحروف المتحركة في أواخر الكلمات .

وفي مخطوط السريان لسفر اشعيا ميزات لغوية أخرى لها طابع آرامي مما جعل البعض يظن أن هذا المخطوط كتب بعد أن أصبحت اللغة العربية لغة أبناء اليهود . وقال آخرون بأن هذه الصيغة تؤيد التاريخ المبكر للمخطوط لانها لا تظهر في تسجيل النص العبري بحروف يونانية .

القواعد

(٢٣٠) والخلاصة فإنه يبدو أن تهجئة المخطوطات تعود الى عصور متأخرة في حين أن صيغ الصرف ترجع الى ما قبل النص المسور . وفي بعض الاحيان يختلف الإعراب وتركيب الكلمات في الجمل عما هو عليه في النص المسور .

وكا رأينا في التهجئة وفي صيغ الكلمات فإننا نلاحظ كذلك أن تركيب الكلمات في جمل لم يتبع اسلوباً معيناً وقواعد معروفة . ومع أن الناسخ كان ينقل بأمانة عن المخطوطات الموجودة أمامه فإنه كان يسرح ويسهو في بعض الاحيان فيستعمل صيغاً لغوية من لهجته التي نشأ عليها . وهذه معلومات مفيدة ولها أهميتها عند دراسة تطور الصرف والنحو في اللغة العبرية . ولكنها مع ذلك لا تقدم دليلاً واضحاً عن عمر المخطوطة . ويحتمل أن تكون هذه الفرائب اللغوية لم تصلح عند نسخ هذه المخطوطة بالذات وإنما أدخلت على النص في النسخ اللاحق . كما يجب بحث الأمور المتعلقة بالتهجئة والقواعد في جميع النصوص التوراتية الموجودة في الكهوف ومقارنتها بالنص المسور الذي يجب أن يتخذ أساساً للمقارنة .

وقبل أن تنتقل من بحث عمر المخطوطات يبقى نوع آخر من الدلائل يحذر بنسأ أن نذكره ... فبعد اكتشاف المخطوطات أول مرة سنة ١٩٤٧ أخذ العلماء يتذكرون ما قرأوه من اشارات الى اكتشافات مماثلة جرت في أيام

المسيحية الأولى . ويلفت ديفو نظرنا الى المسورين الذين ينقلون قراءات متعددة من الاسفار الخمسة التي وجدت قرب أريحا . ولقد جمع أوريجن اللاهوتي الكبير في القرن الثالث ترجمات يونانية متعددة في كتاب سماه هكسابلا Hexapla أشار فيه الى ان المخطوطات التي اكتشفت قرب أريحا كانت مصدراً استقى عنه أحد نصوص كتابه . وهذا الاكتشاف مذكور في مؤلفات يوسيبوس Eusepius مؤرخ الكنيسة في القرن الرابع إذ يقول إن هذا الاكتشاف أحد نصوص كتابه . إن هذا الاكتشاف حدث خلال حكم الامبراطور كراكالا (٢١١ - ٢١٧ م) وفي سنة ٢١٧ م كان أوريجن يقوم بسياحة في فلسطين ويحتمل أنه حصل خلالها على مخطوطة باللغة اليونانية ضمن مجموعة أخرى من المخطوطات اليونانية مع مجموعة مخطوطات عبرية أخرى ولا يبعد أن تكون مخطوطات أوريجن قد عثر عليها في أحد الكهوف التي فتحت في أيامنا هذه . ولكن مكتشفات قران لا تشير الى ان الكهنة اليهود كانوا يحتفظون بمخطوطات يونانية .

المفاتيح

(٢٣١) ذكرنا في الفصل الثالث خبر اكتشاف رسالة تيموثيوس Timotheus ما جاء فيها بصدد اكتشاف معظم المخطوطات حوالي ٨٠٠ م وقد جرى جدال طويل حول صدق هذه الرسالة وعلاقتها بمخطوطات البحر الميت . وقبل أن يكتشف غير الكهف الأول ساد الاعتقاد بأن ذلك الكهف هو الذي وجدت فيه رسالة تيموثيوس . وحتى لو اعتمدنا على صحة رواية تيموثيوس فإنه ليس لدينا أي مرجع يؤكد بأنها اكتشفت في الكهف الاول أو في أي كهف كشف بعده . ولكن ما تثبته رواية تيموثيوس هو عادة إخفاء المخطوطات في الأزمنة القديمة .

وهناك شاهد آخر على اكتشاف مخطوطات في الكهوف يقدمه لنا القرقراني Al-Qirqisani الذي عاش في القرن العاشر في الجزء الثاني من كتابه

« تاريخ الطوائف اليهودية » فإنه بعد أن يفرغ من حديثه عن الصدوقيين مباشرة يقول: عندئذ ظهرت تعاليم طائفة تسمى المغائرين (نسبة الى اكتشاف كتبهم في المغائر) وسنبعث في الفصل الثالث عشر صلة بين المغائرين وبين كهنة قمران .

كما لفت الانظار تقرير من القرون الوسطى يذكر اكتشاف مخطوطات عبرية قديمة في أحد الكهوف وذلك التقرير وارد في رسالة أحد رجال السلك السياسي في بلاط خليفة قرطبة كان قد وجهه الى ملك الحزر في القرن العاشر الميلادي . فعندما يصف الكاتب غزو الكلدان اورشليم سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ينكر بأن اليهود في ذلك الوقت دفنوا كتبهم التشريعية والدينية في كهف ولهذا السبب كانوا يصلون في الكهوف . . . وتستمر الرسالة قائلة وبسبب وجود الكتب في المغائر استمرت هذه العادة زمناً طويلاً نسي القوم خلاله السبب الذي كان يدفعهم الى الصلاة في المغائر . فتوجه الرجل الدبلوماسي صاحب الرسالة الى الكهف حيث وجد فيه كتباً كثيرة أخرجها للناس . ومن ذلك اليوم شرع اليهود في تعلم الناموس واصول الدين وما زالوا حتى اليوم .

إن ظروف هذا الاكتشاف وملابساته تختلف كلية عن الاكتشاف الوارد في رسالة تيموثيوس ويفهم ضمناً من هذه الرواية أن المغارة المشار اليها كانت أوسع مغائر قمران كما أنه ليس لهذه الحادثة أي علاقة بمغارة تيموثيوس ويرجح أنها المغارة التي يشير إليها القرقزاني والتي وجدت فيها كتب المغائرين .

هذه ثلاث روايات من القرون الوسطى تشير الى اكتشاف مخطوطات في المغائر وقد تكون تلك الاكتشافات جرت مرات عديدة .

(٢٣٢) ورد على لسان الراي « موسى تاكو » Moses Taku في القرن الثالث عشر أن قراني القرن الثامن الميلادي اعتادوا أن يخفوا في الارض

كتبهم في الاحاد والاضلال ثم ينبشون عليها ويخرجونها للناس مدعين بأنها كتب قديمة . ومثل هذه التهمة التي يلصقها بالقرائين أعداءهم ربما نشأت عن اكتشافات حقيقية لكتب قديمة في ذلك العصر . ولا علاقة بين هذه الاشارات الى اكتشافات قديمة للمخطوطات في المغاير وبين التي وجدت فيها مخطوطات البحر الميت . ولذلك لا يمكن إيجاد أي صلة بين هذه الروايات وبين الزمن الذي اخفيت فيه مخطوطات البحر الميت كما لا يمكن ربط عمر هذه المخطوطات بتلك الروايات .

وخلاصة هذه الدراسات عن عمر المخطوطات التي وجدت في وادي قمران انها تعود في كتابتها الى ما قبل عام ٧٠ م وبين أقدم مخطوطة وأحدث مخطوطة منها ، فاصل زمني ليس بالقصير . فيحتمل أن تعود الاجزاء القديمة من النصوص التوراتية الى القرن الثالث قبل الميلاد أو الى قرنين بعده .

أما أقدم مخطوطة كاملة من سفر اشعيا للمطران فربما تعود الى القرن الأول قبل الميلاد أو قبل ذلك التاريخ أو بعده بفترة وجيزة .

أما مخطوط النظام فلا يمكن إرجاعه إلا الى ما قبل ١٠٠ ق . م . كما يعود مخطوط شرح حبقوق الى الربع الاخير من القرن الأول قبل الميلاد .

(٢٣٣) أما مخطوطات لامك وحرب أبناء النور مع أبناء الظلام ومزامير الشكر ومخطوط الجامعة العبرية من سفر اشعيا فمن المحتمل أن تعود الى النصف الأول من القرن الميلادي الأول .

أما الاجزاء الصغيرة المبعثرة من مخطوطات أخرى والتي عثر عليها في كهوف قمران فإنها تعود الى عهد تقع بين ١٠٠ ق . م . وبين عام ٧٠ م .

أما جذاذاث المخطوطات وغيرها من النصوص التي وجدت في وادي المربعات فتعود الى عهد متأخرة عنها .

الفصل الثاني عشر

جماعة قمران

(٢٣٤) من هي تلك الجماعة التي خلفت لنا مخطوطات البحر الميت ؟

من الواضح أنها الطوائف والشيعة المتفرقة من اليهودية الرئيسية الممثلة في الهيكل وفي زمرة الكهنوت . كل ذلك كان واضحاً عندما فحصنا لأول مرة مخطوطات المطران صموئيل في القدس وتكلمنا عن كتاب النظام كوثيقة طائفية ، وما هذه التسمية الا من قبيل التقريب لعدم وجود أفضل منها . ولقد بينت كيف ان اصطلاح « كتاب النظام » خطر لي فجأة بينما كنت اقرأ المخطوطة . على أن جميع المخطوطات يمكن اعتبارها نصوصاً طائفية .

ولكن هل من الضروري أن نستعمل اصطلاح طائفة وطائفي لجميع هذه النصوص ؟

قبل خراب الهيكل لم يوجد أي رأي صحيح أو قاعدة تدل على أن هناك نزعة تعتبر طائفية أو هرطقية . فالكلمتان طائفي وهرطوقي ليستا مترادفتين على أية حال . فقد كان مجتمع قمران عبارة عن جماعة منظمة ذات عقائد محدودة وقوانين صارمة تنص على عقوبة كل من يشك في أعمال القادة الدينيين الرسميين في ذلك الوقت . فان تكن كلمة « طائفة » غير مناسبة للتعبير عن مثل هذه الجماعة فانه من الصعب جداً أن نفكر باصطلاح افضل .

أما كيف كانت الطائفة أو ما الاسم الذي يجب أن يطلق عليها وكيفية

علاقاتها مع أية مجموعة أخرى معروفة ؟ فذلك ما لا نستطيع البت فيه حتى نرى ما تقوله المخطوطات عن أصل الطائفة وتاريخها وعقائدها وتجاربها الخاصة لذا فعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار هذه الاشياء قبل أن نتحقق من شخصيتها وتسميتها ، مستمرين في استعمال بعض التعميم والتسمية الطليقة غير المرتبطة بأي رأي . وذلك خير من أن نضع للجماعة اسماً سابقاً لا وانه يؤثر في تفسيرنا للحقائق . وعلى ذلك رأينا أن نستمر في استعمال اصطلاحات مثل المشرعين اليهود والمشرعين في قران وطائفة قران .

(٢٣٥) وفيما يختص بالمجتمع وحقيقة حياة الجماعة فقد واجهناها في عدة نظريات محاولين تثبيت تواريخ الوثائق ، فقد دوننا ذلك الاقتراح القائل بان بعض المزامير يمكن أن تكون قد كتبها معلم الحق سواء مؤسساً لمثل هذه الجماعة أو مصلحاً جاء متأخراً . فلو استطعنا اثبات ذلك ولو امكننا أن نعرف متى وضعت هذه المزامير لامكننا أن نعرف التاريخ والوقت الذي عاش فيه معلم الحق . ولكن لسوء الحظ لم تتحقق هذه الامنيات . وكذلك لم نجد اية محاولة للتثبت من شخصية الكاهن الشرير أو معلم الحق . ومن المحتمل أيضاً أن معلم الحق هذا شخصية مجهولة في التاريخ .

وعلى فرض أن هنالك معلم حق واحداً ، الا أننا لا يمكن أن نؤكد ما اذا كان هو المؤسس لمثل هذه الجماعة ، لأن هذا الغرض يعتمد جزئياً على العلاقة بين مخطوطات البحر الميت وبين وثيقة دمشق ، إذ أن معلم الجماعة أو معلم الوحدة المذكورة في وثيقة دمشق يمكن أن يكون نفس معلم الحق الذي تبلغ الوحي الالهي المذكور في شرح حبقوق . ولقد قيل أيضاً أن معلم الحق قام باصلاح واعادة تنظيم حركة سابقة قام بها مؤسس الجماعة الأصلي .

والنتيجة الواضحة للبحث عن حقيقة تاريخ وثيقة دمشق ومخطوطات البحر الميت كانت فاشلة حتى الآن . لهذا فان مثل هذه الجماعة كانت منظمة في نفس الوقت الذي كتب فيه كتاب النظام وأدخل في نفس الوقت على ذلك المجتمع

كثيراً من التحسينات في التقاليد . وهذا مخالف لرأي بعض المصادر التاريخية من أن أصل تلك الجماعة يرجع الى عصر الحشمونيين الذي يلي عصر اسكندر جانوس . وكل ذلك يتفق مع نتائج التنقيب في خربة قمران .

(٢٣٦) أما التطورات التي ربما شملت سيرة معلم الحق وعلاقته بمعلم الجماعة الذي هو عبارة عن كاهن الشر ، وجميع التنظيمات الموجودة في مخطوطات البحر الميت ووثيقة دمشق فجميعها لا تزال غامضة .

وقد اعتبر الحسيد كلا من ماتثياس Mattathias الذي قام بالثورة وابنه يهوذا أول قوادها كمرشدين للحق في الفترة المكابية . وأما الخيمات المذكورة في وثيقة دمشق فهي عبارة عن جهود يهوذا المكابي في تجميع اليهود الذين رجعوا من السبي . وبعد موت يهوذا خلفه ابنه يوناثان (١٦٠ - ١٤٢ ق.م) كرئيس للمجتمع اليهودي المنظم الذي دعي باسم « محفل اسرائيل » وهكذا طبع هذا الاسم على عملته . وأما في عهد سمعان (١٤٢ - ١٣٤ ق.م) فقد دعي بالمحفل اليهودي وأما اصطلاح « الطائفة » فقد ظهر بين الاسينيين واصبح اصطلاح « محفل المدينة » عبارة عن دستور اجوف .

أما شكل التطور ونتائجه فوجود في وثيقة دمشق وكتاب النظام ، ففيهما بحث واف عن تلك التنظيمات . مع أن هناك كثيراً من الاختلافات التي تدل على انها ليستا صادرتين من نفس المجموعة أو الطائفة . فربما كانت هاتان الوثيقتان تمثلان نواحي مختلفة من نفس الحركة أو مراحل مختلفة من نفس التاريخ ، ان لم تكونا تمثلان الاثنتين معاً . فبالرغم من أن هناك عبارة في كتاب النظام تقول بأن أبناءها سيحكمون تلك الطائفة حسب الشرائع الاولى حتى ظهور نبي أو مخلص من بني هارون واسرائيل . فقد كانت هناك تغييرات وتنظيمات في تلك الطائفة تعتبر حجة ضد البدع . ولذا علينا أن نقوم ببحث كامل في الوثيقتين وفي الصحائف المختلفة لكليهما على انفراد . فبينما كانت تلك الجماعة تقوم بتنظيماتها الخاصة بشكل عام ، إلا أنها لم تكن تعتبر نفسها مجموعة خارجة عن الديانة اليهودية والا اعتبرت منشقة وزندقية .

كان المجتمع يعني الكهنة والشعب ويذكر كتاب النظام الكهنة واللاويين من سبط لاوي وجميع الشعب الذين ذكرتهم وثيقة دمشق . وهناك تقسيمات من آلاف ومئات وخمسينات وعشرات . فان لم تكن الطائفة ذات عدد كبير فان مثل تلك التشكيلات لا يمكن أن تعتبر أكثر من انها صدى للكتب الدينية . ان المجموع العام للسكان في وادي قران لم يكن يزيد كثيراً عن المئتين^(١) .

(٢٣٧) ومع أن جميع المخطوطات باستثناء وثيقة دمشق وجدت بالقرب من البحر الميت الا أن هناك دلائل على أن تلك الجماعة لم تكن محصورة في مكان منفرد، وهناك مستعمرات منفصلة ، إذ أن وثيقة دمشق تتضمن بشكل واضح وجود عدة قبائل محلية مختلفة وهناك أدلة تشير الى وجود حقيقي لعدد من السكنات المحلية .

وكان يتزعم كل قبيلة كاهن ذكرت وثيقة دمشق عمره ومؤهلاته الاخرى اما تدبير شؤون سياسة الجماعة فهو من اختصاص أبناء هارون . وأما الكهنة أبناء لاوي فوظيفتهم حماية العهد . وهناك فريق مكون من اثني عشر رجلاً من العوام وثلاثة من الكهنة قائمين على العهد . ومؤهلات اولئك الخمسة عشر عضواً كما هي موجودة في جميع القوانين ، البحث عن الحقيقة والحق والعدالة وحب التضحية والتواضع . وأما الغرض الذي من أجله وجدت الجماعة فهو الحفاظ على الأمانة والاخلاص للوطن والتكفير عن العداوة وشرح الشريعة وأما القيادة المثالية فهي من مسؤوليات مجلس الخمسة عشر عضواً . لذا فاننا نرى أن الكهنة يلعبون دوراً بارزاً في حياة الجماعة ، فهم يباركون الواجبات العامة والاحتفال بالدخول في العهد . وفي مخطوط الحرب نرى الكاهن الرئيسي يلعب دوراً بارزاً مهماً ضد أبناء الظلام .

(٢٣٨) ويذكر كل من كتاب النظام والوثيقة الدمشقية مراقباً واحداً

(١) وفي رواية يوسفوس اربع مئة .

لكل نخيم ومراقب آخر لجميع الخيمات . ويذكر كتاب النظام أن القرارات القضائية يمكن التوصل اليها باجتماع أعضاء الجماعة ، مع عدم وجود اشارة تدل على وجود قضاة . بينما تقر وثيقة دمشق بوجود عدد من القضاة منتخبين من محفل الكنيس - اربعة من اللاويين وبني هارون وستة من بني اسرائيل واشترط أن تكون أعمارهم بين الخامسة والخمسين والستين سنة وأن يكونوا مالمين بالشريعة إماماً تاماً .

النساء في قران

(٢٣٩) أما النساء فليس هن أي ذكر في كتاب النظام وهناك اشارة الى الزواج من العبارة التي تقول « ان على ابناء الحقيقة أن يحملوا بذور النعمة الحالدة » . ومن ناحية اخرى فان المتبصر يجد أن وثيقة دمشق تذكر رجالاً متزوجين لهم أطفالهم وعائلاتهم وكما أن الاعمدة الاضافية الموجودة في كل من كتاب النظام والوثيقة المحفوظة في المتحف الفلسطيني تذكر الاطفال والنساء بصراحة . وقد وجدت هياكل عظمية للنساء في قبر من مقبرة قران ، ومن المحتمل أيضاً ان تضم الجماعة طائفة من العزاب وأخرى من (المتزوجين) ومن الممكن أيضاً أن قلائل من النساء ذوات القدسية الرفيعة الشأن دفن في المقبرة العامة ، مع أنه لم يكن يعترف بهن كاعضاء في المجتمع .

الاعفاء

(٢٤٠) وكثير من فقرات كتاب النظام تشير الى الجماعة التي عملت بالتجارة في نفس الوقت ، فاذا اتلف شخص ما سهواً أي شيء من ممتلكات الغير فعليه أن يدفع عنها كاملاً ، ومن الطبيعي أن تدهش عندما تعرف كيف يستطيع الشخص الذي جرد من ممتلكاته أن يدفع مقابل اتلافه لمثل ذلك الشيء . ولكن يقال بأن مثل ذلك الحكم لا يوقع الا على اولئك الذين تحت التمرين ولا يتضمن اولئك الذين اكتسبوا عضوية كاملة في المجتمع . وتضع وثيقة دمشق تقييداً للمالكين ولكنها لا تنكر حق الملكية الفردية .

على كل شخص عامل له أجر أن يدفع من أجره أجرة يومين من كل شهر الى المراقب . وهذا هو أحد الفروق الواضحة بين كتاب النظام والوثيقة الدمشقية .

وتبعاً لما هو مذكور في كتاب النظام فان على كل مرشح للعضوية أن يقسم قسمًا مغلفاً يؤكد به ولاءه للشريعة . ولا يتم القبول بعد ذلك بل عليه أن يمضي فترة اختبار على مرحلتين في السنة . وبعد فحوص دقيقة في كل مرحلة . ويمكن للمرشح أن يقبل كعضو كامل . ولوثيقة دمشق مثل هذه الطرق ولكن ليس بهذا الشكل من التعقيد .

وتبعاً لمراحل تثبيت العضو في الجماعة فان الجماعة تقسم الى قسمين مختلفين فاولئك الذين اكملوا مرحلة التثبيت يدعون « الاحبار » . وتلك الكلمة مستعملة في شرح حبقوق (١ : ١٠) عندما يتسكلم عن عهد الملوك والحكام ويعني بها العظماء منهم . وقد استعملت نفس الكلمة في ايوب (٣٢ - ٩) كاصطلاح للشرف المقرون (بشيوخ الجماعة) وأما في اللغة الآرامية فتعني (الاسياد) أو المعلمين ، فالاسياد يشاركون في جميع شؤون المجتمع فيصوتون على قبول الاعضاء الجدد ويقاضون المذنبين حسب الشريعة العامة . ويكون حضور اجتماعات الاعضاء اجبارياً مع اجراءات صارمة . ومن الواضح أن الاعضاء كانوا يؤمنون بالمبدأ الذي أعلنه الحواري بولس القائل (كل شيء يجب أن يعمل بطريقة منظمة لائقة) (الكورنثيين ١٤ / ٤٠) . وقد أشير الى نظام الجلوس ونظام الكلام للعضو .

(٢٤١) وعلى الاعضاء أن يمضوا فترة في دراسة الشريعة باستمرار ، سواء في النهار أو في الليل ، طيلة السنة ، فيجب أن يكون في كل مجموعة من مجموعة العشرات رجل على الاقل يقرأ ويفسر الشرائع . وبناء على الرغبة الاساسية في ايفاء متطلبات الشريعة فان هنالك تشديداً صارماً في وجوب

طهارة القائم على كتابة الطقوس الدينية . وعقوبة الذنوب تشمل ايضاً الحرمان من الطهارة ، فالرجل المحكوم بعقوبة سنتين لا يسمح له بأن يدرك (طهارة الرجال المقدسين) خلال السنة الاولى ولا يستطيع أن يدرك (شراب الاسياد) حتى ولا في السنة الثانية . وهذا ما يتفق مع الشريعة العبرية التي تقول بأن استعمال الماء المقدس يجب أن يكون على نطاق ضيق اكثر من استعمال المواد الصلبة المقدسة . وعلى المذنب التائب قبل ادراك التطهير أن يغطس في الماء ، على أن هذا التغطيس في الماء ليس بذي فائدة اذا لم يكن الفرد عضواً في الجماعة .

ومن الملاحظات الرئيسية في طريقة الشعائر الدينية للجماعة هو الاحتفال الرئيسي السنوي في دخول العهد وتجديده فان كتاب النظام يذكر بشيء من التفصيل خدمة القديس الديني ، فينص على أن الكهنة يقومون بالتبريكات ويقوم اللاويون باللعنات على شكل احتفال مذكور في سفر النشنية ٢٧ . فالتبريكات كما رأينا قائمة على بركات هارون المذكورة في سفر العدد (٦ : ٢٤ - ٢٦) .

ويتكلم المزمور الحنامي في كتاب النظام على الادعية والصلوات عند شروق الشمس وغروبها وعند أول ظهور الهلال الجديد وفي الاحتفالات وفي بداية السنة . وسواء كانت تلك الصلاة عامة بين الناس أو خاصة فان ذلك غير واضح .

وهناك صلاتان تقامان في ايام الحرب التي تدور رحاها بين أبناء النور وأبناء الظلام ، فيقيم الكاهن الصلاة الاولى عند تعيين وقت الحرب . واما الثانية فتقام لاجل العودة - يقوم بها كل الجنود العائدين من المعركة . وفي الصباح التالي للمعركة يؤمر المحاربون بأن يعودوا الى مراكزهم وتحوي المزامير الصلوات ، وأعضاء هذه الجماعة يأكلون ويسبحون ويتشاورون بعضهم مع بعض ويقوم الكاهن في بداية كل وجبة عامة بمباركة الخبز والنبيلذ . وتصبح

التدابير حيوية عندما نتذكر أن التنقيب في خربة قران قد كشف عن قاعة اكل . وأما وثيقة دمشق فلا تأتي على ذكر للواجبات العامة . وهذه الحقيقة تدل على أن كتاب النظام اقدم من وثيقة دمشق . وأما العمودان الموجودان في متحف فلسطين واللدان يمثلان طوراً أسبق من كتاب النظام ، فانها يتحدثان عن وجبة عامة مقدسة .

(٢٤٢) وأما موقف جماعة قران تجاه المعبد وتقديم القرابين له فهي محيرة فكتاب النظام لا يشير مطلقاً الى المعبد والقرابين ، الا في اصطلاحات مجازية للجماعة نفسها ، عبارة عن البيت المقدس لاسرائيل واساس قدسية هارون . فحياتها وعبادتها تعتبر قوة للتكفير عن الذنب . والصلاة عندهم تدل على ان الجماعة قد قطعت كل علاقاتها بالصلاة في الهيكل ، مع ان خلو كتاب النظام من ذكر تقديم القرابين في الهيكل لا يدل على ارتدادهم عن مبدأ احترام الهيكل . وتقول وثيقة دمشق مع أن طغمة الكهنة تحاكم اذا لم تحافظ على الشريعة الا انه يوجد شرائع تحتوي على ذكر ضحايا يجب تقديمها للمعبد . وشرح حبقوق يتوعد كهنة الشر . وكهنة اورشليم . ولكن هذا الحكم القاسي على الكهنة لتدنيسهم المعبد هو مثل تنظيف المسيح للمعبد ، يرينا احتراماً كبيراً للمعبد وقوانينه .

وتسمى الطائفة في وثيقة دمشق « بيت الانقسام » لانها انسحبت من المدينة المقدسة عندما دنست اسرائيل ارض الهيكل . فقد اعتقدوا أن الهيكل للعبادة وليس للقربان .

وكل من كتاب النظام ووثيقة دمشق يؤكدان قيام الاحتفالات في الاوقات المناسبة . فالنقويم الديني في الحقيقة كان موضوعاً لجميع الطوائف اليهودية - ومن أعمال انطيوخس ابيفانس قيامه بتغيير الاوقات والشرائع الدينية (دانيال ٢٥/٧) لان المشرعين اليهود أخذوا على انفسهم ان لا يقدموا ولا أن يؤجلوا الاوقات المعروفة لعبادتهم . وتذكر وثيقة دمشق أن أيام السبت والاحتفالات هي من بين الاشياء التي أضلت اسرائيل .

(٢٤٣) ويفسر شرح حبقوق العبارة التالية كإشارة الى ظهور كاهن الشر في يوم الغفران ليربكهم ويجعلهم يعثرون في يوم الصيام وفي سبب الاستراحة ، ويقول أحد أدعية الشكوى « ان الله يرى اخطاءهم التي تجعلهم مجانين في احتفالاتهم » .

وفي مناسبات أخرى لاحظنا أن الطائفة اتبعت تقويماً يختلف عن تقويم الكهنة . وأما كاهن الشر فقد ظهر بين الجماعة في يوم الغفران الذي كان يوم سبتهم وليس يومه هو . وأما الفعلان « يربك ويعثر » فتعنيان أنه قد أخذ على عاتقه أن يمنعهم من المحافظة على يوم الغفران .

(٢٤٤) في المزمور الختامي من كتاب النظام عبارة تقول (من حلول الفصول الى ايام الشهر الجديد) وقد تبني المغايريون والقراؤون هذا القول في تعيين الاعياد عند ظهور القمر ، لتنظيم الشهر القمري مع الشهر الشمسي . وسفر اليوبيل يقسم السنة الى اربعة فصول لتبدأ من أول يوم من الشهر الاول والرابع والسابع والعاشر على الترتيب . وكل فصل يتكون من ٩١ يوماً (شهرين كل منهما ٣٠ يوماً وآخر من ٣١ يوماً) وهذا تكون السنة مكونة من ٣٦٤ يوماً و ٥٢ اسبوعاً بالضبط وقد ساعد ذلك على أن تقع الاعياد دائماً في نفس اليوم من نفس الاسبوع .

ولكن الشهر القمري يتألف من ٢٨ يوماً وبناء على ذلك فان اول الشهر يتأخر باستمرار حتى يتم القمر دورته ، فيتأخر عشرة ايام في كل سنة عن ظهوره الحقيقي في السنة السابقة . واستدل صومر على ذلك من العبارة « من حلول الفصول الى ايام الشهر الجديد » . كما يوجد سطران آخران جعلهما صومر يشيران الى ايام السبت ، وليثبت الحقيقة القائلة ان ايام السبت في هذا التقويم حقيقية ومؤكدة ، لان كل فصل يحتوي على ١٣ سبتاً تماماً . وعبارة أخرى في السطر التالي جعلت صومر يعتقد أن الجماعة كانت تبدأ سنتها بفصل الربيع . وفي تلك الحالة فان السنة الجديدة كانت تبدأ بأول يوم من الشهر السابع .

والنتيجة العامة أن مجتمع قرآن قد وضع التقويم المكون من ٣٦٤ يوماً مع تفاصيله المقبولة . وهناك علاقة واضحة بين تقويم اليوبيل وبين تقويم الشرعين تظهر واضحة في الفقرة المقتبسة من كتاب النظام . فعبارة يوم الذكرى الموجودة في كتاب النظام تعيد للاذهان تقويم اليوبيل ، فالسنة مقسمة الى اربعة فصول بمجموعة في اسابيع ومواعيد الحرية والانطلاق والاحتفالات .

وهذا التقويم لم يكن اختراعاً جديداً وانما اتبع تقاليد مرعية قديمة ويحادل بارثلمي بأن ذلك التقويم هو الذي كان مستعملاً في بداية العصر الهليني وتطبيق التقويم القمري على السنة الشمسية باضافة يوم على التقويم انما هو اختراع تبناه اليونان . فكتاب اليوبيل يؤكد ان احتفال الاسابيع يقع في اليوم الخامس عشر من الشهر الثالث ، فاذا كانت بداية السنة في أول يوم من الاسبوع وكل شهر يحوي ٣٠ يوماً فان اليوم الخامس عشر من الشهر الثالث سيقع في يوم الجمعة ولكن سفر اللاويين (٢٣ : ١٥) وسفر تثنية الاشتراع (١٦ : ٩) يشيران الى انه يأتي يوم الاحد وهو اليوم التالي ليوم السبت .

المغاثريون

(١٤٥) وأما المغاثريون^(١) الاخرون فقد واجهوا صعوبة في جعل بداية

(١) كتب ثيموثارس الاول بطريك النساطرة سنة ٧٨٠ - ٨٣٢ م الى سرجيوس اسقف عيلام من سلفيكة طسغون يقول : ان بعض اليهود الذين اهتموا الى النصرانية والذين اثق بكلامهم اخبروني أن كتباً وجدت بالقرب من اريحا في مغارة وأن راعياً عربياً شاهد كلبه يدخل الى هذا الكهف ولا يخرج منه فتبعه اليه فاذا به أمام مجموعة من الكتب ، فصعد الى اورشليم واخبر اليهود فيها فنزل كثيرون منهم الى الكهف فوجدوا كتباً من العهد القديم وغيرها . وأكد المهتدون انه وجد بين هذه الكتب ما يؤكد موقف النصارى من نصوص العهد القديم في جسدكم مع اليهود . واهتم المسورون في القرن التاسع بأمر الاسفار الخمسة التي وجدت في اريحا .

السنة يوم الاربعاء كما ورد في سفر البطارقة . وان هناك يوماً من أيام الاسبوع لا يمكن للبطارقة أن يسافروا فيه الى أي مكان آخر ، فاذا كان ذلك اليوم هو يوم السبت فإن كل فصل من فصول السنة يجب أن يبدأ يوم الاربعاء . ومن ثم فإن اليوم الخامس عشر من الشهر الثالث يكون يوم الاحد ، كما تقول الشريعة وكذلك يكون يوم الغفران هو اليوم العاشر من الشهر السابع الذي يقع يوم الجمعة . كما يقع عيد الفصح وعيد المظال أيضاً في يوم الاربعاء ، كما هو معروف في جميع الحوادث المهمة في تاريخ البطارقة . وهذا يرينا الاتفاق المنظم في الاعياد .

وقد رأينا أن بارثلمي يعتقد أن هذا التقويم كان مستعملاً قبل السيادة الهلينية ولكن هل كان ذلك التقويم مجرد تقويم (اسراييلي) قديم ؟ وبعد تحقيق مطول ظهر أن تقويم اليوبيل كان من عهد مدرسة الكهنوت . وحسب نشأته ليس بعد النفي البابلي وانما كان التقويم الديني للاسراييليين في المنفى . وبعد الانتصار المكدونى وانتشار الحضارة الهلينية نشأ صراع مرير داخل طغمة الكهنة أنفسهم وبين الهلينية وأعدائها . ويعتقد أن قيام المكابيين يمكن أن يكون له علاقة بهذا الصراع ، فأحفاد المكابيين انكروا التقويم الكهنوتي القديم وقد ظهر في كتابي اليوبيل واينوخ أن تركهم للتقاليد القديمة هو الشيء الذي لم يدم وفي النهاية ظهر واضحاً الانقسام والاضطهاد اللذان ذكرهما حبقوق . أما عيد الحصاد فيرجع الى أصل عموري وكنعاني تبناه الاسراييليون في أيام انتصارهم على الكنعانيين . وانتشر ذلك التقويم بين الزارعين خصوصاً في الشمال وفي الجماعات القبلية . وتظهر آثار ذلك التقويم في الاناجيل وحق في ممارسة الفلاحين الفلسطينيين لاعمالهم في الوقت الحاضر . وحق نتأكد من ذلك فنحن بحاجة الى وقت نقضه في الحل .

(٢٤٦) ولم يشغل المشرعون أنفسهم بأمور الطقوس الدينية أو ملاحظة الاوقات المقدسة فحسب ، وانما شغل ولاؤهم للشريعة أيضاً الحلل الاجتماعي والاخلاقي . وقد رأينا في بحثنا نظم ذلك المجتمع بعض تعاليمهم الاخلاقية ، وقد

ذكرنا مثلاً على ذلك شعورهم بالنسبة لوقت الحرب . فبينما نرى أن مخطوطة الحرب تقدر فكرة الحرب نرى أن كتاب النظام لا يدعو الى الحرب، وانه يوافق على كراهية أبناء الظلام . والشئ الذي يحلب الانتباه هو الحقيقة الموجودة في عمودين من وثيقة تشبه النظام تشير الى وجود جيوش وحروب . وهو من الاسباب التي تدعونا ان لا نعتبر العمودين من كتاب النظام ، فهو لا يكتفي بعدم ذكر الحرب وانما ينصح اعضاء الجماعة أن يتركوا معاقبة الاشرار الى يوم الدينونة . ولذا فاننا نرى أن الوثيقتين تعتبران الحرب مفروضة للقضاء على الكفر .

(٢٤٧) وقد ذكر أيضاً موقف الجماعة تجاه الممتلكات المسادية . فيمكننا أن نستعيد الى الذهن قراءة كلمة الثروة بدلاً من الخمرة وفي حقوق (٥:٢) كما هو مقتبس من التفسير . ونذكر أيضاً انه بينما لا يسمح كتاب النظام بالملكية الخاصة بين الاعضاء الكاملين في الجماعة ، فان هناك قانوناً يلزم تعويض أي ضرر في الممتلكات العامة ، بينما نجد وثيقة دمشق تسمح للاعضاء بأن يأخذوا اجوراً ويحتفظوا بها ويسلموا مراقب المعسكر اجرة يومين من كل شهر ، فالفرق بين هذين النظامين يتضمن تنظيم المجتمع بالاشارة الى النساء والاطفال المذكورين في العمودين الموجودين في المتحف الفلسطيني وفي الهيكل العظيم للمرأة الذي وجد في مقبرة خربة قران . والنساء لم تلعب دوراً في المجتمع كما كانت تلعب في عهد جماعته القديمة ، فالزواج من ابنة الاخ والاخت لم يكن موجوداً حسب وثيقة دمشق . ومهما يكن موقف الجماعة أو القبيلة تجاه الزواج فان جميع النصوص تؤكد أن الزواج يجب أن يكون نقياً ومثالياً حتى النظرة الشهوانية كان صاحبها يحاكم .

وعلى العموم يمكننا القول أن المثل الاخلاقية العليا للمشرعين في قمرات كانت أشبه الى حد كبير بتلك التي لجماعات النساءك في الديانات الاخرى . ولكنها تختلف عن تلك التي هي مثل عليا لجماعة انسحبت من العالم لتعيش حياة العزلة وفي البرية، يسودها النظام الصارم والطهارة، لايجاد الطريق السوي الموصل الى الإله عن طريق دراسة الشريعة .

الفصل الثالث عشر

المعتقدات

(٤٢٨) تظهر المعتقدات الدينية وأنواع التنظيم والمثل الاخلاقية في مخطوطات البحر الميت ولو بصورة غير وافية أو غير منسقة ، وما يمكن أن يستخلص منها يكفي ليكون أساساً للمقارنة مع الشيع والجماعات التي كانت تعيش في نفس الفترة . ومثل هذه المقارنة تمكننا من تشبيه القمرانيين بإحدى هذه الشيع ، وإذا ما تعذر علينا إيجاد تشبيه لها، يمكننا إيجاد علائق أو روابط بين القمرانيين وبين بعض هذه الشيع .

مما لا شك فيه أن القمرانيين كانوا ينظرون الى الكتب المقدسة بإجلال . ومن الواضح أنهم كانوا يحفظون جميع الكتب التي تعترف بها الشريعة اليهودية من القديم كما أثبتت بعد خراب الهيكل . وتستشهد مخطوطات البحر الميت بالشريعة والانبياء على نطاق واسع وتستعمل ما استشهدت به على أساس انه إرادة الله التي لا مرد لها . ويأخذ القمرانيون على عاتقهم كما يقول كتاب النظام أن يعملوا ما هو صالح وحق أمام الله كما أمرهم موسى وعبيده الانبياء . ولقد أورد مخطوط مزامير الاقسام الثلاثة للعهد القديم وهي الشريعة والانبياء والكتب .

وحتى الآن لم يكن بالإمكان معرفة الى أي حد شملت المؤلفات المقدسة التي قبلت بها الجماعة غير تلك الكتب الخاصة بالتوراة العبرية . وعلى أية

حال ، فقد احتوت مكتبتهم على كتب أكثر بكثير من كتب العهد القديم . ولقد أوردت الوثيقة الدمشقية كتاب اليوبيل وكتاباً آخر غير معروف ولكنه مذكور كمرجع في الوثيقة الدمشقية وفي إحدى القطع المحفوظة في المتحف الفلسطيني . ومن الواضح أن كثيراً من تلك المؤلفات التي لم تعترف بها الشريعة اليهودية قد نسخها النساك ونظروا إليها بإكبار كما يؤكد ذلك العدد الكبير من الكتب التي تمثلها قطع المخطوطات .

(٢٤٩) يلعب تفسير الكتاب المقدس دوراً كبيراً في آداب هذه الشيعة ويصعب علينا أن نجزم مع براونلي بأن الشيعة قد ظهرت أولاً الى الوجود بتفسيرها للتوراة . ومن المفيد أن نقارن الطريقة التي استعمل بها القمرايون العهد القديم وفسروه بالطريقة التي استعملها الكتاب اليهود وغيرهم في استعمال العهد الجديد وتفسيره . وتظهر في الوثيقة الدمشقية فقرات حرفية تليها شروحات كما في تعليق حبقوق وعلى نطاق أضيق في كتاب النظام . وفي بعض الاحيان نجد بيانات تعززها فقرات حرفية مقتبسة تسبقها العبارة التالية: (كما هو مكتوب) .

قامت سلطة تفسير الكتب المقدسة على وحي جديد ممنوح لزعم الشيعة معلم الحق الذي سمي الكاهن الذي وضع الله الحكمة في قلبه ليشرح جميع أقوال عبيده الأنبياء والذي أعلن الله بفضله كل الاشياء التي ستحل بشعبه وبمجاعته . ويذهب هذا الرأي الجديد الى ما وراء ذلك الذي كان الانبياء قادرين على رؤيته ، مثلاً ، أمر الله حبقوق أن يكتب الاشياء التي ستحل بالجيل الاخير ، إلا انه لم يعلمه بنهاية الزمن ، ولكن ما لم يره النبي نفسه أوحى الله به الى معلم الحق عندما أعطاه معرفة كل ما خفي من أقوال خدامه الانبياء .

إن التفسير المتعلق بالكتب المقدسة هو أولاً زماني ولكن ليس بالمعنى الذي يناسب مفاهيم العصر ، للجدل الزمني والتفسير ، انه كل شيء له صلة

مباشرة بتاريخ الجماعة نفسها ولا نجد أن أحداث الزمان قد شرحت على ضوء الكتاب المقدس . وترينا القراءة السريعة لتعليق حبقوق والوثيقة الدمشقية كيف فسرت النصوص بحرية ، وشرحت وطبقت على الظروف والاحداث الحاضرة بطريقة مغايرة لمعناها الحقيقي .

إن كان مثل هذا الاستعمال للكتب المقدسة يظهر غريباً للقارئ العصري، فإننا نقدر أن نجد أمثلة لا تحصى تحدث يومياً في عرض النبوة . وهذا مثل واحد من كتاب حديث جداً أتى بهذا البيان المضحك ، نجد في هذا الكتاب ان سفن كتيمة المذكورة في دانيال ١١ : ٣٠ هي السفن البريطانية التي ارسلت الى قبرص في الحرب العالمية الأولى لتهاجم شواطئ فلسطين وسوريا، وإن الآيات ٤٠ - ٤٢ من نفس الفصل تشير الى احتلال بريطانيا للشرق الأوسط . ويعقب هذا كله نتيجة مشؤومة بخصوص جهد مصر لإبعاد السيطرة البريطانية . ولا يمكن أن يكون القمرانيون قد خطر ببالهم مثل هذا التفسير الحديث .

(٢٥٠) عندما استعملت الجماعة في حياتها وعباداتها التوراة في المخطوطات نجدها قد قامت بقسط وافر عن التطبيق الحر ، والتبديل فيها . وخير مثل على قولنا هذا هو البركة المعطاة للكهنة في كتاب النظام التي تطبق بركة هارون المذكورة في سفر العدد ٦ ، ٢٤ - ٢٦ .

إن مثل هذه الحرية في التصرف بلغة التوراة يمكن أحياناً أن نلاحظه اليوم في الكنائس البروتستانتية التي لا طقوس لها . فالقسس مثلاً عندما ينهون اجتماعاً دينياً ببركة بولس في آخر رسالته الثانية ، لا يقفون حيث وقف الرسول، بل يندفعون من أجل عظمة الطقوس - فيزيدون هذه العبارة « الآن وكل أوان وإلى أبد الأبدين » .

إن الطريقة التي فسر بها العهد القديم في تعليق حبقوق تحوي أمراً غريباً، بينما يظهر الشرح في الفقرة المقتبسة انه يشير الى ما يفسر النص ، فمثلاً يذكر

النص الأصلي من حبقوق هذه العبارة (الرجل الأثيم قوته في إلهه) بينما تقول الفقرة المقتبسة في التعليق (ويجعل قوته إلهه) وبما لا شك فيه أن التفسير اللاحق يعكس على ما يظهر فكرة الاثم ، لانه يذكر النص الأصلي كلمة « عريهم » كما فهمه بعض العلماء يعني عراء (وفي هذه الحالة يحتمل التفسير أو التعليق النقاش ، وتستعمل الآية ١٦ من حبقوق « تردد » بدلاً من « غير مطهر » ويذكر التعليق هذه العبارة لانه لم يطهر غلفة قلبه . ويعتقد بعض العلماء أن المعلق كان يعرف نصين مختلفين ، فأورد الأول وأشار الى الثاني في تعليقه . ويعتقد دلكور أن المعلق كتب على الهامش أقوال النص المسور . وهناك احتمال آخر هو أن التعليق كتب على الكتب المسورة . أو أن كاتباً نقل التعليق مؤخراً وشوه الفقرات المقتبسة ليوفق بينه وبين نص آخر ، اعتبره أكثر أهمية .

إن اهتمام القمرانيين بالعهد القديم جعلهم يهتمون بالتفسير الصحيح للشرعية . وفي الواقع أن هدف الجماعة من حياتها كان لتحضير طريق الرب بقراءة الشريعة . والفقرة المقتبسة من الوثيقة الدمشقية التي تشبه زعيم الشيعة بـ (النجمة) التي قال عنها بلعام إنها ستظهر من يعقوب، تصف ذلك الزعيم وزملاءه كمفسرين للشرعية ويسمي تعليقه حبقوق أتباع معلم الحق «صانعي الشريعة» واتهم أعداءهم أنهم يحتقرون الشريعة ويعادون وصايا الله . ويسمي أحد مزامير الشكر تعاليم المفسرين الكاذبة (اموراً حلوة) مستعيراً هذا التعبير من اشعيا ٣٠ - ١٠ .

واذا أراد مرشح الدخول في الجماعة كان عليه أن يقف لامتحان في تفهمه للشرعية وفي اعماله فيها. وفي حالة دخوله كان عليه أن يقسم ان يعود، قلباً وقالباً الى شريعة موسى . وبما أن دراسة الشريعة وتفسيرها كانا على جانب من الامة في حياة الجماعة فقد هيا مكان منفرد لذلك الهدف . وكان على أعضاء الجماعة أن يحضروا اليه أثناء النهار والليل وأن يتابعوا هدفهم . وبما أن نفس العمل العبري يعني معاً (درس وفسر) ولذا يفترض براونلي ان

ما كان يحدث في ذلك المكان يشبه طريقة علماء اليهود في شرح امور الشريعة لنلاميهم .

(٢٥١) يصف كتاب النظام أن أبناء هارون يسومون الجماعة طبقاً للاوامر الاولى من شرائع موسى (حتى مجيء المسيح المنتظرين من هارون واسرائيل) . وكنت بينت أن هذا التعبير يمكن أن يكون احتجاجاً على التجديد في الجمعية وقوانين الشيعة نفسها . ويمكن أن يكون تلميحاً معادياً لتقاليد الفريسيين الشفهية التي طبقت شريعة موسى بطرق قامت غالباً على تفسيرات خاطئة . ولقد انتقد المسيح تفسيرات الفريسيين التقليدية وحمل على الكتبة الذين جعلوا شريعة الله لا مفعول لها عندما حرفوها وابعدها من اصولها ولم يعتبروها كما اعتبرها القمرايون قانوناً يجب المحافظة عليه بدون تغيير كما يجب تطبيقه بمحذافيره .

علينا أن نبحث عن تفسيرات الشريعة في مخطوطات البحر الميت وفي الوثيقة الدمشقية وعن علاقتها بتفسيرات علماء اليهود التي تبلورت أخيراً في التلمود . ويقوم على هذا العمل الاخصائيون في الشريعة اليهودية . ومن الممكن أن تساعد مثل هذه المقارنة على فهم كل من المخطوطات والآداب اليهودية في توضيح نمو تقاليد علماء اليهود في الشريعة قبل أن تتخذ صيغتها النهائية في التلمود .

يلاحظ ويرمز أن الرجوع الى شريعة موسى اتخذ مظاهر من العبادة التقليدية، فالتشدد في الشريعة لا يولد المحافظة خارجية . كما يشدد كتاب النظام على ضرورة العبادة القلبية الصافية . وكانت طاعة الشريعة للقمرايين الجواب على الوحي الالهي . والقبول بهذا الوحي أو الطاعة يتضمن الثقة بوعده الله . وهكذا فإن الطاعة لم تكن الا تعبيراً عن الايمان . ويحذر بنا أن نقول ان هذا الاعتقاد كان مطابقاً تماماً لمفهوم الديانة عند اليهود (طاعة الله ارادة الله الموحى بها) .

وزيادة على إتسك القمranين بالكتب المقدسة اليهودية فقد تأثروا بثقافة الامم المجاورة والتي ادخلت الى تفكيرهم عناصر مختلفة الاشكال .

(٢٥٢) ويرى كثير من دارسي مخطوطات البحر الميت انعكاسات الحركة الدينية المعروفة بالغنوصية^(١) Gnosticism وفريق آخر لا يجد أثراً لهذه الغنوصية عندهم ، فالسؤال عن القمranين اكانوا غنوصيين أم لا، هو أمر هام لتفهم شيعة قمران ومكانها في تاريخ الديانة . ولهذا السبب علينا أن نكرس بعض الجهد لهذا الامر .

إن المسألة الى حد ما هي مسألة تعريف الغنوصية بأنها تلك الهرطقة المسيحية التي ظهرت في القرن الثاني بعد المسيح وهذه الهرطقة المسيحية التي لم تكن مظهراً جديداً ووحيداً على كل حال بل كانت مزيجاً غريباً من افكار جديدة وقديمة، يرجع بعضها الى الديانة البابلية القديمة . فيمكننا اذاً أن نفكر في الغنوصية كحركة فكرية عادية اصاب جميع الديانة المسيحية وكانت بدون شك مظهراً من مظاهر هذه الحركة التي كانت اكثر وثنية منها مسيحية . ويعتقد كثير من العلماء أن نوعاً من الغنوصية اليهودية سبق المسيحية وهم يرون في مخطوطات البحر الميت حقيقة جديدة تقدم مادة للبحث .

وعندما نتكلم عن الغنوصية في مخطوطات البحر الميت فالسؤال الذي يعترضنا هو : هل كان القمranيون من اتباع الغنوصية في أضيق معانيها المحدودة في تعابير الهرطقة المسيحية ?? وبالاخرى هل كانوا ينتمون الى الحركة العادية أو التيار الفكري المعروف بالغنوصية بالمعنى الواسع . ان لفظة غنوصي

(١) الغنوصية : مذهب ظهر في المسيحية الاولى يقول ان الخلاص في العمل ، وليس بالايمان . كما يقول بثنائية تتألف من المادة والروح ومزج ذلك بشخص المسيح وعمله ، وهو شبيه بمذهب « مثرا » الفارسي المزدوج الشخصية ويجمع بين صفتين محببتين الاولى صفة النور الذي يبده الظلام ، والحق الذي يدمغ الباطل . والثانية صفة وب الجنود الذي يسوق جحافله لينصر اليه الخير اهورامزدا على إله الشر اهرمان .

وغنوصية يجب الا تستعمل بالمعنى الواسع لئلا يصبح معنى مبهماً وملتبساً .
ولكن يجب أن تقتصر على الديانة المسيحية كما مثلتها هرطقة القرن الثاني .

وحق نعطي السؤال حقه في مدى تأثير الغنوصية في المخطوطات فلنفحص
خصائص الغنوصية وما تحويه على ضوء مخطوطات البحر الميت . وعندما
نقوم بهذا العمل علينا أن نتذكر طبعاً أن هذه الوثائق لا تتضمن كل المعتقدات
في قرآن . ولا يمكننا أن نفترض أيضاً أن جميع معتقداتهم قد تبسر لها أن
تكتب . فان كانت هناك فكرة لم تظهر في المخطوطات فلا نحكم على أن
الشيعة لم يكن لها معتقد كهذا .

إن أول وأهم نقطة من خصائص الغنوصية هي فكرة الخلاص عن طريق
المعرفة ، والتي لا تكفل بالقراءة بل يحصل عليها بفيض روحي - اما بواسطة
التأمل الفردي واما بواسطة الاشتراك في الطقوس الدينية السرية ، مها كان
نوعها . تتضح هذه الفكرة الاساسية من الاسم « الغنوصية » الكلمة اليونانية
التي تعني المعرفة .

(٢٥٣) لا شك أن مخطوطات البحر الميت والوثيقة الدمشقية حثت
بشدة على طلب المعرفة . وهنا نورد عبارات قليلة على سبيل التوضيح « يجب
الله معرفة الحكمة التي وضعها امامها ، الفطنة والمعرفة » .

ويقول صومر ان هذا هو الوصف النموذجي للغنوصية ... وفي شدة
غضب الله على سكان الارض أمر أن تزول معرفتهم عنهم ، قبل أن ينهوا
أيامهم . ويمكن أن يكون هذا تلميحاً الى سفر التكوين ٦ : ٣ وان ما يفهم
منه يمكن أن يكون مجرد ارتباك عقلي خاص بالشيخوخة . وفي التعليق
على حقوق ٢ : ١٤ « لان الأرض ستمتليء بمعرفة بمجد الله كما تملأ المياه البحر »
يقول تعليق حقوق : بعدئذ ستوحى اليهم المعرفة مثل مياه البحر الغزيرة .
وفي كتاب النظام أن أعضاء الشيعة عليهم ان يحملوا معرفتهم وثروتهم وقوتهم
الى الجماعة ومن يرفض دخول الجماعة يكون قد رفض معرفة الشرائع الحقّة

(ان أتباع الحق هم الذين يمشون بارتفاع وبفطنة في كل الامور ويحيون لاجل معرفة الحق) .

إننا نجد في المزمور الثاني من كتاب النظام أن الفقرات المتتالية ولربما الأكثر تعبيراً تسمى الله مصدر المعرفة ومنبع القداسة . وفي الفقرة عينها يقدم الكاتب هذه العبارات :

بالمشورة الحكيمة صاحب المعرفة
وبالفطنة العارفة ، سأضع سياجاً حول (الحكمة)

لافتح بصيرتي من منابع معرفته
عيني رنت الى الحكمة الصحيحة

والتي حجبته عن رجل المعرفة
والفطنة الحكيمة عن ابناء البشر

مبارك انت يا الهى
الذي فتحت الى المعرفة قلب خادمك

انت علمت كل المعرفة

يتضمن أحد مزامير الشكر الكلمات التالية (ليفتح ينابيع المعرفة الى جميع الذين يفهمون) ويقول مزمور آخر (ان مروجي الاكاذيب وناظري الخداع يمنعون تيار المعرفة عن العطشى) ويؤكد صومر - وهو يستشهد بهذه العبارة - ان الغنوصية هي من المفاهيم الجوهرية للشيعية . ويمكن أن تورد ثانية عبارة مشابهة من التوراة : ويل لكم ايها المشترعون لانكم استأثرتكم بمفاتيح المعرفة ، انكم لا تدخلون وتمنعون غيركم من الدخول (لوقا ١١ : ١٥) كلمة المعرفة مرادفاتاً أيضاً كالحكمة ، الفطنة ، التفهم ، البصر وما شابه ذلك من المفردات وكثيراً ما ترد في الخطوط المستعملة في سفر الامثال من العهد القديم . وإن تعظيم المعرفة لا يدل بمجد ذاته على تأثير الغنوصية . والواقع ان

تعظيم المعرفة في مخطوطات البحر الميت ليس أشد مما هو عليه في مؤلفات الحكمة من العهد القديم .

ان « الخلاص بالمعرفة » التي تقول بها الغنوصية كان يعتقد أنها جاءت بالوحي . ويعتقد أن المعرفة اوحى بها ايضاً في مخطوطات البحر الميت . والاسطر التالية من مزامير الشكر انما هي بمثابة تعبير نموذجي عن هذه الفكرة :

لانك جعلتني حكيماً في مناهات كهذه
وفي الجماعة ... تمنحني المعرفة

(٢٥٤) وينسجم هذا التلميح المتكرر مع الاسرار الالهية . ويعلن تعليق حبقوق (ان اسرار الله هي عجيبة) ويردف قائلاً (لان الازمنة الالهية ستبلغ حدها المعين كما قرر لها في اسرار حكته) وقد وردت تعابير مشابهة في مزامير الشكر مثلاً (لانك جعلتني أعرف اسرارك العجيبة) ووردت نفس العبارة (اسرارك العجيبة) في مخطوط الحرب الذي يتحدث عن سيطرة بلعال وجميع اسرار اعدائه معيذاً الى الذاكرة تعبير الرسول (سر العصيان) ووردت أيضاً في كتاب النظام وفي الوثيقة الدمشقية التعبير التالية : (اسرار الفهم الالهي) (والاسرار العجيبة) .

ويمكن أيضاً الاستشهاد ببعض بيانات نموذجية من كتاب النظام في هذا المعنى . ويقول الفصل الذي يتحدث عن الروحين ان خطايا أبناء الحق يسببها ملاك الظلام (طبقاً لأسرار الله ، الى أن يحين وقته ويعطي روح الحقيقة البشر التفهم والبصر والقوة والحكمة ... وروح المعرفة في كل تفكير للعمل السير المتواضع المقرون بالفطنة في جميع الامور وحجب حقيقة أسرار المعرفة) ووردت في فصل لاحق من الكتاب هذه العبارة : اولئك الذين يختارون الطريق يجب تحذيرهم لارشادهم الى المعرفة ولمنحهم الفهم في الاسرار العجيبة وفي الحقيقة (ويحتوي المزمور الاخير هذه الاسطر :

لانه لا يوجد أحد غيرك
ليقاوم حكمتك
ليفهم جميع نواياك المقدسة
لينظر في أعماق أسرارك
أو تستوعب جميع عجائبك

إن فكرة المعرفة - كسر الهي - اودعت الى جماعة معينة هي الطابع
المميز للغنوصية وان الخلاص يكتسب بالمعرفة ولكن معرفة ماذا ؟ انها ليست
المعرفة بوجه عام أو الدراسة أو الحكمة العملية التي تأتي في الخلاص فالفكرة
الغنوصية هي أن الخلاص يأتي عن طريق تفهم طبيعة الحقيقة ، وأصل الروح
والطبيعة ومتاعب الحياة وكيفية الخلاص من تلك المتاعب . وان فكرة ما
هو معروف « بانسان الحقيقة » التي تعبر عنها مخطوطات البحر الميت تغير تماماً
مفهوم الغنوصية هذا والمقصود من المعرفة في المخطوطات ما يتعلق بعجائب
خليقة الله وتتممة النبوة وفحوى الشرائع الالهية التي يجب على الانسان أن
يخضع لها . وتؤكد أسفار موسى الخمسة نفسها معرفة الشريعة بالنسبة للكهنة
ولا شك في أن الديانة اليهودية كانت تنظر الى المعرفة نظرة احترام . ويلاحظ
ورمز أن هؤلاء الذين يتحدثون عن عناصر غير يهودية في مخطوطات البحر
الميت كانوا يعتقدون أن الديانة اليهودية لا تتجاوز تعبيرات التلمود متجاهلين
صلوات المعبود . ان اقتران المعرفة بالشريعة أمر غريب عن مذهب الغنوصية
الا أنه من خصائص الديانة اليهودية .

(٢٥٥) ونجد في مخطوطات البحر الميت ثنائية النور والظلام التي
تذكرنا بشكل عجيب بثنائية الغنوصية وتسمى الحرب الكبرى التي يذكرها
مخطوط « حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام » . ويقول كتاب النظام انه على
الذين ينضمون الى الجماعة أن يحبوا أبناء النور وأن يمتقوا أبناء الظلام . وأما
الفقرة الهامة والمعبرة بهذا الخصوص فتخبر كيف أن الله (خلق الانسان

لتكون له السيطرة على العالم وكيف جعل له روحين يستطيع أن يسير بهما الى أن يحين موعد الافتقاد الالهي) .

وهذان الروحان تسميان : أرواح الحقيقة ، ارواح النور والظلام ، وأيضاً أمير النور وملاك الظلام وان ابناء الضلال لا يخضعون لحكم ملاك الظلام ولكن أبناء الحق أيضاً يضللون ويمانون الاحزان في سيطرة اعدائه الا أن اله اسرائيل وملاك حقيقته ساعدا جميع أبناء النور . ويجد البشر أنفسهم تحت سيطرة هذه الروح أو ذاك الذي يجاهد للسيطرة على داخل روح الفرد . وهذا الصراع لن يكون الا في العالم الحاضر وقد رتب الله (وقتاً محدداً للافتقاد الالهي عندما يدمر فيه روح الشر ويجعل المستقيمين يدركون معرفة الاله العظيم) .

أعلن سكوبس Schoeps الذي كان قد أنكر وجود نوع من الغنوصية في الديانة اليهودية قبل المسيحية ، أعلن أخيراً (أن عقيدة الروحين قد اجبرته على تغيير رأيه) – فالموضوع هنا هو موضوع الثنائية الا انها ثنائية الخير والشر وليس ثنائية المادة والروح .

واننا لا نجد أثراً لمظهر آخر من مظاهر الغنوصية هذه، لا في هذه الفقرة ولا في مخطوطات البحر الميت أو في النصوص التي نشرت حتى الآن . واما مفهوم الروح فهو عبارة عن شرارة من النور الالهي احتبست في عالم المادة المظلم . وما لا شك فيه أن هذا المفهوم كان بعيداً عن معتقدات نساك قران وأما تسمية الصالحين (بابناء النور) والاشرار (بابناء الظلام) فهي مسألة أخرى .

إن معرفة الخلاص حسب مفهوم الغنوصية قد اعطاها مخلص الهي نزل من السماء ليطلق ارواح الشر من عقالها ويقودها الى مملكة النور . ولقد يصعب علينا جداً أن نجد في مخطوطات البحر الميت شياً ولو طفيفاً لهذه المعتقدات ويستطيع المرء أن يكون فكرة عن معلم الحق وعن معنى النبوة بتخيل

العلاقة التي تربط بخلص الغنوصية النازل من السماء بمجيء مسيا هارون واسرائيل الذي سنتحدث عنه أكثر فيما بعد ، فلا وجود لها في الفكرة الغنوصية .

لقد لوحظت نقاط التقاء بين مخطوطات البحر الميت والغنوصية في اوجه كثيرة ، ان بعض جماعات الغنوصيين اتبعوا حياة التقشف الشديدة كما فعل نساك يهوذا ، فالتشابه هنا لا يكفي لوضع اسس قرابة بينها ولا شك أن المخطوطات تحتوي افكاراً ومثلاً تشابه تلك التي كان يدين بها الغنوصيون في نقاط مختلفة ، ومن الممكن أن يكون بينها حلقة اتصال غير مباشرة وتاريخية غير قابلة للتعريف .

وفضلاً عن ذلك يجب أن نذكر أن المعرفة ليست في نفسها في المخطوطات طريق الخلاص فالمعرفة للشريعة هي الاله ، وتجنب الدينونة بالطاعة للشريعة فقط . وأما معرفة النبوة فهي هامة لأنها تعطي العون والتشجيع للثبات في الطاعة . ومعرفة أسرار الله تدفع الى الثقة المتواضعة بالله . الا ان المعرفة ليس لها قوة خلاصية بنفسها ، انها ليست عربة الخلاص المباشرة ، بل هي بالاحرى الجواب على السؤال التالي: ماذا علي أن أفعل لانال الحياة الابدية ??

ان كانت الغنوصية لم تؤثر في ديانة شريعة قران اليهودية ، فكل منها قد اغترف الماء من نفس البئر . فالافكار تتشابه ، قد توجد في البلاد المتأثرة بالمجوسية أو ديانة بلاد فارس القديمة . ولربما يقول كون Kuhn ان مخطوطات البحر الميت تربنا النقطة التي تدفق عليها تيار تأثير الديانة المجوسية قد جرى في جدول التقليد اليهودي والتقى به . وعندئذ جرى هذا المجرى الموحد كما يقول في العهد الجديد من جهة . وفي الغنوصية من جهة أخرى قد لوحظ التأثير الايراني في اليهودية ، ولكن لربما كما يقول صومر اننا لا نجد اية وثيقة يهودية تظهر هذا ويسرد صومر نبذات في هذا الصدد من كتب الديانة الفارسية تتعلق بالارواح الصالحة والشريرة التي تفيد حياة البشر . وعلى كل حال ،

نرى ان الرجل الصالح هو الذي يختار لذاته الروح الصالحة وان الرجل الشرير يختار الروح النجسة . وعلينا أن نعود فيما بعد الى مذهب الجبرية في مخطوطات البحر الميت .

(٢٥٦) ان موضوع جيوش النور والظلام نقطة مميزة في الديانة الزرادشتية فالقوة النجسة المعروفة باهريمان في الزرادشتية تسميها مخطوطات البحر الميت بلعال . ولقد وردت سلطة بلعال مرة واحدة في مخطوطات الحرب وثلاث مرات في كتاب النظام ، ويجعل هذا الكتاب الاشرار من البشر من نصيب بلعال وبلعال يلعب دوراً هاماً ايضاً في الوثيقة الدمشقية وهذا الخلاف بين الله وبلعال هو أقرب من الثنائية الايرانية – ثنائية الخير والشر ، منه الى الثنائية الغنوصية – ثنائية الروح والمادة – وهو اقرب الى الخلاف بين الله والشیطان في التوراة . وأما المفهوم اليهودي عن مملكة الله ومملكة الشيطان فقد يكون له علاقة تاريخية بالمفهوم الزرادشتي عن الحرب الكونية بين اهرومزدا واهريمان .

على الرغم من أن طبيعة التقارب بينهما تقول ان افكار كتاب النظام هي ايرانية بدلاً من أن نسميها غنوصية ، فالتأثير الايراني يظهر بصورة خاصة في الأدب الذي يدور حول الرؤيا والذي يتضمن كتاب سفر دانيال في العهد القديم وكتب اخنوخ^(١) غير القانونية . وقد عثر في كهوف قمران على اجزاء من هذه الكتب التي لها أوجه تقارب في نقاط عديدة في هذا النوع من الآداب مع المخطوطات . وكثيرون هم الكتاب الذين لاحظوا أن فكرة الاسرار الالهية التي تعبر عنها مخطوطات البحر الميت تعود الى هذا التنوع من التفكير الغيبي . فكتاب دانيال يستعمل كلمة «سر» التي تظهر في مخطوطات البحر الميت وان الفقرات المأخوذة من مخطوطات دانيال الكثيرة التي عثر

(١) اخنوخ هو السادس من نسل آدم وقد عاش في طاعة الله وتنبأ عن القضاء الذي سيحل بالاشرار وله سفر جمع من الاسفار اليهودية السابقة وكتبت في الاصل بالآرامية ، ولكنه فقد كما فقدت الترجمة اليونانية ، وفيه ذكر اخبار مسيا المنتظر ، مسيح الله البار ، كما يذكر القيامة ويمجد الله في تحذيراته لانبيائه .

عليها في الكهوف تبرهن على أن نساك يهوذا كانوا يعرفون هذا الكتاب وقد لوحظت أيضاً تعابير مشابهة في كتاب اخنوخ .

وصايا البطارقة الاثني عشر ، والاسرار التي تشير اليها مخطوطات البحر الميت ، تختلف عن تلك التي تذكرها المغيبات والاسرار . وعلى عكس هذه الاخيرة ان مخطوطات البحر الميت لا تتكون كلية من إلهامات جديدة . ولكن فيها فهم حقيقي للوحي المنزل على الانبياء من زمن بعيدي في الشريعة واننا لنؤكد ان مثل هذا المفهوم يوجد أحياناً في كتب الرؤيا ويشهد به هذا شرح دانيال للسبعين اسبوعاً في سفر ارميا .

وهناك نقطة أخرى من التقارب الروحي بين مخطوطات البحر الميت وادب المغيبات والاسرار، تظهر في الاعتقاد بالملائكة والشیاطين ، فبعض العبارات المستعملة في المخطوطات تجدها في كتب الرؤيا . وعلى ما يظهر فان المخطوطات تخلو من تعبير خاص للشیاطين او الارواح الشريرة . واما كلمة ملاك فتطلق في الواقع عليهم اكثر مما تطلق على الارواح الصالحة . والتعبير ملاك الظلام له اهميته فقد ذكر ملائكة الظلام في كتاب النظام وفي الوثيقة الدمشقية . ومرة اخرى نستطيع أن نلاحظ ان كلمة ملاك تطبق في النظام على الروح الصالحة . وهنا نجد تلميحاً الى ملاك حقيقة الله . ويظهر عادة ان تعابير ثانية قد فضل استعمالها للملائكة والارواح الصالحة ويقال ان المستقيمين اعطوا التبصر في حكمة ابناء السماء .

(٢٥٧) وتقول حرب ابناء النور مع ابناء الظلام ان الملائكة الصالحين هم مع جيش ابناء الحق . وفي الواقع انها تستعمل اسماء رؤساء الملائكة رفائيل وغائيل وجبرائيل .

وفي مزامير الشكر وردت هذه العبارات (جيش الصالحين ، جماعة ابناء الله ، الجماعة الابدية ، جماعة الصالحين والجماعة المعجبية) ويعتقد صومر

ان هذه العبارات تعني جماعات الملائكة السماوية . وانه يذكر ايضا ان الصالحين وابناء السماء يشملون ايضا الملائكة و ارواح الحق ويستطيع المرء ان يشك على كل حال في ان جماعة تضم الرجال والملائكة قد وردت ، فالكلمة التي ترجمها صومر (جماعة) لها معنى واسع وتشير بنوع عام الى زمرة او رفقة . وفي احد مزامير الشكر سمي الله « امير الآلهة » وملك المبجلين ورب كل روح وسيد كل عمل . ويعلق صومر على هذه التعابير بقوله ان الله قد سمي رب الارواح في كتاب اخنوخ . وقد يصدق صومر عندما يقول ان الآلهة والمبجلين هم الملائكة .

(٢٥٨) ولقد ادخلتنا اسئلة التقارب بالغنوصية والزرداشتية والفكرة اليهودية الغيبية في الافكار التي انفردت بها مخطوطات البحر الميت . وعلى الرغم من تأثيرات غريبة اصابته افكار نساك قهران فوجهة نظرهم الاساسية ومعتقداتهم الرئيسية كانت بكاملها يهودية انبعثت من العهد القديم . فاهتمامهم بالشريعة والانبياء يكفي ليكون برهاناً على ما قلناه ، انهم لم يشكوا ابداً في ان اسرائيل كانت شعب الله المختار .

(٢٥٩) انهم آمنوا بعقيدة الاختيار الالهي . وقد وردت ايضا في كتاب حرب ابناء النور مع ابناء الظلام . ويقول احد مزامير الشكر (انك سببت لكل انسان نصيباً أبدياً) ويعلق صومر على هذه العبارة بقوله ان يوسفوس ذكر ان الاسينيين اعتقدوا ان الاختيار لم يؤثر فقط في الشعب المختار كمجموعة بل في الأفراد ايضا . وحسب مفهوم روست ان البشري يقسمون الى اربعة اقسام طبقاً لمصيرهم المقرر لهم . وان تقسيم الافراد هذا الى جماعات يختلف تماماً عن المفهوم اليهودي القديم ، فالامة كلها من مختاري الله . على كل حال ان الطريق قد هيئت للاعتقاد في الاختيار الفردي للباقي الصالح وللناسك الجديد بواسطة تأثير افكار العهد القديم . ويذكر ويرمز في الوثيقة الدمشقية ان تاريخ البشرية يقسم الى خمسة اقسام وان الله قد اصطفى الباقي الذي خلصه تحت قيادة عبده المختارين . ومنذ مجيء معلم الحق يمكن أن تطبق الشريعة

في داخل جماعة اتباع امته فقط . ولذا فان العضوية في الجماعة هي اذا دليل على الاختيار الالهي - أي أن اختيار الامة امر قد افترض سلفاً - الا ان التشديد هو الآن على اختيار الافراد الذين التحقوا بالجماعة . وبكلام آخر ان فكرة الشعب المختار قد بعثت فكرة الكنيسة . وأما السؤال فهو أيحوي مفهوم الجماعة غير اليهود ام لا ؟ وسؤال آخر نستنتجـه من التلميح الى المرشحين الى عضوية الجماعة وهم فقط الذين سيخضعون للتجربة .

ان ايمانهم في الاختيار او في الانتخاب الازلي ليس هو (كما فرض بصورة عامة) تعبيراً أو مصدر كبرياء ولكن بالاحرى على عكس هذا . ويصح هذا الكلام بكل تأكيد اذا ما طبق على نساك قمران . واما تأكيدهم في انهم يملكون الوحي الحقيقي عن مفهوم الشريعة والانبياء فقد شابه ايضاً الشعور بالمعنى العميق للخطيئة . ولقد رأى مخطوط البحر الميت الضعف في الانسان والخضوع التام لله . وهذا ما عبرت عنه العبارة « ما جبل من تراب » . وبما ان الانسان ضعيف لا عون له ، فعليه ان يثق بالله من اجل الحكمة والحق . ولربما يكون التعبير المؤثر للغاية عن الثقة المتواضعة بالله هو النشيد الاخير من كتاب النظام الذي هو احد المخطوطات .

(٢٦٠) بعد ان تأملنا في معتقدات هذه الشيعة بحاضر الانسان وبمعنى الخلاص نعود الآن الى آرائهم المتعلقة بشعب الله في الخلاص . وشعب الله في الخلاص ليسوا فقط حملة الوحي في الماضي ولكن ايضاً كل من يحمل رسالة الخلاص بمجيء المسيح المنتظر في المستقبل . وبالطبع فان شريعة موسى نظر اليها باكبار حتى حرمت الوثيقة الدمشقية القسم بها . وبلي موسى في المنزلة الكاهن العظيم في زمن داود وهو صادق لانه افتتح ثانية كتب الشريعة التي ختمت منذ موت اليعازر ويشوع .

ان كلمتنا الانكليزية « مسيا » هي عبرية الاصل وتعني الممسوح ، وتطبق على الملك الذي مسحه الرب . ومن هذا الاستعمال حصلنا على لفظة مسيا المسيح

المنتظر كرمز للملك القادم الذي وعد به الانبياء . على كل حال ان هذه اللفظة عينها طبقت في العهد القديم على الكاهن الكبير . وعندما تقول الوثيقة الدمشقية سيجعلهم بواسطة مسيحه يعرفون روحه - القدوس ، لا تعني اي تلميح للملك الآتي، بل الى صادوق . والاشارة الى الله المسوح الروح القدوس في هذه العبارة انما هي دليل يتمسك به صومر ليبرر عقيدة الثالوث . ويجدر بنا أن نقول ان مثل هذا الاستنتاج لا يوثق به لان المسوح هنا يحتمل الا يكون المسيح ، بمعنى الملك الآتي .

وفي تعابير اخرى تستعمل لفظه بمسوح أو مسيح لمن سيأتي في نهاية العصر الحاضر . ويتكلم كتاب النظام ليس عن مسيح واحد آت بل عن مسيحين اثنين ولكن سيخضعان للشرائع الأولى التي خضع لها رجال الجماعة حق مجيء نبي ومسحاء من هارون واسرائيل في الوثيقة الدمشقية . إلا أن استعمال هذه اللفظة في حالة المفرد يمكن أن يكون نتيجة تحريف متأخر ، إما من ناحية عدم الفهم أو من ناحية تصحيح مقصود . وذلك في زمن رفضت فيه فكرة مسيحين .

وأما المسيحان فيمكن أن يكونا الملك والكاهن الكبير للمستقبل . وفي تلك الحالة يظهر غريباً أن المسيح الملبى ينتظر أن يكون من اسرائيل بدلاً من يهوذا . ومن الممكن على كل حال أن لفظة اسرائيل استعملت في معناها الواسع للدلالة على الشعب كله . والعبارة « مسيح اسرائيل » لا تعني المسيح العلماني بينما تدل عبارة مسيح هارون على المسيح الكاهن . وأما مفهوم المسيح المنبعث من سبط لاوي الكهنوتي فيظهر في الكتب المزيفة ، كتب البطارقة الاثني عشر وفي كتابات علماء اليهود ، وغالباً في وسط مزيج محير من افكار مغايرة لذلك المفهوم .

(٢٦١) وفي المتحف الفلسطيني وثيقة تتألف من عمودين نجد فيها رواية عن وجبة طعام تشبه تماماً تلك التي يتكلم عنها كتاب النظام إلا انها تشير الى مسيح اسرائيل ، وفيها إشارة ايضاً الى « امير الجماعة كلها » الذي يمكن

ان يكون نفس الشخص . ولا يذكر كتاب النظام مسيح اسرائيل إلا حيث يظهر مع النبي ومسيح هارون . وعند وصف وجبة الطعام نجد أن مسيح اسرائيل في العمودين يخضع للكهان . فالمأدبة المقصودة هنا يمكن أنها لا تعني مأدبة حقيقية بل تلك المأدبة التي تتكلم عنها مؤلفات علماء اليهود حول عواقب الانسان .

وإذا ما أعملنا استعمال كلمة المسوح فإننا نجد في المخطوطات إشارات الى مجيء المسيح وهناك سلسلة من التعبيرات المختلفة لاحظها برثلمي عن مجيء المسيح في مخطوط اشعيا ، سندرسها عندما نأتي الى دراسة أهمية المخطوطات في نقض النص . وتشير الوثيقة الدمشقية الى وجود رابطة بين معلم الحق والمسيح الآتي ، وبالفعل يعتقد صومر أن كاتب الوثيقة الدمشقية انتظر عودة معلم الحق في نهاية العالم ، كالمسيح ، وليبرهن على وجهة نظره فإنه يستشهد بهذه العبارة « منذ الاجتماع بالمعلم الوحيد حتى انبعاث المسيح من هارون ومن اسرائيل » غير أن هذه العبارة تتضمن التمييز بين المعلم الوحيد وبين المسيح بدلاً من دمجها . وبما أن معلم الحق قد قتل في سنة ٦٥ - ٦٣ قبل المسيح كما يعتقد صومر لذا فإن نهاية العالم متوقعة حالاً . ويبرهن على رأيه هذا من تفسيره لكتاب حبقوق الذي يظهر أن معلم الحق لم يكن له في تلك الفترة ذلك اللقب . ومن المعقول جداً أن نقول مع ويرمز ان المسيح يمكن أن يكون معلم الحق ، وهو الذي أسس هذه الشيعة ، يتميز عن ذلك الذي سيأتي في نهاية العالم ليعلم الحق .

ولقد اختصر ويرمز دور معلم الحق في مخطط الخلاص . إن المستقيمين هم الذين استمعوا الى معلم الحق . وأما الاشرار فقد رفضوا الاستماع اليه . والشيء الضروري للخلاص مجرد الإيمان برسالة معلم الحق والوفاء لتعاليمه . وبكلمات أخرى أن يقوم بدوره بما يوحيه لقيه - إنه معلم الحق - إن وثائقنا لا تتضمن تجسيداً للحكمة الإلهية بمعلم الحق ، كما انها لا تتضمن نشيداً

مثل ذلك الذي نَجده في رسالة بولس الثانية الى أهل فيلبس ولا أثر لمعلم الحق في الانجيل .

وذكر براونلي من وقت قريب فكرة أخرى مختلفة من حلقات الاتصال بين معلم الحق ومجيء المسيح إلا انه لم يستطع أن يبرهن على أن معلم الحق كان هو المسيح . وانه يجد في مخطوطات البحر الميت تلميحات تصف معلم الحق بخادم الرب الذي يصوره اشعيا ٤٠ - ٥٥ والشخص المعني بالخادم في هذه الفصول لا يزال موضوع نقاش بين علماء العهد القديم في فصول عديدة حتى يظهر الخادم متصفاً بإسرائيل مثلاً ، ولكن الآن استمع يا خادمي يعقوب الى إسرائيل الذي اخترته أنا (اشعيا ٤٥ - ١) . وكثيرون اعتقدوا منذ قرون أن الخادم هو المسيح وخاصة في الفصل ٥٣ الذي يصور آلام خادم الرب من أجل خطايا الآخرين . ومنذ الأيام الأولى للكنيسة ، شعر المسيحيون أن المسيح نفسه قد وصفته هذه الفصول (راجع مثلاً متى ٨ : ١٧ و ١٢ - ٢١) وعلى كل حال فقد اعتقد كثيرون أن الخادم في هذه الفقرات كان أصلاً صورة شاملة تمثل شعب إسرائيل .

فالمختارون يجب ان يتحملوا مثل الآلام التي تحملها الخادم . وكما تحمل الخادم محاكمة الامم سيتحملونها هم ايضاً . وفي الذبيحة الختامي من كتاب النظام - كما يفسره براونلي - لقد عهد للشيعنة القيام بثلاث مهام اسندت الى خادم الرب وهي : الشهادة النبوية ، الكفارة الكهنوتية ، والدينيوية الملكية . وهذا المفهوم الخاص بالجماعة بصفته خادمة الرب نجد تحقيقه في شخص معلم الحق .

ولقد قدم براونلي حججاً بارعة ليصف معلم الحق بخادم الرب . ولكنها لا تتضمن احتمالاً يستحق الاعتبار . وجدير بالذكر أن نلاحظ ان صومر يجد في الاسطر الافتتاحية لأحد مزامير الشكر ان زعيم هذه الشيعة ادعى انه هو خادم الرب .

(٢٦٢) وهناك نواح أخرى مما كان يتشوق إليه القمرانيون في نهاية الجليل لا بد من ذكرها ، فإن عبارة « في نهاية الأيام » لم تستعمل فقط فيما يتعلق بظهور معلم الحق بل ترتبط أيضاً بأبناء صادوق الذين يقال انهم مختارو اسرائيل الذين سيظهرون في نهاية الأيام . وفي حبقوق نجد إشارة الى الذين سيتصرفون بغدر وخيانة في نهاية الايام. وفي مكان واحد نجد أن عبارة « نهاية الايام » مربوطة بغزو الكتيم ، لان المعلق يقول عن (آخر كهنة القدس الذين جعلوا الثروة والغنائم من اسلاب الشعب ، إنهم في نهاية الايام سيدسلمون ثرواتهم وغنائمهم الى جيش الكتيم) .

ولقد سبق أن ناقشنا الاحتمال القائل بأن حرب أبناء النور مع أبناء الظلام لا تشير الى أي حرب وقعت فعلاً ولكنها تشير الى حرب تتعلق بعواقب الانسان . إن إحدى القطع المكتشفة سنة ١٩٤٩ في حفريات الكهف الاول اتخذت من شعر مجهول . تشير الى الحقيقة القائلة ان الاشرار في الأيام الغابرة تجاهلوا تحذير الله ولذلك هلكوا ، وبعد النشيد بنصر مؤكد للنور على الظلام وبسجن الملائكة الاشرار ثم يشرق العدل كالشمس ويمتليء العالم بالمعرفة بينما يهلك الاشرار الى الابد .

يتعرض الصالحون للإضطهاد في الوقت الحاضر . ويذكر ويرمز الاشارات المتكررة للاضطهاد في مزامير الشكر ويقدم صورة للكارثة النهائية التي يصورها أحد المزامير عن الدمار الذي سيقوم به جيش الكتيم . وان هذه الامور تبين الفكرة العامة عن وقت المحنة العظيمة التي تسبق نهاية العالم . وان آخر الزمن قد بدأ وأن الزمن الحاضر هو أظلم الساعات التي تسبق الفجر . والإيمان بمعلم الحق يستدعي الاعتقاد بهذه الحقيقة ، والمحنة التي يتعرض لها أتباعه هي بمثابة اختبار لصبرهم وولائهم . ولم يكشف من المستقبل للانبياء إلا جزء ضئيل . وستبلغ جميع أزمنة الله نهايتها كما قرر لها في أسرار حكته . ثم إن صانعي الشريعة في بيت يهوذا سيخلصون بسبب إيمانهم بمعلم الحق .

سنقرأ فيما بعد أن الله سيثبت حكمه في وسط شعوب كبيرة وسيدنيها ويعاقبها بنار الكبريت وسيحطم الله جميع عبدة الاصنام والاشرار من الارض الذين أغرامهم معلم الكذب . أما تنفيذ الحكم بالأمم واليهود والاشرار فيعهد به الى المختارين ولن يدمر الله الشعب بأيدي الامم ولكن بأيدي مختاريه ، سينفذ الله الحكم بجميع الامم وسيعاقب جميع الاشرار في وسط شعبه .

(٢٦٣) ونقرأ في الوثيقة الدمشقية عن حقبة الغضب وعن حقبة الشر وعن حقبة حكم أبناء صادوق وعن حقبة تدمير الارض وعن حقبة الافتقاد الأول وعن حقبة تمرد اسرائيل . إن كل هذه العبارات تشير الى حقبة في التاريخ ولكننا لا نسمع عن نهاية حقبة هذه السنين في المستقبل وعن حقبة الافتقاد المتعلقة بعواقب الإنسان . إن حقبة الغضب قد وردت في مزامير الشكر ، ويستعمل كتاب النظام الكلمة التي تشير الى الفترات الصحيحة الخاصة بالاحتفالات الدينية وتقسيات الزمن الفلكية والى حقبة من الاشرار وحقبة الثواب للابرار وفترات العصور التي تنتهي فيها سيطرة الشر .

ولقد استعمل كتاب النظام تعابير كثيرة تضمنت الكلمة العبرية «الأبدية» لتدل على مصائر الاشرار والابرار . فالأشرار يلعنون الى الأبد ويتعرضون الى كره وعداء أبديين ، إنهم سيتألمون في النار الأبدية وسيكون نصيبهم الهلاك الابدي . وأما الابرار فيوعدون بالسلام الابدي وبالنور الابدي وبالحق الابدي وبالمجد الابدي . وفي ذلك الفصل من كتاب النظام الذي يذكر الروحين في البشر نجد وصفاً لما ينتظر الاشرار والابرار .

كيف كان القمرانيون يتصورون الحياه الآتية بالنسبة للفرد ؟ هل كانوا كغيرهم من اليهود في ذلك العصر يعتقدون بقيامة الجسد ، وإن لم يتمسكوا بهذا المعتقد فهل يقبلون فكرة خلود النفس ؟ إن الاعتقاد بالقيامة قد استنتج

من بضع جبل وردت في مخطوطات البحر الميت ، فاللعنة التي يصبها اللاويون على الاشرار طبقاً لكتاب النظام تقول « إنه لن يجعلكم تحيون » وتعني هذه العبارة ان الاشرار لن يبعثوا من بين الاموات .

(٢٦٤) هناك تلميح لقيامه الجسد في أحد مزامير الشكران (وأنا أعرف أن هناك أملاً لمن خلقته من تراب للقيامه الابدية) . ويرى ويرمز في هذه العبارة تلميحاً لخلود الروح وليس للإنسان بكامله . ومثل هذا المفهوم الافلاطوني يبدو مستهجناً في الديانة اليهودية يستشهد ويرمز بقول يوسيفوس المتعلق بالأسينيين وبالكتابات المحفورة على قبر يهودي مصري . ويرى ويرمز أن القمرانيين كانوا يتوقعون القيامة النهائية قبل نهاية جيلهم ولذا لم يكن يعنيهم قيامة الجسد . وأما ما كانوا يتوقعونه ، فلم يكن لا قيامة الجسد ولا خلود الروح وحدها بل حلول الشخص بكامله في جسد ظاهر .

ولقد شرع فان در بلويغ بدراسة خاصة حول مفهوم الحياة الآتية في مخطوطات البحر الميت ويقول ان الارتباط الظاهر للشريعة يفضي بنا الى احتمال الاعتقاد بخلود الروح منفصلة عن الجسد ويعتقد أن دراسة النصوص ستحول هذا الاحتمال الى يقين . وطبقاً لكتاب النظام فإن أبناء بلعال سيتألمون من العقاب الأبدي وسيكون للأبرار (السعادة الأبديّة في الحياة الابدية) وترد عبارات كثيرة حول الوجود في عالم النور في الأعلى ، عالم الله والملائكة . ومن عبارة غامضة في كتاب النظام تشير الى حياة أبدية مع الملائكة يستنتج بلويغ تفسيراً لمزمور الشكر الذي كان نقطة البداية لهذا البحث ويشير الى نوع من جنات النعيم مع حشد الملائكة بما فيهم أفراد هذه الشيعة .

وهناك فقرات أخرى من مزامير الشكر يبدو أنها تتضمن أن أرواح الابرار ستكون يجوار الله والملائكة . وأحباء الله سيتمتعون بوجوده الى الابد وتقدم الصلاة الى الله في جماعة الابرار .

لا شك أن هذه التعابير تعيد الى الذاكرة لغة مزامير العهد القديم ويستنتج بلويغ ان هذه الشيعة اما ان تكون قد اعتمدت تقليداً قديماً حول الحياة الآتية وإما أن تكون قد استقت هذه الافكار من مصدر آخر ودمجتها في المزامير بتفسير آخر .

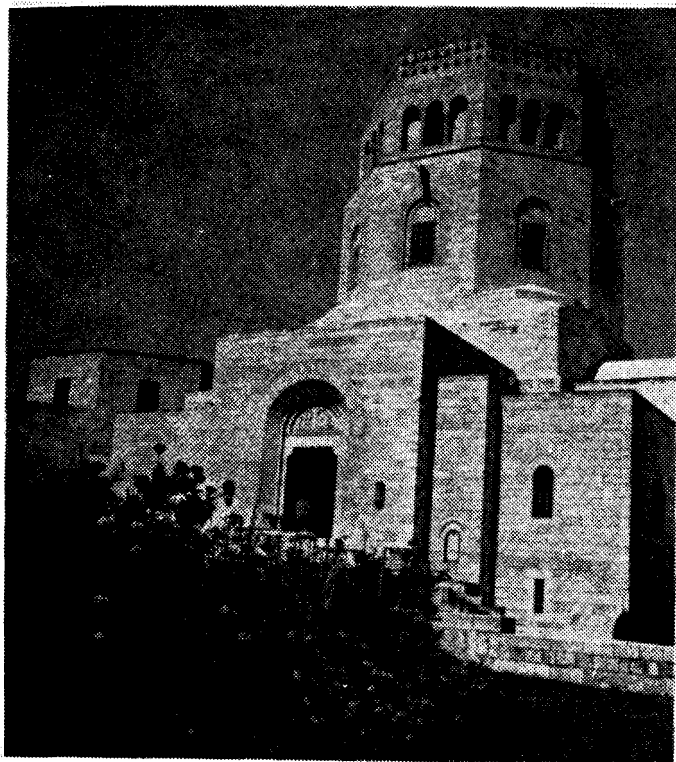
إن الصورة التي تستنتج من هذا كله ليست واضحة بالتفصيل ، إلا أن المخطوطة الرئيسية بارزة وجليدة تماماً . وبالاختصار نستطيع أن نقول ان شيعة قمران كانت جماعة يهودية متعبدية على السنن الالهية الذي أعطى الى أجدادهم الشريعة والانبياء ، مثلها مثل جماعات يهودية أخرى وكان لتلك الشيعة طريقتها الخاصة في تفسير الكتب المقدسة . وخلافاً لأغلبية الشيع اليهودية فقد اعتقد أتباعها أنهم منحوا وحياً جديداً يوضح المعنى الحقيقي للكتب المقدسة أنهم وجدوا في الانبياء رمزاً لماضيهم ومستقبلهم . ونقدر أن نرى أوجه التقارب بالغنوصية في معتقدات هذه الشيعة ، إلا ان القمرانيين لم ينطلقوا من التقليد اليهودي القديم ليتبنوا الثنائية الغنوصية الماورائية أو اسطورة الفساد المحكمة . إنهم اعتقدوا أن الله قد رتب كل الاشياء كما أنهم اعتقدوا ان وجود البشر والصراع بين الخير والشر في المجتمع البشري وفي الروح الفردية كانا جزءاً وقطعة من المخطط الالهى . وفي نهاية الزمن المحدد سيخلص الله مختاره ويدمر جيوش الشر .

خلف هذه الافكار يكن التقليد اليهودي القديم مع مبادئ الثنائية ، الملائكة والشياطين ، في الديانة الايرانية . يمكن ان يكون التأثير الايراني قد لعب دوره أيضاً في معتقدات هذه الشيعة المتعلقة بالخلاص . ومن المحتمل ألا تحتاج هذه العناصر الغريبة الى دراسة أكثر لأنها قد تسربت الى الاسفار الاخيرة من العهد القديم كما ظهرت كتابات الرؤيا بعد التوراة . ومن الممكن أن تيارات فكرية جديدة من مزيج عام من التقاليد والثقافات التي نسميها الهلينية قد سرت في مجرى جانبي من الديانة اليهودية .

وعلى كل حال فالقمرانيون اعتقدوا وبكل قوة أنهم كانوا مختاري الله

ليس فقط كأعضاء في الشعب المختار بل كأبناء النور وأنهم شعب الله ، دخلوا أعضاء في الجماعة التي اعتقدت بعلم الحق كـمفسر ملهم للاسرار الالهية وأنهم انتظروا نبياً ومسحاء هارون واسرائيل. إنهم انتظروا واثقين الدينونة والعقاب الابدي لابناء الظلام عندما تصل سيطرة بلعالم الى حدها . انهم رجوا بكل حرارة أن يتطهروا من كل شر بروح الحق وأن ينعموا بالسعادة الابدية قريبين من الله مع جيوش الملائكة .

ومها يقال عن لاهوت قران فهذا واضح جداً . ولكن من كان هؤلاء الناس؟ أي نوع من اليهود كانوا؟ وهل نستطيع ان نعرفهم بإحدى الجماعات داخل الديانة اليهودية المعروفة لدينا من مصادر أخرى؟ .



في المتحف الفلسطيني بالقدس تجمعت المخطوطات

الفصل الرابع عشر

أصحاب المخطوطات

(٢٦٦) ذهب الكثيرون من علماء الآثار مذاهب شتى في تعريف الشيعة التي كانت تقطن خربة قران قديماً حتى اتضح لهم الامر في الآونة الاخيرة على ضوء المكتشفات الاثرية والتي سنحاول بحثها مفصلاً . ومع ما هنالك من صعوبة لمعرفة أصحاب المخطوطات لأن المخطوطات لم تذكر أي اسم لتلك الجماعة ، الا أننا نستدل من مخطوط النظام انهم (كل اسرائيل) وكما يذكر مخطوط الحرب (هم أبناء النور) ويخص بذلك أسباط لاوي ويهوذا وبنيامين - يعني سبط الكهنة والسبطيين اللذين يؤلفان مملكة يهوذا . تكشف وثيقة دمشق عن عداوة كانت بين دولة يهوذا والاسباط التي سكنت الشمال وكونت مملكة اسرائيل .

ولما كان اهتمامنا يدور حول كل النصوص القديمة التي وجدت فلا نقدر أن نقول انها جميعها جاءت عن جماعة قران ، مع العلم بأن الملفات الاثرية والجزايات المخطوطة التي عثر عليها في كهوف قران أصبحت ذات شأن وأهمية . فلا ضرورة لأن نحسبها من كتابات تلك الشيعة حتى ولو ضمت عدة فروع وأوضحت شيئاً من التاريخ اليهودي . ويمكننا أن نعتبر العمودين الموجودين في المتحف الفلسطيني جاءا عن جماعة « الحسيد » القدماء بينما جاء كتاب النظام عن طائفة الاسينيين التي جاءت بعدهم . والحسيد هم المخلصون

الأوفياء للناموس واندمجوا مع المكابيين في وقوفهم في وجه السلوقيين ثم تخلوا عن المكابيين عندما عين السلوقيون كاهناً منهم .

هنالك حقيقة واضحة هي أن جماعة قران لم تكن تحافظ على تقاليدها التي ورثتها عن الجدود فحسب ، بل كانت أيضاً رد فعل لايمان الجدود والتقاليد التي خلفوها وراءهم وهذا يجعلنا نتساءل ، هل قيام هذه الجماعة في تاريخ اليهود هو الذي انتج المخطوطات التي بين ايدينا ؟

(٢٦٧) في القرن الثالث قبل الميلاد انتشرت الحضارة الهلينية ولكن اليهود ظلوا متمسكين بتقاليدهم بل قاوموا بقيادة جماعة الحسيد كل طريقة لا تؤدي الى ديانتهم . وقد جاءت « الحسيد » لقباً للشعب البار الذي يتعرض لاضطهاد الاشرار حتى أصبحت مرادفة لكلمة المخلصين الأوفياء وذكرت في سفري المكابيين بأنهم أناس قدموا أنفسهم للمحافظة على الناموس . واندجوا مع المكابيين في عصيانهم على الملك السلوقي انطيوخس ابيفانوس . ولكنهم انفصلوا عن المكابيين ووقفوا القتال عندما نصب الملك ديمتريوس كاهناً اسمه السيموس من نسل هارون . لكن السيموس خانهم وقتل منهم ٦٠ نفساً في يوم واحد . وقد ظهر أن الحسيد أقل مهارة في الحرب من المكابي ، فهم بعدما حصلوا على الحرية الدينية تخلوا عن المكابي حلفائهم في الثورة .

استعمل كثيرون من علماء الآثار كلمة « حسيد » اسماً لسكان قران كما أشاروا بها الى جميع الفئات اليهودية المتمسكة بعقائدها القديمة - أكثر من كونها شعبة معينة أو حزباً معروفاً . ويمكننا القول أيضاً أن طائفة قران التي تنسب اليها مخطوطات البحر الميت قد نشأت من جماعة الحسيد مع أنه ليس لدينا الأدلة القاطعة لاثبات هذا الزعم .

(٢٦٨) تعتبر كتب يوسفوس والعمد الجديد والأدب الراباني كلا من الصدوقيين والفريسيين الفرقتين الرئيسيتين في الديانة اليهودية ، فهل نستطيع أن ننسب جماعة قران الى واحد من هذين الفريقين .. لم يكن الصدوقيون

الذين يعتبرهم يوسفوس أحد أصحاب الفلسفات اليهودية الرابع ، لا شيعة ولا حزباً ، بل طبقة من الناس برزت سياسياً ودينياً كغيرها من الطبقات . وهم يتلون طبقة الارستقراطيين الأغنياء الذين بواسطتهم بدا كهنوت الهيكل مشرقاً وعنصرأ فعلاً ، كما كانوا لا يعترفون الا بأسفار موسى الخمسة ويفسرون الشريعة بدقة ويرفضون اعتماد الفريسيين على الروايات الشفهية ، كما يرفضون الاعتقاد بالملائكة وقيامه الاموات للبعث التي آمن بها الفريسيون . وربما اشتبه التعريف « صدوقي » باسم صادوق الذي كان في عهد داود وسليمان .

وعندما نشرت وثيقة دمشق التي أشهرت أبناء صادوق جعلت علماء الآثار يفترضون وجود علاقة بين القمرانيين والصدوقيين . لكن التعمق في البحث أضعف تلك العلاقة . وفي هذا الشأن يقول صومر ان القمرانيين كانوا يفرطون في احترام الانبياء ، بينما لم يعتبر الصدوقيون كتابات الانبياء من الكتب المنزلة . نشأ استعمال عبارة « صادوق » عندما أطلق بعض الكهنة على أنفسهم لقب أبناء صادوق ليثبتوا أن حقوقهم الكهنوتية مستمدة من دينهم وتقاليدهم ، وهم لم يكونوا من جماعة قران بل ربما كانوا فرقة من أبناء صادوق انفردت بنفسها وشكلت شيعة العهد الجديد حسب رأي صومر . أما الأب ديفون فلا يؤمن بصحة الانتساب الى صادوق لهذا السبب ، بل انهم ادعوه حتى يستردوا حقهم الذي انتحله الكهنة الصدوقيون . وعلى كل حال فإن جماعة العهد الجديد ليسوا هم الذين ذكرتهم مؤلفات يوسفوس والأدب السرياني والانجيل . وهذا ما كشفه كهنة أورشليم في تفسير حبقوق .

يعارض سكوب الوصف الذي ذكره يوسفوس عن الديانة اليهودية في القرن الأول قبل المسيح وفي القرن الأول بعده ، قائلاً إن ما ذكر في مخطوطات البحر الميت يجب أن يكون عن الصدوقيين ، تلك الفئة التي ظهرت بين الكهنة في القرن السابق للمسيح فقط .

القرقزاني

(٢٦٩) من أعيان القرن العاشر . مؤرخ يهودي . ذكر في كتابه (تاريخ

الفرق اليهوديه المغائرية (إنهم عرفوا بهذا الاسم لانهم وجدوا كتبهم في المغائر . كما وجدوا الاسفار الاسكندرانية وكتب المعارف . وقد سبقه الى ذكر المغائريين في القرن التاسع المؤرخ بنيامين النهاوندي . وذكر عن الطوائف اليهودية رواية تقول : كان للصدوقين رئيسان اسم الأول صادوق والآخر بوثوس كانا تلميذي خليفة سمعان العادل في القرن الثاني قبل الميلاد حتى أن التلمود يتكلم عن اسرة بوثوس Boethus كواحدة من أسر الكهنة الاربع التي عاشت في القرن الاول بعد المسيح . ويذكر يوسفوس شخصاً يحمل نفس اسم بوثوس وقد جعله أبا العزيز Joazar رئيس الكهنة الذي عاش في بداية ذلك القرن . ولما كان اسم أبناء صادوق واسم الصدوقين يكتب بشكل واحد فليس من الضروري أن يكون أتباع صادوق وبوथوس الذين ذكرهم القرقزاني هم الصدوقيون . ولا يستبعد أن يكون صادوق القرقزاني هو معلم الحق الذي ذكرته مخطوطات البحر الميت . وفي هذه الحالة فإنه لا يكون مؤسس هذه الشيعة .

واذا لم يكن القمرانيون صدوقيين فهل كانوا فريسيين ؟

تعني كلمة فريسيين المنعزلين مع أن الانعزال الذي اتسمت به هذه الفئة غير ثابت . لقد انعزل الفريسيون الذين كانوا حماة الشريعة والمتمسكين بها عن محبي الحضارة الهلنكية وتحلوا عن تقاليدهم . وبسبب حماستهم لحفظ الشريعة بعيدة عن النجاسة . كذلك انعزلوا عن الحشومنيين الذين تحلوا عن الشريعة سعياً وراء حصولهم على السلطة . ومهما كانت المناسبة الأولى التي علق فيها لقب الاعتزال بهم فإن هذه اللفظة لا تشمل كل أنواع الاعتزال . وبسبب قيامهم على حفظ الشريعة كانوا أقدر على فهمها وشرحها من الصدوقيين ، وقد تيسر لهم ذلك من حفظهم التراث الذي جمع فيما بعد في كتاب التلمود .

وكذلك اعترفوا بجميع الكتب والانبياء والكتابات الاخرى واعتبروها مقدسة . وخلاف الصدوقيين قبلوا المعتقدات التي تتعلق بالملائكة

والبعث التي تسربت الى العقيدة اليهودية خلال الحكم الفارسي أو تحت التأثير الفارسي .

وإن تحذير اشعيا ٤٠ : ٣ القائل (أعدوا طريق الرب : تقدموا في القفر ليلاً) فسر في كتاب النظام بأنه يعني دراسة الشريعة أو تفسيرها . وهكذا والى درجة بعيدة يمكن أن يكون رجال العهد (القمرانيون) هم الفريسيون، يضاف الى ذلك أنه كانت للفريسيين جمعيات تشابه كثيراً رجال العهد . مثل هذه الجمعية كانت تدعى « حابوره » ويدعى أعضاؤها الحابوريين أو الاحباء وأخيراً دعوا « رابيم » كما كان يدعى أعضاء شيعة العهد في كتاب النظام .

الحابورة

قام شاؤول ليبرمان بمقابلة دقيقة بين جمعية الحابورة الفريسية وبين جماعة العهد ، فتوصل الى وجود مشابهات كثيرة : ففي الجمعيات الفريسية كان على طلاب الدخول فيها أن يتعهدوا على الاخلاص لها وتنفيذها بدقة . كما كانت تلاحظ وتختبر سيرة الطالب المرشح للدخول من حيث أنه كان يتقيد بالشريعة وينفذها . وكانت العقوبة على درجتين بينها فترة مراقبة . ولدى دراسة مخطوط النظام وجدت ذات المصطلحات . ويضيف ليبرمان بأن الاختلافات بين جمعيات الفريسيين وجماعة العهد لا تزيد على الاختلافات بين الفريسيين أنفسهم . وعلى الاجمال فإن قوانين كتاب النظام أشد صرامة من قوانين الفريسيين . ويرى ليبرمان أن بعض الآراء التي لبعض الأحبار تعود الى روايات أقدم عن بعض الطوائف القديمة التي كانت آراؤها تختلف تمام الاختلاف عن اجماع أحبار اليهود ، فقد يكون لكل شيعة عدة فرق وما دونها وحق أن الفريسيين أنفسهم كانوا سبع شيع . ولذلك لا يمكن الاعتماد على وثائقنا الحاضرة في تمييز أي شيعة من الشيع الرئيسية الثلاث المعروفة في الديانة اليهودية ، لكن يجدر بنا أن نذكر إحداها وهي شيعة الاسينيين التي

خطرت بالبال منذ أن اكتشفت مخطوطات قران بأنها قد تكون الجماعة التي كتبتها ، نظراً لأن المنطقة التي وجدت فيها المخطوطات كانت المقر الرئيسي للأسينيين . وأول شخص خطر بباله أن الأسينيين هم الذين خباؤها أثناء فترة الاضطهاد ، هو ابراهيم صومي الذي جاء مع أخيه بطرس الى المدرسة الامريكية في القدس يحملان المخطوطات . ولدى الرجوع الى مذكراتي عن يوم ١٢ آذار سنة ١٩٤٨ وجدت (لقد اشتغلت بعد ظهر هذا اليوم في مخطوطة الأسينيين أي كتاب النظام وصدرت نشرتنا الأولى بتاريخ ١٠ نيسان سنة ١٩٤٨ بعد أن ذكرنا اثنتين من الوثائق هما مخطوط اشعيا وحقوق ... وظهرت مخطوطة ثالثة لتكون نظاماً لشعبة صغيرة مجهولة أو نظاماً لدير ويحتمل أن يكون لطائفة الأسينيين . وبناء على اعتراف صومر بأن الأسينيين كانوا جماعات مختلفة فهو يصر على أن جماعة قران كانت شعبة أسينية خاصة ...

ولكن من هم الاسينيون ؟ ؟

(٢٧١) جاءت معرفتنا عنهم ، زيادة عما ورد في الأدب الديني ، من المؤرخ يوسيفوس ومن الفيلسوف فيلو ومن مختصر التاريخ الطبيعي لبليني وكل من الثلاثة عاش في القرن الميلادي الاول عندما كان الاسينيون في حيوتهم ونشاطهم وعندما كانت جماعة قران تدرس وتنسخ مخطوطاتها . وكان يوسيفوس قائداً في الحرب مع الجيش الروماني الذي قضى على مساكن أصحاب العهد ووضع حداً للعبادة في الهيكل . وبما لا شك فيه أنه رأى الأسينيين وربما عرف شخصياً بعضاً منهم . أما فيلو الذي عاش في مصر فقد كانت معلوماته عنهم عن طريق السماع . ويجب أن نكون حذرين حيناً نحاول أن نفهم ما ذكره يوسيفوس عن اليهود لا سيما فيما كتبه لغير اليهود ، الى الكفار فهو يصف الفريسيين والصدوقيين والأسينيين كأصحاب مدارس فلسفية . ولقد خص الأسينيين بوصف أكثر مما ذكر عن الصدوقيين والفريسيين ويقول

كل من يوسفوس وفيلو بان الاسينيين كانوا أربعة آلاف ويتكلم بليني عن البحر الميت ويذكر الاسينيين الذين يسكنون قرب الشاطئ الغربي ، بعيدين عن كل أذى لأنهم شعب منعزل بين أشجار النخيل ، ولم يصبهم الأذى الذي كانوا عنه بعيدين . كما يورد فيلو أن الاسينيين يقيمون في قرى بعيدين عن الإباحية والنجاسات التي رآها في المدن . ويزيد يوسفوس ان كثيرين منهم يوجدون بكل مدينة .

في أول أبحاث التنقيب في الكهف الأول وعندما لم يكن هنالك حفريات واسعة في خربة قمران لم يصدق علماء الآثار أنها كانت ديار الأسينيين ، الى أن أظهر تاريخ الفخار أنه من العصر الهليني . وعندما توسعت أعمال الحفر بدد ديفو شكوكه وقبل تفسير رجال العهد بأنهم الأسينيون أما أنا شخصياً فيجب أن أقول ان الرابط الجغرافي يبقى أقوى سبب لاعتبار رجال قمران أسينيين . وإذا لم يكونوا كذلك بالضبط فهنالك مكان لكل من الأسينيين والعهدين في منطقة وادي قمران . وعلى الوضعية الجغرافية يبقى الاعتماد الوحيد الذي تبنى عليه العلاقة بين الأسينيين وشيعة قمران . وفي أخبار فيلو ويوسفوس مقدار كاف من المعلومات عن نظام الأعمال الخلقية والدينية والروحانية التي مارسها الأسينيون وهي تساعدنا على المقابلة بشيء من التفصيل عن حقيقة مخطوطات البحر الميت والوثيقة الدمشقية .

(٢٧٢) يظهر من أشياء أخرى بعض التشابه بين الأسينيين والعهدين في ألقابهم الرسمية ، فكل من فيلو ويوسفوس يذكر أن الأسينيين يقدسون بعد الله ذاته شخصاً آخر يسميه يوسيبوس (معطينا الشريعة) وهذا يعني قائد الشيعة نفسها ، كما يسميه فيلو (معطينا الشريعة) . وعلى الإجمال يكون موسى هو معطينا الشريعة . ويظهر من عدة فقرات في مخطوطات البحر الميت أن موسى كان في أعلى مكان من القداسة والاحترام

لدى المهديين . وكذلك أكثر يوسيفوس وفيلو من الكلام عن الوكيل
أو المسؤول الذي يقبض الاجور من الأعضاء ويقوم بتدبير أملاك الجماعة
وبشراء جميع المواد الضرورية ، كما يظهر ذلك واضحا من كتاب النظام ومن
وثيقة دمشق .

كان يسبق إدخال الأفراد في العهد لدى كل من الأسينيين والمهديين فترة
مراقبة ، على ثلاث درجات قبل أن يقبل الطالب في عداد الأسينيين .
ويتبين من كتاب النظام مثل هذه المراقبة بالنسبة لمن يود الانخراط في
سلك المهديين تقتصر على سنتين . ويرى براونلي أن آخر سنتين من السنوات
الثلاث يصرفها لأسينيون في داخل الأخوية ويقول ان مثل هذه الاختلافات
يمكن أن تعزى الى مرور الزمن ، كما يمكن أن نرى تشابها أكثر خلال
التجديدات التي تجري على أولئك الذين يكونون تحت المراقبة في التعليمات
التي تعطى لهم وفي الامتحانات التي يجب أن ينجحوا فيها قبل قبولهم في
العضوية ، فكان الأسينيون يتطلبون أن يؤدي العضو قسما رهيبا يعد فيه
بالتقوى والعدل ومساعدة الحق والطاعة والاخلاص لذوي الأمر والحفاظة
على تنفيذ الاوامر ومحبة الحق وخاصة الكذب والابتعاد عن كل كسب
غير حلال والصراحة في الارتباط بالأعضاء الآخرين وحفظ اسرار عقيدة
شيعتهم وحفظ كتبها وأسماء الملائكة .

يوجد صومر كثيرا من هذه التعابير واردة في كتاب النظام . ويذهب الى
أبعد من ذلك حتى يقول أن قسم التثنية أو التكريس المذكور فيه يشير الى
أكثر من رابط آخر شديد الوثوق بالأسينيين وهو الإخبار على كتم اسرار
الشيعية عن غير أبناءها ، وما هو صريح في هذا الصدد أنه كان يطلب من
الأسينيين العناية بحفظ اسرار كتبهم المقدسة . والدليل على ذلك اهتمامهم
بإخفاء مخطوطاتهم في كهوف قران .

(٢٧٣) يذكر يوسفوس أربع فرق من الأسينيين ويشرح صومر هذه الفرق فيعتبرها درجات مختلفة في العضوية. وهذه الدرجات الأربع هي تقديم الطلب من العضو الذي يريد الانضمام الى الجماعة في السنة الأولى ثم يتدرج الى السنة الثانية فإذا اجتازها دخل العضوية في السنة الثالثة. وبعد المراقبة خلال هذه السنين يسمح للعضو باجتياز المرحلة الرابعة.

وفي كتاب النظام وفي وثيقة دمشق تظهر قسمة اليهود القدماء الشعب الى ألوف ومئات وخمسينات وعشرات. ولم يتضح من أعمال هذه التقسيمات غير الاجتماع السنوي لتجديد العهد وكان هذا التقسيم واضحاً في الامور العسكرية. أما مخطوطة الحرب فتذكر التنظيمات على أساس القبائل والعشائر في أيام العهد القديم. وتتطلب التعليمات الواردة في كتاب النظام وفي وثيقة دمشق وجود كاهن بين كل مجموعة من عشرة، يشرف على دراسة الشريعة وإقامة الطقوس.

يخبرنا فيلوان الأسينيين عندما يجتمعون كانوا يجلسون في صفوف حسب السن وعلى الأعضاء الصغار أن يصغوا باهتمام إلى أقوال كبارهم. ولقد حوفظ على نظام الجلوس في اجتماعات القمرانيين بموجب كتاب النظام، ولا سيما حفظ الدور بدقة في الكلام. ويخبرنا يوسفوس مثل هذا بقوله عندما يجتمع عشرة من الأسينيين لا يستطيع أي عضو أن يتكلم دون إذن من التسعة الآخرين. وأهم ما اتفق عليه في آداب الأسينيين وأصحاب كتاب النظام هو تحريم الضجة في وسط الاجتماع.

أوضح ملامح الحياة الاجتماعية لدى كل من الأسينيين والقمرانيين (كانت الوجبة العامة). وفي أخبار وجبات الطعام العامة هذه يذكر يوسفوس كثيراً من التفاصيل لم يذكرها كتاب النظام ولا العمودان الموجودان في المتحف الفلسطيني. وعند كل من الطائفتين يجب أن يتلو الكاهن دعاء قبل تناول وجبة الطعام وفي نهاية الوجبة كانت تبحث المسائل العامة كإدخال الافراد

في الجماعة . وهنالك تشابه أكيد بين العقوبات المنصوص عليها في أغلب البنود المختلفة . وكان نظام الأسينيين يوجب على الاعضاء المشكوك فيهم أو المطرودين أن يجرموا من الطعام حتى الموت أو أن يصلبوا حتى يموتوا . ويظهر أن القمرانيين زاولوا هذه الاعمال الصارمة أيضاً .

(٢٧٤) كانت دراسة الشريعة وتفسيرها رابطة رئيسية مشتركة بين الطائفتين ، فعلى كل افرادها أن يدرسوا الشريعة في جماعات و فرق فيتولى أحد الاعضاء القراءة بينما يستمع الباقيون ، فإذا اعترضهم أمر غامض أو مجازي يقوم بشرحه أكثر الرجال معرفة . ويقول يوسفوس ان بعض الأسينيين يمكنهم أن يتنبأوا عن المستقبل من قراءة الكتب المقدسة وذلك بالاعتماد على تفسيرات التوراة ، مثال ذلك ما ورد في شرح حبقوق وفي جذاذات الشروح وتفسير مماثلة وضعت على أسفار العهد القديم التي وجدت في كهوف قمران . ونحن نذكر أن شرح حبقوق يقول ان معلم الحق أعطي بصيرة تفوق بصيرة الانبياء أنفسهم .

وفي العقائد أيضاً توجد اتصالات بين الأسينيين والقمرانيين ، فكلاهما يؤمن بقوة أن الله يهيمن على كل المخلوقات . وهذا بالنسبة للقمرانيين مذكور في مزامير الشكران وفي المزمور الذي ورد في ختام كتاب النظام وعندما يصف يوسفوس الطوائف اليهودية كمدارس فلسفية تؤمن بالقضاء والقدر أكثر من إيمانها بالله ، يقارنها بالصفة الواضحة عند الأسينيين . ويضيف فيلو أن الأسينيين اعتبروا الله سبب الخير وليس سبب الشر^(١) . وقد سبق لنا أن لاحظنا فكرة جماعة الله وجماعة بلعام في كتاب النظام وأخبار الروحين (روح الخير وروح الشر) في الرجل والميل نحو الاعتقاد بالقضاء والقدر أو مذهب الجبر بين القمرانيين .

تختلف عقائد القمرانيين في الحياة القادمة كما درسناها في السابق كل الاختلاف عما وصف به يوسفوس الأسينيين وهو يقول بشأن العقيدة المفروضة

(١) انها تشبه عقيدة المعتزلة في الاسلام الذين يزعمون ان الله عن فعل الشر وانما فعل الشر متروك لمشيئة الفرد وتنزه الله عن الفحشاء .

عليهم ان الاجسام تفتى وأن للمادة التي عملت منها ليست خالدة ، لكن النفوس هي الخالدة والتي تعيش إلى الأبد . وعندما تتحرر من ربقتها كأنها مربوطة بأجسادها وكأنها في سجن بقوة سحرية ، عندئذ تذهب الأجساد الى الفناء وتذهب الارواح الى الخلود . وهنا يتضح لنا أنها أفكار اغريقية وعقيدة غنوصية (ف ٢٥٢) لم ترد في مخطوطات البحر الميت .

(٢٧٥) يصف هبوليتس Hippolytus عقيدة الأسينيين في الحياة القادمة بما يشبه اعتقاد القمرانيين وباقي الطوائف اليهودية على وجه الاجمال وهو يقارن أفكار الأسينيين بشأن موضع نفوس الموتى في العقيدة اليونانية التي تقول ان هناك جزراً للاتقياء تبقى الأرواح فيها حتى يوم القيامة ويجب أن نكون حذرين من هذا القول لأنه يؤثر على مقارنتنا بين الأسينيين والقمرانيين ولا نستطيع أن نعرف كيف وصلت إلينا عقيدة الأسينيين التي لا تزال معلوماتنا عنها ناقصة والقليل منها يمكن الاعتماد عليه ، من ذلك أن المخطوطات التي بين أيدينا هي التي كتبها وقرأها القمرانيون . أما عن الأسينيين فليس لدينا إلا ما جاء في كتابات الاغراب عنهم بلغة مختلفة ومن أناس لم يعرفوا عنهم شيئاً ، وقد اعتمدت أوجه الاتفاق على هذه الروايات بينما اعتمدت أوجه الاختلاف على تفسيرات مختلفة ومتنوعة . وفي نفس الوقت لسنا متأكدين من استنتاجاتنا كما يجب فيما لو تيسرت لنا البراهين الماثلة للمقابلة بين الجماعتين . ولو كان الأسينيون والقمرانيون طائفة واحدة لما احتجنا الى البرهنة على ذلك ، لكن ذلك هو الشيء الذي نحاول أن نوجده أو أن نكشفه .

في أمور العبادة لا يظهر التشابه بين القمرانيين والأسينيين كما يظهر في القضايا الأخرى ، فبالنسبة للضحايا من الحيوان وللصلاة في الهيكل يوجد فرق واضح ، فالأسينيون لم يوجبوا تقديم القرابين في الهيكل بل قاموا بأعمال التضحية على طريقته الخاصة عندما طردوا من الهيكل . ويقول فيلوانهم لم يزاووا تقديم الذبائح الحيوانية ولكنهم طهروا أدمغتهم ونظفوا أفكارهم .

وهنا تلفت أنظارنا عبارة جاءت في ختام كتاب النظام هي (تقديم الشفاه)
وعندما تذكر وثيقة دمشق عدد الضحايا تدلنا على ان التضحية كانت تمارس .
لقد تشدد الأسينيون والقمرانيون في أداء الصلوات الجامعة والفردية
وتدلنا مصادرنا على الواجبات التي يقوم بها الأسينيون كل يوم من صلاة وعمل
 واجتماع للعبادة والأكل والدرس . ولم تذكر وثيقة دمشق وكتاب النظام
تفاصيل عن أعمالهم ولكن هناك مواضيع متفرقة تذكر تفاصيل الحياة
الرتبية للأسينيين ، كصلاة الفجر قبل شروق الشمس وصلاة الليل ، مع عدم
وجود أي علاقة بين صلاة الفجر وعبادة الشمس التي يشير إليها يوسفوس
ولقد تشدد الأسينيون في الوضوء والصلاة بالماء الطاهر للذين بلغوا سن الرشد
فأصبحت العبادة واجبة عليهم وهم قادرون عليها . ولسنا نرى في هذا العمل
اختلافاً بين الأسينيين والقمرانيين . ومن المستحيل الحصول على التكفير من
الذنوب بمجرد التطهير بالماء ، بعكس المعروف عن قدرة العماد على التطهير ، مما
جعل الاسينيين فرقة معمدانية .

(٢٧٦) ينسب يوسفوس الى الاسينيين أنظمة شديدة بشأن طعامهم من
البساطة في الأكل وانتظام في طرق المعيشة حتى عاش كثير منهم اكثر من
مئة سنة ، كما تحملوا اشد انواع الضيق والحرمان في حروبهم مع الرومان .
ولقد منعهم دينهم ان يتناولوا اي طعام محرم مهما جاعوا وليس في مخطوطات
البحر الميت ما يشير الى شيء غير عادي بشأن الطعام الذي يأكلون . وكانت
الطائفتان تحافظان على الأيام المقدسة محافظة تامة . اما الفرائض الخصوصية
 فلم تكن واحدة لدى الجماعتين ولقد كثر اهتمام الاسينيين بحفظ السبت
وتقديسه وهو امر لم يظهر في مخطوطات البحر الميت بينما يشير براونلي الى
فقرة في وثيقة دمشق تفيد ان القمرانيين تشددوا في حفظ السبت وامتنعوا عن
اي عمل فيه .

يشرح كتاب النظام شرحاً وافياً الاحتفال السنوي بتحديد العهد ولم
يقدر القمرانيون سوى يوم السبت من أيام السنة . وتشير الأنسة جوبرت التي

درست التكوين عند القمريين الى مشابهة بينه وبين تقويم السامريين، كما تشير الى ان ابيفانوس عامل الاسينيين كطائفة سامرية . ويرى سكوب ان عبارة ابناء صادوق في الوثائق لاتعود فقط الى الكهنة وانما كانت تستعمل كعلامة شرف لكل اعضاء الجماعة . يؤيد هذا الرأي ماجاء في وثيقة دمشق (الكهنة سبي اسرائيل الذين خرجوا من أرض يهوذا . واللاويون الذين انضموا اليهم . وأبناء صادوق هم المختارون من اسرائيل كما عرفوا بهذا الاسم والذين يبقون الى يوم الدين) . حتى اصبح عددهم قليلا جداً في أيام فيلو ويوسيفوس مما ادى الى نقص في خدمة الجماعة وفي تقديم الضحايا وعند الاجتماع للطعام العام وقراءة الكتب المقدسة .

(٢٧٧) لقد لفت الانظار اكثر من عالم الى حقيقة انه لم يرد شيء عن معلم الحق ولا عن العهد الجديد في وصف حياة الاسينيين . وفي الحقيقة لم يصلنا شيء عن فكرة العهد لدى الاسينيين . ويمكن ان يعزى ذلك الى ان ماكتبه فيلو ويوسيفوس من العبارات والافكار اليهودية قد وجه الى القراء من غير اليهود . وبالتالي ادى ذلك الى اختصار كل ما يتعلق بالديانة اليهودية والتقليل من شأنها في الوقت الذي بذل اهتمام عظيم في توضيح وابرار التفكير في كتب اليونان والرومان . وهنا تظهر الفروق بين هذه الشيع أكثر من ظهورها في ميدان العادات الاجتماعية والزمنية . يذكر فيلو أن الاسينيين كانوا يهتمون بالأخلاق أكثر من اهتمامهم بالمنطق والأفكار الخيالية وانهم كرسوا أنفسهم الى الفلسفة الأدبية التي يجدونها في شرائعهم السماوية ويزاولونها في مساكنهم . ويلاحظ القارئ أن فيلو اليوناني يكتب لليونان بألفاظ فلسفية يونانية ليصف ولاء الاسينيين لناموس موسى . فإذا فهمنا هذا يمكن أن نعلم على ما هو واضح في كتاب النظام ووثيقة دمشق عن مقاصد هذه الطائفة ومبناها .

يعترف كل من فيلو ويوسيفوس بالدرجة العليا التي وصل إليها الاسينيون

في الاخلاص لمقدساتهم وشدة تمسكهم بعبادتهم وكبح جماح شهواتهم الجسدية . وفي كتاب النظام الشيء الكثير من التشدد في ضبط النفس والسلوك الصحيح . ولقد مارس كل من القمرانيين والأسينيين فضائل التواضع والصبر والبساطة والطاعة والطهارة والانسانية .

يذكر يوسفوس شدة العلاقة بين كل أسيني وآخر . كما يتكلم فيلو عن روحانيتهم العالية في المساواة والصداقة . وقد رافق روح الوحدة هذه بين أفراد هذه الفرق الدينية بغض شديد ونفرة لكل من ليس منهم . ولقد وصل الأمر بالأسيني إذا لامس أي انسان ليس من شيعته أن يسرع بغسل يديه . كما حثهم كتاب الحرب وأجبرهم على أن يحبوا كل أبناء النور ويبغضوا كل أبناء الظلام ، وهم يعنون بأبناء النور أولئك الذين دخلوا في عهدهم . ونشأ حبهم للمساواة عن بغضهم للعبودية المخالفة للطبيعة البشرية والمؤدية الى انتشار الظلم بينهم حتى اعتبروا الاحتفاظ بالخدم عملاً يؤدي الى الظلم . فأوجبوا على كل أسيني أن يخدم الأسيني الآخر ، دون اللجوء الى الخدم ، مع أن مخطوطات البحر الميت لم يرد فيها ما يشير الى الاستغناء عن الخدم ولا عن الامتناع عن الزواج باعتباره رباطاً يقيد فرداً بآخر .

(٢٧٨) وهنالك تشابه عام بين حياة الأسينيين والقمرانيين الاقتصادية كما ظهرت في مخطوطات البحر الميت ومما كتبه المؤرخان فيلو ويوسفوس ، فقد هاش كل من الأسينيين والقمرانيين على الفلاحة وابتعدوا عن التجارة التي تؤدي الى الطمع . ولقد كانت فلاحتهم من نوع فريد في أرض قران الصحراوية وإنما كانت تتمتع بالسلم والهدوء . وقد زاول القمرانيون اقتناء المواشي وتربية النحل وأنواع الحرف التي تحتاج إليها جماعتهم في حياتهم المحدودة . كذلك استطاع الأسينيون بهذه الطرق أن يوفر جميع حوائجهم ، فاعتبروا أغنياء في حين أنهم لم تكن لديهم كنوز الفضة والذهب ولم يكونوا يملكون الاراضي الواسعة . ولقد قام مقام ذلك اكتفاؤهم وقناعتهم بما هو لديهم .

ذكرنا أن كل ما يملكه القمرانيون كان مشتركاً للجميع كما يعترف المؤرخون بأن ثروة الأسينيين كانت للجميع وأنهم عاشوا بلا نقود ، بحيث لم يكن في إمكان الغني أن يتمتع بأكثر مما يتمتع به أي فرد من الجماعة مهما كان فقيراً . وربما وجد الغني والفقير قبل دخولهم العهد ولكن بعد ذلك لم يبق أغنياء أو فقراء فقد عمته المساواة في الاجور والملابس والطعام حتى كان يتمتع بهذه المساواة الشيوخ والمعزة كأنهم أعضاء عاملون في الجماعة . وإذا أخذوا اجوراً فإنهم يضعونها في الخزينة العامة . وتذكر وثيقة دمشق أن كل قمراني كان يجب أن يقدم جزءاً من أجره لوكيل الجماعة وعلى كل من يريد الانضمام الى الجماعة أن يبيع ممتلكاته ويحول ثمنها الى الوكيل ، ويذكر كتاب النظام عن إحضار أحدهم ثروته الى الجماعة كما يقدم لها جهده ومعرفته أي أن يضع جميع إمكاناته لمصلحة الجماعة . ويقول ديفو أنه وجد مئات من النقود في خربة قمران ولكنه لم يجد شيئاً منها في الكهوف وهو يستنتج من ذلك أن الاموال كانت توضع في مركز الجماعة وليس في مساكن الافراد .

هذا التشابه بين طائفتي الأسينيين والقمرانيين يشجع العلماء على اعتبارهما طائفة واحدة بينما يحتفظ علماء آخرون بأدلتهم أنها كانتا طائفتين مختلفتين . يرى روبين أن كثيراً من العادات التي جاءت في مخطوطة دمشق تعكس صورة عن الأسينيين فإذا كانت أيضاً قرانية فإنها تكون طائفة قرانية هرمية . وربما كانت الاختلاف الملحوظ بين الطائفتين وليد الزمن أو شذوذ بعض أفراد منها .

وبما يشير الدهشة عن الملكية الجماعية هو ابتعادهم عن الزواج حتى قال بليني انهم عاشوا حياة تخلو من أية امرأة وابتعدوا عن كل اتصال جنسي ولكنهم كانوا يزدادون ، أو على الأقل يحافظون على عددهم بن ينضم إليهم من الذين هربوا من الدنيا المضطربة وانضموا إليهم تائبين ، يطلبون حياة أخرى . وكما يقول يوسفوس لقد حرم الأسينيون الزواج ولكنهم تبنوا الاطفال

ودربوهم على عقائدهم . ولقد نشأ مقتهم للزواج من عدم ثقتهم بالنساء وما يلازمهن من الصفات المنحطة كالأنانية والحسد والرياء . فهو يقول انهن عندما ينجبن الاطفال يتكبرن ويتواطأن ويتمردن . ويقول فيلو إذا ارتبط الرجل بالمرأة والاطفال فإنه لا يمكن أن يبقى حراً بل يجب أن يتحول الى عبد . وسواء أكان هذا هو رأي أغلبية الأسينيين أم لا فمن الثابت أن كثيرين لا يوافقون فيلو على رأيه هذا . وهنالك فرع من الأسينيين ، بالرغم عن اشتراكه في جميع المعتقدات الأسينية إلا أنهم اعتبروا عدم الزواج جريمة جزاؤها الاعدام . وحتى يتجنبوا الصفات الممقوتة في النساء حتموا وضع زوجاتهم تحت المراقبة ثلاث سنين يطلبون في نهايتها منهن أن يتطهرن ويلبسن ملابس الكتان كما يفعل الرجال . ولقد وجدنا في مصادرنا عن القمرانيين بعض الاختلاف بالنسبة للزواج ولم يشر كتاب النظام بالمرأة الى المرأة والأولاد لكن وجودهم في الجماعة ورد بوضوح في وثيقة دمشق وفي العمودين الموجودين في المتحف الفلسطيني . فإذا كان المهديون (القمرانيون) هم الأسينيين فلا بد أنهم كانوا من النوع الذي قال بالزواج .

هنالك اختلاف واضح بين الأسينيين والقمرانيين في نظرهم الى الحرب . فالأسينيون كما يصفهم فيلو ابتعدوا عن كل ما يدعو الى الحرب وقد جنحوا للسلم . وهذا الوصف يتفق مع ما جاء في تفسير حبقوق وكتاب النظام . أما ما جاء في كتاب الحرب وفي العمودين فيـبدل على أنهم مارسوا نوعاً من القتال المعنوي بين قوات الشر والخير ، بكفاح تجلى في المكابيين أو في الغلاة Zealots . وحقيقة الامر أن الأسينيين كما يصفهم يوسيفوس أبـدوا بطولة واضحة في الحرب مع الرومان ولكن غيره يقول ان الذين حاربوا الرومان لم يكونوا أسينيين بل كانوا سيكاري Sicari الذين قتلوا كل من لم يكن مختوناً لا يذكر الله ولا يعمل بالشريعة . فأولئك الذين قادوا الثورة المسلحة ضد روما هم الغلاة والسيكاري وليسوا الاسينيين .

(٢٧٩) لقد حرم الاسينيون اللجوء الى القسم ، باستثناء القسم عند

التكريس أي دخول العضو في الجماعة . وهذا يشابه ما تذكره وثيقة دمشق عن القمرانيين الذين يحرمون القسم سوى عند الدخول في العهد .

وهناك حقيقة تقول ان الاسينيين كانوا جماعة منظمة تقول ان عضويتها دائمة . في حين أن القمرانيين يوجبون تجديد العضوية للدلالة على الثبات في العهد ، ففي كتاب النظام وقت للاحتفال السنوي الذي يجري بتجديد العهد .

لا تظهر في مخطوطات البحر الميت أي معلومات عن عقيدة الاسينيين . ولكن يجب أن نذكر أن مخطوطات قران لا تمثل إلا جزءاً من مكتبة الجماعة . وقد تكشف مخطوطات أخرى فيها معلومات لم تخطر لنا الى الآن ولذلك فإن معلوماتنا عن الاسينيين مقتبسة مما كتبه المؤرخون المعاصرون لهم . أما معلوماتنا عن القمرانيين فإنها لا تزال ناقصة حتى اذا ورد شيء جديد من هذه المخطوطات وأظهرت الدراسات نوراً على تلك الجماعة عندئذ نستطيع أن نكشف وجوه الشبه أو التناقض بين الاسينيين والقمرانيين والى هذا الوقت نقول انها كانتا من الشيع اليهودية بينها كثير من التشابه وقليل من الاختلاف بسبب اختلاف ظروف الزمان والمكان . ويعتبر ماركوس وثيقة دمشق أحسن مصدر عن الفريسيين الذين لا يبعد أن يكون القمرانيون والاسينيون فرعاً منهم . كما يذكر جنسبرغ أنه كان من الفريسيين محافظون وأحرار وأن الاسينيين يشكلون الجناح اليساري الثالث من الفريسيين .

وهكذا أصبح لدينا تصنيف جديد لأحزاب اليهود في فلسطين خلال القرن الاول الميلادي ، فعلى اليمين المتطرفون الصدوقيون وعلى اليسار الغلاة وبين الطرفين كان ثلاث مجموعات من الفريسيين منهم الاسينيون والقمرانيون .

وهكذا يمكن تصنيف هذه الأبحاث بان الاسينية التي وصفها كتابات القدماء بوضوح هي ليست القمرانية التي كتبت مخطوطات البحر الميت ولكن بينها تشابه عام ليس في حقيقته تطابقاً تاماً .

وهناك بعض التحديدات عن القمرانيين يذكرها يوسفوس من ذلك «صادوق الفريسي» الذي كان يصاحب يهوذا الجليلي في الثورة على الرومان سنة ٦ م وقد اوجد الفلسفة الرابعة لدى اليهود وبالرغم من بغضهم للفريسيين فقد اضطروا للتقارب معهم حباً في الحرية وسعيًا وراء التخلص من اي حاكم بشري وفضلوا الموت على الاعتراف باي رجل يحكمهم، ويعتقد كثير من العلماء أن يهوذا الجليلي هو منشئ فرقة الغلاة الذين يقول يوسفوس بانهم حاربوا روما بعد ستين سنة. ولا ننسى أن أحد المؤرخين ربط بين الاسينيين والسيكاري. ولكن هذا لا يحجب الحقيقة القائمة على أن هناك اتصالاً بين القمرانيين وبين اتباع يهوذا وصادوق. ومن المؤكد ان بعض الجماعة انضموا الى الغلاة في آخر مراحل التدهور وقبل خراب الهيكل. ومن الثابت ان جماعة مخطوطات البحر الميت كانوا أقدم من الحركة التي تزعمها يهوذا وصادوق.

القمرقزاني

(٢٨٠) يذكر (ظهرت تعاليم طائفة تعرف بالمغاثريين وقد عرفوا بهذا الاسم لان كتبهم وجدت في المغائر) ثم يتبعها بمقالة اخرى عن المسيح مما يدل على ان المغاثريين ظهروا قبل نشوء المسيحية. ويرى ديفو وبارثلي ان المغاثريين لا يبعد ان يكونوا جماعة قمران، كما يقول كهيل ان المغاثريين كانوا اسينيين ولم يعرفوا بالمغاثريين الا مؤخراً عندما كشفت كتبهم في المغائر. وبناء على هذا لا يبعد ان يكون القمرانيون والاسينيون والصدوقيون والصادوقيون والغلاة والمغاثريون طائفة واحدة، بدليل وجود التشابه بين الصفات التي ذكرها المؤرخون القدماء. وبينما عرف من وثيقة دمشق ومخطوطات البحر الميت وجود فوارق طفيفة اقتضتها كما قلنا تغييرات الزمن وتأثيرات المكان، مع ان تبجر بصر بشدة على ان جماعة مخطوطات

البحر الميت كانت أقدم طائفة يهودية تنصرت وعرفت باسم الابيونيين Ebionites (ف ١٢١) وهي نظرية بالرغم عما بذله في البرهنة عليها لا يمكن الدفاع عنها لاسباب كثيرة ، منها التدرج التاريخي فهو يقول بان نصوصهم ومؤلفاتهم وتنظيماتهم تمت بعد سنة ٧٠ ميلادية اي بعد خراب الهيكل . ولما اثبتت الحفريات الأثرية ان سنة ٧٠ هي آخر تاريخ نسخت فيه احدث المخطوطات كما يضطرنا علم الخط لان نرجع اقدم المخطوطات الى زمن اقدم من سنة ٧٠ م . وهذا لا يعني انه لم تكن هناك مشابهاة بين القمرانيين والابيونيين ، فقد ظهر التقارب بين نصوص قران وبين الوثائق المسيحية الاولى المعروفة بكتابات كليمنت^(١) المنحولة التي يظن انها مأخوذة من اصل ابيني ، ومع وجود الاختلافات في عدد من الامور فقد وجد في هاتين المجموعتين من النصوص تشابه تام في العقيدة والعبادة وطرق المعيشة . وهذا لا يحتم وجود اتصال مباشر بين الابيونيين والقمرانيين انما يمكن ان يكون التشابه موجوداً عند اغلبتهم وليس عند جميع الافراد . ووضح فرق هو ان الاسينيين خرجوا من الهيكل ولم يتقيدوا بتقديم العبادات والذبائح فيه ، كما انتقدوا كثيراً من نصوص التوراة كرهاً في الكهنة الذين اضطهدهم واجبروهم على الخروج الى البرية . بينما كان الابيونيون يمثلون بوضوح مظاهر المسيحية الاولى التي اشتقت في اصلها من اليهودية . وفي الوقت الذي تحطمت فيه جماعة قران خلال الهجوم الروماني سنة ٦٦ - ٧٠ م اضطر اليهود المنتصرون لترك اورشليم وعبر نهر الاردن ولا يبعد ان بقايا القمرانيين انضموا الى هؤلاء المهاجرين فتلاشت بينها اوجه الاختلاف وظهروا كأنهم طائفة واحدة .

(٢٨١) لم يرد في مخطوطات البحر الميت ذكر لطائفة القرائين (ف ٥١) . ولذلك يكاد يكون من المتفق عليه ان حركة القرائين نشأت في اول العصور الوسطى في شرقي الامبراطورية العربية ولقد رفضوا تفسيرات احبار اليهود على الكتاب المقدس ولقد ظهر لبعض العلماء تقارب بين عبادات القرائين وعقائدهم وبين

(١) كليمانس : عالم يوناني اعتنق المسيحية ودافع عنها في الاسكندرية ١٧٠ - ٢٢٠ م ومات في سبيلها بسبب دفاعه عنها . ومع ذلك لم تدخل كتاباته ضمن الأسفار السبعة والعشرين التي قبلها جميع الطوائف المسيحية .

تلك التي ظهرت في مخطوطة دمشق ومخطوطات البحر الميت التي كتبت قبلهم بزمان طويل . ومن المحتمل ان تكون مخطوطة دمشق التي كتبت في القرون الوسطى ووجدت في جنيزة مصر القديمة مما كتبه قراءون في كنيس مجاور . ويرى كهيل ان بنيامين النهاوندي الزعيم القرائي الفارسي في القرن التاسع الميلادي كان مطلعاً على كتب المغائريين التي وجدت في كهف قرب أريحا وانها استفزت لتطور مذهب القرائين على اسس جديدة . وهو يعتقد ان وثيقة دمشق التي وجدت في جنيزة مصر العميقة كانت منقولة عن مخطوطات سبقتها ثم وضعت في الكهف الذي كشفت فيه حوالي سنة ٨٠٠ ميلادي . وبدلاً من ان تكون وثيقة دمشق كتبت بتأثير القرائين الذين تأثروا بالوثيقة الدمشقية والمخطوطات الأخرى التي وجدت في الكهف قرب أريحا لا سيما عندما نشب عداوة في القرنين التاسع والعاشر بين القرائين والربانيين (ف ٥٠) . ولقد عادى الربانيون والقراءون شريعة التلمود واستبدلوها بعبادات مستمدة من كتاب الصادوقيين . واذا صح فان التشابه بين مخطوطات البحر الميت وبين كتابات القرائين في القرون الوسطى يعزى الى تأثير المخطوطات التي وجدت قرب أريحا في اوائل القرن التاسع (ص ٩٧) ولا يجوز تجاهل بعض الارتباط بين القرائين والقمرانيين بناء على التشابه بين وثيقة دمشق ومخطوطات قران .

(٢٨٢) ولتلخيص نتيجة هذه الابحاث في تعريف القمرانيين يجب علينا قبل كل شيء ان نراعي الزمن لوضع تاريخ للوثائق . ومن الواضح ان شيعة معلم الحق واتباعه كانت احدى الفرق التي نشأت في الديانة اليهودية خلال الفترة التي سبقت المكابي والحشموني ويمكن ان تدخل ضمن تسمية «الحسيد» ولكن هذا لا يعين طائفة خاصة . فاذا كانت هذه التسمية معروفة في الخارج حق لنا ان ندعو طائفة القمرانيين بالاسينيين . ولكن من الافضل ان نحفظ باسم اسينيين لمن وصفهم كتاب الرومان مثل فيلو ويوسيفوس وان نحفظ باسم جماعة قران للذين وصفتهم مخطوطات البحر الميت الى ان تقوم بينات اخرى تؤيد التشابه وتوحيد التسمية بين الطائفتين .

الفصل الخامس عشر

المقارنة بينها وبين التوراة الحالية

(٢٨٣) ان لم نعرض ما تقدمه مخطوطات البحر الميت للدراسة العلمية والدين فان تقديرنا لتلك الوثائق يكون ناقصاً . ولما كان معظم تلك الوثائق أجزاء من كتب التوراة عندما كانت أقدم بكثير من اي مخطوط عبري وصل الينا من العهد القديم فان اهم سؤال يتبادر الى الازهان هو : ما هي الفائدة التي تقدمها هذه المخطوطات الى نقد النصوص في العهد القديم . ومهمة النقد هذه هي اكتشاف الخطأ في النص الذي وصل الينا وبالتالي اعادة ما كتبه المؤلفون قدر المستطاع . ان الوسائل المتيسرة لتحقيق ذلك حتى الآن ذات انواع ثلاثة . واولها واهمها هو المقارنة بين المخطوطات المختلفة .

ولكن هذا ليس بالمستطاع بالنسبة للعهد القديم بقدر ما هو ممكن في العهد الجديد . فلدينا كثير من المخطوطات للاخير وهي تختلف اختلافاً واسماً في اللفظ في مواضع كثيرة . لذا كان من الممكن اجراء المقارنة بينها وترتيبها في فصول حسب توافقها وافتراقها . وهكذا يمكن انشاء شجرة نسب للنسخ المتفرعة للنص . وبالاخذار من الفروع الى أسفل نحو الجذوع تأتي الى أقدم النصوص التي تمثلها المخطوطات الموجودة لدينا .

أما في العهد القديم فان هذا ينطبق الى درجة محدودة . والسبب في ذلك يعود الى أنه منذ أكثر من الف سنة كان اليهود ينسخون النصوص بدقة تامة

ويصححونها بعناية فائقة حسب النص الرسمي أو المسور . ومن ثم فإن المخطوطات القديمة البالية كانت تهمل أو تلقى في جنيزة . وكانت النتيجة أنه لم يصل إلينا مخطوطات عبرية للعهد القديم ، أقدم من القرن التاسع بعد الميلاد . وكل المخطوطات الموجودة تتفق تقريباً اللهم الا في بعض التفاصيل الضئيلة . ولهذا فإن العلماء لا بد وأن يعتمدوا الى حد كبير على الوسيلة الثانية المتيسرة ، وهي إعادة بناء شكل أقدم من النص الحالي . وهذا معناه إجراء مقارنة بين مخطوطات العهد القديم التي أعيد نقلها الى اللسان العبري عن الترجمة اليونانية والآرامية السريانية واللاتينية ، وبين مخطوطات عبرية أقدم بكثير من أي نسخ وصلت إلينا . وذلك لأنها كتبت ما بين القرن الثالث قبل الميلاد والخامس بعد الميلاد . وعلى كل حال يجب أن نذكر أنه ليس من السهل دائماً التأكد من الكلمات العبرية التي تمثلها عبارة في الترجمة قد لا تطابق المقصود بها أصلاً . وفي نفس الوقت فهي تعطينا وسيلة ثمينة لتدقيق النص العبري التقليدي وتصحيح أخطائه .

والطريقة الثالثة لاستعادة النص الأصلي يجب تناوّلها بحذر أكثر وكأخر وسيلة يلجأ إليها . وهذه الوسيلة هي الاجتهاد في التصحيح المبني على معرفة اللغة معرفة تامة . ويجري بمقارنة فقرة بما يماثلها من التوراة أو من نص قديم من غير التوراة . وأحياناً تؤدي المقارنة الى مجموع كلمات لا معنى لها . فإذا أجربنا عليها تغييراً بسيطاً بحرف أو أكثر توصلنا الى معنى يتفق مع القرينة . ونخشى أن تغري هذه الطريقة بعض الباحثين ، فيقوم بتغييرات واجتهادات لا مبرر لها . ولذلك يشترط في المجتهدين أن يجمعوا بين اصالة الرأي والتحفّظ والعلم الواسع باستمرار اللغة مع البصيرة المتوقّدة .

ففي مثل هذا الحال يكون اكتشاف مخطوط للتوراة أقدم بقرون من المخطوطات الرسمية من القرون الوسطى للعهد القديم - حدثاً ذا أهمية بالغة لنقد النصوص . يحملنا على أن نقدر قيمة مخطوطات البحر الميت تقديرأ كبيراً .

في أشعيا :

(٢٨٤) ان مخطوط أشعيا هو المخطوط الوحيد الذي يحتوي على سفر كامل من التوراة . وباستثناء بعض الجذاذات الصغيرة فإنه أقدم من أي مخطوط وجد في المغاور . ولذلك فإننا سنبدأ بالتأمل في أهمية هذا المخطوط من حيث استعادة النص العبري الصحيح لسفر أشعيا .

ان عمر المخطوط طبعاً ليس هو الذي يعطيه قيمته ، فان نسخة كتبت في القرن التاسع أو العاشر بعد الميلاد قد تكون أفعال في إيضاح النص الاصيل من مخطوط كتب في القرن الاول أو الثاني قبل الميلاد . وفي الحقيقة إن مخطوط سفر أشعيا أقل قيمة في كثير من النواحي من مخطوطات العصور الوسطى . ولكن هذا على كل حال لا يقلل من أهمية هذا المخطوط القديم .

وان كثيراً من الاختلافات بين مخطوط أشعيا وبين النص المسور يمكن تفسيرها بأنها أخطاء في النسخ . فضلاً عن هذا فهناك اتفاق ظاهر مع النص الذي وجد في مخطوطات القرون الوسطى . ان مثل هذه الموافقة في مخطوط قديم كثيراً ما تعطي بيئة مطمئنة على الدقة العامة في النص القديم . وما يدلنا عليه هو أن أية تغييرات رئيسية جاءت في نقل النص قد حصلت قبل بدء الفترة المسيحية ، وبعبارة أخرى كان قد تم وضع النص الرسمي قبل قرنين أو ثلاثة من وضع المسورين لنصهم الاصيل . وكما قال هبل ان الفروق البارزة في التهجئة والصيغ النحوية بين مخطوط السريان والنص المسور تجعل اتفاقها من ناحية موضوعية في الكلمات واضحاً قوياً . فإذا فكرنا كيف كانت المخطوطات القديمة للعهد الجديد تتباين وكيف تختلف النسخ اليونانية بشكل أساسي عن النص العبري التقليدي ، وكَم من الزمن مرّ بين مخطوطات البحر الميت وبين أقدم مخطوطات القرون الوسطى ، فمن المتوقع حصول اختلاف أكبر في القراءة المتنوعة . وانه إن دواعي الدهشة أنه لم يجر الا تغيير طفيف على النص خلال ما يقرب من ألف سنة . وهنا تظهر أهميتها الرئيسية لتأكيد اخلاص وصدق التقاليد المسوريين .

انتقد كهيل هذه الميزة انتقاداً جاداً ، فهو يعتقد أن أهمية المخطوطات تنحصر في أنها تحتوي على عدد كبير من القراءات المتنوعة لا توجد في المخطوطات العبرية للعهد القديم . ولهذا فإن المخطوط يرينا لأول وهلة كيف كانت المخطوطات العبرية للتوراة قبل أن تصاغ بشكل رسمي . غير أنني لا أزال أشعر أن اتفاقها مع النص المسور هو أبرز ملامح أهميتها . وبعد هذا فإني أوافق على أن المغايرات تأتي في الدرجة الثانية في الإهمية .

ويمكن الحصول على فكرة لهذه القراءات المتنوعة بالإشارة الى ما ورد عنها في النسخة النموذجية المنقحة للعهد القديم . وعندما اجتمع قسم العهد القديم من لجنة مراجعة التوراة الرسمية في ورنفيلد بولاية ماسا شوست في صيف سنة ١٩٤٨ أبدى رجل كان يقيم في نفس الفندق ملاحظة قائلا : عليكم أن تعيدوا النظر في ترجمتكم للسفر ثانية . فاخذت هذه الحجة الجديرة بالاعتبار . وكنت حينئذ عائداً من فلسطين وعملت في طريقي الى الوطن قائمة بالقراءات المتنوعة لمخطوط المطران . وقد جعلت اللجنة هذا أمامها وهي تراجع ترجمة السفر .

ومن ثم فقد اختيرت ثلاث عشرة قراءة يختلف فيها هذا المخطوط عن النص المعروف عن مخطوط المطران . وفي ثمانية اختلافات من الثلاثة عشر ، نرى أن قراءة المخطوط تدعمها النصوص القديمة . ولكي اجعل جوهر الموضوع واضحاً فإني أعود الى النسخ اليونانية والآرامية السريانية واللاتينية وأهمها النسخة اليونانية المعروفة بالترجمة السبعينية .

وفي ثلاث حالات لا تؤيد النسخة اليونانية النص المسور . وسأنتقل عن مخطوط المطران :

١ - الاصحاح ٦٠ : ١٩ (لا تكون لك بعد الشمس نوراً في النهار ولا القمر ينير لك في الليل) . فالنص التقليدي هنا يحذف كلمة الليل ، الا أنها موجودة في اليونانية واللاتينية القديمة والآرامية وكذلك في مخطوط المطران :

٢ - الاصحاح ٥١ : ١٩ اثنان هما ملاقياك

من يرثي لك ؟

الخراب والانسحاق والجوع والسيف

فمن يعزيك ؟

فالنص المسور في آخر سطر يقول : (كيف يمكنني ان اعزيك) اما النسخ اليونانية والسريانية واللاتينية فتتفق مع المخطوط .

٣ - الاصحاح ١٤ : ٤ (كيف باد الظالم . بادت الغطرسه الوقحة) فبدلاً من الغطرسه الوقحة يوجد في الترجمة السابقة « المدينة الذهبية » . وهذا ما هو إلا محاولة لاعطاء معنى لكلمة عبرية لا يعرف معناها الحقيقي ، ان كان لها معنى على الاطلاق . ان الكلمة التي تحمل محلها في مخطوط اشعيا تختلف عنها في أنها تحتوي حرف « ر » بدلاً من « د » ، وفي اشكال الهجاء العبري يبدو هذان الحرفان متشابهين كثيراً وغالباً ما يلتبس الامر . في هذه الحالة لا تحتوي النسخ اليونانية والسريانية واللاتينية على نفس القراءة تماماً ولكن فيها قراءات اخرى يبدو انها توافقها الى حد معين .

في فقرة واحدة فقط تنفق الترجمة السبعينية مع هذا المخطوط .

٤ - الاصحاح ٤٥ : ٢ انا أسير امامك والهضاب امهد .

النص التقليدي يقرأ (الاماكن الوعرة) (حرفياً الانتفاخات) بدلاً من الجبال والفرق في المعنى بسيط . والسؤال الوحيد هو أية قراءة هي القراءة الممكنة للنص الاصلي ؟

تتفق اليونانية مع النص المسور مرتين . كما تدعم هذه الترجمة مخطوط اشعيا في موضعين او ثلاثة .

٥ - الإصحاح ٥٦ : ١٢ هلموا - يقولون - دعونا نأخذ خمرأ، دعونا نغلا أنفسنا بالمشروب القوي .

النص التقليدي يقرأ (دعني آخذ خمرأ) ولكن صيغة الجمع تناسب القرينة أكثر . وفي هذه الحالة تتفق العبارة اللاتينية والآرامية والسريانية (ولكن ليس السبعينية) مع مخطوط المطران .

٦ - الإصحاح ٤٩ : ٢٤ (هل تسلبان الجبار غنيمة وهل يفلت المنصور) فالنص المسور يقرأ هنا « سي رجال الحق » مما لا يؤدي الى معنى معقول ، وقد حاولت التراجع الانكليزية السابقة أن تضع عبارة حرة هي « السي الشرعي » . في هذه الحالة يدعم المخطوط النسخ السريانية واللاتينية .
مرة واحدة فقط تتفق اللاتينية مع مخطوط المطران .

٧ - الإصحاح ١٤ : ٣٠ (ولكن أميت أهلك بالجوع، وسأذبح بقميتك) . النص التقليدي الذي هو (هو سيقنتل) لا يتفق مع القرينة . وتتلخص ترجمة الملك جيمس للتوراة والترجمة الاميركية بحراًة من الصعوبة بتغيير الفعل الى المجهول (سيقنتل) . ويبدو أن قراءة المخطوط هي الأفضل مع أنه لا يدعمها من بين النسخ القديمة سوى اللاتينية . ولكن كونها الأفضل لا يعني أنها هي الأصلية . ويدعي أورلنسكي أن المترجم اللاتيني هنا - وفي أمكنة أخرى - قد تصرف بحرية بالنص العبري .

٨ - الإصحاح ١٥ : ٩ لأن مياه ديبون تمتليء دماً .

لأنني اجعل على ديبون زوائد .

إن اسم المدينة في الحالتين في النص المسور ديمون . إلا انه لا توجد مدينة بهذا الاسم في أي مكان . أما ديبون فمعروفة جيداً في النص اللاتيني . وفي السريانية تقرأ ريبون بوضع « ر » بدل « د » وتبقى « ب » بدلاً من « م » ويتفق مخطوط إشعيا مع النص اللاتيني .

وعلى كل حال فإن اورلنسكي بالاتفاق مع الجغرافيين المعروفين ينكر أن هذا المكان هو ديبون . فإن مكانها مجهول مع انها قد تكون هي المدينة المدعوة مدمين في ارميا ٤٨ : ٢ وعلى أي حال فقد ذكرت ديبون في السطر الثاني من سفر اشعيا ١٥ . وربما قصد النبي أن يلعب على لفظة دم التي هي بالعبرية تعني الدم باستعمال كلمة (ديمون) . اذا كانت ديبون هي القراءة الأصلية وأنها غيرت الى ديمون فإن ذلك حدث مرتين . وقد اقتبس اورلنسكي في ملاحظته على اعتراضه السابق أن قراءات النسخة اللاتينية والخطوط ربما كانت مجرد تصحيحات مستقلة .

إن الاختلافات الخمسة التي بقيت من الثلاثة عشر اختلافاً في المخطوط التي اختيرت بالنسخة النموذجية المنقحة ليس لها ما يدعمها من النسخ القديمة .

٩ - الاصحاح ٣ : ٢٤ (فيكون عوض الطبيب عفونة)

(وعوض المنطقة حبل)

(وعوض الجدائل صلح)

(وعوض الديباج زنار من الخيش)

(وعوض الجمال عار)

آخر كلمة (عار) غير واردة في النص المسور. وفي النسخ الانكليزية القديمة (كتي) أي الحرق بدلاً من الجمال ، ولا ترد كلمة (الكي) في أي معان أخرى يمثل هذا المعنى . وانما ترد كمحرف عطف تعني لأجل أو كظرف يعني (على وجه التأكيد) فاذا استعملت لأي من المعنيين الآخرين (أي لأجل أو بالتأكيد) فإن العبارة (بدلاً من الجمال) تبقى ناقصة المعنى حتى تتمها كلمة عار الواردة في المخطوط .

١٠ - اشعيا ٢١ : ٨ (ثم صرخ الذي رأى : ايها السيد انا قائم على المرصد) .

في النص المسور هو الذي رأى (ثم صرخ كآسد) . اما نسخة الملك جيمس ففيها (وصاح اسد) وتقول النسخة الرسمية والنسخة الاميركية الرسمية (وصاح كالأسد) ومن الصعب أن نفهم لزوم الاسد هنا . ولكن الكلمة العبرية للاسد والذي رأى تظهران وتلفظان متشابهتين . ومن المحتمل وقوع الالتباس بينها .

١١ - أشعيا ٢٣ : ٢ (اهدأوا يا سكان الساحل)
 (يا تجار صيدا)
 (رسلكم عبروا فوق البحر)
 (وكانوا على مياه كثيرة)

اذا ترجم السطران الثاني والثالث حرفياً من هذه المقطوعة في النص المسور كان (تاجر من صيدا يمر فوق البحر . هم ملأوك) ان الكلمة العبرية التي تقابل (هم ملأوك) مناسبة كثيراً للكلمة التي في المخطوط السرياني والتي تعني (رسلكم) وهكذا يكون الاختيار بين القراءتين مسألة حكم موضوعي ليتناسب الواحد والآخر مع القرينة . ولكن القراءة في النص المسور أجبرت المترجمين ان يتصرفوا فيها بحرية اوسع .

١٢ - اشعيا ٣٣ : ٨ (نكث العمود)
 (واحتقر الشهود)

فبدلاً من (الشهود) في النص المسور (مدن) فأصبحت (وذل المدن) وهذه احدى الحالات لتكرار الالتباس بين حرفي (د) و (ر) .

١٣ - اشعيا ٤٥ : ٨ (اقطري ابتها السموات من فوق)
 (ولينزل الجـ و برا)
 (لتنتفح الارض فيثمر الخلاص)

وفي المخطوط (حتى يثمر الخلاص منها) وفي النص التقليدي (حق تجلبوا الخلاص) والفرق بين القراءتين ليس كبيراً . ويبقى أمر الاختيار بينها قضية تفضيل واحد على آخر .

لا يظن القارئ أن اختيار هذه القراءات الثلاث عشرة من قبل اللجنة التي وضعت النسخة الرسمية المنقحة ، تدل على أنها تفضل المخطوطة السريانية لسفر اشعيا على النص المسور . وبعد مناقشة جميع الاختلافات اتخذت القرار بالتصويت . ولكن دون ان تصل الى الاجماع ، لأن بعض أعضاء اللجنة حكوا بشكل مغاير في بعض الحالات . ولا بد من القول ان اختيار هذه القراءات يمثل رأي جماعة من العلماء من ذوي القيمة والنظر .

(٢٨٥) ان احد العلماء جعلها عشرة اختلافات - لا ثلاثة عشر - فضل اربعة منها على قراءة النص المسور ، ومن بين الستة الباقية اربعة لم تأخذ به اللجنة التنقيح ولكنها أدخلت اثنتين في الترجمة دون اي ملاحظة ، وقد يكون من المفيد أن نبين باختصار الحقائق الأساسية التي تتعلق بهاتين القراءتين . أما الأولى فلها أهمية كبيرة . ففي اشعيا ٧ : ١ يقول النص المسور (وجدت في أيام احاز بن يوثام بن عزيا ملك يهوذا ان رصين ملك ارام صعد مع فقح بن رمليا ملك اسرائيل الى اورشليم لمحاربتها فلم يقدر ان يحاربها) .

ونقرأ في النسخة الخامسة المنقحة الرسمية (الا انهم لم يستطيعوا ان يتغلبوا عليها) وهذه قراءة مخطوط المطران والترجمة السبعينية واللاتينية والترجمة السريانية تطابق النص المسور كما وردت في سفر الملوك الثاني ١٦ : ٥

الصيغة التي في النص المسور يمكن ان تفهم على انها مصدر اصطلح على استعماله ليناسب الرواية بدلاً من صيغة المفرد . وهذا هو السبب في ان النسخة الرسمية تعبر عنها بصيغة الجمع . ويقول اورلنسكي كما ورد في (صعد) وفي (صم) في السطر الخامس ، لان ملك آرام اتخذ زمام المبادرة في الموضوع كله ، وكان ملك اسرائيل مجرد تابع له . وقد يكون هذا صحيحاً ولكن صيغة المفرد للفعل (صم) و (صعد) لا تدل على ذلك وفي العبرية يستعمل الفعل المفرد لفاعل مجموع اذا كان الفعل يسبق الفاعل . والفرق بين القراءتين في هذه الحالة يكاد يكون ارفع من الشعرة .

(٢٨٦) المثال الآخر للتوافق بين المخطوط وبين النسخة الرسمية أفيد بكثير ، ففي اشعيا ٤٩ : ١٧ يقرأ النص المسور (بنوك) في حين تقرأ في مخطوط السريان (بناؤك) والقراءة الاخيرة تتناسب مع القرينة ولها ما يدعمها في النسخ الاخرى . ولذلك تفضل على غيرها . وفي جميع الحالات التي من هذا النوع نحصل على افضل المعاني باستعمال حروف علة او (حركات) دون تغيير في الحروف الصحيحة . ولم يأخذ العلماء اعضاء اللجنة بالقراءات الاربع المختلفة مع ان واحدة منها ترد في مناسبة باعتبار عال . وهناك قراءة اخرى يجوز ان تذكر لان عدة علماء اشاروا اليها باهتمام . ففي اشعيا ٢٠ : ١٢ نجد (من كال بكفه الماء) ولقد شعر بعض المفسرين أن تغييراً طفيفاً طرأ على كلمة (مياه) لتجعلها تعني (بحاراً) حتى تعطي معنى يتفق اكثر مع النص . ونلاحظ ان مخطوط المطران يقسم الكلمة الى كلمتين حتى يجعلها (مياه البحر) .

(٢٨٧) وبعض القراءات المختلفة في مخطوط المطران وجد ما يسندها من نوع آخر . وأنا مدين للسيد بتنر Buttner من جنوب افريقيا للمعلومات التي اوردها عن سفر اشعيا في الاصحاحين ٤٠ : ٧ - ٨ و ٦٤ : ١ وفيها تتفق قراءة المخطوط مع عبارات النصوص التي اقتبسها الاب جوستين^(١) الشهيد من رجال القرن الثاني . ولقد ابان ولشتين انه في انه ٤٠ : ١٠ و ٥٦ : ١ يتفق المخطوط مع عبارات اقتبسها الشاعر اليهودي القديم ياناي Yaunai ، وهناك عبارة مقتبسة من اشعيا ٥٢ : ٨ في كتاب صلاة اليهود

(١) القديس جوستين ، ولد في نابلس وتعلم الفلسفة وأكب على مطالعة الاسفار المقدسة ، ثم تنصر وتوجه الى روما وأنشأ فيها مدرسة تدافع عن المسيحيين المضطهدين ، وقد جادل كثيرين من فلاسفة عصره ، وكان يغلبهم بقوة حجته ، مما جعل روما على إلقاء القبض عليه وقطع رأسه سنة ١٨٨ م فوات شهيداً في سبيل عقيدته .

تتفق مع مخطوط السريان وتخالف النص المسور والترجمة السبعينية . وقد فضل احد العلماء بعض الاختلافات في المخطوط على قراءة النص المسور . ويقدم احدهم قائمة بستة عشر تعبيراً عبرياً في النص المسور من سفر اشعيا لم ترد في اي مكان آخر ، والتي يظن انها غير ضرورية وربما غير صحيحة . وهنالك نص مخالف ومع انه قليل الامة فإنه يلفت النظر من حيث انه يتفق جزئياً مع عبارة من النص في العهد الجديد .

ففي اشعيا ٧ : ١٤ يقرأ النص المسور (تدعو اسمه عمانوئيل) ، وباستعمال ذات الحروف الساكنة مع بعض حروف العلة (الحركات) يتغير المعنى الى (انت سوف تدعو) وهو مقتبس من انجيل متى في اليونانية ١ : ٢٣ (هم سيدعون) فيكون المعنى بدون فاعل ويعادل الجهول (اسمه سيدعى) وكذلك صيغة مخطوط المطران وردت دون ذكر الفاعل ولكن بصيغة المفرد (احدهم سيدعو) او (كما يمكن ان يشار) بصيغة الجهول (سيدعى) .

وقد أشرنا سابقاً الى التصحيح الذي أدخل على المخطوط في كثير من النقاط . اما فيما يختص بتاريخ النص فيستحق دراسة خاصة . ومن المهم انسجامه مع النص المسور ، ولكن سيبقى سؤالى التالى وارداً : كم من القراءات التي صححت كانت ناشئة عن مجرد أخطاء الناسخين ؟ وكم من مخالفات أصيلة غيرها المصحح لجعلها نصاً افضل ؟ النص المألوف للمخطوط عادة يكون اقل عرضة للتصحيح من النص الرسمي وكذلك يحتفظ بالقراءات القديمة التي ازيلت من النصوص الرسمية .

وفي بعض الامثلة حيث تساند النسخة القديمة لمخطوط اشعيا ، فان بارثلمي يقول ان قراءة المسور هي تعديل متقن لصالح جماعة معينة ومثل ذلك اشعيا ٤٩ : ٥ حيث يقرأ المخطوط (فينضم اليه اسرائيل) في حين يقرأ النص المسور (واسرائيل سوف لا تجمع) وفي العبرية تختلف تهجئة كلمتي (لا وله) ولكنها تتفقان في اللفظ . ويرى بارثلمي أن قراءة قد ادخلت معارضة للسمة الذين بدلوا كل ما هو اسرائيلي . ان قراءة « له » التي حافظت عليها

النسخ القديمة ومخطوط المطران أشار اليها المسورون على انها قراءة ثانوية تفسيرية ، وأثبتت في النسخة الانجليزية سنة ١٨٨١ والنسخة الاميركية سنة ١٩٠١ . وقد تكون قراءة (لا) في الاصل غلطة ارتكبتها ناسخ كان يكتب ما يلى عليه ولم يكن يعير المعنى أي انتباه .

(٢٨٨) من بين الاختلافات التي يرى بارثلمي انها قراءات قديمة حذفت عن قصد من النص الرسمي ، ما تشرح عقائد جماعة يهوذا التي تعتقد بالمسيح المنتظر . فاذا كانوا يحملون عقيدة مسيا فانها تعطي دليلاً قيمياً على معتقدات تلك الطائفة . ولا يزال لدينا سؤال يدور حول ما اذا كان الكتبة الرسميون قد غيروا النص ليتخلصوا مما اعتبروه مضامين معترضاً عليها ، او ان تغييراً كان قد قام به جماعة العهد بإدخال معتقداتهم في النص ، كما جرى في سفر حبقوق . ولا نستطيع أن نقف هنا لنبحث كلا من هذه الاختلافات غير انه باستطاعة من يقرأ الفقرات المعنية بدقة ان يجد ما تضمنته من تعاليم مسيا ، موضع تساؤل . وقد ناقشها علماء كثيرون . وفي اشعيا ٥٢ : ١٤ نقرأ في النص المسور ترجمة حرفية (كان منظره كذا مفسداً اكثر من الرجل) ، ولكن مخطوط المطران يقول (لقد دهنت بالزيت مظهره اكثر من الرجل) ويفسر بارثلمي هذه العبارة الغريبة بعبارة (لقد دهنته حتى أصبح مظهره يفوق مظهر الرجل) ويوافق اقدم على هذا التفسير ويشير الى ان صيغة (مفسد) المستعمل في النص المسور لا يرد في اي مكان آخر . ويقبل براونلي وجهة نظر بارثلمي في هذا المعنى ويدلل بشدة على تفسير الكلمة في المخطوط على انها (دهنت) وهذه بالتأكيد اوضح طريقة لفهما . وفكرة « دهن مظهر شخص » تبدو غير محتملة أصلاً حتى ولا للكاتبات الاسياني وبالنسبة لي فإني اعتبر حجة بارثلمي غير مقنعة ونظريته لا تساوي شيئاً لأنها تلفت الانتباه الى أن النص غير رسمي ، وقد تبين هنا وهناك مصالح خاصة واعتقادات الطائفة ومصالحها . ويمكننا أن نقول أكثر عن مخطوط المطران

ولكن قيمة الدلالة على أهميته أنه يؤكد قدم النص المسور وأصالته . وعند الاختلاف بينهما يفضل النص التقليدي . وفي عدد كبير من القراءات المتنوعة التي يدعم بعضها النصوص والشواهد القديمة الأخرى يكون المخطوط مفيداً جداً يشير الى قراءات اقدم وأقرب الى كلمة الكتاب الاصلية .

يحتوي مخطوط سكينك على جزأين من الفصول ١٠ - ٦٦ ، وقد ضاع كثير من الاسطر . وهناك كثير من الفراغات والنواقص في ما تبقى . وهذا المخطوط أقرب كثيراً الى النص المسور من مخطوط المطران وفيه كثير من المفارقات الطفيفة مع ما جاء في مخطوط المطران ومع الرواية القديمة . وقد وجدت قطع من مخطوطات اخرى من سفر اشعيا في الكهوف نشر بعضها مع كهف رقم ٤ . وهي تعاصر تفسير حبقوق ومخطوط سكينك وتتفق مع النص المسور ولا تتفق مع الترجمة السبعينية .

في حبقوق :

(٢٨٩) ولما كان تعليق حبقوق يقتبس أول فصلين من سفر حبقوق فله بعض الأهمية لنقد النصوص . وكثيراً ما يختلف عن النص المسور كما يختلف عن مخطوط المطران وفي بعض الاحيان يكون الفرق واضحاً نتيجة الاخطاء ارتكبت في النسخ . ففي عبارة حبقوق ٢ : ١٦ مثلاً أهمل حرف من الكلمة العبرية تعني (المجد) وهناك كثير من الاختلاف في التهجئة مثال ذلك كتابة عبارة (بالأذن) التي تبدو أن الاخطاء نتجت عن تشابه في شكل حرفين في النسخة الأصلية . وعدا عن مجرد الفروق في التهجئة يحيد بلويغ حوالي خمسين قراءة متباينة في التعليق ليس لمعظمها أهمية تذكر . وعندما نفتبس عن حبقوق ١ : ١١ نجد في التعليق (وهو فعل) بدلاً من (وكان مذنباً) . ولما كان التعليق التالي على العبارة يستعمل كلمة (مذنب) فإن بلويغ يظن أن هذه المغايرة عرضية . أما اللينجر Ellinger فيعتبر قراءة التعليق أسمى من النص المسور لأنها تعطي المعنى . وأعتقد أنه على حق في (جعل قوته الهه) في حين نجد النص المسور غامضاً . ولقد رأى العلماء سابقاً تصحيح الكلمة العبرية التي تكاد تكون ذات القراءة في التعليق .

(٢٩٠) في حبقوق ١ : ١٧ نقرأ النص المسور (شبكته) نجد في التعليق (سيفه) فيكون بدلاً من (يفرغ شبكته) حتى يصبح المعنى (يحمل سيفه) وقراءة سيفه تفترض أنها موجودة في التعليق الذي تلاه . ولها بعض الاثبات في النسخ القديمة . ويرى العلماء أنها تصحيح للنص . أما اللينجر فيرى أن الإشارة الى مذبحه عديدة الرحمة . وفي نهاية المقطوعة تأكيد لهذه القراءة . ويعزو بلوينغ بعض الفروق الهامة في تعليق حبقوق الى مجرد الفوضى والالتباس في عبارات مشابهة مثال ذلك ٢ : ٥ يقول النص المسور (الخمرة غدارة) ويؤكد توري Torrey أن القراءة الاصلية كانت (اليونان غدارون) وفي تعليق حبقوق قراءة ثالثة معناها (الثروة غدارة) . وقد تكون قراءة ثروة (مجرد غلطة في النسخ) . وعلى كل حال فان أي تغيير في المعنى له علاقة بازدياد القمرائين للثروة على اعتبار احساس الجماعة بأن الخمرة سيئة والثروة أسوأ . وكلا القراءتين تعبر عن الحقيقة . فالثروة والخمر كلاهما غادر وفي القديم كان الناس لا يثقون باليونانيين ولم يكن بعيداً عن زمن التعليق حين جعل الشاعر الروماني فيرجل البطل (لكأون) يقول لطروادة وهو يرمي بحربته الحصان الخشبي (انني أخشى اليونانيين حتى حين يجلبون الهدايا) ، وبالطبع فالذي كتبه حبقوق أو قاله موضوع آخر ولا يوجد سبب وجيه لافتراض أنها الثروة . وهناك تشابه بين الحرفين « ر » و « د » في قراءة تعليق حبقوق وهما كثيراً ما يلتبسان في المخطوطات العبرية .

في ٢ : ١٥ عبارة (يخلق على ولائهم) بدلاً من يخلق على عريهم . وهنا تفترض أن المغايرة في القراءة ناشئة عن الترجمة وربما كانت موجودة سابقاً في مخطوط حبقوق أو ربما كتب ذلك المخطوط في رقعة لا يتبين فيها الفرق بوضوح بين حرفي « ر » و « د » فجعل الكاتب يقرأ النص دون تمييز بين كلمتي ولائهم وعري . وقد يكون من المعقول أنه قام بالتغيير عن قصد ليؤدي المعنى الذي توخاه . وليس لدينا أي دليل على أن تكون كلمة عري قد تغيرت في قراءة المسور الى ولائهم .

وهناك مخالفات في التعليق تظهر بالنسبة للروايات القديمة ، مثال ذلك
 اضافة حرف (و) قبل العبادة (هو يحرم) في حبقوق ١ : ١٥ ليست ذات
 بال غير انها توافق مع الترجمة السبعينية وتخالف النص المسور في ١ . وفي
 ١ : ١٧ يبدأ النص المسور بأداة استفهام في حين أن الرواية لا تشير الى مثل
 هذا السؤال حتى صحح العلماء هذه العبارة بجملة خبرية مثبتة لا سيما عندما
 علموا أن تعليق حبقوق قد يحذف أداة الاستفهام وهناك اختلاف اقل اهمية
 مع النص التقليدي ، ففي حبقوق ٢ : ٦ مغايرة تدعم تصحيحاً بسيطاً لما في
 النسخ القديمة . ولقد ورد في النص المسور (اشرب ولا تنظر) ، بينما يقول
 التعليق (اشرب وترنج) ، فالفعلان يختلفان فقط في ترتيب حرفين ساكنين
 ويحتوي التعليق على كلمة من ذات الاختصاص (لا تنظر) مما يوحي انه في
 هذه الحالة بنى المعلق تفسيره على القراءة المسورة ، ويجوز لنا أن نفترض أن
 الناسخ ارتكب غلطة في هذا المخطوط أو في نسخة سابقة تمت بعد التعليق ،
 ولكن ملائمة المغايرة للنص وما يدعمها في النسخ تشير الى اساس معقول اكثر
 مما يرجع ان الخطأ نشأ عند النسخ . وفي الكلمات المألوفة من حبقوق ٢ : ٣
 (فان الرؤية ليست الالمعاد معين) يدعم التعليق النص المسور ضد التصحيح
 الذي يدعو اليه بعض العلماء الحديثين بشدة ، وتقرأ في النص الاصلي كلمة
 (شاهد) وعندئذ تكمل الجملة (فان الرؤية شاهد لمعاد معين) وعلى كل حال
 فان تعليق حبقوق يدعم قراءة المسور (الا) غير ان هذا لا يعني ان القراءة
 الاصلية لم تكن (شاهد) وانما تبرهن على ان الغلطة كانت قديمة .

من جميع الاقوال يستنتج بلوينج ان التعليق يمثل تقليداً مختلفاً تماماً عن
 أي شيء آخر يثبت بالنسخ أو النص المسور . وفيما عدا الاستثناءات التي
 اشرنا اليها فان النسخ تدعم النص المسور عندما يختلف التعليق عنها ويحفظ
 سفر اشعيا للتعليق شكلاً عاماً للنص . ويستنتج اللينجر بعد فحص وعناء
 للاختلافات أن التعليق ذو اهمية قليلة في استعادة النص الاصح . وعلى العموم

فهو يرى مقدار قدم النص المسور ويشق به وتبقى الصعوبات الرئيسية في نص حبقوق القائمة على فساد النص السابق لكتابة التعليق .

في الجذازات :

(٢٩١) أما بخصوص كتب التوراة الأخرى فقد وجد منها في سنة ١٩٤٧ جذازات لا تحصى ولا تعد في الكهوف من كل من اسفار العهد القديم . ويذكر كروس Cross أن الكميات الكبيرة من الجذازات التي وجدت في الكهوف التي تجول من المحتمل الحصول على مجموعة كاملة من اسفار العهد القديم . وبين الجذازات التي وجدت في الكهف الاول خلال الحفريات غير الشرعية سنة ١٩٤٨ إجزالة من سفر دانيال الذي انتقلت الكتابة في الفصل الثاني منه من العبرية الى الآرامية بسرعة ، وهذا التغير يظهر في المخطوط القديم كما يظهر في النص الرسمي . وكذلك وجدت في الكهف الاول جذازات من سفر اللاويين بالخط العبري القديم اعطينا شواهد على النص الاصيل لأي جزء من التوراة ، ولهذا فأهميتها كبيرة ولا سيما وانها تتفق تماماً مع النص المسور لسفر اللاويين .

ان اهم كمية من الجذازات الرائعة جاءتنا من الكهف الرابع ، وقد نشر احدهم جذازات من مخطوط سفر الجامعة الذي كان مكتوباً بالخط الجميل منذ حوالي ١٥٠ ق م . ويبدو انه يختلف عن النص المسور كاختلاف سفر المطران وهو الذي يعاصره على وجه التحديد، في حين أن الجذازات الأخرى من هذا الكهف تظهر صوراً مختلفة تماماً ، فقد وجد سكهان Skehan (وهو الذي عمل في دراسة الجذازات التي أخذت من الكهف الرابع في المتحف الفلسطيني في القدس) وجد واحدة تحتوي على قطع صغيرة جداً من المقطع الثامن من سفر التثنية ٣٢ وفيها اول دليل على اقدم مخطوط عبري يذكر (حسب عدد ابناء الله) ، بينما يذكر النص المسور (ابناء اسرائيل) . أما الترجمة السبعينية فتذكر (ملائكة الله) ، ويعتقد العلماء أن النص الاصيل كان

(ابناء الله) ، وقد اختيرت هذه القراءة في النسخة الرسمية . وهناك جذاذات أخرى تحتوي على نهاية الفصل نفسه ، ومنها نعرف الحقيقة المدهشة في أن النص مرتب في عبارات موزونة . كما ان هناك بعض الجذاذات من المزامير تتفق قراءتها مع الترجمة السبعينية . وتخالف النص المسور . وقد نشر كروس قطعة صغيرة من سفر صموئيل الاول وجدت في الكهف الرابع . وقد وجدت ما لا تقل عن ٢٧ جذاذة اذا صف بعضها الى جانب بعض كونت جزءاً من عمودين من مخطوط يحتوي على جزء من سفر صموئيل الاول ١ : ٢٢ - ٢ : ٦ - ١ : ١٦ - ٢٥ ويشير المخطوط الى تاريخ يقع في القرن الأول قبل الميلاد ويمثل النص الذي كان اساس الترجمة السبعينية في صموئيل الأول . وهذا يضاعف قيمة الترجمة السبعينية في مجال اعادة بناء النص العبري لصموئيل ، وليس هذا فقط بل ان الجذاذات تظهر اهمية مجموعة خاصة من مخطوطات الترجمة السبعينية التي اهم ما يمثلها مخطوط النبوءات . وهناك جذاذات أخرى من مخطوطات صموئيل تقدم لنا لأول مرة نصاً من العهد القديم قريباً جداً من الأصل وما كتبه كروس ...

ومن الواضح أن جذاذات الكهف الرابع هي بقايا مخطوطات كتبت قبل وضع النص الرسمي . ولقد تم وضع النص الرسمي للاسفار الخمسة بعد أن هجرت كهوف قمران بقرن ونصف القرن . ومن الواضح أن حاخامي القرن الثاني والقرن الثالث استمروا على عملهم دون أن يفرغوا منه وانما استطاعوا أن يضعوا التقاليد القديمة في نص رسمي اختاروه وتوقفوا فيه الى درجة معتبرة . وهناك نصوص متأخرة أخذت من كهوف وادي المربعات تلقى ضوءاً على تاريخ الترجمة السبعينية وفيها مشاكل لا يحتملها الا المختصون في هذا الميدان .

وما قيل حتى الآن قد يكون كافياً للدلالة على اهمية المخطوطات في دراسة نص العهد القديم . وقد يكتفي القارئ العادي ودارس التوراة بأن لا شيء

فيها يغير فهمنا لتعاليم التوراة الدينية . ولم يكن بنا حاجة الى ان تكشف لنا المخطوطات أن النص لم يطرأ عليه تغيير عبر القرون التي مرت على الاصل وان التغييرات التي طرأت على الكلمات الحقيقية يجب أن تفحص على ضوء ما نعرفه من تاريخ النص . ولقد حفظت الحقائق الاساسية كما وردت في التوراة دون تغيير خلال كل الشدائد التي تعرضت لها في نقل هذه النصوص حتى في تعليقات حبقوق ، فان المخالفات كانت بسيطة وفي تفاصيل قليلة الامة في النص نفسه .

(٢٩٢) وما دامت هذه المخطوطات اقدم بكثير من أي مخطوط سابق ، فمن المعقول أن نتساءل فيما اذا كانت تلقي ضوءاً على كلمات النص فقط ... ولكنها في الحقيقة تكشف عن انشاء وصياغة اسفار العهد القديم . ولقد سأل كثير من الناس هل تحتوي مخطوطات اشعيا على أي شيء يؤدي الى التمييز بين عمل النبي اشعيا الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد وبين سفر ثان من القرن السادس أو ما بعده ، ولم نستطع أن نجد جواباً كافياً . وانه لمن المفيد أن يجد كهيل صيغتين مختلفتين للنص العبري بين نصفي مخطوط المطران .

وعلى كل حال ومهما تكن اهمية هذه القسمة في المخطوط فلا يمكن استخلاص أي نتيجة بشأن فك عبارة الكتاب . وهنالك بحاثون ارجعوا تاريخ فقرات من الكتاب الى العهد المكابي . ومما يحقق تاريخه وفجواه على وجه التحديد هو ان سفر اشعيا كان كاملاً بكل اجزائه وعلى ترتيبه الحالي في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد . ومما يلفت النظر في عبارات التعليق على سفر حبقوق هو حذف الاصحاح الثالث وكون العمود الاخير لا يحوي سوى اربعة اسطر من الكتابة قد تمت في نهاية التعليق . وقد اعتقد كثير من العلماء منذ امد طويل أن الفصل الثالث لم يكن جزءاً من السفر الاصيل لحبقوق وان عدم وجوده في المخطوط يتفق مع هذه النظرية . ولا نستطيع أن نبرهن على أن الفصل الثالث كان يعرفه جماعة عهد يهوذا .

ولكنه كان مزموراً كالفصول الأخرى . وفي الترجمة السبعينية وجدت ثلاثة فصول .

رأينا دليلاً غير مباشر على قدم مزامير العهد القديم من اختلاف اللغات والروح واللاهوت ولا نتوقع أن تدلنا نصوص البحر الميت شيئاً عن إنشاء أسفار العهد القديم مع أننا ننتظر أن تفيدنا عن نشوء التشريع وقد عالجتنا هذا الموضوع عندما بحثنا عقائد القمرانيين مع أنها لم تفدنا كثيراً في هذا الموضوع . وبما يهم العلماء هذه المادة التي تقدمها المخطوطات لتاريخ اللغة العبرية ففيها خصائص تهجئة لفتت نظرنا . في عدة مناسبات يدل بعضها على جهل الكاتب ومن الواضح أن التمهيج العلمي لم يكن قد وصل إلى حالة التثبيت فقد كتبت المخطوطات بتهجئة أقدم من تهجئة النص المسور الذي كانت حروف العلة فيه نادرة وهي التي استعملت بكثرة في مخطوطات البحر الميت ، وذلك إما لأن المسورين احتفظوا بالتنقيط الموجود في مخطوطاتهم القديمة وإما أنهم رجعوا عن قصد إلى أسلوب قديم في التهجئة . وتعرض المخطوطات تطور التنقيط العبري في دور الانتقال وخاصة في سفر الأخبار الأول والثاني وسفري عزرا ونحميا ولم يسترجع المسورون شكلاً كاملاً من التهجئة القديمة، كما فعلوا عند كتابة الشريعة والأنبياء وتظهر التهجئة المحافظة في المخطوطات كيفية لفظ العبرية في الوقت الذي نسخت فيه المخطوطات ، كما تظهر لهجة محلية أو طائفية . وهي تمثل مراحل في تاريخ أبكر في بعض النواحي مما نراه في النص المسور للعهد القديم . فبينما استرد المسور التهجئة القديمة فإنهم جعلوا الصيغ النحوية واللفظ مثالياً حسب قواعد تتفق مع ما اعتقدوا أنه صحيح .

(٢٩٣) وإثباتاً لقمية المخطوطات فإن كهيل يلاحظ أنه قبل أن تكتشف لم يكن لدينا سوى وسائل ثلاث لتقرير كيفية لفظ العبرية قبل زمن المسور في نصوص العهد القديم – أولها عندما نقل اللفظ العبري إلى اليوناني واللاتيني مع أن هذا النقل لا يمكن أن يعطينا اللفظ تماماً. وثانيها قد يعطي لفظ السمرة

بالعبرية بعض المعرفة ، مع انه يجب أن نفترض وجود خصائص تميز لهجتهم .
والوسيلة الثالثة لاستعادة اللفظ الذي كان قبل المسور يقدمه النص العبري
حسب اسلوب فلسطيني قديم . ولدينا طريقة رابعة لتتقيد مخطوطات البحر
الميت قد تكون أهمها ولا تقتصر دلالتها على اللفظ وإنما تتعداها الى شكل
الكلمات وترتيب الجمل . وتعكس هذه المخطوطات ملامح أخرى حتى نجد
في نصوص التوراة دليلاً على تعديلات بارزة في اللغة . وأن عبرية هذه الوثائق
ليست أبداً لهجة أدب الحاخامين المتأخرين وفي نفس الوقت نجد الدلائل تشير
الى أن اللغة التي كان يتكلمها الكتبة والمؤلفون كانت الآرامية (وليست
العبرية) المسيحية الفلسطينية والتي تعرف بالسريانية . وعلى كل حال
فإن نقاط التلاقي مع اللهجة العبرية عند السمرة تشير الى استمرار العبرية
كلفة حية .

لم تكن لهجة مخطوطات البحر الميت يستعملها في التكلم سكان
منطقة اريحا وبرية قمران فلا بد وأن أعضاء الجماعة كانوا قد أتوا من انحاء
مختلفة من فلسطين . ولا تزال بحاجة الى كثير من دراسة هذه المشاكل وعلينا
أن نبين أن النصوص العبرية مع كل ذلك كانت أكثر من النصوص الآرامية
مع أن اللسان الدارج لمعظم اليهود في فلسطين كان الآرامي وبقيت العبرية
مستعملة في الأدب الديني لأنها كانت لغة التوراة والكنيس . ولا يجوز أن يغيب
عن البال أن هناك كمية من النصوص الآرامية وجدت لتدل على أن
الآرامية كانت لغة أدب أيضاً وتعطينا مخطوطات قمران أولى الوثائق
الأدبية بشكل آرامي مستعمل في فلسطين في عهد المسيح . فقد كانت حق
الآن الوثائق الآرامية الوحيدة المعروفة في هذه الفترة مجرد كتابات قصيرة
على الحجارة .

المخالفات

(٢٩٤) يسأل كثير من الناس هل وجد في مخطوطات قمران ما يخالف
محتويات التوراة المتداولة الآن يجب على ذلك بعض العلماء الذين شاركوا

في قراءة المخطوطات ومقارنتها بالنصوص الحالية المعروفة وفيما يلي شيء مما هو مخالف الى حد ما :

١ - يقول الأب ميلك رئيس لجنة العلماء الدوليين الذين أكبوا على دراسة المخطوطات في المتحف الفلسطيني في القدس ونشروا ترجمة أعمالهم بعدة لغات : ان مخطوطاً صغيراً باللغة الآرامية عنوانه «صلات نابونيدس» يكشف الخطأ المحتمل في التوراة فهو يورد اسم الملك نابونيدس كآخر ملك بابل ، ويتحدث عن لجوئه الى واحة تياء في شمالي بلاد العرب مدة سبع أو ثمان سنوات ، مرض خلالها مرضاً عضالاً لم يشف منه إلا بفضل تدخل النبي دانيال ودعائه له بالشفاء . ويضيف الأب ميلك ، ان واضع سفر دانيال كان يعرف هذه الرواية الشائعة ولكنه أحب أن يلصق المرض بنبوخذ نصر الذي هدم الهيكل وسبي بني اسرائيل فجعل المريض نبوخذ نصر وهو في الحقيقة نابونيدس . وذكر هذه الصلاة على لسانه « اصببت سبع سنوات بورم شديد وأبعدت عن الناس ولكني لما اعترفت بآثامي وخطاياي وأقلعت عن الصلاة للالهة المصنوعة من الفضة والذهب والبرونز والخشب والحديد والحجر والطين . . . أرسل الله لي نبياً يهودياً من ابعدا الى بابل ففسر وكتب أن أن أعبد اسم الله العلي فصليت ودعوت وابتهلت سبع سنوات حق من الله علي بالشفاء »

٢ - يقرل الاستاذ جون الليغرو : وجدنا في محتويات الكهف الرابع قطعة مطولة تصف جمال السيدة سارة وصفاً حسياً مفصلاً يصف جميع أعضائها عندما أخذها فرعون مصر لنفسه وقد حذفت هذه العبارات من التوراة التي بين أيدينا الآن .

٣ - كما عثر المنقبون على نص من سفر الخروج يقرب كثيراً من النص الوارد في الترجمة السبعينية خلاصته أن النفس الخارجة من صلب يعقوب في مصر خمسة وسبعون ، كما هي خمسة وسبعون في خطاب القديس اسطفانس الشهيد الأول . وأما في التوراة الحالية فعددهم سبعون .

- ٤ - وجد في الكهف الرابع النقص الذي كنا نشعر به في نشيد موسى ٤٣ : ٣٢ من سفر تثنية الاشتراع الثاني .
- ٥ - نص سفر صموئيل الذي وجد في نفس الكهف يعتبر في نظر الثقة أقدم نصوص العهد القديم خطأ هو أقرب الى نص الترجمة السبعينية منه الى نص التوراة الحالية .
- ٦ - وجد في الكهف رقم ١١ كتاب المزامير كاملاً وفي حالة جيدة جداً مكتوبة على جلد الماعز وهو يزيد بمزمور واحد عن المزامير المئة وخسين المعروفة حتى الآن ويقول هذا المزمور الزائد وهو الواحد والخمسون « أنا أصغر اخوتي ومن بينهم الرب يختارني لانقذ شعبي » .



رجال الآثار يبحثون المخطوطات في قاعة المتحف بالقدس

الفصل السادس عشر

فضلهما على دراسة اليهودية والنصرانية

(٢٩٥) الامور التي عولجت في الفصل السابق تهتم الاختصاصيين فقط ، ولكن محتويات النصوص وقيمتها بالنسبة الى تاريخ اليهودية والنصرانية تحظى باهتمام أعم وأوسع. فبعد تدمير الهيكل وضعت قوانين وقوالب لتحديد نواحي الحياة اليهودية من فكرية ومعاشية وشرعية وعلى أثرها اتلفت كافة المؤلفات التي لا تنسجم مع هذه النظم والقوالب .

ومن الامور الواضحة عند جميع المؤرخين أن الحياة اليهودية كانت اكثر تنوعاً وانفراجاً مما صارت اليه في العهد الذي عقب تدمير الهيكل سنة ٧٠ م . وأن كل ما عرف عن تنويع هذه الحياة أخذ عن مؤلفات وتعليقات لكتاب اطلعوا عليها من الخارج ، دون أن يعيشوا فيها ويشعروا بأية عاطفة نحوها . ولذلك فليس لدينا معلومات ذاتية (أي من الداخل) عن هذا التنوع أكثر من أحاديث مشكوك فيها عن عواطف يهودية ، وقد روى المسيحيون هذه الاحاديث عن ترجمات متعددة . وكثيراً ما وسمها الطابع المسيحي بطابعه وأدخل عليها التعديل الذي يناسبه .

ولدينا الآن في نصوص قران ووثيقة دمشق مقدار لا بأس به من الكتابات التي أنتجت طوائف يهودية مختلفة في عصر كان الهيكل فيه ما زال قائماً ،

العصر الذي جاء بعد تاريخ آخر اسفار العهد القديم أي في العصر الذي كان يتمخض عن ميلاد العهد الجديد . ولقد أدى توسعنا في فهم اليهودية في العصر الذي نشأت فيه المسيحية عن طريق دراسة المخطوطات ، أدى بنا الى تفهم أعمق للعهد الجديد وللمسيحية في أول عهدها .

لقد أظهر بحثنا الموجز عن معتقدات طائفة قمران بعض الافكار الواردة في هذه الوثائق ، من ضمنها تصورات غير متوقعة عن طريق الخلاص ، وآراء تتعلق بالطائفة نفسها كمنظمة داخل الأمة اليهودية ومن أهم النواحي البارزة لليهودية قبل فجر المسيحية عبارات الغلاة . وتعطينا مزامير الشكر وختمام مزامير النظام ومزامير كتاب حرب أبناء النور على أبناء الظلام فكرة ممتعة لما نعرفه من هذه الناحية في الدين اليهودي مع بعض الكتابات المشكوك في صحتها .

(٢٩٦) لقد قيل أن هذه الاكتشافات ستقلب مفهوم العهد الجديد رأساً على عقب وهذا الانقلاب يحتم علينا أن نعيد بناء الاركان الاساسية للدين المسيحي . ويجمع كافة العاملين في هذا المجال على أن شيئاً من ذلك لم يحدث ولا ينتظر حدوثه قط .

في استعراضنا للآراء المتناقضة التي نتجت عن اكتشافات مخطوطات البحر الميت لاحظنا مدى الاشارة التي سببتها فيما أورده صومر بأن شرح حبقوق يتضمن التنبؤ بالدين المسيحي . ويجب أن لا يحجم المسيحيون عن الاعتراف بتنبؤات عن دينهم في مخطوطات البحر الميت أو في مؤلفات يهودية غيرها ، فإن الانجيل ما هو إلا ختمام لما قد أوحى به في السابق ، إذ أن الله الذي تجلى بمختلف الرسائل عن طريق الانبياء الى الآباء تجلى بوضوح أكثر وبصورة أكمل عن طريق ابنه . وحتى استعارة الرسل وكتبة العهد الجديد من كتب العهد القديم فإنها مسألة تتعلق بواقع التاريخ ، وهنا نتساءل اذاً لماذا لا تتبنى الكنيسة اموراً تثبت صحتها وقيمتها ، وتحافظ عليها ، مثلما

تثبتت بعض مراسيم العبادة في الكنيس وكما ثبتت أيضاً في وقت لاحق بعض العناصر الوثنية؟ والمسيحيون لم يترددوا قط في الاعتراف بتأثير يوحنا المعمدان على الكنيسة في عهدها الأول .

أما صومر فإنه يتحدث في الحقيقة عن التهميش أكثر من التنبؤ ، بالرغم من استعماله كلمات التجسد والاستعارة . أما التأثير المباشر لطائفة قمران على العهد الأول للكنيسة فيمكن أن يكون ناشئاً عن انها وليدة ظروف متماثلة . والمشكلة هنا هي نفس المشكلة التي تبرز عندما نحاول أن نفسر الامور المتماثلة الموجودة في الدين اليهودي وفي دين زرادشت أو بين الدين المسيحي وبين المعتقدات الوثنية الرمزية .

يوحنا المعمدان

(٢٩٧) وليس من المستغرب أن نجد اموراً فكرية ولغوية متقاربة بين المسيحية وطائفة قمران ، فالسيد المسيح عنده يوحنا المعمدان في الاردن في زمن كانت فيه طائفة العهد مزدهرة ، على بعد أميال قليلة . وقال بعض العلماء أن يوحنا المعمدان كان من جماعة الأسينيين ويقول براونلي يحتمل أن الأسينيين تبنا يوحنا المعمدان وهو طفل . وقد عرفنا أن التبني كان من العادات التي زاولوها كما جاء في يوسفوس .

وإذا تركنا جانباً القول بأن الأسينيين والقمرانيين هم فئة واحدة وتوسعنا في تعاليم يوحنا المعمدان نجد فيها اموراً عديدة تتشابه والآراء الواردة في مخطوطات البحر الميت . ومثل العهدين كان يوحنا المعمدان يمهّد السبيل في البرية لمجيء السيد المسيح . ويمكن أن تكون لفكرة المعمودية علاقة تاريخية بطقس الاستحمام عند طائفة قمران . وكان المعمدان يصر على القول بأن التطهير بالاستحمام لا يزيل الذنوب ما لم يسبقه تطهير روحي ، وهذا هو نفسه ما يرد في كتاب النظام .

وهناك تشابه أيضاً بين انتظار يوحنا المعمدان للمسيح وبين ما جاء في

مخطوطات البحر الميت فقد تنبأ يوحنا بأن الذي سيأتي بعد سيحكم بعقوبة النار . ولهذا صلة بمعتقدات زرادشت التي تقول بوقوع حريق عند نهاية العالم تنصهر منه الجبال وتغمر النار العالم كما تغمره مياه الفيضان (وهذه الفكرة واردة بصراحة وقوة في أحد مزامير الشكر إذ تقول بأن أعاصير الشيطان الرجيم سوف تلتهم بالنار حتى أسس الجبال) .

(٢٩٨) وفي المخطوطات ترد فكرة تعميد المسيح . وما جاء في كتاب النظام من أو الله في نهاية العالم سوف يطهر الانسان بأن يرش عليه روح الحقيقة حري، بأن يلفت انتباهنا الى ما جاء في أقوال يوحنا بأن المسيح سيعمد شعبه بالروح القدس .

ويقال أن حركة يوحنا برغت بين الكهنة والرهبان ولكنها تحررت منهم فيما بعد مثلاً وقع لطائفة قمران على الأرجح . ولقد ذكرت عناصر وامور متشابهة أخرى ولكنها أقل أهمية حتى قال بعض العلماء بأنه يحتمل أن يكون يوحنا قد تخيل نفسه بأنه معلم الخير ، وذلك قبل أن ينقل آماله الى المسيح . وكان يوحنا يوجه كلامه الى الشعب بأجمعه ، بعكس القمريانيين والأسينيين . وهناك فرق آخر عما نعرفه عن يوحنا المعمدان وما ورد في مخطوطات البحر الميت وهو أن تلاميذ يوحنا المعمدان لم يكونوا منظمين تنظيماً قوياً كتنظيم جماعة قمران .

فإذا كان يوحنا في يوم من الايام في عداد الأسينيين فمن المؤكد أنه انسحب من عضوية تلك الطائفة وسلك طريقاً للنبوة خاصاً به ، أي أنه استقل بطريقته . وهذا الفرض ليس مستحيلاً ولكن الأدلة لا تشير الى انه كثير الاحتمال أو يسهل التدليل عليه . ومع ذلك فلا يمكن أن نفترض عدم صحته وخصوصاً وأنه كان لدى يوحنا بعض المعلومات عن جماعة قمران . وكانت الحركة الدينية التي أنشأها تعبيراً أو مظهراً للنزعة أو الاتجاه العام للدين اليهودي الذي كان سبباً في ظهور طائفة قمران وطوائف أخرى في العصر الذي سبق ولحق العهد المسيحي .

(٢٩٩) ومن غير المعقول ما زعم البعض بأن المسيح كان أحد الأسينيين ، رغماً عن أن مخطوطات البحر الميت تتضمن تشابهاً في اللغة والفكر مع ما يرويه العهد الجديد عن المسيح الى درجة غريبة . وبعد ما قرأ صومر شرح حبقوق صرح بأن المسيح يبد وكتجسد لمعلم الخير ، وكما كان تلاميذ معلم الحق يؤمنون بأنه مختار من الله وأنه مسيح وخلص للعالم . ولقد وقف في وجه هذا المسيح ، الذي هو معلم الخير ، حزب الكهنة وهم الصدوقيون وحكوا عليه بالموت ونفذوه فيه . وهذا يشابه الإيمان بالمسيح وبأنه مخلص وكيف حكم عليه اليهود والرومان . ولا يخفى أن كلا من المسيح ومعلم الحق أسس جماعة وأتباعاً اعتقدوا بأن معلمهم سيعود ليحكم العالم . ولقد سارع كثير من العلماء الى القول بأن تفسير صومر لشرح حبقوق وتقديم أوجه تماثل وتقارب مع الدين المسيحي وطقوسه يتجاوز ما أثبتته الدلائل والقرائن . وأن تصريحه بأن معلم الحق هو مختار من الله وهو مسيح لم يرد في شرح حبقوق ، كما لم تتضمنه أية مخطوطة أخرى . وأن كلمة (المختار) تعود الى الجماعة ولا يوجد أي دليل أو إشارة بأن معلم الحق كان يعتقد بأنه مسيح أو مخلص للعالم .

(٣٠٠) وليس هناك أية غرابة في الموقف العدائي الذي إتخذه الكهنة من موقف معلم الحق ومن استشهاده ، اذا كان ذلك موجوداً ضمناً في شرح حبقوق ، فمن عادة مثل هؤلاء أن يضطهدوا الأنبياء . ولقد أدان أو لعن كل منها أورشليم كما فعل كثير من الانبياء . ويعتمد الافتراض القائل بأن معلم الحق سيعود ويحكم العالم على التفسير المشكوك فيه لبعض ما جاء في مخطوطات البحر الميت وفي وثيقة دمشق . أما القمرانيون فكانوا ينتظرون مسيحاً – أو على الأصح مسيحين اثنين – وهو اعتقاد منتشر بين اليهود . كما كان القمرانيون ينتظرون نبياً ، وهو اعتقاد يهودي ايضاً . ولكن الافتراض بأنهم كانوا يتوقعون عودة معلم الحق ، فأمر لا يدعمه أي دليل .

وبالإضافة الى التماثل – سواء أكان حقيقياً أو متخيلاً – بين حياة المسيح

وحياة معلم الحق فليس من المستغرب أن نجد في المخطوطات تعاليم ومناهج سلوكية تشبه تلك الموجودة في تعاليم المسيح وفي أفضل الأمكنة يظهر التماثل أكثر اقتراباً من تعاليم الاثني عشر بطريركاً منها مع تعاليم المسيح . وإننا إذا أجرينا المقارنة بين الدعوة الى محبة الاعداء الواردة في موعظة الجبل وبين الدعوة الى بغض أبناء الظلام وكرهمهم ، الواردة في كتاب النظام عرفنامدى الفرق الشاسع بين تعاليم القمرانيين وتعاليم المسيح . أما المثل العليا التي يدعو كل منها اليها فهي موجودة أيضاً في العهد القديم .

ولقد أبان معلم الحق كما أبان المسيح بأن الوحي الجديد الذي تجلى له ما هو إلا تفسير متمم لما جاء في الكتب . وكان الحاخامون - على الرغم من أنهم لم يدعوا الوحي - يتصورون أن تعاليمهم تتضمن المفهوم الصحيح للناموس ، ولو أنهم كانوا يضيفون أشياء جديدة من عندياتهم دون أن يشعروا . ولا يوجد شيء في مخطوطات البحارميت يشابه من قريب التفسير الجذري للناموس الذي نادى به المسيح والذي استند كلياً على سفر التثنية ٥/٦ واللاويين ١٨/١٩ . وهناك أقوال للباحثين تقترب من تعاليم المسيح في هذه الناحية أكثر من المخطوطات . ولقد لوحظ التوافق بين مخطوطات البحارميت وبين أقوال المسيح مع وجود فروق شاسعة . والتقابل العدائي بين الخير والشر هو موضوع رئيسي في كل من تعاليم المسيح ومؤلفات قران ، على الرغم من أن المخطوطات لا تتحدث عن مملكة الله ومملكة الشيطان ، كما تحدث المسيح ، بينما تذكر المخطوطات مملكة بلعال الذي يشابه الشيطان ولا يذكر المسيح تلك المملكة . ومن المفيد أن نلاحظ أيضاً أن المسيح يتحدث عن أبناء النور بقوله (إذ أن أبناء هذا العالم هم أكثر حكمة في أجيالهم من أبناء النور - لوقا ١٦/٨) .

(٣٠١) وعلى الاجمال فان أقوال المسيح تتقارب مع المؤلفات اليهودية المنعولة أكثر من تقاربها مع اي من المخطوطات . ومن الصواب ان نتساءل عما اذا كانت تعاليم المسيح تحوي امورا مشتركة مع معتقدات قران ، بحيث لا تشترك معهم فيها طوائف يهودية غيرها . والموقف يختلف اذا اخذنا اورشليم

في عهدهما الاول حسب ما تصفها اعمال الرسل لتظهر ان التشابه اكثر اهمية واشد فعالية ، فلقد كان مركز بولس في كنيسة اورشليم يقارن بمركز المدير او المشرف العام الوارد ذكره في كتاب النظام وفي وثيقة دمشق . وصلاحيات الرسل الاثني عشر في اعمال الرسل الاولى تعيد الى الذاكرة مجلس الاثني عشر مدنيا وثلاثة كهنة - الموصوف في كتاب النظام ولا يوجد اي ذكر لسيطرة الكهنة في ايام الكنيسة الاولى مثل سيطرة الكهنة في جماعة قمران ، فقد انضم كثير من الكهنة الى التلاميذ الا اذا اعتبرنا فكرة الكنيسة كجماعة روحية تضم ابناء الله الصالحين . وبذلك تتميز اليهودية ، فقد وجد شيء من هذا المفهوم في جماعة قمران ، ولو انه لم يكن واضحا تماما للكنيسة المسيحية ذاتها في اول عهدهما .

(٣٠٢) وهناك تشابه في المسائل التي تتعلق بطقوس العبادة بين المسيحيين والقمرانيين وهناك بعض الغموض في الادلة المتعلقة بموقف الطائفة من الهيكل وقرايينه . ولقد لفت شرمان جونسون الانتباه الى اتجاهين نشأ اول عهد الكنيسة - فبعض التلاميذ استمروا في الصلاة في الهيكل والبعض الآخر برئاسة القديس اسطفان الفوا فئة قالت بان الله لم يكن موجودا في اي هيكل بني بايدي البشر .

(٣٠٣) وكان لكل من القمرانيين والمسيحيين الاوائل عادات وطقوس متشابهة . وما قيل عن المعمودية فيما يتعلق بيوحنا المعمدان يقال ايضا عن كنيسة اورشليم . اما الاشارات في كتاب النظام الى التطهير عن طريق روح الحق فتذكرنا بالاهمية التي امتازت بها الكنيسة الرسولية بنعمة الروح القدس . اما نظام الاكل الجماعي في مخطوطات البحر الميت فيذكرنا (بكسير الحبز) ايام الكنيسة الاولى . ولقد وجد في كتاب النظام ما يدور حول الطريقة التي اتبعتها الكنيسة الاولى في حفظ قدسية العشاء الرباني وحول الطريقة التي اتبعها المسيح في عشاءه الاخير مع تلاميذه بالنسبة الى ما هو متبع في حفظ الفطير عند اليهود . واستنباط كهذا يجب ان يؤخذ بحذر ، اذ اننا لا نجد

لا تُجَد في الانجيل شيئاً كثيراً يدل على وجود تنظيم رسمي وشكليات لدى اتباع المسيح مثل وجودها في جماعة قران . واحتمال إعادة احياء ذكرى العشاء في الكنيسة في قالب وشكليات معروفة عند اليهود امر معروف ويعطينا الاكل الجماعي عند القمرانيين مثلاً حياً على احد هذه الطقوس . ولكنه لا يستلزم ان يكون هذا الطقس بالذات قد ترك انطباعاً على الطقوس المسيحية . (٣٠٤) وهناك تشابه عديد الوجوه في الحياة والمثل العليا بين طائفة قران وبين كنيسة أورشليم الأولى فكلاهما شجع روح المحبة والوحدة في الداخل . ومع ذلك فقد اختلف اختلافاً كبيراً موقف كل منهما تجاه الآخرين من غير المنتسبين إلى كل منهما . ولقد عبرت روح الزمالة والترابط بين الأعضاء في كل من كنيسة أورشليم وطائفة قران عن ذاتها بصورة متطرفة في اشتراكية التملك . ويحدد كتاب النظام عقوبة الفرد الذي يراوغ فيما يملك وهذا يشير إلى وجود حوادث تشبه قضية حنانيا وسفيرة^(١) . ولقد كانت العقوبة المقررة غير قاسية نسبياً ، وهي عبارة عن حرمان المذنب لمدة عام واحد من (طعام الأسياذ الإلهي) مع تخفيض حصته من الطعام إلى ما يقرب من الربع ، بدلاً من أن يحكم بالموت . وربما تكون مثل هذه الحوادث أكثر وقوعاً بين طائفة قران منها في الكنيسة . وحتى العلماء الذين كانوا يهدفون إلى تقرير التشابه بين المسيحيين الأولين وبين القمرانيين اعترفوا بوجود فوارق كثيرة بينهم . فالكنيسة لم تكن تضم جماعة مغلقة متسترة ، ذات تعاليم سرية محروسة ، فالإنجيل الذي أعطي للكنيسة يجب أن ينشر في العالم . وهناك فارق كبير جداً بين الكنيسة وطائفة قران من ناحية الإدارة والحياة المعيشية في نظرة كل منهما المختلفة اختلافاً كلياً إلى مركز المرأة في الجماعتين .

(١) ان حنانيا احد الذين انضموا الى الكنيسة في اول عهد المسيحية كما انضمت معهم زوجته سفيرة وقد باع قطعة ارض واخذ جزءاً من الثمن ووضعه عند اقدام الرسل مدعياً انه كل الثمن ، فوبخه بطرس لانه كذب على الروح القدس ، فسقط ميتاً في الحال كما حدث لامرأته سفيرة التي جاءت بعد ثلاث ساعات واذا لم تكن تدري بما قد جرى من كذب زوجها فوقع لها المصير الذي تنبأ به بطرس .

(٣٠٥) وبعض المعتقدات الدينية التي يتميز بها العهد الجديد لها معتقدات مماثلة في مخطوطات البحر . وهذا ينطبق كثيراً على بعض آراء بولس ، فلقد قورنت فكرة (لغز الفوضى) المشار إليها في الرسالة الثانية إلى أهل سالونيك ٧/٢ بفكرة (لغز الشر) في مزامير الشكر . كما أن ثنائية مخطوطات البحر الميت تذكرنا بما يقابلها من ثنائي الروح والجسد ، للسمائي والأرضي ، في رسائل بولس . وفي الرسالة الثانية إلى أهل كورنث ٦ : ١٤ - ١٥ يقارن بولس بين العدل والظلم - بين النور والظلام - وبين المسيح وبلعال . واسم بلعال (وهو اسم واضح في مخطوطات البحر الميت) غير مذكور في العهد الجديد إلا في هذا المجال . ولقد فسر ذلك بأن بولس استعمل في هذا المجال شيئاً من تراث المسيحيين الأولين الذي يشابه أفكار طائفة قمران .

إن عدم ثقة بولس الراسخة بعدالة الإنسان لا تنساقض ما جاء في بعض المخطوطات ، فهناك تقارب في الأفكار بين رسائل بولس إلى الرومانيين ٣ : ٢٠ وإلى أهل غلاطيا ٢ : ١٦ وبين الفقرات التالية من مزامير الشكر :

أنا أدرك بأن العدل لا يملكه إنسان
كما أن ابن الإنسان لا يملك الصلاح
وإلى الله العلي الأعلى تعود أعمال الصلاح

وفكرة أن الله هو العادل الأحد وإن الإنسان لا يملك أن يكون عادلاً تحت أنظاره - عز وجل - هذه الفكرة تظهر في العهد القديم بتعابير لغوية مترادفة . وهناك فقرة من كتاب النظام مذكورة بشكل يقرب من فكرة بولس التي برر فيها عدالة الله :

« أما أنا فإن زالت فإن حيي السابق لله هو خلاصي إلى الأبد
وإذا تعثرت في جور الجسد فإن إيماني بعدالة الله سيجعلني إلى الأبد
وفي حبه العظيم سيكون تبريري
وسوف يدينني بعدالته الصادقة وفي سعة حلمه سوف يغفر لي جوري
وذنوبي . »

والنقطة الرئيسية هنا هي أنه بينما الانسان لا يملك الصلاح والعدل بذاته، فهناك نوع من العدالة الالهية الخاصة بجلالته يمنحها الى مخلوقاته . ومعنى عدالة الله في رسالته إلى الرومانيين ٣ : ٢١ - ٢٦ هي من تراث الدين اليهودي قبل بزوغ المسيحية .

(٣٠٦) ولا تستند فكرة الخلاص على عدالة الله فقط، بل انها تستند أيضاً حسب ما جاء في شرح حقوق على الايمان بمعلم الخير وتظهر هذه الفكرة في حقوق ٢ : ٤ وهي إحدى الدعائم الثابتة التي يعتمد عليها بولس في تبرير الايمان بالمسيح ، وما يعنيه الشارح بالإيمان في معلم الحق ليس بالذات هو ما يعنيه بولس - فهناك ثلاثة عناصر متفاعلة هي الإخلاص والولاء لمعلم الحق والثقة العمياء فيه والإيمان به . ويرى بعض العلماء العنصر الاول فقط في هذا المقام . ويبدو لي أن ثمة ما هو أكثر من ذلك ، فالثقة والايمان الاعمى بتعاليمه والاطمئنان لقيادته هي مقومات يفترض وجودها مسبقاً . وهذا يشمل ضمناً الإيمان بأنه يدرك بالوحي المفهوم الصحيح للنبوة . وهذه العناصر الثلاثة تدخل في مفهوم بولس للإيمان بالمسيح . ولكن الإيمان بالمسيح الذي يعتبره بولس من أركان الخلاص يتسع ليشمل عناصر أكثر مما حواه أي مفهوم للإيمان بمعلم الحق . ولا توجد في المخطوطات أية رواية ولم يرد أي ذكر بأن معلم الحق قام بعمل معجز يشابه معجزات المسيح .

(٣٠٧) ولا بد من ملاحظة فارق آخر أيضاً ، فإن مخطوطات البحر الميت ووثيقة دمشق تتضمن المفهوم بأن الإيمان بمعلم الخير والعمل بالناموس يؤلفان معاً طريق الخلاص . أما بولس فيقول بأن طريق الخلاص هو الايمان وحده . ولم تكن الاعمال الصالحة شرطاً للخلاص ، إذ أن الله يملك الصلاح والاستقامة كإحدى نعمه على الإنسان ولا يمكن للانسان أن ينالها بفعله . ومع ذلك فالاعمال الصالحة لا تفقد أهميتها كجزء من تراث بولس اليهودي . فالخلاص بالنسبة الى بولس لم يكن يتضمن تبريراً فحسب ، بل يضمن القدرة والقوة على التعامل على الخطيئة بمساعدة الروح القدس وفضلها . وجماعة قمران

يعزون الاعمال الصالحة الى القدرة الإلهية . والفقرة المذكورة سابقاً من أحد مزامير الشكر التي تقول بأن الحق من خصائص الله تستأنف القول « إن طريق الانسان لا ترسمها إلا الروح التي خلقها الله له ، حتى تجعل طريق أبناء الانسان خالية من اللوم » وكذلك فإن الفقرات الاخيرة المقتبسة من آخر عمود من كتاب النظام يعقبها « وفي صلاحه سوف يطهره من أدران الانسان ومن خطايا بني الانسان » ان الخلاص في نظر القمريانيين كما في نظر بولس لا يعني الغفران والتطهر فحسب ولكنه يعني أيضاً الاشتراك في الحياة الروحية المشتركة . ويتحدث أحد مزامير الشكر عن « الاجتماع الابدي » وعن « جيش القديسين » وعن « التناول مع مجمع بني السماء » وكثرة ظهور هذه الفكرة في العهد الجديد لا تحتاج الى برهان . وقد أتينا على ما أعطته الكنيسة الاولى وجماعة قمران من أهمية للترايط والوحدة والمحبة المتبادلة . أما اعتقاد القمريانيين بالقضاء والقدر فقد جرى بحثه سابقاً (ف ٢٦٥) ويؤكد بولس أيضاً الاختيار الإلهي والقضاء المسبق كأساس لخلاص الانسان . أما مشكلة التوفيق بين هذه الفكرة وبين الوصايا والاوامر التي توحى بحرية الاختيار فتبقى قائمة دون حل في المخطوطات - بعكس ما في رسائل بولس . وفي الحقيقة بينما يشار هذا السؤال في رسائل بولس الى الرومانيين لا نجد له أي ذكر في المخطوطات . ونصوص قمران تخلو من أمثال الحوار الديني الموجود في رسائل بولس .

(٣٠٨) الصدى الذي تردد في الرسائل الى أهل أفسوس ورسالة بطرس حداً بأحد الكتاب أن يقول أنه لو رفع اسم المسيح من الرسائل لتبادر الى ذهن القارئ بأن هذه الرسائل من مخطوطات وادي قمران . ويمكننا القول بأن هذا التماثل لا يبدو بعد التمعن بذات الأهمية التي تظهره النظرة الأولى ، فوعظة الكاهن الأعظم قبل المعركة في مخطوط الحرب ترد فيها العبارة التالية (لا ترتعدوا أو تهلعوا منهم ولا تتحسبوا) وهذه العبارة اعتبرها البعض متماثلة مع الرسالة الى أهل أفسوس ٦ : ١١ حتى تتمكنوا من أن تواجهوا بشبات

أحاييل الشيطان) وتعتمد وعظة الكاهن الأعظم مباشرة على سفر التثنية ٢٠ : ٣ ولا يوجد أي علاقة حقيقية بينها وبين الكلمات أو الفكرة الموجودة في الرسالة الى أهل أفسوس . ولقد قيل أيضاً أن الفقرة الكاملة المتعلقة بـ (جيش الاله الكامل) الواردة في رسالة أفسوس الواردة في ٦ : ١١ بما فيه تفاصيل تشكيل الجيش لها جذور في العرف والعادات المذكورة في مخطوطات البحر الميت . ولكن الفكرة الرئيسية مع بعض التفاصيل لهذه الآيات تعتمد على أشعيا ٥٩ : ١٧ وهي التي كانت معروفة طبعاً لدى كتبة مخطوطات البحر الميت . وهناك تماثل قوي لما جاء في أهل أفسوس ٦ : ١٦ (ألسنة اللهب لدى الشرير) في أحد مزامير الشكر . والنص هنا يروي ألسنة لامعة في الشمس بدلاً من ألسنة اللهب . ومع ذلك فإن هذه الآية في أهل أفسوس تتضمن أفكاراً وعبارات موجودة في مخطوطات البحر الميت .

أما المقارنات بين المخطوطات والرسائل الموجهة الى اليهود والتي لفت كثير من العلماء النظر اليها فانها لا تتضمن عبارات وانما أسساً لأفكار متماثلة . فان كانت الرسائل تعني بأصول الطقوس في الأسفار الخمسة ، فانها تحاول ان تعطي صورة عن تضحية المسيح العظيم ، أما القمرانيون فلم يكن لديهم أي فكرة عن فساد إلهي . ولكنهم اعتبروا أنفسهم دعاة الى عهد جديد واستخدموا فكرة التضحية والفداء بشكل مجازي أو رمزي .

واذا اعتبرنا العبارات الموجودة في مزامير الشكر مثل (مجتمع أبناء السماء والاجتماع الخالد واجتماع القديسين) تحمل معنى اجتماع في السماء يشمل الملائكة وأرواح الناس الصالحين ، عندئذ نجد لهذه الفكرة ما يماثلها في الرسائل الى اليهود (ولكنكم أنتم الى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي - الى القدس السماوية - حيث تجتمع في عيد ملائكة لا تعد ولا تحصى - مع هؤلاء الذين ولدوا من قبل والذين دخلوا السماء) وهذا تفسير لهذه الفقرة من مزامير الشكر غير موثوق بها كما رأينا .

وقد لوحظ أن هناك تشابهاً في نقاط أخرى بين العهد الجديد وبين نصوص قمران . ويمكننا ذكر مثل مأخوذ من تفسير في شرح حبقوق عن التأخير الطويل للمجيء الأخير . وهو يعيد الى الذاكرة ما جاء في الفصل الثالث من رسائل بطرس الجزء الثاني عن التأخير في مجيء المسيح . ونلفت نظر القارئ الى الوصف لنهاية العالم في مزامير الشكر بما يشبه الوصف الموجود في الفصل الثالث من القسم الثاني من بطرس كما لوحظ تشابه بين انجيل يوحنا ومخطوطات البحر الميت أكثر من الموجود بين هذه المخطوطات والانجيل الأخرى وأكثر الأمثلة وضوحاً في التشابه اللفظي هو ما جاء في مزمور الختام لكتاب النظام (كل ما هو كائن يجري حسب ارادته . وبدونه لا يتم شيء) ونذكر القارئ بما جاء في العهد الجديد عن الجملة الخالدة في يوحنا ١ : ٣ (وبدونه لا يتم شيء مما تم) .

انجيل يوحنا

(٣٠٩) وتميز هذا الانجيل ثنائية النور والظلام بما يقابلها في مخطوطات الحرب عن جيوش بلعالم واعماله التي تتم في الظلام . كذلك يقول يوحنا ٣ : ١٩ - ٢٠ (وجاء النور الى العالم والناس تحب الظلام اكثر من النور ، وان أعمالهم شريرة اذ ان كل من يصنع الشر يكره النور ولا يأتي النور لئلا تتكشف أعماله التي تخالف وصايا الله) .

وهذه المقابلة الثنائية منتشرة في انجيل يوحنا ورسائله . ولدينا مثل آخر من يوحنا يقول المسيح (ان النور سيمضي معكم زمناً قصيراً . سيروا ما دام النور معكم لئلا يدرككم الظلام فتضلوا ، لأن من يسير في الظلام لا يعرف أين يسير . وما دام النور معكم آمنوا به كي تصبحوا أبناء النور) وهناك اختلافات بين أفكار يوحنا وأفكار طائفة قمران . وبالنسبة الى الرسول يوحنا الانجيلي فان الظلام حاول أن يتغلب على النور دون جدوى ، فقد انتصر للنور على الظلام . والمسيح بذاته هو نور العالم . وهذه الملاحظات الجديدة الحاسمة لا تصغر من أهمية البيئة والجو المشترك .

ان طريقة التفكير العامة والاسلوب الادبي للرسول الانجيلي الرابع تشبه بقدر كبير طريقة نصوص قمران واسلوها . وبينما يكتب بولس باسلوب وتفكير يشبه تلامذة الحاخامين فان لاسلوب التلميذ الحبيب طابع الوعظ والطقس الديني ، كأنما كتب انجيله ليقرأ بصوت عال في كاتدرائية - حسب ما يقول البعض - واما الايمان والحق والقيامة والمحبة فكلها ظاهرة بوضوح في مخطوطات البحر الميت كما في الانجيل الرابع .

وفي نقاط اخرى يرى العلماء في انجيل يوحنا انعكاسات لعقائد القمرانيين وهجوماً عليها . وكثير من النظريات التي وضعت بهذا الصدد تبدو محكمة ، ولكنها غير مقنعة . ومع كل ذلك فيجب ان نتعرض لكل هذه النظريات . وانا شخصياً لا ارى مبرراً للاعتقاد بان تمجيد القمرانيين للناموس ، وليس تمجيد اليهود عامة للناموس ، هو الذي دفع الرسول الرابع لان يشدد على افضلية المسيح على ناموس موسى . ومن غير المحتمل ان يكون الرسول الرابع قد فكر في معلم الحق عندما روى بان نيقوديموس خاطب المسيح بقوله (معلم من عند الله) او عندما خاطبه الآخرون (الآتي من عند الله او النبي المنتظر مجيئه الى العالم) .

وقد تخيلوا افكاراً مسيحية فدائية مشتركة بين الرسول وبين كتبة المخطوطات . ويعتمد معظمها على اشارات غامضة وعبارات غير محددة في النصوص . وفي رأيي ان ما يدعيه البعض من اهتمام القمرانيين بالنقويم الديني ادى الى تنسيق معجزات المسيح وكلماته في الانجيل الرابع لتتفق مع اعياد ومناسبات يهودية . اما كلمات المسيح التي خاطب بها نيقوديموس عن الولادة من الماء والروح فيمكن ان تكون قد قصد منها عدم الاعتماد على المعمودية والوضوء فقط . ولكن طائفة قمران لم تكن الوحيدة بين الطوائف اليهودية التي تتبع مثل هذه الطقوس .

(٣١٠) ومن الامور المتشابهة اكثر من غيرها بين رسائل يوحنا والمخطوطات لا تختص بنواحي تنفرد بها طائفة قمران . وبعض هذه الامور

المتشابهة تعود الى تيارات دينية فارسية هبت على الدين اليهودي واثرت فيه كما اثرت في ديانات غرب آسيا الاخرى . وما يمكننا قوله دون مبالغة هو ان الانجيل ورسائل يوحنا والمخطوطات تعكس الجو العام للشيوع اليهودية كما تبين المخطوطات انه لا يتحتم علينا ان ننظر الى تربة خارج فلسطين كي نتكشف لنا جذور المنحى اليوحناوي واصوله . ويقول بعض العلماء بوجود علاقة اوثق من هذا ، حتى يقول احدهم ان كاتب الانجيل الرابع كان يوماً ما عضواً - ان لم يكن زعيماً - في طائفة قران . ويقول آخر بأن الصلة التي بين الرسول الانجيلي والجماعة يحتمل ان تكون عن طريق يوحنا المعمدان في افسوس وهم المشار اليهم في الاصحاح التاسع عشر من اعمال الرسل ، او يحتمل ان يكون الانجيلي هو تلميذ يوحنا المعمدان الذي تبسح المسيح حسب ما جاء في يوحنا ١ : ٣٥ - ٤٠ ويقول آخر بان اعضاء طائفة قران التجأوا الى سوريا عندما اندلعت الفتنة اليهودية ضد روما ومن احاديثهم انتشرت هذه الافكار فتعرف عليها الانجيلي .

كل هذه الآراء تستحق الذكر من حيث انها توضح مدى الاثارة والحماس اللذين أذكتها مخطوطات البحر الميت في صدور العلماء . كما تستحق هذه الآراء أيضاً النظر والقبول بشرط أن تعرض النظريات الناتجة عنها للنقد الهادئ ، على أن لا يخلط بين الحقائق والاحتمالات الغامضة . وعلى العموم يمكن القول أن الانجيلي عمد الى اعادة تشكيل أسس الايمان بعد أن تعرف على أحد أعضاء هذه الطائفة أو أية طائفة أخرى .

وتوصل البعض الى استنتاجات شاملة فيما يتعلق بقيمة انجيل يوحنا وتاريخه وذلك من التقارب الموجود بين هذا الانجيل وبين مخطوطات البحر الميت . ومنها عدم قبول تاريخ متأخر للمخطوطات بسبب حتمية معرفة الانجيلي معرفة شخصية للقمرانيين الذين تفرق شملهم عام ٧٠ م . وان احتمال وقوع التعارف في سوريا أو أفسوس ، يبين لنا ان هذه الحجة غير دقيقة وان الصحة التاريخية لحكاية يوحنا المعمدان الموجودة في الانجيل الرابع قد أيدتها مخطوطات

البحر الميت على زعم البعض . ولكن هذا التأييد يعتمد على تفسيرات لنصوص هي نفسها قابلة للجدل .

والكتب المشار إليها ليست الأجزاء الوحيدة من العهد الجديد التي يتردد فيها صدى الأفكار واللغة الموجودة في المخطوطات . والاشارات المتكررة الى (عبيده الأنبياء) في رأي يوحنا تذكرنا بكتاب النظام الذي جاء فيه نفس التعبير . ففي الفصول الثلاثة الأولى من الرؤيا لوحظ وجود آثار على كلمة « أمين » تشبه ما ورد في العمود العاشر من كتاب النظام . وهناك فقرة منسوبة من مزامير الشكر فسرت حديثاً بأنها تعني « ميلاد مسيح » من أم هي عبارة عن الطائفة أو المجتمع على صورة امرأة تطلق (جاءها ألم الحاض) وفي الرؤيا ١٢ : ١ - ٦ توجد حكاية غريبة عن امرأة تلد (مولوداً ذكراً مكتوباً عليه أن يحكم جميع الأمم بقضيب من حديد) .

مصادر مسيحية من خارج العهد القديم

(٣١١) وبالإضافة الى أوجه التقارب بين بعض أجزاء العهد الجديد وبين المخطوطات يمكننا ذكر بعض النقاط الهامة الأخرى ذات العلاقة نفسها ... ولنأخذ مثلاً وجهة نظر القمرانيين الى العهد القديم ، فلقد قال البعض إن تعلق القمرانيين ببعض المؤلفات الدينية المشكوك في صحتها الآن يثير التساؤل عن امكانية وجود تمييز واضح بين الكتب القانونية أو غير القانونية في ذلك العهد أو عدمه . ولهذا الأمر علاقة بالدين المسيحي في أوائل نشوئه ، ذلك ان المسيحيين استندوا في العهد الجديد الى كتب غير مذكورة في شريعة العهد القديم وكانت للقمرانيين نظرة غير ضيقة - غير متعصبة - في الكتب المقدسة كنظرة كنيسة المسيح الأولى .

لقد أتينا على ذكر تفسير الطائفة للكتب المقدسة كجزء من تاريخ اليهودية ويدعونا شرح حبقوق الى أن نقارنه مع العهد الجديد من هذه الناحية . وفي كلا الحالتين يعتقد بأن المعنى الصحيح للنبوذة قد تجلى في الوحي الجديد وطريقة

التفسير تشابه في الحالتين أيضاً . فعلم الحق - وعلى الرغم من انه لم تتحقق النبوة فيه كما تحققت في المسيح - فقد ألمح ولو ضمناً الى العلامة بالنجمة^(١) . ومن جهة عامة فان الآراء المتعلقة بتفسير الانجيل التي عزيت الى المسيح وتلامذته هي نفس الآراء التي كانت سائدة آنذاك بين اليهود مع وجود بعض الانحياز أحياناً الى الآراء التي تتميز بها بعض الطوائف كطائفة القمرانيين .

أما المضمون الديني للعهد الجديد واللغة والاسلوب التي شرحت فيها معتقداته فكلها مبسطة بكثرة في نصوص قمران . ولكي نفهم مضمون الكلمات والتعبيرات التي استخدمها المسيح واتباعه في مفهوم سامعيه وقارئيه يتوجب علينا معرفة معنى ومضمون هذه التعبيرات والكلمات كما وردت في الأدب اليهودي المعاصر . ومن هذه الناحية فان مخطوطات البحر الميت توسع ادراكنا وفهمنا لهذه التعبيرات ولا سيما في الاناجيل ، اذ ان لغة المسيح ولغة تلامذته الآرامية تحتفي مباشرة تحت النص اليوناني ، وتزداد هذه اللغة وضوحاً في الاناجيل بعد قراءة آداب اليهودية المعاصرة وخصوصاً آداب طائفة قمران .

(٣١٢) نجد في بعض الاحيان الصيغ الادبية المستعملة في العهد الجديد - بالإضافة الى الافكار الدينية واللغوية - مطابقة لما ورد في المخطوطات والنشيدان في الجزأين الاولين من انجيل لوقا اللذان يحتمل انها كتبا في العبرية يشبهان مزامير الشكر في بعض الامور ، اذا استثنينا الغموض والاشارات المبهمة تعمداً والتي تكثر في هذه المزامير . وفي رسالة بولس الى الكالوسيين^(٢)

(١) كان مجمع اليهود يزعمون ان ظهور النجم حدث عند ولادة موسى وسيحدث عند ولادة المسيح . وحدث ذلك ناشيء عن ظهور نجم ساطع من اقتران المشتري والمريخ وزحل ، والاشارة هنا الى النجم الذي رآه المجوس في بلادهم في المشرق ، فجهأوا الى فلسطين يسألون عنه حتى علموا انه في بيت لحم .

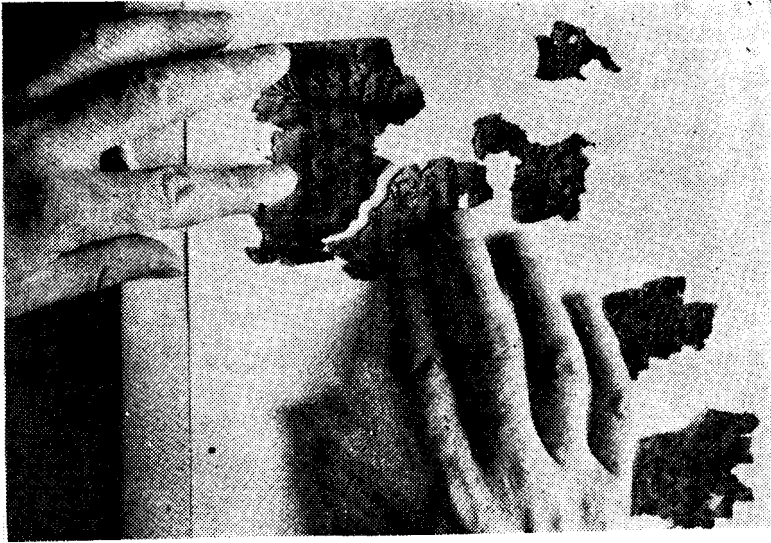
(٢) كالوس مدينة بآسيا الصغرى زارها بولس في جولة تبشيرية وأسس فيها كنيسة مسيحية وبعد مدة جاء خادم تلك الكنيسة الى روما ليطلع بولس على تعاليم الاسيقيين التي تفسد بساطة ايمانهم . فكتب بولس رسالة الى أهل كلوسي فند فيها آراء الاسيقيين وأظهر حقيقة اقنوم المسيح ، وطلب أن يتحدوا مع ربهم في ظروف الحياة وأرسلها مع خادم الكنيسة.

١ : ١٢ - ١٤ يرى البعض فيها ترتيباً للمسيحيين الأوائل وهي مشابهة في الأسلوب والشكل والفكرة لمزامير الشكر . ولقد قورنت أجزاء من المواعظ في العهد الجديد بما جاء في كتاب النظام ووثيقة دمشق . والتقارب أوضح في الكتابات اليونانية .

لهذه المقارنات والتشابهات قيمتها في دراسة العهد الجديد وسوف لا تنقص قيمتها بسبب مبالغة بعضهم في أهميتها . وليس من الضروري الافتراض بأن أياً من كتبه العهد الجديد قد سمع بالطائفة التي أنتجت - مخطوطات البحر الميت . فلماذا لم يذكر القمرايون أو الاسينيون في العهد الجديد ...؟ علماً بأنه لا يوجد تكتم فيما يتعلق بالصدوقيين والفريسيين وأتباع يوحنا المعمدان . كما يتحتم علي أن أعترف بأنني أجد ادراكي وتفهمي للعهد الجديد قد اختلف أو تأثر بعد دراستي مخطوطات البحر الميت مدة سبع سنين . وكل ما هنالك انني فهمت علاقته بتاريخ اليهود فهماً أوسع . أما معناه فلم يتغير ولم يتضح بقدر كبير . وقد يعود ذلك الى عدم رؤيتي ما تحت بصري . ففي بعض زياراتي الحفريات كنت أستطيع رؤية أمور كان يلفت إليها نظري علماء الآثار . وانه لمن الصواب أن العين المدربة ترى ما لا تراه عين غير مدربة . ومن الصواب أيضاً أن العلماء بصفتهم بشر يخفقون أحياناً في التمييز بين الادراك المعقول والخيال .

(٣١٣) ولكن لماذا لا نتوقع الكثير؟ أليس يكفي أننا نستطيع الآن تفسير العهد الجديد بثقة أكبر وفهم أدق ، لأننا صرنا ندرك البيئة والجو الروحي اللذين كتبت فيهما . وبعد معرفتنا الواسعة للعالم الذي جاء اليه الانجيلي ، عالم الايمان العميق والآمال العريضة والضلال والانحراف المحزن ، نتمكن من تقدير ما جاء به الانجيل للعالم . وربما تكون أفضل نعمة جادت بها مخطوطات البحر الميت هي أن جعلتنا ندرك قيمة انجيلنا بالمقارنة . والمقارنة بين مخطوطات البحر الميت والكتابات المسيحية بعد الرسل تقدم لنا فائدة فقد تعرض أحد الآباء الدومنيكان في القدس ، المدعوج . ب .

عودة الى العلاقات بين كتاب النظام وحكاية الطريقين الواردة في رسالة برنابا^(١) وتعاليم الرسل الاثني عشر - ففي القسم التالي من كتاب النظام نجد ميكلأ أدبياً وتطورياً لفكرة تطابق فكرة الطريقين تقريباً - على الرغم من الاختلاف الكبير في التفاصيل . أما التطابق فغاية في الدقة ويعتقد بأن مؤلف هذه الحكاية كان أحد أعضاء طائفة قمران أو أحد معارفه الحميمين ، وعلى كل حال فان المغزى الاخلاقي من كتاب النظام كان معروفاً وشائعاً في العهد المسيحي الاول ويحسد نفس الباحث علاقة بين النظام وبين راعي هرماس^(٢) علاقة وثيقة لدرجة انه يعود بهرماس من الأدب المسيحي غير المعتمد الى الافكار الواردة في النظام وهذا مجال يدعو الى درس اوسع .



صورة تجميع جذاذات المخطوطات في المتحف الأثري الفلسطيني بالقدس

(١) برنابا قبرصي اعتنق المسيحية في زمن الرسل وأخذ يدعو الوثنيين اليها . وكان له حقول باعه وأتى بالدرهم ووضعها عند أرجل الرسل .

(٢) كان هرماس مسيحياً رومانياً سلم عليه بولس ووضع سقراً عرف باسم راعي هرماس يتألف من ثلاثة أجزاء وفيه فوائد روحية .

الفصل السابع عشر

تسرب المخطوطات الى الخارج

(٣١٤) في ١٦/٤/١٩٤٩ كتب مدير الآثار الى وزير المعارف: علمت أن أربعة من هذه الملفات هربت الى اميركا وان الدكتور سكينيك من الجامعة العبرية صرح بأنه سيستعين بقانون الآثار ليطلب بهذه الوثائق لحكومة اسرائيل المزعومة .

ان هذه الوثائق وجدت في ذلك الجزء من فلسطين الذي لم يخصص لاسرائيل بموجب التقسيم الغاشم . وبناء على ذلك فانه ليس لإسرائيل المزعومة أي حق قانوني للمطالبة بها . لذلك أوصي بشدة أن تقوم حكومتنا بواسطة وزيرها المفوض في واشنطن لاعتبار طلب الدكتور سكينيك غير قانوني ثم الاحتفاظ لنفسها بحق المطالبة في هذه الوثائق استناداً الى قانون الآثار الفلسطيني وقانونهم الاميركي .

واذا كانت هذه الوثائق خرجت الى اميركا أو الى أي مكان خارج فلسطين أو شرقي الاردن تعتبر مهربة بطريقة غير شرعية وأن تحتفظ لنفسها الحق باتخاذ الاجراءات القانونية اللازمة ضد أولئك الذين اقترفوا نقض حرمة القانون بتهربها ، واذا سها عن القيام بالمطالبة بهذه المخطوطات فإنه يعني

دون شك أن شرقي الاردن تعترف بحق اسرائيل في هذه المخطوطات الفريدة ، وستكون النتيجة وخيمة . انني أعتقد الاعتقاد الذي لا شك فيه بأنه اذا قام وزيرنا المفوض بأميركا بإبداء وجهة نظره في قضية هذه المخطوطات لإحدى دور النشر هناك فسيؤدي ذلك الى إثارة هذه القضية في الصحف ومن الضروري أن يرشد الوزير الصحافة هناك الى موقف حكومتنا من هذه القضية .

مساعي الوزير المفوض :

(٣١٥) في ١٣/٧/١٩٤٩ كتب وزيرنا المفوض في الولايات المتحدة الى وزير الخارجية بعمان يطلب منه المعلومات الضرورية بشأن المخطوطات ليتمكن من متابعة الموضوع مع حكومة الولايات المتحدة ... ولقد أعد مدير الآثار المعلومات وختمها بقوله : « لم أقترح المطالبة بإعادة هذه الملفات وانما كان اقتراحي الوحيد في الوقت الحاضر هو أن تحتفظ الحكومة الاردنية بحق ملكيتها وإثبات انها وجدت في القسم المنضم الى الاردن » .

وفي ١٠/١١/١٩٤٩ أجاب الوزير المفوض بما يلي : أحيطكم علماً بأنني قد تابعت الموضوع ووصلت الى معلومات أعرضها على معاليكم : علمت أن أربعة أشرطة^(١) من هذه المخطوطات موجودة بجامعة ييل ، وان الدائرة المختصة في هذه الجامعة تأخذ صوراً لها واتصلت مع البروفسور ويلنغ Willing رئيس تلك الدائرة كتابياً راجياً اجابتي على بعض الاسئلة ، فزارني يوم ٤/١٠/١٩٤٩ وبحثت معه موضوع الاشرطة المخطوطة ووقفت منه على ما يلي :

١ - قدم اثناسيوس يشوعا صموئيل رئيس أساقفة كنيسة السريان بالقدس الى الولايات المتحدة ربيع عام ١٩٤٨ ومعه الاشرطة الاربعة المخطوطة بقصد بيعها والحصول على مال . وهو يدعي أن كنيسته بالقدس القديمة قد أصابها

(١) رؤي العدول عن استعمال أشرطة واستبدلت بملفات .

ضرر من القنابل اليهودية وهو يريد المال لتصليحها . وبعد أن صورت جامعة ييل هذه الاشرطة استلمها صاحبها المذكور وهو لا يزال يقيم بالولايات المتحدة قرب نيويورك ... وفي ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٤٩ ستعرض هذه الاشرطة في قاعة مكتبة الكونجرس في واشنطن .

٢ - والاشرطة المخطوطة لدى الراهب الأنف الذكر ليست جميع الاشرطة التي اكتشفت ربيع ١٩٤٧ ، إذ انه يوجد ثلاثة أو اربعة أشرطة أخرى لدى الدكتور سكينيك بالجامعة العبرية بالقدس ، أما المستر هاردنغ فعنده قطع فقط والجرار وأجزاؤها والتي تركها الراعي بعد أن أخذ الاشرطة التي كانت فيها . وهذه الاجزاء حسب ما قيل لي موجودة الآن في لندن . غير أن القسم المهم من الاشرطة المكتشفة هي التي عند مطران السريان المذكور .

٣ - إن الدكتور سكينيك يهدد بإقامة دعوى للحصول على جميع الاشرطة المخطوطة وما يتعلق بها ، لأنه حسب رأيه كل ما يوجد في فلسطين فهو ملك لاسرائيل . وهو يحذر من شراء هذه الاشرطة من رئيس الاساقفة لأنه يقول : ليس لرئيس الاساقفة ملكية صحيحة لهذه الاشرطة .

وبما هو جدير بالملاحظة أن هذه الاشرطة قد وجدت في فلسطين اثناء الانتداب البريطاني وخرجت من فلسطين الى سوريا في بادئ الأمر ايام الانتداب البريطاني أيضاً .

٤ - لقد تباحت مع الحامي المستر رسل بيشوب - وهو من المحامين المعروفين في العاصمة الاميركية - في موضوع هذه الاشرطة . وهو يرى أن هناك مجالاً قانونياً لإقامة دعوى وحجز الاشرطة والحصول على قرار لصالحنا... ولهذا فإننا نرجو إيقافنا على رأي معاليكم فيما اذا كنتم توافقون على رفع

دعوى والمطالبة بالأشرطة فإن كان ذلك فالرجاء إعلامنا برقباً لاتخاذ الإجراءات السريعة وحجز الاشرطة قبل بيعها وتهريبها . ثم نرجو إرسال قانون الآثار الفلسطيني باللغة الانجليزية سريعاً بالطائرة .

الوزير المفوض في واشنطن

وقد علق مدير الآثار على هذا الجواب : من رأي ان نترث قليلاً ريثما يصلني جواب كتابي الذي أرسلته الى الدكتور تريفير ، ولا يمكن تهريب هذه المخطوطات لأنها أصبحت مشهورة . ومعروفة جيداً . وإنذاراتي التي وجهتها الى السلطات الاميركية المختصة ستساعد على عدم شراء أو بيع تلك المخطوطات .

(٣١٦) وكتب المستر هاردنغ في ١٩٤٩/٩/٦ الى وزير المعارف :
وصلني كتاب من الدكتور تريفير الذي يعمل الآن بتصوير الملفات الاربعة المخطوطة التي هربت الى اميركا مقدمة لنشرها . ويظهر من هذا وجود عدد آخر من القطع المهمة بالاضافة الى المجموعة الكاملة التي استخلصت بطريقة غير شرعية من الكهوف منذ سنة تقريباً . وقد عمد مطران القدس الى بيعها الى اميركا لجمع الاموال لرعيته . لكنني عملت ما بوسعي لاحباط مساعيها وأعتقد انني توصلت الى بعض النجاح في مهمتي بحيث لم يتقدم الى ابتياعها أي متحف أو مؤسسة في اميركا خوفاً من عدم إمكانية تملكها بطريقة شرعية بعد ذلك . واذا لم يحالف النجاح الأسقف السرياني في بيعها في اميركا فإنه سيجابه الحقيقة التي تحتم عليه العودة بها الى هنا وهو أمر يتطلب التشجيع بكل الطرق وبهذا الخصوص فإنني أرى أن اكتب الى الدكتور تريفير وأتعهد بالنيابة عن حكومة المملكة الاردنية الهاشمية انه اذا أعيدت المخطوطات الى البلاد وأصبح وضعها شرعياً بإقرار مناسب لدائرة الآثار الاردنية سوف لا تتخذ اجراءات قانونية ضد الاسقف المذكور على فعلته ، وسوف لا يقف بطريقه أي عائق في بيع تلك الملفات نهائياً بطريقة شرعية ويستوجب علينا أن نحزر بعض النفوذ بالموقف لكن ما لم تعد وتعهد كما اقترحت بمساحة

الاسقف فإنه لا يلين لإعادة تلك المخطوطات ولا يساعد على إظهار بعض القطع التي أعتقد أن لا بد من وجودها الى حيز الوجود . وأغدر بمنّا إذا تكرمتم سماحتكم وطرحتم هذه القضية على بساط البحث أمام فخامة رئيس الوزراء . كما وانني على استعداد تام لاعطاء بعض التفصيلات حول الموقف اذا وجد ذلك ضرورياً إن هذه القضية تتطلب السرعة والعمل بأقرب برهة تستطاع حتى اذا وافقت الحكومة على اقتراحي فتدخلني بتقديم الوعود اللازمة بما يشجع الاسقف على العودة بها .

وكتب مدير الآثار إلى الدكتور تريفير :

أشكركم على كتابكم المؤرخ في ١٩٤٩/٨/٧ الذي وصلني قبل أن أغادر لندن بيوم واحد ، الأمر الذي جعلني أن لا أجيب عليه من قبل .

لم يصلني كتاب أسقف السريان أبداً . لذلك وجدت نفسي في حيرة بالإجابة على صورة كتاب غير موقع . إنني لا أستطيع أن أجيبك على سؤالك حول نشر سفر دانيال وقطع أخرى ، إذ يجب علي أن أستشير حكومي والأب ديفو في هذا الأمر أولاً ثم أعلمك بأقرب فرصة مستطاعة حول ذلك... هلا يوجد استفهام حول تلك الملفات الأربعة والقطع التي هربت إلى خارج البلاد ولا يمكن أن أستعلم من المطران بأية حال عن حق ملكيتها فقد اشتراها أولاً لكن كان يجب عليه أن لا يهربها من البلاد دون تفويض رسمي إن نصيحتي لنياقة المطران إذا كان يرغب أن يجعل وضع هذه الملفات شرعياً بأن يعيدها إلى هنا ، وأفضل أن تعاد إلى عمان لتبقى بحراسة الحكومة وبعدئذ يعطى تصريحاً بالتصرف بها حسب رغبته وأستطيع أن أعطي تأكيداً قطعياً بالنيابة عن دائرة الآثار الأردنية أن لا يكون هنالك منازع له حول ملكية^(١) هذه الأشرطة الأربعة وسوف لا يقف أي عائق في طريق بيعها إلى مؤسسة علمية كبيرة لجمع الأموال لرعيته إنني أتوق للتعاون مع نياقته للتقصي أو لإظهار بعض المخطوطات ، أي قطع اعتقد بوجودها في حيازة بعض رجال رعيته وبالأخص رجال الأبرشية .

(١) انها ملك للحكومة حسب قانون الآثار الذي يتقيد به المستر هاردنغ . وكل ما يستطيع عمله هو دفع تمويض أو مكافأة .

أغدو بمتناً إذا أرسلتم نسخة عن تقريركم الذي سيساعدني في الوصول إلى قرار مناسب في هذا الأمر ... إن القسم الأعظم من الأضرار التي طرأت على هذا العمل قد تفاديتها وأرجو من نيافته أن يبحث كل رعيته ، ولا سيما الذين لا يزالون يحتفظون ببعض القطع أن يحضروها إلى هنا مقابل إيصالات مناسبة وأعدم أنه سوف لا تتخذ ضدهم أية إجراءات قانونية واحتفظ بأمر دفع التعويضات لهم مقابل ذلك إذا رغب نيافته ريثما يعود وتباحث الأمر سوياً ... إنني أتوق جداً لإنقاذ ما أستطيع إنقاذه وأن أرى كل شيء تتناوله الأيدي بطريقة لائقة ومؤتمنة وأن أعطي تعويضات مناسبة لأولئك الذين يرغبون ببيع ما في حوزتهم من قطع . وفي جميع هذه الحالات أستطيع أن أقول أنه يجب علي الرجوع إلى حكومتي وأن أعمل ما بوسعي كي تكون جميع المفاوضات في هذا السبيل بواسطتي شخصياً . إنني على استعداد لأن أعمل ما بوسعي لئلا تفقد أي قطعة من هذه المخطوطات حق أجعلها جميعها في متناول طلاب العلم .

وبعد مدة كتب المستر هاردنغ : لقد تسلمت جواباً من تريفر يذكر لي فيه أن يبحث المطران على العودة بها ... ولا زلت أنتظر جواب المطران ... وتعتبر إقامة الدعوى قبل وصول جوابه سياسة عقيمة ... وأرى أن يتصل الوزير المفوض في واشنطن بالمطران ، فإذا رفض الإذعان وجب إقامة الدعوى . وفي ١٩٥٠/٣/٩ قرر مجلس الوزراء صرف النظر عن إقامة الدعوى .

الاستعانة بالسفير الأميركي

(٣١٧) في ١٤ فبراير ١٩٥٢ كتب مدير الآثار إلى السفير الأميركي : إن المخطوطات التي اكتشفها الرعاة صدفة سنة ١٩٤٧ في الزاوية الشمالية من البحر الميت والتي كانت في منطقة الانتداب ثم انتقلت إلى حكومة الأردن ، قد بيعت إلى صاحب دكان سرياني في بيت لحم . وفي الحال تسرب بعضها إلى الجامعة العبرية ووصل القسم الآخر إلى مطران السريان بالقدس الذي نقلها إلى المدرسة

الأميركية للأبحاث الشرقية بالقدس ثم سمح لهم بدراساتها . وفي آذار سنة ١٩٤٨ شجعه مدير تلك المدرسة الدكتور تريفر على تهريبها إلى أميركا عن طريق حمص . وفي أثناء اختلال الأمور في حكومة الانتداب التي يحرم قانونها إخراج العاديات دون تصريح من دائرة الآثار التي كانت تقيم في المتحف الأثري والذي لا يبعد أكثر من نصف ميل عن المدرسة الاميركية وكذلك عن دير السريان ، فإنها لم تحط علماً بما كان يجري وأكبر من ذلك أن عدداً كبيراً من أتباع دير السريان ذهبوا الى الكهف وقاموا بالحفر دون تصريح . وفي أواخر ١٩٤٨ غادر المطران مدينة القدس متوجهاً إلى أميركا ومعه المخطوطات وهذا يعني أنه هربها من أربع دول هي فلسطين والأردن وسوريا ولبنان التي تمنع كل منها إخراج العاديات دون تصريح . وكان مقصده من أخذها إلى أميركا بيعها بأعلى الأسعار . ولكن المعاهد العلمية المحترمة التي تقدر المسؤولية لم تتقدم لشراؤها عندما عرفت أنها مهربة .

(٣١٨) والآن وقد خلفت حكومة الأردن حكومة الانتداب ولا تزال تعمل بقانون الآثار فيها فإنها تدعي ملكية هذه الملفات . لكنني لم أنصح حكومتي برفع دعوى ضد المطران لما تقتضيه الاتصالات الدولية من إطالة الوقت زيادة عن الوقت الذي تستغرقه المحاكم في البت بمثل هذه القضايا وقبل أن آخذ موافقة حكومتي خطياً كتبت إلى المطران مبيناً عدم قانونية عمله ورجوته أن يعيد المخطوطات إلى هذه البلاد وضمت له عدم استعمال القانون ضده وطلبت منه إظهار حسن نيته بتقديم القطع الصغيرة التي وجدها مؤخراً في الكهف أو الكهوف إلى سفيرنا بأميركا . ولكنه تظاهر بعدم معرفته لسفارتنا هناك . وهكذا وقفت هذه القضية عند هذا الحد وسأكون شاكراً بفضلكم إذا تكرمتم بإرشادي إلى الطرق التي أستعملها باستعادة هذا الحق ... مثلاً ما هو موقف القانون الأميركي تجاه تهريب العاديات ... وقانون هذه البلاد يوجب إلقاء القبض على المهرب وإعادة المهربات إلى البلاد التي هربت منها (مادة ٢٨ من قانون الآثار الفلسطيني) لعل في هذه المادة شبيهه بالقانون الأميركي . ولما لم

يجد المطران من يشتري منه هذه البضاعة بسبب مطالبة الأردن بها - وكذلك إسرائيل - فقد اضطر لأن يبيعها لليهود بربع مليون دولار وأعيدت إلى الجامعة العبرية لتنضم إلى الكمية التي كان سوكنيك قد اشتراها سابقاً . وبذلك تمّ جمع كل - أو معظم - مخطوطات الكهف الأول .

سارق المخطوطات

(٣١٩) بوستون في ١٩٦٢/٦/٢٣ - رويتر :

برزت مخطوطات البحر الميت في قضية ضرائب هنا أمس عندما قضت محكمة استئناف بأن المطران أنثاسيوس صموئيل رئيس كنيسة أنطاكية السورية في الولايات المتحدة وكندا ، مدين بمبلغ ٦٩٨١٣ دولاراً على شكل ضرائب متأخرة ناجمة عن بيع المخطوطات إلى إسرائيل .

وكان المطران صموئيل يستأنف ضد حكم سابق صادر عن محكمة الضرائب الأميركية ولكنه خسر الاستئناف . ويؤخذ من الشهادات التي استمعت إليها المحكمة ان المطران صموئيل ابتاع عدداً من المخطوطات من بدوي كان قد عثر عليها في كهف بالقرب من البحر الميت وقد نقل المطران صموئيل المخطوطات إلى الولايات المتحدة في سنة ١٩٤٩ . وبعد سنتين نقلها إلى هيئة ائتمانية بموجب اتفاق ينال بموجبه ١٥٠٠٠ دولار لتسديد نفقات المخطوطات ومبلغ ١٥٠٠٠ دولار أخرى لمواجهة نفقات أخرى في المستقبل ومبلغ ١٠٠٠٠ دولار في نفس السنة . وقد بيعت المخطوطات إلى إسرائيل في سنة ١٩٥٤ . بمبلغ ربع مليون دولار وقد وظف هذا المبلغ في شراء اسهم وسندات . وحكم القاضي جون هارتغال John Hartgal رئيس محكمة الاستئناف الأميركية بأنه كان يجب على المطران صموئيل ان يدفع مبلغ ٦٩٨١٣ دولاراً أخرى كضرائب في سنة ١٩٥٤ .

(٣٢٠) قال علماء الجامعة العبرية الذين فتشوا الكهوف في بوادي اليهودية اخيراً بحثاً عن مخطوطات البحر الميت انهم عثروا على حزمة من ورق البردي يعود تاريخها الى ما قبل تسعة عشر قرناً . وعلى اربع قطع خشبية يعتقد بأنها تعاويذ لابعاد الارواح الشريرة .

وقد لحص هؤلاء العلماء نتائج حملتهم التي استغرقت اسبوعين بالقرب من عين جدي قبالة البحر الميت وقالوا امس ان بعض الكهوف كشفت عن دلائل على ان الثوار كانوا يسكنونها في عهد شمعون بار كوكب الذي قاد الثورة الثانية ضد الرومان بين سنتي ١٣٢ - ١٣٥ م .

وقد وجدت اوراق البردي التي كانت جافة كالغبار ومربوطة بخيط كما وجدت تعاويذ في كهف وعثرت فيه على دلائل تشير الى ان الثوار في تلك الفترة كانوا يعيشون فيه . ومن تلك الدلائل تسعة عشر اناءً من النحاس تحمل نقوشاً بديعة ثم قطعة نقود تحمل اسم باركوكبا . وقد تمكن علماء الآثار من فك رموز ستة اسطر من الاصحاح الثاني عشر من كتاب المزامير وقال بيغان يدين الذي قاد احدى الفرق الاربعة في هذه الحملة ان الحروف تشبه تلك التي وجدت في مخطوطات قران سنة ١٩٤٧ .

وقد وجدت ايضاً قطعة نقود ثانية من عهد باركوكبا كما وجد سهم مطمور عند مدخل احد الكهوف مما يدل على وقوع هجوم على الثوار المحاصرين وقد وجدت ايضاً آلاف من حبات الخرز ورؤوس الصولجانات النحاسية وغير ذلك من الآثار التي يعود تاريخها الى ما قبل خمسة آلاف سنة وقد قامت طائفة هليوكبتر بالتقاط صور لمداخل الكهوف . وقال اعضاء الحملة انهم وجدوا ادلة على ان البدو قد وصلوا قبلهم الى الكهوف التي تعذر وصولهم اليها .

في اول شهر كانون الاول سنة ١٩٥٦ نشرت الصحف نبأً لرويتير من شيكاغو مفاده ان معهد مكورميك للدراسات اللاهوتية قد اشترى تسعة

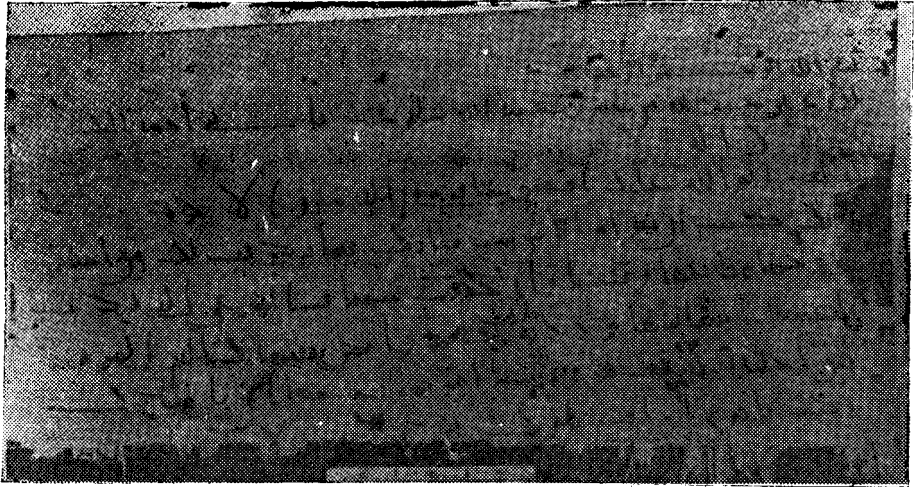
مخطوطات من مكتشفات البحر الميت . وجاء في هذا النبأ ايضاً ان ما اشتراه هذا المعهد ما هو الا قليل من مجموعة ما اكتشف سنة ١٩٤٧ .

(٣٢١) وفي سنة ١٩٥٨ اذاعت رويتر من نيويورك هذا النبأ : حصلت احدى الكنائس هنا على عدد من المخطوطات عثر عليها في منطقة البحر الميت تحتوي على ما يعتقد انه اقدم نسخة من الوصايا العشر باللغة العبرية بحالة حسنة الا ان هذه المخطوطات لا تزال موجودة في متحف الآثار الفلسطيني بالقدس بسبب الانظمة المتبعة في الاردن . . . وقد دفع المشتري - الذي أثر عدم ذكر اسمه - عدة الوف من الدولارات ثمناً لقطع من المخطوطات سمع في محاضرة القيت في جامعة هارفرد في ربيع ١٩٥٨ انها معروضة للبيع .

(٣٢٢) وقد نشر امين المتحف الاثري الفلسطيني بالقدس ايضاً للواقع ما يلي :

وهبت كنيسة الموحدين في اميركا متحف الآثار الفلسطيني بالقدس مبلغاً من المال لشراء مجموعة من مخطوطات البحر الميت ، على أن تكون المخطوطات المشتراة ملكاً للمتحف الفلسطيني بالقدس . إن هذه الصفقة كسائر الصفقات من نوعها والتي تمكنا من شرائها بفضل سخاء المتبرعين من أنحاء المعمورة أضافت مادة جديدة الى كنوز الاردن التاريخية الأثرية بحيث أصبح الاردن يملك الآن مجموعة من مخطوطات البحر الميت لا يملكها أي بلد في العالم . ويعود السبب لهذا النجاح الباهر الى الجهود التي بذلتها الجهات المختصة بتوجيه من حكومة الاردن الرشيدة ومعاضدتها الكريمة .

(٣٢٣) لقد عرضت في السوق المخطوطات العربية التي وجدت في كهوف المربعات ومن المعبد البيزنطي في خربة المرد (ف ١٤٢) فأهاب مدير الآثار بالحكومة الاردنية أن تشتريها وتحتفظ بها . وهذه نصوصها .



بسم الله الرحمن الرحيم^(١)

لاحمد بن عبد الله من عمر بن عبد الله سلم عليك فاني احمد اليك ان
لا اله الا هو .

اما بعد اتم الله عليك افضل عافيته في الدنيا والاخرة
لاحسب ان مع ام اياس بنت معاذ مما ذكرت لا من احد
ومن متاعها ونفقتها واني جمعت بينها فسألته عن الاولاد
ابتاعها فردّ دية حليها وانكر نفقتها هنا لنلك
المرّة .

اذا جئته انزل معها ودبر امرهم جميعاً ان يأتيك
وكتب يامرني ان اقدم مكتوبي

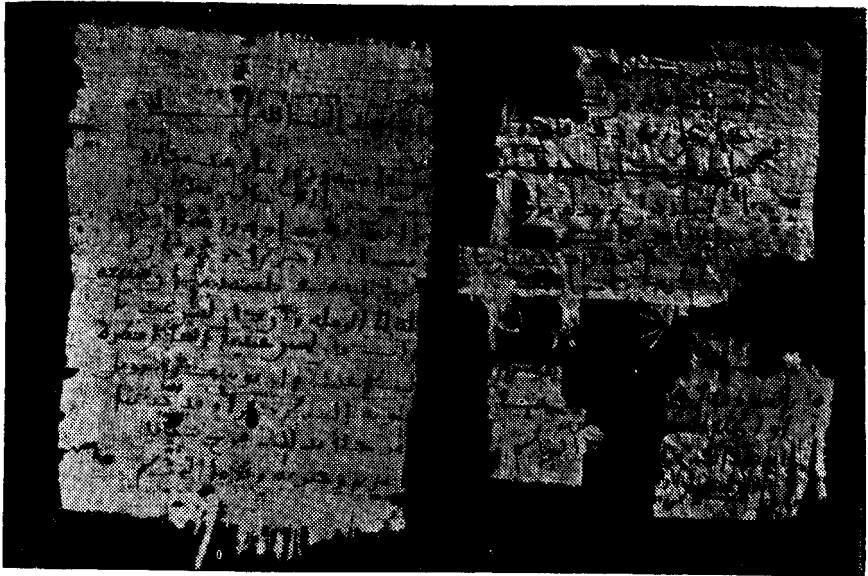
(١) قراءة الدكتورة عائدة سليمان أبو حكمة استاذة الآثار الاسلامية في الجامعة الاردنية .

المخطوطة الثانية

- ١ بسم الله الرحمن الرحيم
- ٢ قد قبضت من ورثة ابو غسان عن كفر
- ٣ صنون ثلث وثمان دینر لسنة سبع وعشرين
- ٤ وثلثمائة وكتب ابراهيم بن حماز في شهر ربيع
- ٥ الاول من هذه السنة توكلت على الله

المخطوطة الثالثة

- ١
- ٢
- ٣ (والحد الثاني ينتهي) (الى ..) نه والى غرة والحد الثالث (...)
- ٤ (س) كنة جميع هذا البيت المذكور في هذا (ال) كتاب
- ٥ و () رح عنه بدينار واحد عينا ذهباً جيداً) النقد
- ٦ وعنه براءة قبض واستيفاء شراً صحيحاً)
- ٧ ()



المخطوطات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة على ورق القبطي المصري

الخطوطة الرابعة

- ١ حطب
- ٢ (يـ وتعلقه على عد)
- ٣
- ٤
- ٥ (ها اكوا الى السلوك اذا)
- ٦ هـ اهلها دله وكلد لم)
- ٧ (ت هنا ذ كرم)

الخطوطة الخامسة

- ١ (نعل البحر بالولا)
- ٢ (الله العلي العظيم)
- ٣ (هو السميع الـ)

الخطوطة السادسة

- ١ بسم الله الرحمن الرحيم (حـ) ... بسم الله
- ٢ وبالله (وعلى الله الى الله والعافية من الا) هـ
- ٣ باسمك (يا) رب يالرملال سهمدان
- ٤ ((١)) ضاق اذا روى الوهم يتقربونا به بهوا
- ٥ اسوا الرير ياه ولا هـ وه هي سرمى
- ٦ سفخد د قول هي سلا ياه رب الخير هو
- ٧ والله يا (الله) هـ يا رحمن يا الله يا حيم يا غاز
- ٨ اسئلك باسمائك الكثيرة الكبيرة
- ٩ الرضية الـ (هـ) رضية العزيزة الممتعة
- ١٠ التامة الـ (ك) املة الطاهرة التي لا ينبغي

- ١١ ان يسما (به) ا احد غيرك يا الله اسئلك باسمها
- ١٢ ثلك التي لا () ولا تزول التي لا يرد لها شى من
- ١٣ دونك المثوبة التي بها يتم عهدك التي تجيب
- ١٤ من دعاك يا الله يا الله اسئلك تكلمة
- ١٥ المسير الاية قوا عليها شيء ولا يحملها
- ١٦ دونك (اسم) ائلك اعلاها على ان ارفعها
- ١٧ رفعة () را واسطعها انورا
- ١٨ واشرعها (اش) را (ع) ا وانجهم ا نجاها واتمها
- ١٩ تماما واكملها (لها) كما لا اسئلك وادعوك باسمائك
- ٢٠ التي دعا (ك) بها مطاه كل الخواتم
- ٢١ وبكرب ال () ال (ت) ي دعاك وسما
- ٢٢ يفتكر من ا (ل) وال) مهد والاحلال و
- ٢٣ والعدل (وال) والعز والقوة والرحمة والقدرة
- ٢٤ والمرح والقر والفضل العظيم وباسما ثلك التي
- ٢٥ تقضى بها حوائج من شاء وبها يقدم ويفيد وبا
- ٢٦ س ما ثلك النقية المخصوصة المحجوبة ساعا
- ٢٧ وكسر وتصا ليب وباسما ثلك العالية الطاهرة
- ٢٨ المطهرة الممدوحة الرفيعة الجليلة الكريمة
- ٢٩ الجميلة ياه ياه ياه هو هو هو ياه
- ٣٠ هو ا (ال) له الخالق الجليل البارى المتكبر المفرج
- ٣١ وال (ر) حيم الاعز الصمد الوهاب الودود
- ٣٢ ال () ي المهيمن المتعال القدوس الرحمن
- ٣٣ الملك (ال) بها استغفرك وبها ادعو
- ٣٤ عزتك وبها اسئلك الشفا وبها اقضي
- ٣٥ حوائجي وبها فرج همي وبها اخذ كف كربى

- ٣٦ وكر شدي من قلبي بها يا الله يا الله افديتك
 ٣٧ والهيتك وسا وبها ارجو نجوح ما طربت
 ٣٨ منك مصرفة من الدنيا واخرى وبها ار
 ٣٩ جو الش فالكل من استشفها
 ٤٠ واسئلك صروف كل عاهة وقلبة يكون
 ٤١ ابليس وجنوده واشياعه وتباعه
 ٤٢ ومن مرد (ة) الجن وجه ل وثن عه ودا
 ٤٣ لا جساد ه (م) وقلوبهم سوى وسارسة
 ٤٤ وحيلة وت (ب) هة وهمزة ولمزة وتغبة
 ٤٥ ونفحة س () () الله ها غرورها
 ٤٦ عونتك (ش) فا هوزك (م) ن خدعات
 ٤٧ ال (ل) ه الذي له ملك السموات والارض
 ٤٩ وبخاتم الامي محمد صلى الله عليه وسلم
 ٥٠ وبخاتم سليمان بن داود^(١)

(١) هذه المخطوطات الخمس منقولة عن :

DISCOVERIES IN THE JUDAEAN DESERT. II

LES GROTTEs DE MURABBA' AT BY

P. Benoit, O. P. I. T. Milik, and R. DE VAUX, O. P. TEXTE

OXFORD. AT THE CLARENDON PRESS.

الفصل الثامن عشر

مصير المخطوطات

(٣٢٤) في سنة ١٩٥٢ كتب مدير الآثار الى وزير المعارف : اكتشف
عرب التعامرة قبيل اسبوعين كهفاً قرب عين الفشخة يحوي كمية كبيرة من
مخطوطات التوراة ، أكثر أهمية وتنوعاً من المخطوطات المشهورة . ولما
علمت متأخراً وبعد أن باشر العربان بعرض ما وجدوا للبيع بادرت الى
الاتصال برئاسة أركان حرب الجيش العربي فأرسلت دورية عسكرية الى المكان
أوقفت البدر من التمادي في عملهم وذهبت بنفسي في اليوم التالي للإشراف
على الحفريات بالتعاون مع المتحف الفلسطيني والمدرسة الفرنسية لعلم الآثار
والتوراة وتقدم المتحف الفلسطيني مرة ثانية لانقاذ هذا الأثر الهام فتمكن من
شراء أكثر من ثلث ما وجده العربان بما تبقى لديه من أموال . ولكن احتياط
المتحف نفذ الآن واضطر للتوقف عن الشراء وأرسل نداءات الى الجمعيات العامة
في أوروبا وأميركا طالباً إرسال العون المادي السريع ليتمكن من شراء الباقي ،
لأن الشراء هو الطريق الوحيد لانقاذ هذه المخطوطات . والمنطقة التي يسكنها
العربان صعبة ولا يمكن فيها ملاحقة المعتدين وأخذ ما وجدوه منهم بالقوة . كما
ويخشى أن يهرب العربان المخطوطات الى اسرائيل وقد طلبت مراراً إعطائي
التعليمات اللازمة الواضحة لمواجهة ما قد يحدث ...

الجمعيات العلمية التي قد تبادر بإرسال المساعدة المادية قد تتطلب لنفسها

نصيباً من هذه المخطوطات وحينئذ يتحتم علينا السماح بإخراج نصيبها من البلاد... والحل الوحيد هو أن تشتري الحكومة هذه المخطوطات التي تكلف نحو خمسة عشر ألف دينار .

(٣٢٥) وفي ١٩٥٢/١٢/٣ وافق مجلس الوزراء على رصد خمسة عشر ألف دينار لشراء ما هو معروض من هذه المخطوطات وشكلت لجنة لشراؤها مؤلفة من وكيل وزارة المعارف والمالية ومن مدير الآثار ومفتشها .

واجتمعت اللجنة المؤلفة بموجب كتاب دولة رئيس الوزراء رقم ٩٦٤٢/٢/٢٦ تاريخ ١٩٥٢/١٢/٤ لشراء المخطوطات الأثرية في مكتب وكيل وزارة المعارف صباح يوم الاثنين الموافق ١٩٥٢/١٢/٨ فقررت التوجه الى القدس لمشاهدة المخطوطات التي يراد شراؤها بعد أن أعلن مدير الآثار المستر هاردينغ أن القسم الأكبر من هذه المخطوطات موجود في المتحف الفلسطيني بالقدس .

(٣٢٦) في صباح يوم السبت الموافق ١٩٥٢/١٢/١٣ توجهت اللجنة الى المتحف الفلسطيني بالقدس وشاهدت عدداً كبيراً من قطع الجلد وورق البردي، بعضها صغير وبعضها كبير وتتراوح مساحة القطعة منها بين السنتيمتر المربع الواحد و ١٣٠ سم^٢ وعلى هذه القطع كتابات باللغات العبرية والفنيقية واليونانية والآرامية وبخط مجهول لم يقرأ بعد . كما أن بعض هذه القطع ليس عليه كتابة ولكن بعد تصويرها ظهرت كتابة محيت ولكن يمكن قراءتها اذا ما صورت .

فقررت اللجنة أن تضع يدها على هذه المخطوطات باسم الحكومة وأن تقدر فيما بعد التعويض اللازم الذي يجب دفعه حسب منطوق قانون الآثار الفلسطيني . ولما وجدت أنه من المتعذر احصاء هذه القطع واحدة واحدة لصغر أحجامها ولكثرة عددها وبيان مواصفاتها بشكل دقيق فقد اكتفت باللجوء الى وزنها بميزان دقيق ثم نظم جدول بها وسلمت الى مدير الآثار لتبقى في

عهدته . كما ان اللجنة قررت دفع ستة آلاف دينار من اصل التعويض . ودفع هذا المبلغ بموجب شك الى مدير الآثار .

لقد افاد مدير الآثار بصفته الرسمية وبصفته أميناً للمتحف بالقدس بأن المبلغ الذي دفعه متحف القدس ثمناً لهذه المخطوطات يبلغ ١٤٩٦٢ ديناراً . وان هنالك مخطوطات أخرى لا تزال بين أيدي العربان المتعامرة وانه سيحاول شراءها باسم الحكومة والمتحف . ولما سئل عن الاسباب التي حدثت بالمتحف الى دفع هذه المبالغ الكبيرة افاد بأن المبالغ المدفوعة رغم ما يظهر من ضخامتها هي قليلة بالنسبة لقيمة المخطوطات الفنية والعلمية ، وان عدداً من المؤسسات العلمية في العالم على استعداد لدفع مبالغ اكبر مما دفع المتحف . كما ان المتحف الفلسطيني قد انقذ بعمله هذا المخطوطات من التلف والضياع أو من التسرب الى أيد أجنبية - وبصفة خاصة الى اسرائيل - هذا مع العلم بأن القانون الفلسطيني لا يسمح بالاستيلاء على هذه المخطوطات دون دفع التعويض الكافي.

(٣٢٧) وقد بين مدير الآثار للجنة بأن عملية التفتيش عن المخطوطات التي بدأ بها عرب المتعامرة منذ سنة ١٩٤٧ والدعاية الكبيرة التي نالتها تلك المخطوطات جعلت عرب المتعامرة وتجار الآثار يقدرون قيمة ما يحدونه من قطع ويحرصون على تقاضي أثمان عالية عنها ، كما ان ضيق الموازنة في دائرة الآثار قد منعه من ارسال العدد الكافي من حراس الآثار الى تلك المنطقة ، ولم يمكنها من القيام بعمليات تنقيب عن المخطوطات . وفيما يلي بيان بأوزان دقيقة لبعض القطع الاثرية ومواصفات تقريبية لبعض الآخر منها التي تقرر شراؤها بالمبلغ المذكور آنفاً . وعليه نظم هذا الضبط بتاريخ ١٣/١٢/١٩٥٢ .

وكيل وزارة المعارف
مصطفى الدباغ

وكيل وزارة المالية
عز الدين المفتي

مدير الآثار
لانكستر هاردنغ

مفتش الآثار
عبد الكريم الغرايبة

- ١ - خمس علب كرتون تحتوي على قطع اوراق بردي كاييلي :
 - أ - علبة طولها وعرضها 26×19 سم
 - ب - علبة طولها وعرضها 25×18.5 سم
 - ج - علبة طولها وعرضها 23×18.5 سم
 - د - علبة طولها وعرضها 20×15 سم
 - هـ - علبة طولها وعرضها 20×7 سم
- ٢ - زوج خف نمل - احدهما في حالة غير حسنة
- ٣ - مخطوطات بين الواح زجاجية :
 - أ - 30×22 فيه قطعة واحدة قياس 14×23
 - ب - 30×22 ثلاث قطع احداها كبيرة قياس $13 / 24$
 - ج - 30×22 ثلاثة الواح تحوي قطعاً كثيرة تملأ ثلثي الفراغ
- ٤ - مخطوطات بين الواح زجاجية قياس 13×8 عدد اربعة وصفها
 - أ - قطعة واحدة قياسها 13×10
 - ب - ثلاثة الواح تحوي عدة قطع تملأ اكثر من نصف الفراغ .
- ٥ - لوح زجاجي قياس 19.5×25 اكثر قليلاً من نصف الفراغ تشغله قطع صغيرة .
- ٦ - لوح زجاجي آخر تشغل القطع حوالي ثلثي الفراغ قياس 19.5×25
- ٧ - مخطوطات بين الواح زجاجية عليها علامة (Q 4) عددها ستة
 - قياس 30×22
 - أ - ثمان قطع
 - ب - اكثر من عشرين قطعة
 - ج - قطع بردي صغيرة عديدة
 - د - قطع بردي صغيرة عديدة
 - هـ - فيها قطع صغيرة وقطعة كبيرة 9×20 و قطع كثيرة .
- ٨ - مخطوطات من الكهف (Q 6) بين الواح زجاجية عددها اربعة
 - قياسها 30×22 .

٩ - علبة اردات فيها حوالي ١٢ قطعة جلدية .

١٠ - علبة دخان تحمل اربع قطع صغيرة من كهف (Q 4)

١١ - كمية كبيرة اخرى من القطع بلغ وزنها ١٤٠٠ غم وقدرت مساحتها بستة وثلاثين الف سم ٢ مما يجعل المساحة التقريبية لجميع المخطوطات التي وضعت اللجنة يدها عليها حوالي ثلاثة واربعين الف سم ٢ .

وفي ١٩٥٣/١٠/٤ كتب مدير الآثار الى معالي وزير المعارف :

ارجو ان اشير لمحدثي الشفوية الاخيرة حول مخطوطات التوراة الاثرية ، توجد كمية كبيرة من هذه المخطوطات بحوزة أناس عديدين وقد ساقني الظروف لمشاهدة ثلثي هذه الكمية تقريباً وقد قدرت قيمتها ما بين ١٠٠٠٠ و ١٢٠٠٠ ديناراً بانياً هذا التقدير على ما دفع من مبالغ في السنة الماضية في شراء مثيلها من مخطوطات . انني ادرك تماماً ان حكومتنا الجليلة تعجز عن ايجاد السبيل لرصد مثل هذا المبلغ في الوقت الحاضر لهذا الغرض . ومن تقديري لتبرع الحكومة السخي الذي جادت به في السنة الماضية لانقاذ مثيلها من المخطوطات غير انني ارجو ان اوصي بأن تولي الحكومة الامر التالي عين الاعتبار والاخذ به .

لقد حظيت مخطوطات التوراة باهتمام العالم بأسره وقد اصبح يرد الي عروضات من متاحف وجامعات اجنبية عديدة تعرض فيها تبرعها بالاموال اللازمة لانقاذ ما تبقى من هذه المخطوطات في ايدي الجمهور . وبطبيعة الحال فان هذه العروض تضمنت الحصول على حصة من المخطوطات تتناسب مع المبالغ المتبرع بها . فمن الناحية العلمية فان اهم نقطة في الامر هي جمع هذه المخطوطات جميعها لتصبح وحدة واحدة ومن ثم دراستها ونشرها ، ومتى تم لنا هذا الامر فيصبح امر توزيعها والتصرف بها ليس ذا اهمية ، فمن مشاهدي للكمية التي لا تزال في ايدي الجمهور فقد وجدت ان حصة الحكومة التي اشترتها في السنة الماضية هي احسن حصة . لذلك فاني ارجو ان اؤكد على

الحكومة انه في حالة عدم رغبتها بشراء الكمية الباقية من المخطوطات ان تولي العروض الخارجية الاهمية اللازمة مع انه سيدشترط في حالة قبول تلك العروض ان تبقى تلك المخطوطات في المملكة الاردنية الهاشمية ربما تنتهي دراستها واعدادها للنشر ، وجميع هذه الاعمال ستكون تحت اشرافى الشخصي .

أما فيما يتعلق بدراسة وترجمة تلك المخطوطات فقد توفقت في ايجاد هيئة علمية دولية للقيام بها ، من بينها الانجليزي والاميركاني والفرنساوي والامساني والدنماركي وستحضر هذه الهيئة الى العمل عليها لمدة سنة كاملة على الأقل . ولا حاجة للقول بأننى سأقوم بالإشراف كلياً بشخصى على أعمالها ولقد نجحت في اعداد جميع هذه الاعمال بدون أن تتكبد الخزينة الاردنية أية مصاريف لقاءها .

لذلك فأننى أعقدو ممتناً إذا ما تكرمتم معاليكم بطلب موافقة الحكومة على مبدأ السماح للمؤسسات العلمية الاجنبية بنقل ما يخصها من مخطوطات لقاء المبالغ التي تبرعت بها لانقاذها . وآننى أخشى اذا لم أتمكن من ايجاد الاموال اللازمة لإنقاذ تلك المخطوطات بأقرب فرصة أن يعمد أصحابها الى تهريبها خارج الحدود حيث يجدون الاسعار المغرية لها . لذلك أرجو أن أعود وأكرر بأن هذه القضية تتطلب سرعة البت بها .

وتفضلوا معاليكم بقبول فائق الاحترام

هاردنغ
مدير الآثار

(٣٢٩) وفي ١٧/١١/١٩٥٣ قرر مجلس الوزراء الموافقة على أن تتولى المؤسسات العلمية والجمعيات الأثرية والمتاحف التي تلقت دائرة الآثار عروضها بدفع ثمن أو أمانة جميع المخطوطات من حسابها الخاص ، وذلك بعد أن تقوم دائرة الآثار باستلام جميع المخطوطات وحفظها لديها ودراستها وتصويرها واعدادها للنشر تحت اشراف مدير دائرة الآثار الشخصى ومعرفة ومسئولته .

وردأ على هذا القرار كتب مدير الآثار الى وزير المعارف :

ان قرار مجلس الوزراء جاء غامضاً جداً بالنسبة لي ، حيث لم يرد به أي ذكر بما يتعلق بارسال حصة لكل مؤسسة علمية أو متحف أو جمعية أثرية تتبرع بأي مبلغ من المال لشراء المخطوطات والبحوث عنها على أن تتناسب الحصة والمبلغ الذي تتبرع به تلك المؤسسة بعد أن تتم دراسة تلك المخطوطات واعدادها للنشر في الأردن لأن هذه النقطة أهم نقطة تضمنها كتابي في تاريخ ١٩٥٣/١٠/٤ . ولذلك أعقدو ممتناً جداً اذا ما تكرمت معاليكم وثبت لي ذلك . وهذا هو المقصود من القرار والبحوث عنه لانني لا أستطيع المضي بتنفيذ الاقتراح ما لم يتم توضيح هذه النقطة بصورة جدية .

أجابه وزير المعارف بقوله : ان قرار مجلس الوزراء يتضمن النقطة التي ألتعم اليها في كتابكم المشار اليه .

وبناء عليه كتب المستر هاردينغ الى المتبرعين يطمئنهم على أنهم سيأخذون المخطوطات التي اتيتمت بأموالهم وحالما تفرغ اللجنة المختصة من دراستها . كتب ذلك دون أن يعتمد على قرار وزاري بهذا الامر الخطير . وقد وردت التبرعات باسمه الشخصي بالعملات الاجنبية وهو الذي حولها الى الدينار الاردني واشترى المعروضات بصفة شخصية وهو الذي عين كل قطعة باسم الجامعة التي دفعت ثمنها ثم خلطها مع الحصة التي اشترتها دائرة الآثار الاردنية بمبلغ ١٥٠٠٠ دينار وبمحصة المتحف الفلسطيني التي اشترها بنحو ٥٠٠٠٠ دينار .

ثم جاءت جامعة ماكورميك الاميركية وتبرعت بستة آلاف دولار ، فقبل المبلغ وأخذ من حصة كل جامعة قطعاً كون منها حصة لجامعة ماكورميك .

(٣٣٠) وفي ١٩٥٦/١/١ طلب منه وزير المعارف أن يخبره عن مصير هذه المخطوطات فأجابه :

أبين بأدناه قائمة بأسماء المؤسسات العلمية والمبالغ المختلفة التي ساهمت بها لشراء مخطوطات التوراة الاثرية بالنيابة عنها :

- ١ - جامعة ماكجيل ، مونتريال - كندا ٦٨٥٠ دينار
- ٢ - جامعة مانشستر ، المكتبة السامية - مانشستر ٢٠٠٠ دينار
- ٣ - مكتبة الفاتيكان بروما - ايطاليا ٤٠٠٠ دينار
- ٤ - جامعة هديلبرج - المانيا ٤٠٠٠ دينار

وعلى ما اظن بأن هذه الآن تغطي جميع موجودات هذا الكهف المعين في خبرة قمران ، ولا اتوقع ورود أية مساهمات أخرى .

ان المخطوطات نفسها لا تزال بالمتحف الاثري الفلسطيني بالقدس بحيث يعكف على دراستها مجموعة من العلماء الاثريين مكونة من عالم بريطاني وفرنسي واميركاني والماني ، وتحتاج الى مدة سنة أخرى على الاقل لتكملة العمل بها قبل أن يكون هنالك امكانية لتسليمها الى المؤسسات المذكورة اعلاه .

وفي أيار سنة ١٩٥٥ زار الاستاذ سكوت باسم جامعة ماكجيل المتحف ورأى الحصة التي اشترتها تلك الجامعة فرتبها في قوائم وعلم كل منها بعلامة فارقة هي حرف (S) وبلغ عددها ٥٠ قطعة من المخطوطات .

(٣٣١) وفي ١٠ حزيران سنة ١٩٦٠ كتب مدير جامعة ماكجيل الى مدير الآثار :

اعلمي الاب ديفو رئيس أمناء متحف الآثار الفلسطيني بالقدس ان دراسة المخطوطات قد تمت نهائياً وان كل مؤسسة تستطيع تسلم حصتها لتباشر بنقلها بعد الحصول على تصريح تصدير الى الخارج من دائرة الآثار ولذلك فان الحصة التي اشترت باسم جامعتكم يمكنكم أن تتسلموها في نهاية شهر حزيران سنة ١٩٦٠ .

وبناء على الاتفاقات السابقة أرجو التكرم باعطائنا تصريحاً بتصدير هذه الحصة من الأردن الى كندا .

ثم كتب القاصد الرسولي الى وزير الخارجية :

(٣٣٢) اشترى الفاتيكان تلبية لرغبة قداسة البابا الخاصة مقطوعة من مخطوطات التوراة التي اكتشفت في مغارة قمران بجوار البحر الميت ، وقد دفعت هذه القصادة الرسولية اربعة آلاف دينار تقريباً ثمن هذه المخطوطة ، ولم تقدم هذه القصادة على شراء هذه المخطوطة المشار اليها الا بعد أن تأكدت أن الحكومة الاردنية اتخذت قراراً في مجلس الوزراء الكريم يسمح بشراء واستملاك هذه المخطوطات من البدو والذين عثروا عليها في المغارة المذكورة وقد بعث دولة رئيس الوزراء كتاباً الى معالي وزير المعارف يبلغه هذا القرار بالسماح بالشراء والاستملاك بتاريخ ١١/٢١/١٩٥٣ تحت رقم ٨٧٢٣/١١/٢٦^(١) وكتب معالي وزير المعارف بايضاح وابلاغ هذا القرار كتاباً بتاريخ ١٩٥٣/١٢/٢٣ تحت رقم ١٢٤٦٣٢/٢٩ وبهذا اكدت الحكومة بقرار رسمي وضمت حق الشراء والاستملاك وأشارت فقط الى وجوب اتمام تنظيم قطع المخطوطة ودرسها في متحف القدس قبل أن يتم نقلها الى الفاتيكان وانتهى الشراء والتنظيم ودرس المخطوطة في سنة ١٩٥٥/١٩٥٦ ولما تأزمت الحالة بسبب الهجوم على مصر نقلت هذه المخطوطة مع باقي المخطوطات الى خزائن البنك العثماني بعمان لتحفظ فيها ابان الخطر ولا تزال في البنك بالعاصمة . وعلى أثر نقل هذه المخطوطات الى البنك بعمان سرت اشاعة قوية أن سعادة مدير الآثار الدكتور عبد الكريم الغرايبة يسمى لدى الحكومة الكريمة لاصدار قرار جديد يلغي القرار السابق وينص على استملاك هذه المخطوطة لصالح الدولة .

لا يخفى على معاليكم ما قد يتركه هذا القرار الجديد من أثر سيء في النفوس لا سيما لدى قداسة البابا والمسؤولين في الفاتيكان والعالم الكاثوليكي ولا شك بأن مدير الآثار بعمله هذا يسيء الى سمعة الحكومة والى قرار مجلس الوزراء السابق . هذا وقد نشرت جريدة الفاتيكان الرسمية خبر شراء هذه المخطوطة في حينه وعلمت جرائد العالم الكاثوليكي بالثناء على اهتمام قداسة البابا

(١) لم اجد هذا القرار بين وثائق دائرة الآثار .

بمخطوطات الكتاب المقدس وتلطف الحكومة الاردنية بالموافقة الرسمية على شراء واستملاك هذه المخطوطات من قبل الفاتيكان .

لذا طلب مني الفاتيكان أن أرفع الى معاليكم هذا الكتاب بالنظر للعلاقات الطيبة الودية التي تربطه بالأردن وبالحكومات العربية حتى تحولوا دون هذا السعي المسيء لمسمعة الحكومة وقرارات مجلس الوزراء وتتكرموا بالايعاز الى مدير الآثار بواسطة معالي وزير المعارف لتسليمهم هذه المخطوطة اليها فنتمكن من ارسالها الى قداسة البابا كما سبق أن سمحت وقررت الحكومة الجليلة .

مساعدة بريطانية :

لندن في ٢٧/٧/١٩٦٠ .

(٣٣٣) أشارت الحكومة البريطانية الليلة الماضية الى أنها قد تساعد متحف الآثار الفلسطيني بالقدس في ظروف معينة ، على الحصول على كمية من مخطوطات البحر الميت التي اكتشفت في الاردن أخيراً . وقال المستر دريك هيشكوت اموري وزير المال البريطاني رداً على أسئلة في مجلس العموم البريطاني ان موقف الحكومة البريطانية من أي اقتراح لتقديم المساعدة لتمكين متحف الآثار الفلسطيني من الحصول على هذه المخطوطات يتوقف على مدى رغبة البلدان المعنية بالامر في التعاون مالياً في هذا الموضوع . وكان المستر اموري رد على اقتراح الى المستر اريك فليتشارد النائب العمالي بأن على الحكومة البريطانية أن تقدم الأموال اللازمة للمتحف البريطاني وللأكاديمية البريطانية لتمكينها من اقتناء المخطوطات الآتفة الذكر . وقد اقترح المستر ليفتش أيضاً استخدام الاموال كذلك في تأمين الابحاث اللازمة ونشر الوثائق التي يملكها العلماء البريطانيون والدوليون .

وفي ١٠/١٢/١٩٦٠ أذاع رويتر من لندن :

(٣٣٤) أيدت صحيفة التايمز اللندنية المستقلة أمس موقف الحكومة الاردنية فيما يتعلق بمسألة الشروط التي وضعتها لاعارة بعض مخطوطات البحر

الميت الى متاحف في الخارج وقال ان ما اعلن أن بعض مخطوطات البحر الميت ستعار الى المتاحف في الخارج لقاء مبالغ معينة وان المتحف البريطاني سيدفع خمسة وعشرين الف دينار استرليني مقابل استعارة أحدهذه المخطوطات يبدو للوهلة الأولى وكأنه مساومة تجارية ويشير التعليق بأن هذه ليست الشروط التي اعتاد العلماء بموجبها أن يفتحوا سجلاتهم أمام بعضهم بعضاً . ولكن بقليل من التفكير يتبين أن في هذا القول اجحافاً بالحكم على تصرف حكومة الاردن فالحكومة تحملت نفقات باهظة في سبيل الحصول على المخطوطات والمحافظة عليها وهي تأمل فوق ذلك أن تتمكن من شراء وثائق أخرى بعضها مهم جداً لا تزال في أيدي أشخاص من البدو في بلادها . ولهذا فان من مصلحة العلم والعلماء في كل بقعة في العالم أن يتم جمع هذه الوثائق لتحفظ كلها في مكان مختص مع ضمانات بالنشر والوصول اليها لجميع العلماء من مختلف الاديان .

ومضت الصحيفة تقول : لقد كانت حكومة الاردن حكيمة في تغيير رأيها في شهر تموز الماضي بتقرير الاحتفاظ بهذه المخطوطات وعدم التفريط بأي منها وباعادة الاموال التي دفعت اليها من مشترين كانوا ينتظرون تسليم هذه الوثائق اليهم . وان المصلحة الدولية تتطلب تجميع هذه المجموعة من الوثائق وليس توزيعها وتفريقها في كل مكان . ومع كل هذا فان الاردن يتحمل وطأة دفع جميع النفقات المترتبة على ذلك وهو يعتمد على الحكومات الاجنبية والمؤسسات العلمية للمساهمة في تحمل أعباء وصايتها على هذه الوثائق . ولهذا فان اعادة بعض هذه الوثائق الى المساهمين في تحمل تلك الاعباء لاتعتبر بمثابة تأجيله بل هي في صميم التبرع للمشاركة .

الاتجار غير المشروع بالمخطوطات

(٣٣٥) بتاريخ ١٩٥٥/٤٢/٠ رفع الدكتور عبد الكريم الغرابية اول مدير عربي لدائرة الآثار تقريراً الى وزير التربية والتعليم جاء فيه :

تبدأ هذه القضية اثر انتهاء الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ . اذ علم العالم ان المطران السرياني قد هرب اربعة ملفات الى اميركا ثم باعهم - بعد ذلك لإسرائيل بربع مليون دولار ، ولم تتخذ الحكومة الاردنية أي اجراء جدي لاستعادة المخطوطات من المطران قبل بيعها

وفي اواخر عام ١٩٥٢ عرض تاجر العاديات السيد خليل اسكندر شاهين على الاب ديفو مدير المدرسة الافرنسية لعلم التوراة والآثار (الآباء الدومنيكان) في القدس بعضاً من هذه المخطوطات فاشتراها الاب ديفو بموافقة مدير الآثار المستر هاردنغ ، كما استعمل المستر هاردنغ اموال المتحف الفلسطيني لشراء مخطوطات اخرى بلغت قيمتها بضعة آلاف من الدنانير . كما وافق وزير التربية والتعليم اذ ذاك شفهيّاً على هذه العمليات وعلى ان تنال المدرسة الافرنسية حصة من المخطوطات نتيجة للحفريات التي تقوم بها ، وقد شرح مدير الآثار هذه الاوضاع في كتابه بتاريخ ١٢/٢/١٩٥٢ وفي هذا الكتاب اعتبر مدير الآثار التاجر كندو خطراً يهدد آثار البلاد واتهمه بنقض شروط رخصة الاتجار للآثار وقد وافق مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة بتاريخ ٢٦/١١/١٩٥٢ على رصد خمسة عشر الف دينار لانقاذ مخطوطات التوراة .

وفي ٢/٢/١٩٥٣ ارسل وزير التربية والتعليم الى مدير الآثار كتاباً يمنع فيه تصدير هذه المخطوطات ... وفي تاريخ ١٠/٦/١٩٥٣ وافق رئيس الوزراء بتنسيب من وزير التربية والتعليم على تلبية طلب مدير الآثار بالسماح باخراج المخطوطات الى لندن لعرضها في المتحف البريطاني .

(٣٣٦) وفي ٧/٧/١٩٥٣ ارسل وزير التربية والتعليم هذه المخطوطات الى وزير الخارجية لتأمين ارسالها الى لندن في الحقيبة الدبلوماسية وبواسطة السفارة الاردنية في لندن وفي اليوم نفسه قدمت الى وزير الاردن المفوض في بيروت كتاباً مستعجلاً اعترض فيه على هذا الاجراء وانه فيه المسؤولين الى عدم قانونيته . وقد ايد وزير الخارجية وجهة نظري طالبا عرض الموضوع على مجلس الوزراء قائلاً انه لا يستطيع تحمل مسؤولية ارسالها . كما ان دولتك

بصفتكم رئيساً للوزراء اذ ذاك ايدتم وجهة نظر وزير الخارجية ووجهة نظري ، في كتابكم الهام المستعجل الموجه الى وزير التربية والتعليم بتاريخ ١٦/٧/١٩٥٣ واضطر وزير التربية ان يرجو الرئاسة باعتبار الاجراءات السابقة ملغاة .

ولما فشل مدير الآثار في محاولاته لايخراج المخطوطات الاردنية الى لندن عاد وطلب من وزير التربية والتعليم بتاريخ ١٠/٤/١٩٥٣ اي فور عودته من اجازته من انجلترا والتي دامت ثلاثة اشهر يطلب السماح للجمعيات الاجنبية بشراء المخطوطات الموجودة في ايدي الجمهور ، وذكر في هذا الكتاب ان الظروف سانحة لمشاهدة ثلثي هذه المخطوطات التي قدر ثمنها بثلاثة عشر الف دينار وكان من المفروض في مدير الآثار المسئول عن هذه الاثرية ان يضع يده عليها فور مشاهدته اياها ، وليس ان يقدر ثمنها . وايد وزير التربية والتعليم مدير الآثار كما اتخذ مجلس الوزراء في ١٧/١١/١٩٥٣ قراراً نص على ان تتولى المؤسسات العلمية والجمعيات الاثرية التي تلقت دائرة الآثار عروضها بدفع أثمان تلك المخطوطات من حسابها الخاص وذلك أن تقوم دائرة الآثار باستلام جميع المخطوطات وحفظها لدينا ودراستها وتصويرها واعادها للنشر تحت اشراف مدير الآثار الشخصي ومعرفته ومسئوليته . وقد لاحظ المستر هاردنغ فوراً ان قرار مجلس الوزراء لم يرد فيه ما يتعلق بارسال حصة لكل مؤسسة او متحف فطلب ايضاح هذه النقطة في كتابه بتاريخ ٣٠/١١/١٩٥٣ . ولكن هذه النقطة لم توضح واجيب على كتابه بحواب ناقص من وزير التربية والتعليم . (ف ٣٢٩) ورغم غموض هذا القرار فقد نفذه مدير الآثار كما اراد ان يفهمه وسمح للجمعيات الاجنبية بشراء ما سماه حصصها من المخطوطات معطياً اياها حق ملكية هذه المخطوطات وحق اخراجها من البلاد وارسل الى وزير التربية والتعليم والى رئاسة الوزراء قوائم تبين حصة كل من هذه الجمعيات ولم يرد لا من الرئاسة ولا من التربية والتعليم اي اعتراض على شرعية القسمة او على كيفيةها . وانا لا افهم القرار كما فهمه مدير الآثار السابق ولا اعتقد بأنه يبيح للجمعيات الاجنبية اكثر من حق المساهمة في انقاذ هذه المخطوطات الهامة .

عاد مدير الآثار فطلب من وزير التربية والتعليم شراء مخطوطات أثرية للانباء الصغار جديدة عرضها عليه كندو . وعرض أن مكتشفها بدويان من التعامرة يطلبان ثمناً لها ٤٥٠٠ دينار وذكر هاردنغ أن بإمكانه الحصول على المخطوطات بثلاثة آلاف دينار وهو الثمن الذي اعتبره معقولاً جداً وأوصى الحكومة بشدة أن ترصد الاموال اللازمة لشراء هذه المخطوطات . وقد أيد وزير التربية هذا التنسيب ولكن رئيس الوزراء طلب تطبيق قانون الآثار واتخذ مجلس الوزراء قراراً بتأليف لجنة لدراسة هذا المخطوط برئاسة محافظ القدس فأوصت اللجنة بدفع مبلغ ٢٢٠٠ دينار ثمناً له . وما أن شاع الخبر حتى تقدم السيد محمد عبد السلام من عرب التعامرة باستدعاء الى دولة رئيس الوزراء مدعياً بأنه مكتشف المخطوطات طالباً نصيبه من المكافأة . . . ولكن مدير الآثار أصر على أن الشخص الجدير بالمكافأة هو السيد خليل شاهين (كندو) .

(٣٣٧) عاد مدير الآثار فأعلم وزير التربية والتعليم بتاريخ ١٩٥٦/١/٣ أن عدداً من المؤسسات والجمعيات الأجنبية قد تبرعت بمبالغ مختلفة لشراء المخطوطات وهي :

١ - جامعة ماجيل في كندا	٦٨٥٠ ديناراً
٢ - جامعة مانشستر	٢٠٠٠ دينار
٣ - مكتبة الفاتيكان	٤٠٠٠ دينار
٤ - جامعة هيدلبرغ بألمانيا	٤٠٠٠ دينار
فيكون المجموع	١٦٨٥٠

وذكر أن هذه المبالغ تغطي جميع موجودات الكهف الرابع في خربة قران . وذكر أنه لا يتوقع ورود مساهمات أخرى .

الا أن دولة رئيس الوزراء عاد بكتابه بتاريخ ١٩٥٦/١/٣ وبتنسيب من وزير المالية فاقترح الاكتفاء بمنح كندو مكافأة قدرها أربعمئة دينار ،

ولكن مدير الآثار أصر على أن هذا المبلغ يساوي سدس قيمة المخطوطات الحقيقية ، وأخيراً قام مدير الآثار بصفته أميناً للمتحف الفلسطيني بالقدس بشراء المخطوطات لحساب المتحف .

وفي ١٩٥٦/١/٦ أرسل مدير الآثار الى وزير التربية والتعليم جدولاً بقسمة أولية للمخطوطات ثم عاد فأدخل على الجدول تعديلات جديدة .

ولما استلمت منصبي مديراً للآثار في ١٩٥٦/١٠/١ لم أستطع أن أقوم بعملتي خلال الأسبوعين الأولين لأن وزير التربية عارض في ذلك . ولكن فور ابتداء حرب السويس بادرت بحجة حماية المخطوطات من الخطر الى نقلها الى عمان .

في ١٩٥٦/١١/١ اغتنمت عدم امكانية عقد جلسة لمجلس امناء المتحف الفلسطيني فنصبت نفسي مشرفاً عليه بموافقة دولة رئيس الوزراء ولكن بعد ان هدأت الاحوال بداء مجلس امناء متحف القدس بالضغط علي وعلى الحكومة لاعادة المخطوطات الى القدس فنسبت الى وزير التربية استملاك كافة هذه المخطوطات في ١٩٥٧/١/٦ واقترحت على الوزير تشكيل لجنة تضم مسئولين عن الرئاسة والمالية والنيابة العامة لتقرير مدى حق الذين يدعون ملكية هذه المخطوطات .

وانا اعتقد ان مخالفات للقانون ارتكبت في هذا الباب ويجب أن يبت فيها . وقد اتخذ وزير التربية بالوكالة قراراً باستملاك رفعه الى الرئاسة . وحق الآن لم تشكل تلك اللجنة المبعوث عنها .

ولكي لا تتوقف دراسة المخطوطات ولكي تظهر للعالم حسن نيات الاردن اقترحت على الوزير تشكيل لجنة للاشراف على دراسة المخطوطات برئاسة رئيس بلدية القدس . فتم تسليم المخطوطات للجنة في ١٩٥٧/٣/١١ . وبوشر في اليوم التالي بعملية دراستها .

والآن اصبحت هذه المخطوطات ملكاً للحكومة لا ينازعها في الحق منازع ولكن يجب البت في حق التفسير والتعويض . كما ان مجلس امناء

المتحف الاثري الفلسطيني بالقدس يدعي ملكية قسم هام من المخطوطات سيثير هذه القضية في اجتماعنا القادم بتاريخ ١١/٥/١٩٥٧ لذا ارجو ان يقرر مجلس الوزراء تشكيل لجنة مالية للبت في هذا الموضوع .

تأمين المخطوطات

(٣٣٨) عندما بدأ الهجوم الثلاثي سنة ١٩٥٦ على الأراضي المصرية نسب الدكتور عبد الكريم الغرايبة مدير الآثار الاردنية نقل المخطوطات من متحف القدس الى عمان فوافق رئيس الوزراء على هذا التنسيب ثم وضعت في صناديق نقلت الى عمان ووضعت في خزائن البنك العثماني . وفي كانون الأول من تلك السنة عقد امناء المتحف اجتماعاً قرروا فيه تثبيت موافقة مجلس الوزراء ثم أوصى بإعادة المخطوطات الى القدس مكانها الطبيعي لنبقى فيه دائماً .

قرار الاستملاك

(٣٣٩) استناداً الى المادة الحادية عشرة من قانون الآثار رقم ٣٣ لسنة ١٩٥٣ أقر ما يلي :

- ١ - إني أستملك باسم الحكومة كافة المخطوطات الأثرية التي اكتشفت في منطقة البحر الميت والتي قد تكتشف في ذلك المكان أو في مكان آخر في الاردن . وهذا يشمل المخطوطات في اللغات العبرية والآرامية والعبرية واليونانية والفنيقية وفي أية لغة أخرى ، كما يشمل كافة أنواع المخطوطات بما في ذلك مخطوطات الوزارة ، وما كتب على ورق أو على رق أو على ورق بردي أو على برونز أو على أي شيء آخر .
- ٢ - لا يجوز إخراج أي شيء من هذه المخطوطات الى خارج البلاد ولا إخراج صور فوتوغرافية أو غير فوتوغرافية عنها .
- ٣ - جميع حقوق طبع ونشر وترجمة ودراسة هذه المخطوطات هي ملك للحكومة الاردنية .

٤ - على مدير الآثار أن يبقي هذه المخطوطات في مكان أمين ويعمل على صيانتها وحفظها من التلف .

٥ - على مدير الآثار أن يتخذ الاجراءات اللازمة ويسهل للعلماء دراسة هذه المخطوطات وفق الشروط التي أقرها، أنا أو يقرها مجلس الوزراء أو أي جهة أخرى .

٦ - يجوز لمدير الآثار بعد الحصول على موافقي الخطية أن يقيم معارض خاصة لهذه المخطوطات في المتاحف الاردنية ويجوز له بموافقي الخطية أيضاً أن يتفق مع مدراء الآثار في سوريا ومصر على إقامة معارض بمائلة لهذه المخطوطات .

٧ - يصبح هذا القرار نافذ المفعول ابتداء من اليوم .

وزير التربية والتعليم بالوكالة

وفي اعلان آخر : إن جميع المخطوطات التي اعتبرت بموجب قرار الآثار رقم ٣ سنة ١٩٥٧ أثرية هي ضرورية للاردن . وبما أن المصلحة العامة تقتضي بقاءها في الاردن ولذا فإني أمتنع تصديرها منعاً تاماً وأعتبر كل رخصة صدرت أو تصدر من أي سلطة كانت لاغية وغير قابلة للتنفيذ وان أي مخالف لاحكام هذا القرار يعرض نفسه للعقوبات المنصوص عليها في الفقرة الثالثة من المادة ٣٣ من قانون الآثار . ومع هذا القرار صدر أمر بالتعويض على ادارة المتحف الأثري الفلسطيني بالقدس عن جميع مخطوطاته بصفة قانونية . وقد اقترح مدير الآثار تشكيل لجنة دولية للإشراف على نقل المخطوطات وادارتها كخطوة أولى . وفعلاً تشكلت لجنة من السادة روجي الخطيب رئيس بلدية القدس والدكتور عبد الكريم الغرابية مدير الآثار والدكتور عوني الدجاني مساعده والبروفسور دانتون مدير المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية في القدس والأب ديفو مدير المدرسة الفرنسية في علم الآثار والتوراة كاعضاء .
(٣٤٠) وفي ١١/٣/١٩٥٧ قرر مدير الآثار اعادة الآثار من عمان وتسليمها

الى مجلس الاشراف على دراسة المخطوطات . وقد نقلت المخطوطات بتاريخ ١٩٥٧/٣/٢ من عمان فوصلت الى متحف القدس في الساعة الثالثة بعد الظهر وكانت موضوعة في خمسة وثلاثين صندوقاً بعد أن بقيت في البنك العثماني في عمان أربعة أشهر فقط . وقد أشرف الصحفيون وممثلو البلدية وغيرهم على اخراج المخطوطات من صناديقها وعرضها في صالة الدراسة في المتحف ووصلت بعثة خاصة مؤلفة من ثمانية خبراء في دراستها منهم اثنان من كل من اميركا وبريطانيا وفرنسا والماني واحد وبولوني واحد .

(٣٤١) لقد أدى تشدد الدكتور غرايبي في قضية المخطوطات الى اقصائه عن ادارة آثار الاردن وابداله بالاستاذ سعيد عثمان درة . ومع أن المدير الجديد نعم العلاقات بين دائرة الآثار وعلماء الآثار والمهتمين بها من الاجانب إلا أنه واصل السعي الحثيث للاحتفاظ بها في البلاد . وقد كلفني بصفي مفتش الآثار أن أجمع جميع الوثائق المتعلقة بها لتنسيقها وتلخيصها ليرفعها بدوره الى وزير التربية والتعليم حتى تطرح في مجلس الوزراء الذي يقرر مصير المخطوطات على ضوء ما فيها من أدلة وبراهين فقامت بذلك وختمت البحث بهذه الخلاصة .

الخلاصة

(٣٤٢) بعد استعراض هذه الاثني عشرة وثيقة والتعليق عليها فلا بد من الخلوص الى الغاية منها، ألا وهي هل تخرج هذه المخطوطات المشتراة بالاموال التي تبرعت بها المؤسسات أو أن تبقى في البلاد .

كانت الغاية من قرار مدير الآثار في ذلك الحين السيد هارديج التبرع والمساعدة لانقاذ ما تبقى من هذه المخطوطات في أيدي الجمهور . فكيف يتحول التبرع والمساعدة الى عملية شراء وتملك .

عندما ورد في قرار مجلس الوزراء قبول فكرة التبرع ، ولم يرد ذكر للمليك ، طلب المدير المذكور بالحاج استصدار قرار واري لتملك كل مؤسسة

شيئاً من الحصة التي تبرعت بشراؤها. ولكن هذا القرار لم يصدر، وسكت المسر هاردنغ على هذا . وبقيت المؤسسات المتبرعة على يقين تام بأنها ستحصل على حصتها الموعودة حالما تنتهي دراستها . ولذلك ستكون صدمتها شديدة عندما تجابه بالمنع والحرمان . وأعتقد أنها سترفض استرداد المبالغ التي تبرعت بها لأنها لا تساوي شيئاً من قيمة هذه المخطوطات . ومن هنا أكاد أجزم بأنه لا يوجد في خارج الاردن من هذه المخطوطات الا محتويات الكهف الاول التي تسربت الى اسرائيل بادىء الامر وبضع جذاذات في باريس . أما الكمية الكبيرة فكلها في الاردن . وإن وجود هذه العاديات العديدة المثال في العالم يجعل لها أهمية خاصة .. وإن اخراج أي جزء من هذه المخطوطات وتوزيعه على العالم سيفقد هذا البلد هذه الميزة التي لا تضاهي .

لذلك كله فاني أرى بقاءها في الاردن والتمسك بها مهما كلف الثمن .

(٣٤٣) ولقد استمر المدير العربي الثالث الدكتور عوني الدجاني على المطالبة بها بحدوقه حتى قرر مجلس الوزراء سنة ١٩٦١ عدم التفريط بها وتحريم اخراجها من الاردن ورد المبالغ التي دفعتها المؤسسات الاجنبية المذكورة وأعلنت دائرة الآثار الاردنية انها ستتسلم قبل نهاية تشرين الاول سنة ١٩٦٢ جميع المخطوطات المحفوظة حالياً في المتحف الفلسطيني في القدس وأن ترد جميع المبالغ التي انفقها المؤسسات الاجنبية اسهاماً منها في انقاذ هذه المخطوطات وهي مكتبة الفاتيكان وجامعة هيدلبرغ الالمانية وجامعة مانشتستر البريطانية وجامعة مكجيل الكندية ومعهد مكورمك اللاهوتي في شيكاغو بالتعاون مع دائرة الآثار الاردنية والمتحف الفلسطيني في شراء المخطوطات ممن وجدت في حوزتهم ومن الرعاة الذين عثروا عليها في المغاير خلال السنوات الماضية .

وبانتهاء سنة ١٩٦٣ كانت جميع المبالغ قد دفعت للمتبرعين والمنقذين ومجموعها ١٨٥١٠ دنانير .

الفصل التاسع عشر

عرضها في الخارج

(٣٤٤) لقد كلف السيد شيلدون ملاز قبل مغادرته الولايات المتحدة في عام ١٩٥٩ لتسلم منصبه كسفير لبلاده في الاردن بأن يخلف السفير الاميركي السابق السيد لستر مالوري في عضوية مجلس أمناء المتحف الفلسطيني في القدس كممثل لمعهد الآثار الاميركي في المجلس المذكور . وقد أعلم ايضاً بوجود ممثل آخر في مجلس الامناء ألا وهو مدير المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية في القدس . ولما كان هذا المجلس دولياً فإنه يضم عضوين عن الحكومة الاردنية وعضوين عن بريطانيا أحدهما السفير البريطاني وعضوين عن فرنسا وعضواً واحداً عن الجمعية العلمية السويدية ، الذي هو المعتمد السياسي السويدي في الاردن . وقد وافق السيد ملاز على أن يكون عضواً في المجلس السابق الذكر وشارك في العمل بنشاط وحماة .

وسرعان ما علم السيد ملاز بأن من أهم القضايا العاجلة التي يواجهها المتحف هو قلة الموارد المادية وأن هبة السيد جون روكفلر لا تكفي لتغطية المتطلبات ، ولا سيما الحصول على المخطوطات والتي تسربت منها أربع مخطوطات ثمينة وأخرجت من البلاد في سنة ١٩٤٨ وهي الآن في اسرائيل ولم تكن الحكومة الاردنية قادرة على شراء جميع المخطوطات من البدو نظراً

لقة التخصّصات اللازمة . ولذلك فإن مجلس الأمناء في المتحف قام برصد خمسين الف جنيه استرليني من تخصصاته لاستعمالها في شراء المخطوطات على أمل أن يستعيد المتحف هذا المبلغ الذي هو ضروري لمصروفاته العادية بواسطة الطلب الى الجمعيات والمؤسسات العلمية دفع تكاليف المخطوطات المختلفة ، مقابل اعطاء الامتياز لدراساتها ونشرها . ولسوء الحظ فإن الاستجابة لهذه العروض كانت بطيئة .

وفي الاجتماع الذي عقده المجلس عام ١٩٥٩ وجد أن وضع المتحف المالي متدهور . وكان المجلس قد اتخذ قراراً لإيجاد مورد اضافي للمتحف بإقامة عرض خاص للمخطوطات داخل المتحف واستيفاء رسوم إضافية لمشاهدتها . وكان من الواضح لجميع أعضاء المجلس انه من الضروري أن يجد المتحف متبرعين باستطاعتهم أن يساهموا بتغطية القيمة المطلوبة للمتحف ومقدارها خمسون الف جنيه استرليني والسعي للحصول على خمسين الف جنيه استرليني أخرى ، بحيث يتمكن المتحف من شراء وتأمين المخطوطات التي ما زالت بأيدي البدو للحكومة الاردنية .

(٣٤٥) وفي اجتماع عقد في وبيع عام ١٩٦٠ قالت كاثلين كنيون العضو البريطاني بأن الحكومة البريطانية على استعداد لأن تقدم ربع المبلغ المطلوب وهو خمسة وعشرون الف جنيه استرليني بشرط أن تقوم الدول الأجنبية الثلاث الممثلة في المجلس وهي الولايات المتحدة وفرنسا والسويد كل منها بتقديم نفس المبلغ وهكذا يكون المجموع مئة الف جنيه استرليني وهو المبلغ المطلوب . وقد اشترط هذا العرض البريطاني شرطاً واحداً وهو أن هذه المخطوطات يجب أن تعرض في بريطانيا ، مخطوطة مخطوطة ، أي حين ينتهي عرض إحدى المخطوطات تعاد وترسل مخطوطة أخرى مكانها وهكذا .

ولحسن الحظ فإن رئيس وسكرتير المجلس قد وجدا متبرعين من أميركا

وهولندا ، ذلك أن عائلة « بكتل » من سان فرانسيسكو بأميركا استعدت للتبرع بمبلغ ستين ألف دولار كهبة للمتحف وهو المبلغ الذي دفع للبدو ثمناً لمخطوطة المزامير ، بشرط أن ترسل هذه المخطوطة الى الولايات المتحدة على سبيل الإعارة بحيث تكون المحافظة عليها وصيانتها مضمونة من قبل خبراء أميركيين وفي جامعة هارفرد على سبيل الاحتمال .

(٣٤٦) وأثناء وجود السفير ملاز في واشنطن خلال شهر ايلول من سنة ١٩٦٠ تقابل مع عدد من الاميركيين المهتمين بهذا الموضوع وكانت المفاوضات مع عائلة بكتل جارية بواسطة الدكتور دتويلر رئيس المدارس الاميركية للأبحاث الشرقية . وبالرغم من انه كان قادراً على اقناع عائلة بكتل بأن الحصول على مخطوطة المزامير لا يتطرق اليه الشك ، فإن هذه العائلة أصرت على رغبتها بأن تعرض هذه المخطوطة في الولايات المتحدة . وقد اقترح في حينه بأن ترسل هذه المخطوطة مع عدد آخر من القطع الأثرية ، من المتحف الى الولايات المتحدة لعرضها هناك بواسطة الحكومة الاميركية الى معهد سمث سونيان متحملين جميع المسؤوليات المترتبة للمحافظة عليها في الولايات المتحدة . وعائلة بكتل على استعداد لدفع الستين ألف دولار على اقساط الى المدرسة الاميركية للأبحاث الشرقية وبهذا المبلغ تستطيع المدرسة الاميركية للأبحاث الشرقية شراء مخطوطة المزامير التي ستبقى في المتحف - باستثناء مدة عرضها في الولايات المتحدة - وان عائلة بكتل مستعدة لدفع القسط الاول الآن ثمناً لمخطوطة المزامير .

(٣٤٧) اما المتبرع الاميركي الآخر البرفسور براونلي الذي ينوب عن معهد كاليفورنيا الجنوبي لعلم اللاهوت ومدرسة الخريجين في كليرمونت نفس الشروط السابقة ، وذلك انه مستعد أن يدفع للمتحف ثلاثة آلاف دولار ثمناً لمخطوطة واحدة من مخطوطات كهف رقم (١١) والتي ستبقى بشكل دائم في المتحف .

(٣٤٨) وقد زادت الجمعية الملكية الهولندية ثمن ما يتبقى من مخطوطات

الكهف رقم (١١) الى مبلغ عشرين الف جنيه استرليني قابلة للدفع خلال سنتين ، على ان تبقى المخطوطات في المتحف .

(٣٤٩) إن هذه العروض السابقة الذكر لا يمكن أن تتم طالما وهناك شكوك وخاوف بالنسبة للمعنى والقصد الذي ترقب نتيجة للقرار الذي أصدره مجلس الوزراء الاردني باستملاك المخطوطات .

ففي ربيع عام ١٩٦٠ ، انتهت الدراسة اللازمة لموجودات الكهف رقم (٤) ونتيجة لذلك فإن المؤسسات التي سبق واشترت بموافقة الحكومة بعض القطع من الكهف رقم (٤) تقدمت تطلب السماح لها بتصدير هذه القطع التي خصصت لها بواسطة مدير الآثار . وقد عرض هذا الطلب على مجلس الوزراء السابق بتاريخ ٢٨ تموز فكتب المرحوم السيد هزاع المجالي رئيس الوزراء الى وزير التربية والتعليم كتاباً تحت رقم (٦٩٣٧/١/١/٢٦) قال فيه بأن مجلس الوزراء استعرض بتاريخ ٢٧ تموز ١٩٦٠ مسألة مخطوطات البحر الميت وقرر الاحتفاظ بهذه المخطوطات لدى دائرة الآثار وإعادة المبالغ المدفوعة للمؤسسات العاملة والجمعيات الأثرية والمتاحف ثمناً لهذه المخطوطات من حسابهم الخاص . إن هذا القرار يبدو غامضاً فيما يختص بالمتحف الأثري الفلسطيني . لهذا فمن الواضح أن عائلة بكتل وغيرهم من الذين سيتبرعون للمتحف لتمكنه من الاحتفاظ بالمخطوطات ليسوا على استعداد للتبرع الآن نظراً للمخاوف التي تعترهم نتيجة هذا القرار ولأن دائرة الآثار يمكن أن تستولي على هذه المخطوطات في أي وقت . ولذلك فإن المتحف لا يمكنه أن يعقد أي اتفاقية مع المتبرعين إلا إذا صدر توضيح لهذه المسألة .

(٣٥٠) لقد قرر مجلس المتحف بالاجماع بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦٠ الطلب الى رئيس الحكومة الأردنية بتاريخ ٢٧ تموز ١٩٦٠ بالنسبة للنقطتين الآتيتين :

١ - فيما اذا كان القرار ينطبق على الكهف رقم (٤) فقط أو انه ينطبق على جميع المكتشفات المعروفة بمخطوطات البحر الميت .

٢ - فيما إذا كانت القرار يعني أن دائرة الآثار هي المالك الوحيد للمخطوطات أو أن هذه الملكية يمكن أن تكون بأيدي المتحف الأثري الفلسطيني أو المؤسسات العلمية المحلية أو الأجنبية أو الجمعيات الأثرية التي دفعت ثمن هذه المخطوطات من أموالها الخاصة بشرط أن تبقى هذه المخطوطات في المتحف الأثري الفلسطيني (باستثناء مدة عرضها في الخارج)

إن كلا من عادل بك الخالدي والدكتور عوني الدجاني ممثلي لحكومة الاردنية في مجلس الامناء أخذوا على عاتقها أن يرفعوا قرار مجلس الامناء هذا الى الحكومة الاردنية مستهدفين الحصول على إيضاح بالسرعة الممكنة .

وفي كلتا الرسالتين الموجهتين للسفير ملز الاولى مؤرخة في ٢٣ كانون الاول ١٩٦٠ من السيد ملتون كارل ولستورم أحد الرسميين الاميركيين ففيها يقول :

ان البروفسور ديتويلر ما زال ينتظر توضيحاً لقرار تموز الصادر عن مجلس الوزراء الذي سيعتبر مرضياً للمتحف بانتظار هذا التوضيح فإنه سوف لا يقوم بتحويل النقود .

وقد جاء في رسالة السيد ولستورم الثانية الموجهة الى السفير ملز بتاريخ ٦ كانون الثاني ١٩٦١ انه تم عقد اجتماع ضم رسميين اميركيين وممثلين عن متحف سميث سونيان وأضاف قائلاً في رسالته هذه انه في بداية الاجتماع قرر المجتمعون المضي بانتظار قرار مجلس الوزراء الذي يضمن عدم حدوث أي تأخير أو وضع أي عقبة في سبيل تصدير المخطوطات وعرضها في الولايات المتحدة .

ملحوظة : إن قرار رئاسة الوزراء يشمل جميع المخطوطات التي يرغب تصديرها للخارج ولا يشمل المتحف الفلسطيني بالقدس ولا المؤسسات العلمية المحلية والاجنبية التي لديها مخطوطات، طالما هذه المخطوطات موجودة بالمتحف الفلسطيني وفي المملكة الاردنية الهاشمية .

ان السفير الاميركي لا يستطيع ان يشجع الدكتور ديتويلر أو أي من
الرسميين الاميركيين ومعهد سميث سونيان بالمضي قدماً ما لم يصدر التوضيح
المذكور آنفاً .

وقد دامت مفاوضات عرضها في الخارج سنتين حتى وافقت الحكومة
الاردنية على ذلك . وفيما يلي صورة الاتفاقية التي وقعتها الحكومة الاردنية
مع معهد سميث سونيان بهذا الشأن :

معهد سميث سونيان واشنطن (العاصمة)

(٣٥١) اتفاقية لاعارة مخطوطات البحر الميت :

اولاً : يوافق المتحف الاثري الفلسطيني على اعارة معهد سميث سونيان
اربعة عشر مخطوطاً وجذاذة من مخطوطات البحر الميت ، بالإضافة
الى ثلاثين قطعة من مواد اخرى اكتشفت معها ، وما لا يقل عن
سبعين (٧٠) اصل لصور فوتوغرافية تتعلق بالمخطوطات اختارها
الدكتور جس فان بيك ، لعرضها في معرض متنقل في الولايات
المتحدة .

ثانياً : سيقوم معهد سميث سونيان بالتأمين على المخطوطات والقطع الاخرى
بمبلغ ٣٠٠.٠٠٠ دولار تبدأ فعالية التأمين منذ خروجها من المتحف
الاثري حتى تسلم الى حكومة كندا . وسوف توضح قيمة التأمين
الخاصة بكل قطعة على انفراد ويفصل ذلك في قائمة خاصة .

ثالثاً : سوف تنقل القطع المعارة بطريق الجو بحيث تصل قبل الخامس
عشر من ديسمبر ١٩٦٤ . وبعد ان تعرض اولاً في معهد سميث سونيان
سوف تعرض في خمسة متاحف اخرى في الولايات المتحدة
الامريكية . وفي نهاية عرضها في الولايات المتحدة سوف تسلم

للحكومة الكندية في اوائل تشرين الاول ١٩٦٥ وبذلك تنتهي
مسؤولية معهد سمث سونيان تجاه هذه الاعارة .

رابعاً : سوف تقوم وزارة الخارجية الامريكية بدفع نفقات وتكاليف
تعبئة القطع وتحضيرها للشحن من الاردن الى الولايات المتحدة كما
ستتحمل نفقات ذهاب واياب بالطائرة بالدرجة السياحية للشخصين
المرافقين للمعروضات اثناء عرضها في الولايات المتحدة كما ستتحمل
دفع مبلغ ١٨ دولاراً يومياً لكل منهما ولمدة مئة وعشرين يوماً
على التوالي .

خامساً : سوف يدفع معهد سمث سونيان نفقات سفر امين متحف بالطائرة
ليرافق المخطوطات عند ارسالها الى الولايات المتحدة في شهر
كانون الاول سنة ١٩٦٤ بالاضافة الى مبلغ ١٨ دولاراً يومياً ولمدة
اسبوع وقيمة تذكرة العودة الى الاردن .

سادساً : سيتم نقل القطع المعارة من الاردن الى الولايات المتحدة بطريق الجو.
وفي حالة نقل القطع داخل الولايات المتحدة فسيكون ذلك اما
بطريق الجو أو بالشاحنات حسب ما يسمح به الوقت وسوف توضع
القطع المعارة تحت حراسة مشددة اثناء عرضها ونقلها .

سابعاً : اختيار امكنة العرض لهذا ~~المخطوطات~~ ^{المخطوطات} اثناء وجودها في امريكا من
حق معهد سمث سونيان وحده .

ثامناً : بعد انتهاء المعرض المتنقل وانتهاء عرضها في كل من كندا وبريطانيا
فإن معهد السمث سونيان سيتبرع بالادوات واللوازم التي استخدمت في
العرض للمتحف الاثري الفلسطيني .

(٣٥٢) في أواخر سنة ١٩٦٤ عاد الدكتور جص فان بيك الى القدس الذي سبق له أن درس فيها محتويات الكهف رقم ١١ (ف ١٢٥) واختار ما أعجبه من المخطوطات التي وافقت الحكومة الأردنية على عرضها في الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا ، وهي تتألف من مخطوطة المزامير الرائعة البالغ طولها ١٢ قدماً بالإضافة الى مخطوطة سفر التثنية الذي يضم الوصايا العشر مع اثني عشر جزءاً من بقايا المخطوطات الى جانب حوالي ثلاثين قطعة أثرية من التي عثر عليها في خربة قران ، ثم وضعها في صناديق نقالة للعرض توفر لها الوقاية التامة من التعرض للتلف وتمكن الزوار من مشاهدة المعروضات دون أن تلمسها ايديهم .

صممت الصناديق على نحو يؤمن نقلها بسهولة دون أن تلحق الأضرار بمحتوياتها النفيسة وهي توفر - حسب التصميم الذي وضعه معهد سمث سونيان الذي يدرس فيه الدكتور بيك علم الآثار - امكانية وضع بطاقات عليها باللغة العربية فضلاً عن النص الانكليزي . ويتيح هذا التدبير فيما بعد للمسؤولين الأردنيين استخدام صناديق العرض في القدس ، اذ ارغبوا في ذلك بعدما انتهت المخطوطات دورتها . وتمكن الصناديق الاربعة زوار المعرض من تركيز انتباههم على :

- ١ - اكتشاف المخطوطات .

- ٢ - الاسمين الذين استخدموها وجاليتهم القديمة في قران .
- ٣ - قيمة المخطوطات من التراث الحضاري .
- ٤ - الفنون التي استخدمت لدراستها ونشر ترجمتها الحديثة .

بعد أن فرغ الدكتور بيك من هذه المهمة استقل الطائرة النفائة التي نقلت هذه المخطوطات من الأرض المقدسة ثم صحبها في عربة مسلحة نقلتها الى اقبية معهد سمث سونيان . وقد حضر عملية نقل المخطوطات موظفون من وزارة الخارجية الاميركية ووكالة المعلومات الاميركية والسفارة الاردنية .

في ٢٨ شباط ١٩٦٥ عرضت في معهد سمث سونيان واستمر عرضها الى ٢١ آذار . وبعد ذلك جري عرضها مدة ثلاثة اسابيع أخرى في خمسة من أشهر المتاحف الاميركية لكي يتمكن الشعب الاميركي بأسره من مشاهدة

هذه الكنوز الثمينة للأراضي المقدسة وتقديرها وقد أوحى هذه المخطوطات للعديد من الأميركيين بزيارة الأراضي المقدسة ليشاهدوا بأنفسهم ليس قرآن فحسب بل القدس وغيرهما من الأماكن التاريخية . وكانت هذه الوثائق والكنوز الأثرية ، محفوظة في متحف فلسطين الأثري في القدس قبل أن يجري نقلها إلى واشنطن ، وقد اتخذت كافة الاحتياطات الخاصة لصيانتها أثناء عملية شحنها .

(٣٥٣) وقد حضر حفلة الافتتاح حوالي ألف مدعو من كبار رجال الحكومة وأعضاء السلك الدبلوماسي واساتذة الجامعات والمهتمين بالبحوث الأثرية .

وكان في مقدمة المدعوين المستر دين راسك وزير الخارجية الأميركية والسيد سعد جمعة السفير الأردني في واشنطن^(١) ، وقد القيا كلمات مناسبة . وقد أعرب المستر راسك عن شكره وشكر الشعب الأميركي إلى جلالة الملك حسين وإلى الشعب الأردني الذين اتاحوا لنا الفرصة لمشاهدة هذه الآثار القيمة ، وقال : انني عاجز عن التعبير عن امتناني للعاهل الأردني وللسيد جمعة ، وكذلك للدكتور عوني الدجاني مدير دائرة الآثار في الأردن لمساعدتهم في عرض هذه الآثار في بلادنا .

أما السيد سعد جمعة فقد قال في كلمته : انني فخور بإقامة هذا المعرض خارج الأردن لأول مرة في واشنطن ، وهذا دليل آخر على الصداقة القائمة بين الشعبين الأردني والأميركي . وأضاف السيد جمعة قوله : ان المخطوطات وثائق هامة جداً عن المسيحية الأولى ، وهذا برهان آخر على أن الأردن هو مهد المدينيات والأديان . وذكر السيد جمعة ان المستر دين راسك طلب منه رسمياً إبلاغ جلالة الملك حسين والشعب الأردني تحيات الشعب الأميركي وشكره في تمكينه من مشاهدة هذه الآثار التي لا تقدر بثمن .

(١) السيد سعد جمعة هو الآن رئيس وزراء المملكة الأردنية الهاشمية .

وقد صرح الدكتور عوني الدجاني مدير دائرة الآثار الأردنية الذي يرافق هذه الآثار أن الزائرين لم يقتصروا على تفحص المخطوطات والأشياء الأخرى بعناية فائقة فحسب بل انهم كانوا يركزون اهتمامهم الى جانب ذلك على تفهم الشروح التاريخية لهذه الآثار . وأضاف أن الحكومة الأردنية تقوم بالحفاظ على آثار الاسينيين في منطقة قمران المطلة على البحر الميت . وفي تلك المنطقة يمكن للعلماء والسياح على حد سواء أن يروا بأنفسهم المكان الذي وُجدت فيه هذه الكنوز الثمينة التي لا تقدر بأي ثمن . وسبق الدكتور الدجاني في واشنطن طوال مدة العرض هناك وسيجل مكانه موظف أردني آخر يواكب المخطوطات أثناء عرضها في خمسة متاحف أمريكية أخرى .

قالت صحيفة صنداي ستار: إن حفلة افتتاح معرض مخطوطات البحر الميت الذي افتتحه السفير الاردني السيد سعد جمعة والدكتور ديلون ريبلاي سكرتير المعهد ، ان دلت على شيء فانها تشير الى أن معهد سميت سونيان سيعج بأكثر عدد من الزائرين منذ أن عرضت فيه صورة مونا ليزا الشهيرة قبل نحو عامين . كما تحدثت الصحيفة عن مشاعر الإثارة والانطباعات التي أحس بها كبار الأساتذة والزوار .

وقالت الصحيفة من بين زوار المعرض في حفلة افتتاحه المستر ايرل وارن قاضي القضاة الذي كان قد زار البلاد المقدسة قبل حوالي ثلاث سنوات وكذلك سفراء المغرب وبرغواي واستراليا ورومانيا والجزائر وولندا وتونس وكندا وليبيا وإيطاليا والدومنيكان والنيجر ويوغوسلافيا ولبنان .

وقد حضر حفلة الافتتاح القس جوزف فتر ماير استاذ العهد الجديد ولغات التوراة في كلية وود ستوك بولاية مرييلاند وهو العلامة الذي ترجم كتاب مختار الله (ف ٢٩٩) ومخطوطة لاوي . وكلاما كتباً أصلاً باللغة الآرامية وقال القس ان مختار الله هو لقب يشير الى يسوع المسيح . ويدل ذلك على أن هذا التعبير كان مستعملاً في فلسطين في ذلك الزمن على

الصعيد الديني . أما مخطوطة لاوي فيظهر أنها كانت الاساس السامي لاناجيل تلاميذ المسيح الاثني عشر والتي كانت نصوصها لدينا من قبل باللغة اليونانية . ولقد اجتذب المعرض اكثر من عشرين الف زائر في يومه الأول وقد خصصت صحيفة واشنطن ستار نصف صفحة من عددها الصادر ذلك اليوم للحديث عن هذا المعرض ونشر صور المخطوطات والاواني الفخارية التي خلفتها طائفة الاسينيين في خربة قمران بالقرب من البحر الميت . وقالت الصحيفة إن الكثيرين من الزوار انتظروا في صفوف طويلة اكثر من ساعة خارج المعرض حتى جاء دورهم في الدخول وكان نتيجة الإقبال الشديد ان مدد معهد سميث سونيان ساعات العرض في أيام الجمعة والسبت والاحد بحيث أصبحت من الساعة التاسعة صباحاً حتى الثامنة مساء . وقال كثيرون من الزائرين أن المخطوطات التي شاهدوها تستحق فترة الانتظار الطويلة التي امضوها خارج مبنى المعرض .

وفي اليوم التالي قالت الصحيفة ما زالت مخطوطات البحر الميت المعروضة حالياً في معرض سميث سونيان تجتذب أعداداً كبيرة من الزائرين . وصرح المسؤولون في المعهد بأن ٣٣٣٤ قد شاهدوا يوم امس المخطوطات والاواني الفخارية التي خلفها الاسينيون في قمران . أما جمهور يوم الاثنين الماضي فقد بلغ عدده ثلاثة آلاف شخص بينما شاهد المعروضات يوم الاحد الماضي حوالي عشرين الف زائر .

قال المستر فيلبس تالبوت مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الاوسط وجنوب آسيا في حفلة الافتتاح : هذا يوم عظيم من أيام مجيدة ، انه يوم نفخر به جميعاً في هذا البلد اذ نجد بيننا وبين ظهراييننا مخطوطات البحر الميت التي شاهدناها علماء لاهوت وآثار ومؤرخون كثيرون من المهتمين بتاريخ الشرق الاوسط وحضارته وفدوا الى واشنطن من جميع انحاء المنطقة الشرقية للولايات المتحدة لي شاهدوا هذا المعرض وقد عبروا عن شعورهم بالاعجاب بكل ما شاهدوا .

(٣٥٤) قال الدكتور فرنك كروس - الابن - رئيس دائرة لغات وآداب الشرق الاوسط في جامعة هارفرد والذي درس المخطوطات التي اكتشفت عام ١٩٦٢ في اريحا : ان هذه البرديات التي يعود تاريخها الى القرن الرابع قبل الميلاد تعتبر أقدم مجموعة من الوثائق اكتشفت حتى الآن وهي مكتوبة على ورق البردي والجلد . وهذه الوثائق الشخصية من الارشيف الرسمي لحاكم السامرة « سبسطية » وأهميتها ذات وجهين انها توفر الضوء الحقيقي الاول المتوفر لدينا من مصادر معاصرة للقرن الرابع قبل الميلاد عن الحياة في فلسطين في ذلك القرن كما تفسح أمامنا المجال لتكوين فكرة اكثر وضوحاً من مصادر لاحقة عن هذه الحقبة من التاريخ^(١) .

(١) مخطوطات وادي الدالية :

في أواخر سنة ١٩٦٢ توجه عربان التعمارة من اريحا شمالاً مسافة ثلاثين كيلو متراً حتى وصلوا الى خربة فصايل - قبل سرايا الجفتلك - وصعدوا في تلك الوديان وتخللوا تلك الشعاب الى أن وصلوا الى وادي الدالية فدخلوا في كهوفه حتى عثروا في واحد منها على مخطوط وعاديات أخرى جاءوا بها الى كندو في بيت لحم فاتصل بالمتحف الاثري الفلسطيني بالقدس وعرض على امثائه تلك البضاعة التي قدرت باحد عشر الف دينار، عجزت مالية المتحف عن تقديمه. وهنا تقدم متبرع الى المدرسة الاميركية في القدس بهذا المبلغ، فاشترت البضاعة وأضيفت الى المتحف ومنحت تلك المدرسة حق دراستها ونشرها فاستعانت بالدكتور فرانك كروس الذي أكتب على دراستها ثم نشر تقريراً أولياً أشار فيه إلى أن هذه الكتابة الآرامية على ورق البردي من القرن الرابع قبل الميلاد وهي الأولى من نوعها في هذه البلاد وتؤرخ حقبة غامضة. وتظهر على نقوشها أشخاص بلباس وملامح اغريقية وفارسية وقد نشرت مجلة التايمز الأميركية في عددها الصادر في أول نيسان سنة ١٩٦٦ قطعة قصيرة بعنوان « التوراة - اكابر السامريين » هذه خلاصتها :

في سنة ٣٣٢ ق.م ثار السامريون على حكم الاسكندر الكبير وأحرقوا قائده جيوشه اندروماخس . ولذلك أرسلت فرقة من الجيش المكديوني للثأر ففتحت السامرة « سبسطية » وأرسلت شراذم تطارد الهاربين من السامريين وحاصرت ثلاث مئة منهم كانوا يجمعون في كهوف وادي الدالية بين اريحا غرباً وعقربا شرقاً - وقد اشعلت النار في مدخل الكهف فاختنق السامريون في داخله وبقيت معهم ثلاثة وعشرين قرناً ملقاة في أبعد زاوية من الكهف وقد غطاها الغبار وأقذار الحفافيش حتى وصل اليها في أواخر سنة ١٩٦٢ بعض العربان الذين كانوا ينقبون ويبحثون عن عاديات يستطيعون بيعها ونقبوا في الغبار والانقاض حتى ←

قال استاذ الفنون الجميلة في جامعة نيويورك : أنه لمن دواعي الغبطة أن نرى خلال العقدين الماضيين دليلاً دامغاً آخر على صحة نصوص العهد القديم فقد اثبتت مخطوطات البحر الميت ما كان مقبولاً منذ الازل .

وقال أمين المجموعات الفنية الوطنية في معهد سميث سونيان : ان حقلي اختصاصي هو الفن غير أنني أرى نفسي متحمساً لهذا المعرض ولا اعلم عن أي سجل آخر له مثل هذه الاثارة على النفوس .

أما أستاذ دراسات العهد القديم في مدرسة كولجيت بولاية نيويورك وهو العلامة الذي استطاع فض مخطوطات سفر المزامير البالغ طولها ثلاثة أمتار فقد قال : ان أحد الاسباب التي أدت إلى حفظ المخطوطات على هذا الشكل الحسن هو أنها كانت موجودة في مكان جاف من هذا العالم . وهذا يحدو بي

وجدوا بعض الحلي والفخار وأوراق البردي التي كتب على بعضها سندات تملك وعقود زواج ، كان السامريون قد حملوها معهم الى هذا المكان الذي لاقوا فيه حتفهم . ولقد أحضر العربان بعض ما وجدوه الى كندو فقام بالاتصال برجال الآثار الذين يعملون في المتحف الأثري في القدس واستدعي عالم الآثار فرانك كروس من جامعة هارفرد الاميركية الى القدس . وبعد أن أكب على دراستها أصبح أعلم بتاريخ السامريين القدماء من بقاياهم الذين لا يزالون أحياء ، وخلافاً لما ورد في سفر الملوك الثاني الذي يتهم السامريين بأنهم ابتعدوا عن العقيدة اليهودية بتأثير الفتح الاشوري حوالي سنة ٧٠٠ ق.م فإن هذه الوثائق تظهر أنهم كانوا متمسكين بالعقيدة اليهودية في أيام الاسكندر . وهذا يوحي بأن الانشقاق السامري عن اليهود حصل في القرن الاول الميلادي حسب رأي كروس .

وقد برهن عقد الزواج على أن السامريين كانوا يتزوجون مع الاغريق دون مانع وإنهم كانوا قد اصطبقوا بالحضارة الهيلانية قبل أن يفتح الاسكندر بلادهم . وقد ظهر أن أعداداً من أكابرهم وأثريائهم لبسوا الحواتم واستعملوا الاختام التي كان عليها صور الالهات الاغريق الجبيلات وهن عاريات . وفي الوقت ذاته لم يكونوا قد تخلوا عن العبادات اليهودية . وهكذا فإن هذا الاكتشاف يتحدى ما ورد في التوراة من أن السامريين كانوا شعباً منحطاً متخلفاً بل ظهر أنهم كانوا كالسامري الطيب الذي مدحه المسيح أكثر من الذين حذر تلاميذه من أن يدخلوا مدنهم النجسة . وفي هذه الأيام لا يزيد عدد السامريين على اربع مئة نسمة ويجمعون كل عام ليقيموا فصيحهم على جبل جرزيم فوق نابلس ولا يزالون يعتقدون أنهم أصحاب أصح عقيدة وهم يتهلون الى الله بأن يرسل اليهم مسيحهم « مهديهم » الذي ينتظرونه ليعيد الحق ويقم العدل الى الأبد .

الى الاعتقاد - كما يعتقد أولبرايت العلامة الاميركي في شؤون الشرق الاوسط - بأن عدداً آخر من المخطوطات ستكتشف . وأشار الى أنه منذ الاكتشاف الاول للمخطوطات التي وجدت في جرار في كهف من خربة قمران تمت اكتشافات عديدة أخرى في هذه المنطقة .

(٣٥٥) وعندما انتقل المعرض من واشنطن الى بيركلي في كاليفورنيا لفت الصحف ومحطات التلفزيون بما اذاعته ونشرته انظار الجمهور في كاليفورنيا الى أهمية هذه المخطوطات والآثار القديمة التي تعود الى عصر الجالية الاسيوية والتي اعارتها مصلحة الآثار الاردنية الى الحكومة الاميركية . .

اجتمع أكبر حشد شهدته تلك المدينة على الاطلاق استمر ثلاثة أسابيع متتالية ثم انتقل المعرض الى مدينة لوس انجلوس في دورته عبر الولايات المتحدة . ولاتاحة الفرصة لأكبر عدد ممكن لمشاهدة المعرض فقد مدد متحف لوي للآثار ساعات افتتاحه يومياً حتى الساعة التاسعة مساءً وقد شاهد المعرض أكثر من ٢٥ ألفاً أثناء وجوده في هذه المدينة وقال مدير متحف لوي ان اهتمام الجمهور بهذا المعرض لم يسبق له مثيل من قبل .

وفيا يلي بعض التعليقات التي صدرت عن زوار المعرض في باركلي . قال الطبيب البيطري في كاليفورنيا: ان المعرض رائع جداً فقد اتيت اليه مدفوعاً بالاهتمام الذي اوليه للاعمال الدينية . والامر الذي استرعى اهتمامي هو كيف ان هذه المخطوطات جاءت تؤيد نصوص الكتاب المقدس .

وقالت سيدة مرموقة المكانة في الولاية : هناك أشياء كثيرة لا نعرف عنها أي شيء وانني أعتقد ان من المشوق جداً أن نعلم بأن هناك مدنيات كثيرة أتت وذهبت ونحن نكاد لا نعلم عنها شيئاً وانه من المهم جداً ان نرى كيف ان هذا المعرض يثبت استمرار التراث الديني .

وقال مدير مصلحة صيانة الثروة الحيوانية في كاليفورنيا : انني سعيد جداً لاتاحة الفرصة للجمهور الاميركي أن يرى هذا المعرض .

(٣٥٨) وانتقل المعرض من لوس انجلوس الى اوهايو في ولاية نبراسكا والى بلتي مور في ولاية ماريلاند . وقد ذكر في اوهايو أن أكثر من ألف عضو من متحف جوسلن للفن قد شاهدوا افتتاح المعرض الاردني لمخطوطات البحر الميت وكان هذا المعرض قد قام بجولة في متاحف الولايات المتحدة الرئيسية منذ أواخر شباط الماضي ووصل الى هنا بعد أن نال نجاحاً فائقاً في كليرمونت بكليفورنيا . وقد قدم متحف جوسلن للفن - بغية منه لتعميم أهمية المعرض - ثلاث محاضرات حول مخطوطات البحر الميت القاها رجال دين من ثلاث طوائف مختلفة .

هذا وكان ضيف الشرف في حفلة الافتتاح السيد يوسف سعد أمين متحف فلسطين الاثري بالقدس وهو المقر الدائم لمخطوطات البحر الميت . وقد القى السيد سعد محاضرة عن المخطوطات خلال المعرض كما سبق أن القى الدكتور عوني الدجاني بدوره عدة محاضرات عن ذلك الموضوع .

أما ضيف الشرف الثاني فكانت السيدة اليزابيث هاي بكتل من سان فرانسيسكو في كاليفورنيا التي أسهمت في تمويل عمليات التعويض عن هذه الآثار وقد دعي باسمها مخطوط المزامير البالغ طوله ١٢ قدماً والمعرض في المتحف وذلك تكريماً لها .

ويعتبر معرض مخطوطات البحر الميت من النجاح المعارض الاثرية التي اقيمت في اميركا حتى الآن . وقد طاف هذا المعرض الذي استقدمه معهد سميث سونيان في جميع انحاء البلاد وذلك ليعطي الاميركيين في سائر الولايات فرصة لمشاهدة هذه الآثار القيمة للمدن القديمة التي عاشت في الاراضي المقدسة وقد عرضت المعارضات في صناديق خاصة مضغوطة للحيلولة دون تلفها نتيجة لتقلبات الاحوال الجوية والرطوبة اثناء انتقالها من مكان الى آخر .

المعرض في كندا

(٣٥٧) في صباح ١٩٦٥/٩/٢٥ افتتح المعرض في متحف كندا الوطني في العاصمة الكندية مدينة اوتاوه بحضور وزير الثقافة والارشاد وعقيلته وعدد كبير من الشخصيات الرسمية والدينية وجمع غفير من اهالي المدينة وقدم الوزير الكندي كلمة شكر فيها ملك الاردن والحكومة الاردنية على اتاحتهم الفرصة للشعب الكندي بمشاهدة هذه الآثار الانسانية النادرة ورد على كلمته المندوب الاردني السيد عدنان الحديدي^(١) بكلمة عن حرص الاردن على تعزيز العلاقات الودية والثقافية والسياحية مع كندا . وقد زار المعرض اثناء عرضه في اوتاوه التي استمرت ثلاثة اسابيع ثمانية وخمسون ألفاً .

وانتقل المعرض الى تورنتو وبدأ العرض في ١٩٦٥/١٠/٢١ في متحف اونتاريو الملكي لمدة ثلاثة اسابيع وجرى الافتتاح بحضور مدير المتحف وكبار موظفيه وعدد من رجال الصحافة المحلية . ولم يكن حماس اهل تورنتو اقل من حماس اهالي اوتاوه للمعرض حتى بلغ عدد الزوار خمسة وسبعين ألفاً . وفيما يلي مقتطفات مما كتبه بعض الصحف المحلية عن المعرض :

١ - وزعت وكالة الانباء الكندية الخبر التالي على جميع الصحف الكندية فظهر في معظمها : بدأ مئات من الناس يزورون المتحف الوطني الكندي في اوتاوه لمشاهدة مجموعة مخطوطات البحر الميت الشهيرة التي ارسلتها الحكومة الاردنية لتعرض في شمال اميركا . وهي تشكل جزءاً من مجموعة اكبر اكتشفت قرب البحر الميت قبل ثمانية عشر عاماً . وتعتبر هذه المخطوطات من اهم ما اكتشف في هذا المجال في عصرنا وتلقي ضوءاً جديداً على مبادئ الديانة المسيحية وعلاقتها بالتوراة القديمة .

٢ - نشرت جريدة لامبرس مقالاً وافياً عن المخطوطات باللغة الفرنسية وهي تصدر في مونتريال وتوزع في جميع انحاء كندا . وخلاصة هذا المقال : كتب هذه المخطوطات جماعة دينية اسرائيلية في القرن الاول الميلادي

(١) السيد عدنان يعمل الآن رئيس المنقبين في دائرة آثار الاردن .

وتظهر احتمالاً كبيراً بوجود علاقة بين الكنيسة المسيحية الاولى وبين تعامل طائفة الاسيانيين التي كتبت هذه المخطوطات ... وقد نشرت هذه الصحيفة ايضاً احتجاج عمدة مدينة مونتريال على عدم عرض هذه المخطوطات في تلك المدينة الكندية العظيمة . كما نشرت للسيد الحديدى حديثاً صحفياً عن اهتمام بلاده بآثارها وتسهيل السياحة اليها لتكسب صداقة السائح وبلاده . وكان اقبال القراء شديداً على مثل هذه النشرات الثقافية .

المعرض في بريطانيا

(٣٥٨) تدل التقارير الأولية أن معرض مخطوطات البحر الميت الاثريه الذي أقيم في المتحف البريطاني وافتتح في السادس عشر من كانون الاول ١٩٥٦ قد اجتذب من المشاهدين اكثر مما اجتذبه أي معرض آخر سابق أقيم في المتحف البريطاني .

قال ناطق بلسان المتحف : إن هذه أول مرة يضطرف فيها زوار المتحف الى الوقوف في صفوف طويلة تمتد حتى الشارع العام ويضطرون أحياناً الى الوقوف نحو ساعتين ونصف الساعة على الرغم من البرد القارس ، حتى يتيسر لهم الدخول وكان معدل الزوار نحو ٢٠٠ زائر يومياً .

بلغ معدل عدد الزوار الذين أموا معرض مخطوطات البحر الميت الاثريه في المتحف البريطاني رقماً قياسياً لم يسبق له نظير في أي معرض آخر مماثل . فقد زاد عدد الذين شاهدوا هذا المعرض على ١٢٠ الف زائر .

وأبقيت ابواب المتحف البريطاني لأول مرة مفتوحة حتى ساعة متأخرة من الليل ليتمكن المعرض من استقبال الزوار . وقد انتهى المعرض في الثلاثين من كانون الثاني ١٩٦٦ ولكن المسؤولين تلقوا فيضاً من الطلبات التي يلتمس فيها أصحابها تمديد العرض .

ومما يجدر ذكره ان طول صفوف الزائرين الذين كانوا ينتظرون دورهم للدخول بلغ في احيان كثيرة مئات الامتار وقال ناطق بلسان المسؤولين عن المعرض ان عدد الزوار بلغ في أحد الايام ٥٠٠ زائر وهو أعلى رقم لزوار يوم واحد .

وفي ٢٧ آذار نقل المعرض الى المكتبة الوطنية في أدنبره - اسكتلنده
واستمر حتى ٢٣ نيسان .

في مانشستر

(٣٥٩) لاقى المعرض الثاني لمخطوطات البحر الميت في انجلترا الذي افتتح في ١٣ آذار في مكتبة جون رايلندز في مانشستر اقبالا كبيرا من مختلف بقاع شمال انجلترا . وكانت الحكومة الاردنية هدفا للمديح والإطراء لسماحها بعرض هذه المخطوطات وذلك في حفلة الافتتاح التي حضرها أسقف مانشستر الدكتور ول. غرير .

وصرح المستر رونالد هول مدير مكتبة جون رايلندز التي تحوي أغنى مجموعة من الكتب والمخطوطات خارج المتحف البريطاني في لندن بقوله : إن المعرض هو أعظم حدث شهدته المكتبة ويتنظر ان يشاهده ما لا يقل عن ثلاثمائة فريقي من الزوار تضم حوالي عشرين الف شخص قادمين من أماكن تبعد عن مانشستر حوالي ١٦٠ كيلو متراً .

ولجامعة مانشستر صلة وثيقة بهذه المخطوطات فقد كان المستر جون الليغرو أول ممثل بريطاني في الفريق العالمي الذي تولى حل رموز هذه المخطوطات في القدس كما أن البروفيسور ه. رايت بيكر قام بالعملية التقنية التي اقتضت فتح المخطوطة النحاسية في عام ١٩٥٥ في كلية العلوم والتكنولوجيا في جامعة مانشستر (ف ١٥٠) . وثمة عالم آخر هو البروفيسور ف. ف. بروس استاذ علم انتقاد الكتاب المقدس الذي يعد في طليعة الخبراء في بريطانيا في حقول هذه المخطوطات .

في كاردف

(٣٦٠) جرى افتتاح المعرض رسمياً في متحف ويلز الوطني يوم الجمعة في ١٩٦٦/٥/٦ بحضور عدد كبير من كبار رجال الصحافة والدين والعلماء

وألقى كلمة الافتتاح رئيس كنيسة ويلز وتلاها اللورد بليث وقد رد عليها السيد عدنان الحديدي بكلمة مناسبة عن مكانة الاردن من الناحيتين الاثرية والسياحية . وقد استمر العرض الى الرابع من حزيران سنة ١٩٦٦ وبلغ عدد الذين شاهدوا المعرض مئة وعشرين ألفاً وقد كانت قطارات خاصة تقل سكان المدن المجاورة لكاردف لزيارة المعرض وبالأجمال فقد بلغ المعرض هنا درجة كبيرة من النجاح، ثم عادت المخطوطات الى الاردن فاستقرت في المتحف الاثري بالقدس الذي جرى تأميمه وأصبح تابعاً لدائرة الآثار الرسمية والحمد لله أولاً وآخراً .

الكشاف

آرامي ٣١، ٦٥، ٦٦، ٧٢، ٩٦، ١٣٧
٢٩٩، ٣٠٠، ٢٥٩

ارميا ٢١، ٢٣، ٣٠، ١١١، ١٣٦
٢٩٧، ٢٦٠

اريجا ١٨، ٥١، ٩٠، ٩٢، ٩٨، ١٢١
١٢٥، ٢٣٢، ٢٤٤، ٢٩٠
٣٧٧، ٣١٠

اسبانيا ٤٥

اسحاق ٧، ١٥، ٢٨، ٣٦، ١٥٨

ارستوبولس ١٧٥، ١٧٦، ١٨٤، ١٨٥

استير ٣٠، ٣٣، ١٣٦

اسدود ٢٣

اسد رستم ٩

اسرائيل ١٥، ١٩، ٢١، ٢٤، ٣٥، ٤٣

٥١، ١٧٩، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٤٧

٣٤٩، ٣٥٨، ٣٦٥، ٣٦٦

ارسطو ٧

اسماعيل ١٣٦

اسكندر المكدوني ٢٥، ٢٦، ٣٣، ١٦٨

١٧٠، ٣٧٧، ٣٧٨

اسكندر شاهين (كندو) ٥٥

اسكندرية ٥٠، ٥١، ١٨١، ٢٧٤

اسطفان ٥٨، ٦٠، ٣١٢، ٣١٩

اسطنبول ١٠٦

اسفلدت ٥٧

السيمس ١٨٣، ٢٧٢

الاسين ٢٥، ٢٩، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٨

٧٩، ١٠٢، ١٢٦، ١٢٨، ١٥٢

١٥٣، ١٥٤، ١٦٧، ١٦٩

٢٠٣، ٢٠٤، ٢١٣، ٢١٥

٢١٨، ٢٢٠، ٢١٢، ٢٢٤

٢٢٦، ٢٣٧، ٢٦٦، ٢٦٧

٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٥

(١)

ابراهيم حاز ٢٤٣

ابراهيم الخليل ١٣، ١٥، ١٧، ٢٦، ٥٧

٨٠، ١٣٦، ١٥٨، ١٩٥، ٢٥٠

٢٨، ٥٠

ابراهيم مطر ٩

ايسكر ٩٦

ابو حنيفة ٤٣

ابشالوم ٢٠، ٢١، ٧٧، ١٦٣، ١٧٧

١٧٩، ١٨١

ابو كريفا ٢١، ١٣٣، ١٣٦

ابناء النور ١٠١، ٣١٤، ٣١٨

ايبوني ١٠٥، ١٨٦

اثناسيوس ٣٣٣، ٣٣٩

احاز ٢٩٩

احمد كامل ١٥٣

احمد بن عبد الله ٣٤٢

احشاويروش ٢٢

احس ١٥

اخبار الايام ٣٣، ٢٤٠

اخنوخ ٥٧، ٨٠، ٢٠٢، ٢٤٥، ٢٥٩

٢٦٠، ٢٦١

ادفو ١١٥

آدم ٢٥٩

ادونيا ٢٠، ٢١

ادوميا ١٨٤

ادوميون ١٧، ١٨، ٢٦، ٨١، ١٩٥

ادابنه ٢١٢

اردن ١٨، ٣٣، ٢٨٩، ٣٣٨، ٣٣٩

٣٤١، ٣٦١، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧٢

٣٨١

ارقيوس ٥٠

اريك (فلتشارد) ٣٥٦

تابع الكشف

اورلنسكي ٢٩٩ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦	٢٨١ ، ٢٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٦
اليالك ٥٤	٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٨٢
اليعاز ٤٩	٣١٥ ، ٢٨٩ ، ٢٨٨ ، ٢٨٦
الأمثال ٣٠	٢٧٣ ، ٣٣٠ ، ٣٢٩ ، ٣١٦
الاموية ٤٥	٣٨٢ ، ٣٧٩ ، ٣٧٦ ، ٣٧٥
امون ٤٩	اسوان ٢١٦
امويون ١٧ ، ١٦	اشتون ٨٩
اموري (اريك) ٣٥٦	اشميا ٢١ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ٧٠
امين ابو الشعر ٩	١١١ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧١
انشيد ٣٠	١٣٥ ، ١٣٢ ، ١٢٧ ، ١١٢
انبساط ٢٣ ، ٣٣ ، ١٧١ ، ١٨٣ ، ١٨٤	٢٩٧ ، ٢٩٥ ، ٢٩٣ ، ١٥٩
١٩١	٣٠٨ ، ٣٠٠ ، ٢٩٩
اقتنيات ١٨٢	اشمولي ١٤١
الناموس ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣١٨ ، ٣١٩	اشور ١٦ ، ١٧ ، ٢١ ، ٣٥ ، ٩٢ ، ١٩٥
انجيل ٧٩ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠	٣٧٨
انتيوخس ٢٦ ، ٥١ ، ١١٦ ، ١٧١ ، ١٧٢	اغرياس ٤٨ ، ١٢٠
١٩٤ ، ١٩٣ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٧٣	افرام ١٦١
٢٨٣ ، ٢٧٠ ، ٢٤٢ ، ١٩٦	افرايم ٣٠
اندروماكي ١٣١	اغريق ٥١ ، ٣٧٨
اندروماخوس ٣٧٧	افريقيا ٨١ ، ٣٠٠
انيس منصور ٩	افسوس ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧
انيس فريجة ٥٩	افلاطون ٤٥ ، ٥٠
اورشليم ١٩ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠	اغسطوس قيصر ٢٦ ، ١٥٢ ، ٢٠٧
١٨٠ ، ١٧٦ ، ١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٧٠	اغور ١٢٧
٢٨٩ ، ٢٦٥ ، ٢٠٠ ، ١٩٦ ، ١٩٥	اكاد ٢٨
٣١٨ ، ٣١٧ ، ٢٩٩	اكاديمي ٤٥
اوريجن ٩١ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢	الاكاديمية البريطانية ٣٦٥
اوروبا ٢٠ ، ٤٤ ، ١٥٩	اكسفورد ٢٤ ، ٤٥ ، ٢١٥ ، ٢٩٥
اونياس ٩٨ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥	اكي الساق ٢٨
٢٠٠	اكرا ١٨٢
اهريمان وهرمز ٢٥٢ ، ٢٥٩	اولبرايت ٦ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٩٣ ، ٩٦
اوهاما ٣٨٠	٣٧٩ ، ٢١٣
اوتاره ٣٨١	المانيا ٩٧ ، ٣٦٤
اوتناريو ٦٨١	اليغر ١٧٦ ، ١٧٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥

تابع الكشف

بطالسه ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٢ ، ١٨٣
 بطرس ٣٠٥ ، ٣٢٣
 بغداد ٤٣
 بكتل ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٨٠
 بكدامس ١٨٣
 بلاطس ١٩٦
 بلتيمور ٩٤ ، ٢٠٨ ، ٣٨٠
 البلجيك ١٣١
 بلشاسر ٢٢
 بلعال ١٥٩ ، ١٨٨ ، ١٩٦ ، ١٦٨ ، ٢٧٠
 ٢٨٠ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٥
 البلقان ١٧
 بليني ٦ ، ٤٢ ، ١٢٨ ، ٢٧٧
 بليمث ٢٨٤
 بومي ٢٦ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٨٤
 البنك العثماني ٣٥٥ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤
 بنيامين ٨١ ، ٢٦٤ ، ٢٧١
 بنيامين التهنودي ٢٩٠
 بورتر ٦
 بوريك ٩٨
 برفسبورن ١٠٤
 بولس ١٠٥ ، ٢٣١ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٦٥
 ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٩ ، ٣٣١
 بلوينغ ٥٤ ، ٥٩ ، ٢٦٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥
 بولوني ٨٤ ، ٣٦٤
 بوستن ٣٣٩
 بودليان ٢١٥
 برتسالوم ٦٠
 بيت الفا ٢١٢
 بيت شعرايم ١٢٢
 بيت صور ١١٦ ، ٢٠٦
 بيت عور ٢٥
 بيت الانقسام ٢٤٢

اباس ٣٤٢
 ايروغس ٣٠
 ايل ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢١٦
 ايلينا كبتولينا ٢٧ ، ٢٨
 ايوب ١٩ ، ٣٠ ، ٢٤٠

(ب)

البابا ٣٥٥ ، ٣٥٦
 بابل ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٥٧
 ١١٢
 بارثلمي ٨٠ ، ١١١ ، ١٣٢ ، ١٧٨ ، ٢٤٤
 ٢٤٥ ، ٢٨٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢
 برامكي ٩٠
 بباو ١١٣
 بقري ١٦
 باريس ٢٥ ، ٨٦ ، ٣٦٥
 بتتر ٣٠٠
 براون ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٥
 بروس ٩٨٣
 براونلي ٥٢ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧١ ، ١٠٥
 ١٨٧ ، ٢٤٨ ، ٢٨٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤
 ٣٠٢ ، ٢١٥ ، ٣٦٨
 باركوكبا ٣٧ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٩
 ٣٣٠
 برازيلي ٢٥٠
 برنابا ٣٣١
 برنيسوم ٧١ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٢١١ ، ٢١٤
 ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٧
 بروز ٨٠ ، ٨١ ، ٦٣ ، ١٠٣
 البرية ١٩٣ ، ١٩٥
 بزنت ٨٤ ، ٨٥
 بشناق (عبد الرحمن) ١٠
 بشوب ٣٣٤
 بطارقه ١٣٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٦٠ ، ٣١٨

تابع الكشف

تيموفوس ٩٧ ، ١٠٣ ، ٢٠١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣
٢٤٤
تورنتو ٢٠٦ ، ٣٨١
توري ٩٦ ، ٢٠٤
توبيت ١٣٦ ، ٢٠٢
تبخز ١٠٥
تيطوس ٢٧ ، ١٢١ ، ١٦٩ ، ١٧٤
التوراة ٧ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٨ ، ٣١
٤٣ ، ٥٠ ، ٢٢٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣
٣١١ ، ٣٤٧ ، ٣٧٧
تياه ٣١١

بيت لحم ١٩ ، ٣١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٩٤ ، ١١٠
١١١ ، ١٣٠ ، ٢٢٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣٧
٣٧٧
بيروت ٤٨ ، ٥٠
بير السبع ٢٣ ، ١٥٩
بيركلي ٢٧٩
بيكر ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤
١٤٦ ، ١٥٠ ، ٣٨٣
بيسان ١٩ ، ٣٠ ، ١١٢

(ت)

لاوت العهد ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٥
تالوت ٣٧٦
تلنت ١٥٠
التاج (كتاب) ٢١
التثنية ٢٩ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١١٣ ، ١٣١
٣٠٦ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ ، ٣٧٣
الترجوم ٣٤ ، ١٠٩ ، ١٧٠
تدمر ٣٤
ترشيش ١٦٩
تشنغهام ١٣٤
التعمامة ٧ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١٣٠
٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٦٠ ، ٣٧٧
تل السلطان ١٨
التلمود ٣١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ١٨٤
١٨٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢١٦ ، ٢٥١
٢٥٦ ، ٢٩٠
تريفر ١٣ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠
٧١ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠٣ ، ١٠٤
١٨٧ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦
٣٣٧ ، ٣٣٨
التكوين ٢٨ ، ٣٣ ، ٩٢ ، ١١٣ ، ١٣٢
١٦٩ ، ٢٠٣ ، ٢٥٣
التناول ٣٢٣

(ث)

الثنائية ٣١٥
الثورة الأولى ١٦ ، ٢٧ ، ٢٠٩
الثورة الثانية ٢٧ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١٢١

(ج)

جاردنر ٩٥
جازر ٢١٣ ، ٢١٤
جالينوس ٧
الجامعة العبرية ٢٠ ، ٦٥ ، ٢١٠ ، ٣٣٢
(سفر) ٤٨ ، ٢٣٤
جانوس ١٠٠ ، ١١٦ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٧٠
١٨٤ ، ١٩٤ ، ٢٠٩ ، ٢٣٧
جبرائيل ٢٦٠
الجبرية ٣٨ ، ٢٥٩
جريدة التايز ٣٥٦ ، ٣٧٧
جريدة لندن المصورة ٤٩
جرش ١٠٣
جرزيم ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨
جص بيك ٣٧١ ، ٣٧٣
جشم ٢٥

تابع الكشف

حشيشة ٤٨	الجفتك ٣٧٧
حرب ابناء النور ١٣٦ ، ٨١ ، ٧١	جلبوع ٣٠
الحديدي (عدنان) ٣٨٤ ، ٣٨١	الجليل ١١٣ ، ٤٨
حزئيل ١٣١	جمعة (سعد) ٣٧٥ ، ٣٧٤
حزقيال ١٣٦ ، ٨١ ، ٣٠	جنسبرغ ٢٨٧ ، ١٩٥ ، ٨٥ ، ٧١
حسبان ٢٢٤ ، ١٧٠	جوبيتر ٢٨
الحسيد ٢٩٠ ، ٢٧٥ ، ٢٧١ ، ١٨٣	جنيزة ٢٠٤ ، ١٢٩ ، ١٠٣ ، ٧٩ ، ٧٥
حسين (الملك) ٣٧٤	٢٩٠ ، ٢٠٥
حشون ٢٠ ، ١٦	جوسلين (متحف) ٣٨٠
حشمناي ١٩٤ ، ١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٦٨	الجنة ١٥٥
٢٧٤ ، ٢٣٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠١ ، ١٩٥	جيمس ولي ٨
٢٩٠	جيمس ٢٩٨ ، ٢٩٦ ، ٢٢٦
حققوت ١٠٣ ، ٩٩	جون هوبكنز ٦
حصص ٣٣٨	جوستين ٣٠٠
حنين ١٠ ، ٧	جيرزم ٢٢٩ ، ٣١ ، ١٧
حناني ٤٩	
حنانيا وسفيرا ٣٢٠	
حننداس ٤٤	
حوويب ٣١	
حوورون ١٥	
حويون ١٦	
حيفا ٢٧	

(ح)

الخروج ١٦ ، ٢٩ ، ٣٧ ، ١١١ ، ٢٢٣	حابورة ٢٧٥
٣٢١	حاران ١٧٥
الخليفة ٢٨	حاجي ٣٣
الخليل ٢١٢ ، ٦٧ ، ٣٠	الحارث ١٨٤
خيمة الاجتماع ٢٢	حبرون ٢٠
	الحبشة ٢٠٣
	الحجاز ٢٩
	حقوق ٨٨ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٠ ، ٦٥ ، ٥٧
	١٦٧ ، ١٢٩ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ٩٣
	١٨٠ ، ١٧٤ ، ١٧٢ ، ١٧٠ ، ١٦٩
	١٩٧ ، ١٨٦ ، ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨١
	٢١٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠١ ، ١٩٩ ، ١٩٨
	٢٤٥ ، ٢٣٤ ، ٢٢٦ ، ٢١٦ ، ٢١١
	٢٦٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٣ ، ٢٤٩ ، ٢٤٨
	٣٠٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٣
	٣١٧ ، ٣١٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٤
	٣٢٨ ، ٣٢٥

(خ)

(د)

دائرة الآثار ١٣
دائرة الثقافة والفنون ١٤

تابع الكشف

راعوث ٣٠ ، ٥٤ ، ١١١	دان ٢٣
رام الله ٨ ، ٢٩	دانيال ٢٠ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٨٢ ، ١٣٦
رايلاندت ٣٨٣	١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٩٣
ربافون ٣٥ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ١٥٤ ، ٢٩٠	١٩٥ ، ٢٤٩ ، ٢٦٠ ، ٣٠٦ ، ٣١١
ربلاي ٣٧٥	٣٣٦
رتشاردسون ١٣٤	داود ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٥٦
رصين ٢٩٩	١٥٣ ، ١٥٥ ، ٢٦٢
رعسيس ١٦	الدباغ (مصطفى) ٣٤٩
رفائليون ٢٦٠	الدجاني (عوني) ١٠ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ٣٧٤
رمليا ٢٩٩	٣٧٥ ، ٣٨٨
الرميلة ٢١٣	درايفر ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٧٤ ، ١٩٦
الرواق ٥١	٢١٤ ، ٢٢٩
روبين ١٩١ ، ١٩٦ ، ١٩٨	درويس ٨٨
روست ١٩٠ ، ١٩٢	دمشق ١٨٤ ، ١٩٣ ، ٢٦٤
روما ٢٧ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٧٠ ، ١٦٩	الدوير ٩٢
٣٠٠ ، ١٨٤	الدومنيكان ٥٩
الرومان ٤٨ ، ٧٨ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٨٥	دلکور ٨٢ ، ١٧٢ ، ٢٠٢ ، ٢٥٠
٢٩٠ ، ١٨٦	ديفز ١٩٨
ريد ١١١ ، ١٣٥	ديفو ٥٣ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١١٠ ، ١١١
ريلاندز ١١٥	١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٣٣
	١٣٤ ، ١٣٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٣٢
	٢٧٧ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٣٥٤

(ز)

زتلن ٨٨ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٩٣ ، ٢١١	دوديم ١٦٧
٢٢٥	ديبون — ٢٩٦ ، ٢٩٧
زحل ٣٢٩	دير السريان ٧ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٧٢ ، ٧٤
زراشت ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٣١٥ ، ٣١٦	ديكابولس ١٨٦
زورابل ٢١ ، ٢٢	ديلانغ ١٣١
زفس ٢٢ ، ٢٦ ، ١٧٢	ديلي ميل ٩٥ ، ٩٦
زكريا ١٣١ ، ١٦١ ، ٢١٢	ديوك ٩٤
زينون ٩	دمتريوس ٢٧٢

(س)

ساره ٣١١ ، ١٩٥
ساسون ٦٠

(ر)

راس الجالوت ٤٣
راسك (دين) ٣٧٤

تابع الكشف

السلجوقيون ١٠١	سالونيك ٩٢١
سفر (يوسف) ٣٨٠	السامرة والسامريون (السمرة) ٢٤ ، ٢١
سفينا ١٣١	٢٩ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦
سعدى الفيومي ٤٥ ، ٢١	٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢٨٣ ، ٣١٠ ، ٣٧٧
سمث سونيان ٣٧٣ ، ٣٥٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨٨	٣٧٨
٣٨٠	سالومي ١١٣ ، ١١٤
سمبسون ٨٥	سان فرنسيسكو ٣٨٠
سيمون ٨٩	سبسطية ٣٧٧
سمعان ١١٢ ، ١١٣ ، ١٣٢ ، ١٦٨ ، ١٩٤	سرجيوس ٩٨ ، ٢٤٤
٢٣٧ ، ٢٧٤	السبعينية ١٠٩ ، ١٣١ ، ١٧٠ ، ٢٢٦
سميث سونيان ١٠٣	٢٢٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٢٩٤ ، ٣٠٧
سبحاريب ٢١	سرجون ٢٨
سنبط ٢٥	سكيت ٩٥
سورا ٤٦ ، ٢٠١	ستوفر ١٧٢
سوربا ١٨ ، ٢٤٩ ، ١٩٥	سكنيك ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١
السنط ٢١٢	٧٤ ، ٧٥ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ١٠٠
السريران ١٠١ ، ١٠٤ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣١٠	١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٣٦ ، ١٨٨ ، ١٩٩
سنجل ٢٩	٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢٢٥
سيناء ١٥ ، ١٧	٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٣٠٣ ، ٣٣٤
سيريل ٢٠٨	سكوب ٢٧٣ ، ٢٨٣
سيراخ ١٣٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٢	سكوبس ٢٥٧
سيكاري ٢٨٦ ، ٢٨٨	سكوث ١٠٢ ، ٣٥٤
	سكاكا ١٢٧
(ش)	سسل روث ١٥٣
شابير ٨٤ ، ٨٥	سفر الاعمال ٢٥٤
شارل ١٩٢	سكيبان ٣٠٦
الشام ١٥ ، ١٦ ، ٢٧ ، ١٩٢ ، ٢٠٥	سلوان ٢١٧
شاو ١٩ ، ٢١	سلفيكه ٢٢٤
شختر ١٥٥ ، ١٨٧	سلوقيون ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٨٣
شرمان جونسون ٣١٩	١٩٥ ، ٢١٣ ، ٢٠٣ ، ٢٧٢ ، ٩٨
شعيب ٢٩	٢٦ ، ٥١
شكيم ٣٥ ، ١٩٥	سليان ٢٠ ، ٢١ ، ٢٥ ، ١٣٢ ، ١٩٢
شلفناصر ٢٥	سليميوس ١٨١
	سار ١٠٦ ، ٢٠٩

تابع الكشف

(ط)

طبريا ٤٣ ، ٧٠ ، ١٨٢
 طروادة ٣٠٤
 طسفون ٢٤٤
 طوبيا ٢٥ ، ٦٠ ، ١٣٣ ، ١٧٤ ، ١٧١
 ١٧٢ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٢١٣
 ٢١٤
 الطوفان ٢٨
 طيبة ١٧
 طياريوس ١٨٥

(ع)

عابدي (محمود) ١٠ ، ١٢
 عاخان ٢٧
 عازر ٢٦٢
 عاموس ١١٢
 العبري المربع ٧٣
 عبيري ١٥
 العدة (سفر) ١٣٢
 عراق الامير ١٥ ، ١٦ ، ٤٥ ، ١٨٢
 ٢١٣ ، ٢١٤
 عزيا ٢٥ ، ١٣٣ ، ١٩٢
 عزيز ٢٧٤
 عسقلان ٦٢١
 العشاء الرباني ٣١٩ ، ٣٢٠
 عشتاروت ٢٨ ، ٣٠ ، ١٥٩
 عطار ٥٠
 العقاد ٩١
 عقربا ٣٧٧
 عقبة ٢٠٠
 عكاش (الزبن) ٨٩
 علون ٥٦
 عماليق ١٨ ، ١٩

شبحان ١٨
 شيكاغو ١٦ ، ٩٤ ، ٢٠٩ ، ٣٤٠
 شيوخ الجماعة ٢٤٠

(ص)

صادوق ٢٨ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٩٠
 ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٦٢
 ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦
 ٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٢٨٧
 صدقيا ٢٥ ، ٣٨ ، ٣٩
 الصدوقيون ٣٨ ، ٣٩ ، ١٨٤ ، ٢٧٤
 ٣١٧ ، ٣٢٠
 صفروئيس ٢٨
 صفوريا ٤٨
 صناديق العظام ٢١٣
 صنون ٣٤٢
 الصليبيون ٤٥ ، ١٠١
 صور ٢٠ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ٢٢٤
 ٢٥٨ ، ٢٦١
 صلحان ١٦٠
 صومر ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٨
 ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٢٧
 ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٣
 ٢٤٣ ، ٢٥٣ ، ٢٦٣ ، ٢٧٣
 ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٣١٤ ، ٣١٥
 ٣١٧
 صوثيل ١٩ ، ٢٩ ، ١٣٥ ، ٣٠٧ ، ٣١٢
 صومي ٦٩ ، ٢٧٦
 صوفي ١٩٨
 صهيون ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٨٧ ، ٣٢٤
 ٢٣٤
 صيدا ٢٩٨

تابع الكشف

(ف)

الفاطمي ١٠١ ، ٨٩
 الفاتيكانيان ٣٦٥ ، ٣٦٠ ، ٣٥٦ ، ٣٥٤
 فالوغا ٥٩
 الفرس ١٨٥ ، ٣٠ ، ٢٨ ، ٢٥
 فرعون ٣١١ ، ٢٨ ، ١٧
 فرنسا ٣٦٧ ، ٣٦٦ ، ٣٦٤ ، ١٠٣
 فرزيون ١٦
 فترماير ٣٧٥
 الفرثيون ١٨٥
 فرتش ٨
 فريحة ٥٩
 فصايل ٣٧٧
 الفصح ٣٦ ، ٢٦ ، ١٦
 فسبسيان ٣٥ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ١٢
 الفسطاط ٩٩
 الفقوة ٣٠
 فجل ١٨٦
 فيلادلفس ٢١٩
 الفلسطين ٣٠ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ١٦
 الفشحة ٣٤٧ ، ١٤١ ، ١٢٨
 فلسطين ٢١ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ٧
 ٨١ ، ٥٤ ، ٥٢ ، ٣٣ ، ٢٨ ، ٢٣
 ٢٩٤ ، ٢٢٩ ، ١٩٥ ، ١٧٦ ، ١٧٥
 ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣١٠
 فريسيون ٤٧ ، ٤٢ ، ٣٨ ، ٢٧ ، ١٢
 ٢٧٤ ، ٢٥١ ، ١٩٣ ، ١٨٤ ، ١٨٣
 ٢٨٨ ، ٢٧٨
 فيلكس ٤٩
 فقح ٢٩٩
 فينيقيا ٢١٤ ، ٣٠ ، ٢٠
 فنسنت ٢١٤
 فواد ٢١٥

عمان ٣٣٣ ، ٢١٣ ، ١٨٢ ، ٨٩ ، ١٤
 ٣٦٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦٢ ، ٣٥٥
 عمانويل ٣٠١
 عمون ١٩٦ ، ٨١ ، ٢٣ ، ٢٠ ، ١٨
 عمر بن الخطاب ٢٨
 عموري ٢٤٥
 عناق ٢٠
 عنان ٤٤
 العهد الجديد ٢٣٦ ، ٢٢٢ ، ٢٨٣ ، ٣٣
 العهد القديم ٨١ ، ٣٢ ، ٢١
 عوده ٣٣١
 عوزيا ٢٩٩ ، ١٢٣
 عيلام ٢٤٤
 عين جدي ٣٤٠ ، ١٢٧

(غ)

غالوس ٥١
 غارستنغ
 غستر ٨
 غس بيك ١٣٥
 غرايبة (عبد الكريم) ٣٥٧ ، ٣٥٥ ، ٣٤٩
 ٣٦٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦٢
 غريب ٣٨٣
 غسان ٣٤٢
 غزة ١٩
 الغفران ٢٤٣ ، ١٨٠ ، ٧٩ ، ٧٧
 الغلاة ٢٨٧ ، ٢٨٦ ، ٢٠٥ ، ٢٥٣
 ٣١٤ ، ٢٨٨
 غليل ٢٠٤
 غمورة ٥٤
 غنوصية ٢٥٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٥٢
 ٢٨١ ، ٢٦٩ ، ٢٦١ ، ٢٥٩
 الغيتو ٢٤

تابع الكشف

٢٠٢، ٢٠١، ٢٠٠، ١٩٧، ١٩٤	قولغاغا ٢٢٩
٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٧، ٢٠٤، ٢٠٣	فبرجل ٣٠٤
٢٣٧، ٢٣٥، ٢٢٣، ٢٢٠، ٢١٩	الفيغارو ١٠٤
٢٥٢، ٢٥٠، ٢٤٦، ٢٤٢، ٢٣٩	فيزوف ١٩٦، ١٩٧
٢٦٦، ٢٦١، ٢٥٩، ٢٥٨، ٢٥٣	الفيلق العاشر ١٢٥
٢٨٢، ٢٨١، ٢٨٠، ٢٧٧، ٢٧٠	قبيلة (الفنتين) ٢٢، ٢٣، ٢١٦
٢٩٠، ٢٨٩، ٢٨٧، ٢٨٦، ٢٨٥	قيساو ٤٢، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١
٣١٥، ٣١٤، ٣١٣، ٣١٠، ٣٠٤	٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٩٠
٣٢٥، ٣٢١، ٣٢٠، ٣١٨، ٣١٦	الفيوم ٢٠١
٣٥٥، ٣٥٤، ٣٣٠، ٣٢٩، ٣٢٨	
٣٧٩، ٣٧٦، ٣٧٥، ٣٧٤، ٣٧٣	

(ق)

قورش ٢٢، ٢٥

القولبة ١٢٩

قيدار ٢٥

قيساويا ٢٧

القيامة ٢٨

القاصد الرسولي ٣٣٥

قادش ١٥٨

قمية ٩٢

القدس ٦، ١٩، ٢٠، ٢١، ١٨٤، ١٩٣

٢٤١، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٦٢، ٣٦٤

٣٦٦، ٣٧٤

قدس الاقداس ٢٦

القدورية ٤٤

قدرون ١٥٠، ٢١٢

قبرص ١٦٩، ٢٤٩، ١٣٩

قبور السلاطين ٢١٢

قرطاجنة ٢١٦

قرطبة ٤٦، ٢٣٣

القراؤون ٣٨، ٣٩، ٤٤، ١٥٤، ٢٠١

٢٤٣، ٢٨٩، ٢٩٠

القرقراني ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٧٣، ٢٧٤

٢٨٨

القسطنطينية ٤٤

قصر هشام ٨٠

قمران ٥٣، ٦٣، ١٠٢، ١٠٨، ١١٠

١١٥، ١١٨، ١٢١، ١٢٩، ١٣٧

١٤٠، ١٤٢، ١٤٨، ١٨٦، ١٩٣

(ك)

كاتس ١٩٦

كاردف ٣٨٤

كالس ٣٢٩

كاليه ٥٢

كاليغورنيا ٣٦٨، ٣٨٠، ٣٧٩

الكاهن الشرير ٥٧، ٧٧، ٢٣٧

الكثيم ٧٦، ٧٥، ١٠١، ١٦٨، ١٦٩

١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣

١٧٥، ١٧٦، ١٨١، ١٩٥

٢٤٩، ٢٦٩

كريون ١٤

كر كلا ٢٣٢

كرستيان سانشوري ١٢

كروس ١٢٣، ١٢٧، ٣٠٦، ٣٧٨، ٣٧٧

الكلدان ٢٢، ٣٣، ٧٦

تابع الكشف

لقتش ٣٥٦
لبرمان ٢٧٥
لندن ١٨٣ ، ١٣٩
لندن نيوز ٧٢ ، ٨٥ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ٤٤
لوقان ٩٦ ، ٨٨
لوقا ٨٢ ، ١٣١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٩
لوس انجيلوس ٣٧٩ ، ٣٨٠
لوط ١٩٥
لوي ٣٧٩
لسكاوون ٣٠٤
الليغرو ٨ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٥٢ ، ٣١١
٣٨٣

(م)

مغنس ٦٠ ، ٦١ ، ٦٨
ماتثياس ٢٣٧
مارتن فوث ٨
مادبا ١٨ ، ١٨٤ ، ٢٢٤
ماخيرس ١٨٤
مخازن ٢٦
ماركس ٢٨٧
مالوري ٣٦٦
المتحف البريطاني ٩٥ ، ٢١١ ، ٢٥٧ ،
٣٨٢ ، ٣٥٨
المتحف الفلسطيني ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ١٠٩
١١ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ٢٣٩
٢٤٥ ، ٢٤٨ ، ٢٦٣ ، ٣٧١
٣١١ ، ٣١١ ، ٢٤١ ، ٣٤٧
٣٤٨ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦
٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣
٣٦٥ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١
٣٧٤ ، ٣٧٧
المبكمي ٢٧

كليرمونت غافو ٨٦
كليرمونت ٣٦٨ ، ٣٨٠
الكرمل ١٩
كبردج ٢١٢
كودويس ١١٥
كروفت ٢٠٨
كندا ١٢٤ ، ٣٧١ ، ٣٨١
كندو ٥٢ ، ٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٧٧
كنيون (كاتلين) ٣٦٧
كنمان ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٢٤٥
كورنث ٣٢١
كلمنت ٢٨٩
كون ١٣٧ ، ٢٥٨
الكهف الرابع ١٠٨ ، ٢٢٤ ، ١٣١ ، ١٣٣
٣٠٦ ، ٣١١ ، ٣٦٠
الكهف الحادي عشر ١٠٩ ، ٣١٢ ، ٣٦٩
٣٧٣
كهيل ١٧ ، ١٩ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١١٢
٢٣٠ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩
كيراز ١٤ ، ٤٢ ، ٦٠

(ل)

لامبرس (جريدة) ٣٨١
لامك ٥٧ ، ٧١ ، ٨٠ ، ٩٣ ، ١٠٥ ، ٢٣٤
لاوي ٨١ ، ١٥٩ ، ٢٣٨ ، ٢٦٣ ، ٢٧١
٣٠٦ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦
لاخيش ٩٢ ، ١١٢ ، ٢١٦ ، ٢١٧
لاش ٨٩
اللاويون ١٠٩ ، ١١١ ، ٢١٦ ، ٢٠٣
لبنان ١٨٠
لي ١٠٦
لحمان ٩٣

تابع الكشف

المسور ١٧ ، ٢٤ ، ٧٠ ، ١١٣ ، ٢٢٠	مئرا ٢٥٢
٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢١	الجبالي (هزاع) ٣٦٩
٢٧٢ ، ٢٤٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٠	الجبوس ٣٢٩
٢٩٨ ، ٢٩٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٠	محمد الذيب ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥
٣٠٩ ، ٣٠٨ ، ٣٠٥ ، ٢٩٩	محمد عبد السلام ٣٦٠
المشائية ٢٥	محمد مصطفى ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥
المشترى ٣٢٩	محفل اسرائيل ٢٣٧
مشيل ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٦	مختار الله ٣١٧ ، ٣٧٥
مصر ١٥ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ١٥٨	مدينة الظلام ١٨٢
١٧٢ ، ٢٠١ ، ٣١١ ، ٣٦٣	المدراس ٢١٦
المطران ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٧٠ ، ٨٢	المدرسة الاميركية ٦٢ ، ٦٤ ، ٩٦ ، ١٠٩
٣٣٨ ، ١١٥ ، ٩٣ ، ٩٠ ، ٨٣	١٢٣ ، ٣٣٨ ، ٣٦٦ ، ٣٧٣
٣٥٨	٣٧٨ ، ٣٨٠
معاذ ٣٤٤	المذكور ١٢٨ ، ١٥٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٩
المعتزلة ٤٢ ، ٢٨٠	مدن ١٨ ، ٢٩ ، ١٢٧
معلم الجماعة ٢٣٦	المربعات ١١٠ ، ١١١ ، ١٥٢ ، ٢٣٤
معلم الحق ٧٧ ، ٧٨ ، ٥٧ ، ١٠٤ ، ١٧٧	٣٠٧ ، ٣٤١
٢٠٣ ، ٢٣٧ ، ٢٨٣ ، ٣١٧	مرج ابن عامر ٣٠
المعمدان ٣١٥ ، ٣١٩ ، ٣٢٧	المرد ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٥٢
المفاتيح ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤	مرقص ١٩
٢٧٤	مرنبتاح ١٧
المفطس ٥٢	المريخ ٣٢٩
المفقي (عز الدين) ٣٤٩	مرمرجي ٥٩
المقتطف ١٧ ، ٨٣	مري لاند ٣٧٥ ، ٣٨٠ ، ٣٨٣
المقريزي ٤٤	الزماير ٣٠ ، ٧١ ، ٩٨ ، ١٠٩ ، ١٣٢
المكابي ٢٦ ، ٣٣ ، ٥١ ، ١٦٨ ، ١٧٢	١٣٦ ، ٢٣٦ ، ٣٠١ ، ٣٠٦
١٧٣ ، ١٨٢ ، ١٩٣ ، ١٩٦	٣١٢ ، ٣٦٨
١٩٧ ، ٢١٠	مسيا ١٠١ ، ١٦٢ ، ٢٠٢ ، ٢٥١
مكبل ١٢٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦٥	٢٥٨ ، ٢٦١
المكدونيون ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٣	المسيح ٦ ، ١٢ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٤٢ ، ٤٣
مكلستر ٢١٣	٥٢ ، ١٠٤ ، ١٧٨ ، ١٨٦ ، ١٨٩
ملاخي ٣١ ، ٣٣	١٩٠ ، ٢٦٦ ، ٣٠٢ ، ٣١٢
مليك ١٢٧ ، ١٣٤ ، ٣١١	٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٠
مكورمك ١٢٣ ، ٣١٠ ، ٣٥٣ ، ٣٦٥	٣٢١ ، ٣٢٨ ، ٣٧٦ ، ٣٨٤

تابع الكشف

النبطية ١٢٧ ، ١٣١
 نبوخذ نصر ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ١٥٦
 ١٩٢ ، ٣١١
 نبو ١٨
 النجم ٣٢٩
 نحميا ٢١ ، ٢٤ ، ٣٠٩
 نرويج ٧٠
 نساطرة ٩٨ ، ٢٤٢
 النظام ٥١ ، ٦٤ ، ٧١ ، ٧٨ ، ١٣٦ ، ٨٠
 ١٩٨ ، ٢١٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧
 ٢٣٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩
 ٢٦٨ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٣٢٠
 ٣٢٨
 نعمى ٥٤
 فوت ١٢٧
 فوح ٥٧
 فيرون ٢٧ ، ٤٧ ، ٤٨
 فيكتور ١٧١
 النيل ٢٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦
 نيويورك ١١١ ، ٣٣٤ ، ٣٧٨

(٥)

هارتغال ٣٣٩
 هارون ٢٩ ، ١٥٦ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٤٩
 ٢٥١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠
 هاردنغ ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٥ ، ١٠١
 ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٥
 ١١٦ ، ١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٣٨
 ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩
 ٣٣٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢
 ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٤
 ٣٦٥
 هبلوتس ٢٨١

ملز ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠
 ملتون ٣٧٠
 مانشستر ١٢٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠
 ١٤٠ ، ١٤١ ، ٢١٥ ، ٣٥٢
 ٣٦٠ ، ٣٦٥
 مندلبوم ٤٥
 المنصور ٤٤ ، ٤٥
 الموجب ١٧٠
 مؤاب ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٣ ، ٥٤ ، ٨٥
 موريس براون ٦٠ ، ٨١
 مونريال ١٢١ ، ٣٨١ ، ٣٨٢
 موسى فاكو ٢٣٣
 موسى بن ميمون ٤٥ ، ٩٩
 موسى النبي ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣١
 ٤٥ ، ٥٠ ، ٨٥ ، ١٩٥ ، ٢٥٠
 ٢٥٦ ، ٢٦٢ ، ٢٤٧ ، ٢٧٧
 ٢٨٣ ، ٣٢٦
 مومياء ٢٠٤ ، ٢٠٥
 موناليزا ٣٤٥
 ميتالوس ٩٨
 ميخا ٣١ ، ١١٢ ، ١٣١
 ميخائيل ٢٦٠
 ميشع ٢١٦
 مينالوس ١٨٢ ، ٢٠١

(ن)

نابلس ٢٩ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٠٠ ، ٣٧٨
 نابونيدس ٣١١
 ناحوم ١٣١ ، ١٣٦
 ناش ٦٣ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ٢١٥
 الناصرة ٤٨
 الناموس ٣١٨ ، ٣١٩
 نبراسكا ٣٨٠

تابع الكشف

وادي النار ١٥٢	هداية ٨١
ورن (ايرل) ٣٧٥	هندريان ٢٧ ، ٣١ ، ٤٣ ، ١١٣
الوثيقة الدمشقية ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٣٦	هرقل ٢٢ ، ٥٠
١٨٧ ، ١٨٣ ، ١٦٧ ، ١٥٥	هارفرد ٩٦ ، ٣٤١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٧
٢٠٠ ، ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٩١	هرماس ٣٣١
٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٠٣ ، ٢٠١	هركانس ٣٥ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٥٣ ، ١٧٥
٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٦	١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٨٢
٢٦٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٣	مبل ٢٩٣
٢٨٢ ، ٢٧٩ ، ٢٧٧ ، ٢٦٧	مليتون ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧
٣١٣ ، ٢٩٠ ، ٢٨٥ ، ٢٨٣	هليل ١٨٥ ، ١٩٣
٣٥٨ ، ٣٢٢ ، ٣١٧	هليبي ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٦ ، ٢٧٢ ، ٣٧٨
ورثفيلد ٢٩٤	هكسابلة ٢٣٢
واشنطن ٩٤ ، ٢٠٨ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥	الهكسوس ١٥ ، ١١٢
٣٧٤ ، ٣٧٠ ، ٣٦٨	الهند ٣١
ولفنسن ٩٩	هنري مطر ١١ ، ١٣
الوصايا العشر ٨٣ ، ١٠٩ ، ٣٧٣	هوكنز ٦٤
الوكالة اليهودية ٦٧	هوك ٩٦ ، ٣٨٣
الولاية العربية ١٢٢	هوميرس ٢٠٦
الولايات المتحدة ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧	هولندا ٣٦٨
٣٧٢ ، ٣٦٨	الهيئة العربية العليا ٦٥
ولزلي ٩٣	هيروودس ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٤٨ ، ١١٦
ولسن (ادموند) ٥	١١٨ ، ١٢٥ ، ١٥٣ ، ١٦٩
ولي ٩	١٨٤ ، ١٩٦ ، ١٩٢ ، ٢٠٦
ولستورم ٣٧٠	٢١٦
ولشتاين ٢٩٩	هذليبرج ٣٥٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦٥
وولتر ٩٤	هيلانة ٣١٢
وايز ١٩٣	الهيكل ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٢٦
وكسلر ٦٠ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤	١٢٢ ، ١٥٤ ، ٢٠٣ ، ٢٢٦
ويرمز ١٧٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٥١	٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣١١ ، ٣١٣
٢٦٨ ، ٢٥٦	
ولنغ ٣٣٣	(و)
ويلز ٣٨٤	وادي الدالية ٣٧٧
وفت ١٠٤	وادي السير ١٨٢ ، ٢١٣
وود ستوك ٣٧٥	وادي عربة ١٢٢

تابع الكشف

(ي)

يوسفوس ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ١١٨ ، ١٢١
 ١٥٣ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٢
 ١٧٤ ، ١٨٥ ، ١٩٤ ، ١٩٦
 ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤
 ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠
 ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٣٩٠
 ٣١٥
 يوحنا بن زكريا ٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨
 يوسيبوس ٢٣٢
 يوثام ٢٩٩
 يهوذا ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٨١
 ١٥٣ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٣٧
 ٢٧١ ، ٢٨٨ ، ٣٠٨
 يهوشافاط ١٠٧ ، ١٥١
 يهوديت ١٣٣
 يهوه ١٦ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٥ ، ١٥٣ ، ٢٠٠
 يوثام ١١٣ ، ١١٤ ، ١٩٢ ، ٢٣٧
 اليونان ٣٣ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ٣٠٤
 اليهودية ٢٨
 ييل ٦ ، ٣٣٣

ياجوج ١٠١ ، ١١٠
 يادين ٣٢ ، ٣٤٠
 يافا ٢٤
 ياسون ٩٨ ، ١٨٣ ، ٢٠٠
 يسوع ١٩٣
 يشوع بن جلعولا ١٨ ، ١١٣
 يشوع ١٧ ، ١٨ ، ٢٩ ، ١٢٧ ، ٢٦٢
 ييوس ١٦ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٠
 يعقوب ١٥ ، ٢٨ ، ١٧٠ ، ١٥٠ ، ٢٦٥
 ٣١٢
 يلين ٧٩
 يثاب ٣٠ ، ١٩٥
 اليوبيل ١٣٣ ، ١٦٩ ، ١٩٥ ، ٢٠٢
 ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨
 يوحنا ٨٢ ، ٣٢٥
 يوثاباط ٤٨
 يوربيدس ١٣١
 يوسف ١٥ ، ٥٧

الفهرست

الموضوع	الصفحة
المقدمة :	٥
ميلر بروز . بليني . تقارير الاساتذة المراجعين .	
الفصل الاول - موجز في تاريخ اليهود :	١٥
النشأة . الخروج . يشوع . الفلسطينيين . السبي البابلي . الطمع اليهودي . الهيكمل . تابوت العهد . اليونان والرومان . الثورة الاولى . الثورة الثانية . التوراة . المشنة . الحجارة . التلمود . التراجم . لغة اليهود .	
الفصل الثاني - فرق اليهود ومؤرخوهم :	٢٥
السامريون . الصدوقيون . الاسينيون . الفريسيون . الرابون . انقراؤون . يوسيفوس . فيلون الاسكندري .	
الفصل الثالث - الاكتشافات الاولى :	٥٢
راعوث . حبقوق . أنيس فريجة . بردية ناش . المسورون . مخطوط اشعيا . شرح حبقوق . كتاب النظام . سفر لاملك . حرب أبناء النور . المزامير . كندو .	
الفصل الرابع - مناقشات :	٨٤
مخطوطة شابيرا . اوريجن الفقيه . لاخيش . ادعاء المخطوطات . مخطوط تيموثيوس . جنيزة . المسيح ومعلم الحق .	
الفصل الخامس - اكتشافات أخرى :	١٠٧
الكهف ١١ . كهوف المربعات . خربة قمران . دراسة المكتشفات . خربة المرد . الكهف الرابع . الابوكريفا .	
الفصل السادس - الملف النحاسي	١٣٧

تابع الفهرست

الموضوع	الصفحة
الفصل السابع - الوثيقة الدمشقية :	١٥٥
التاريخ والوعظ . تنظيمات الشعب .	
الفصل الثامن - شرح حبقوق :	١٦٧
الكتيم . شخصيات الرواية . معلم الحق والكاهن الشرير .	
الفصل التاسع - مقابلات بين الوثائق :	١٨٧
الاختلاف . مخطوط الحرب . الافكار .	
الفصل العاشر - عمر المخطوطات :	٢٠٤
لماذا اخفيت ؟ الفخاريات . لفائف الكتان . متى وضعت . الخط . القبريات .	
مقابلة المخطوط .	
الفصل الحادي عشر - دلائل اللغة والخط :	٢٢٠
الاختلاف عند النسخ . النص المسور . اختلاف المنسوخات . اختلاف	
الاملاء . حروف العلة والحركات . القواعد . المغائر .	
الفصل الثاني عشر - جماعة قمران :	٢٣٥
النساء في قمران . الاعضاء . المغائرون .	
الفصل الثالث عشر - المعتقدات	٢٤٧
الفصل الرابع عشر - اصحاب المخطوطات :	٢٧١
القرقزاني . الحابورة . من هم الاسينيون .	

تابع الفهرست

الموضوع	الصفحة
الفصل الخامس عشر - المقارنة بينها وبين التوراة الحالية :	٢٩١
في اشعيا . في حبقوق . في الجذاذات . المخالفات .	
الفصل السادس عشر - فضلها على دراسة اليهودية والنصرانية :	٣١٣
يوحنا المعمدان . انجيل يوحنا . مصادر مسيحية .	
الفصل السابع عشر - تسرب المخطوطات الى الخارج :	٣٣٢
مساعي الوزير المفوض . الاستعانة بالسفير الاميركي . سارق المخطوطات .	
القدس المحتلة . المخطوطات العربية .	
الفصل الثامن عشر - مصير المخطوطات	٣٤٧
الفصل التاسع عشر - عرضها في الخارج	٣٦٦
الكشاف	٣٨٥